



- ٢ فن التحقيق الدكتوره لبيانه مشوش وزيرة الثقافة
- ٤ عن المخطوطات الشرقية في المكتبة الوطنية الروسية د. ثائر زين الدين - المدير العام للهيئة العامة السورية للكتاب
- ٨ جمجم أصول المخطوط رئيس التحرير
- ١٠ السيفية الأولى من ديوان أبي الطيب المتنبي د. إبراهيم محمد محمود
- ٣٩ تقييدات وإضاءات على خوارج المخطوطات إياد فايز مرشد
- ٥٢ التحديات التي تقف عائقاً في وجه مفهرس المخطوطات وطرق حلها أمينة الحسن
- ٦٢ الاستخدامات الهندسية في آلات الرصد الفلكية د. مصطفى موالي وآ. جاسم حمود
- ٧٢ المخطوطات العربية وتاريخ المشاريع الهندسية د. مها الشعار
- ٩٠ الياقوت في التراث العلمي العربي د. بشارة جلخي
- ١٠٦ العربية والأكاديمية يردان من ماء واحد د. عبد سعيد مرعي
- ١٢٢ رحلة الكتابة العربية بين الحميرية والسريانية محمد عدنان الجوهري
- ١٣٣ إعادة تحقيق المخطوطات د. عبد الناصر إسماعيل عساف
- ١٧٢ نظرات في تحقيق كتاب المحاسب لابن جني د. مهند سمير بيازيد
- ١٨٢ اليميني في أخبار دولة الملك يمين الدولة أبي القاسم محمود بن سُبْكَتْكَنْ د. ناهد محمود حسين
- ٢٠٢ الدر المنتخب في تكميلة تاريخ حلب لابن خطيب الناصرية د. أحمد حميد
- ٢١١ علم التاريخ عند ابن خلدون د. عباس مرهج فرج
- ٢١٩ العالم الطيب ابن النفيس وكتابه الموسوعي «الشامل في الصناعة الطبية» نبيل تللو وسوزان أبو حمزة
- ٢٢٨ الأستاذة سكينة الشهابي ورحلتها مع تاريخ دمشق لابن عساكر (ت ٥٧١ هـ) د. محمود الحسن
- ٢٣٩ آخر الكلام: التحرير مفتاح النصوص د. محمد قاسم

**رئيس مجلس الإدارة**  
**الدكتورة لبيانة مشوش**  
**وزيرة الثقافة**  
**المشرف العام والمدير المسؤول**  
**ثائر زين الدين**  
**رئيس التحرير**  
**محمد قاسم**

**هيئة التحرير**  
**مزيد إسماعيل نعيم**  
**محمد شفيق البيطار**  
**عبد الناصر عساف**  
**إياد الطياع**  
**هبة الملاج**

**التدقيق اللغوي**  
**محمد قاسم**  
**أمينة سر المجلة**  
**ياسمين الناصر**  
**الإشراف الطباعي**  
**أنس الحسن**  
**الإخراج الفني**  
**عبد العزيز محمد**

المراسلة باسم السيد رئيس التحرير  
Email: syrbook.dg@gmail.com

السعر: ١٠٠ ل.س أو ما يعادلها



الدكتورة لبّانة مشوّح  
وزيرة الثقافة

# فن التَّحْقِيق

لا يكاد نبع المخطوطات العربية ينضب، والجهود المبذولة في تحقيقها لا تكاد تتوقف. ولا غرابة في ذلك، فالعلوم كانت من أبدع ثمرات الحضارة العربية. وانكبّ العلماء العرب على تدوين هذه العلوم والمعارف على أنواعها، حتى عُرف ذاك العصر بعصر التدوين اعترافاً بفضلهم، فأغنوا المكتبة العربية العالمية بنفائس المخطوطات تأليفاً وترجمة مما لا تتسع له الكتب وما تعجز الأقلام عن وصفه.

تنوعت المجالات التي تناولتها المخطوطات العربية، وترواحت بين الأدبية والفقهية واللغوية والهندسية والطبية؛ فكان لا بدّ لإخراج النَّصِّ، كما أراده كاتبُه، من أن يتصدى لمهمة التحقيق هذه مَنْ هو أهل له. ولكلّ اختصاصٍ أهلُهُ الأعلمُ به. وشرط المحقق الأول أن يكون من أهل الاختصاص، وأن يعمل كُلُّ في مجال علمه وتخصصه، وإلا فكيف للغوي أن يفسّر طلاسم المعادلات الرياضية، أو أن يستوعب مخطوطات آلات الرصد الفلكية ويستنبط الاستخدامات الهندسية لتلك الآلات؟ وكيف لباحث في التاريخ أن يحيط بمجمل المفاهيم الطبية أو المصطلحات التشريحية أو التراكيب الدوائية؟ وأنّى لمهندسٍ أنْ يعيَ منطقاً لغوياً كابن جنّي، أو قوانين طبيب فذّ كابن النفيس، أو مقاصد الفقه وما دُون من علوم الحديث؟ وهل بمقدور غير الدارس المتبحر في أسلوب المتنبي أن يحقق السيفية الأولى من ديوانه؟

ولتحقيق المخطوطات على أنواعها منهجية معروفة لا بدّ من اتّباعها، أول خطواتها مقارنة النسخة المراد تحقيقها بغيرها، ومطابقة العناوين والتاريخ والمعلومات، وعدم الركون إلى صحة المعلومات الواردة ما لم تكن موائمة للعصر الذي ظهرت فيه ولمنهج كاتبها ومنطقه وفكره. كما أنّ الأمانة تقتضي أن يُحافظ على النصّ بلا زيادة ولا نقصان، وبلا تصويب أو تحسين.

فهل استوفت كلّ التحقيقات شروط الدقة والمنهجية العلمية والأمانة المتواخّة؟

أسئلة قد يجد قارئ هذا العدد القيّم من مجلة المخطوط العربي بعض الإجابات عنها.

# عن المخطوطات الشرقية في المكتبة الوطنية الروسية



ثائزين الدين

تكشفُ مجموعة رائعة من المخطوطات الشرقية في المكتبة الوطنية الروسية في سانت بطرسبرغ، التي تأسست عام 1795 م تاريخَ تطور الكتابة، وتقاليد الكتابة بخط اليد في الشرق - موطن أقدم حضارات العالم ودياناته، ويبلغ عددها نحو 28 ألف مخطوطة. أقدم تلك المخطوطات في المكتبة المذكورة أربع بردیات مصرية قديمة من مقبرة طيبة، يعود تاريخها إلى القرن العاشر قبل الميلاد، وهي لوحات من «كتاب الموتى». وتضم المكتبة مخطوطات كُتبت على سعف النخيل، ولحاء الشجر، والجلد، والورق، ونصوصاً محفورة على أحجار وألواح خشبية، ومطرزات على الحرير، ومطليات على قماش، وإصدارات ورسوماً صينية ويبانية. يُظهر كثيرٌ من المخطوطات مستوىً عالياً لفن الكتابة. إنها تدهشك بجمال خط اليد وبالمنمنمات الرائعة والزخرفات التزيينية واللمسات الفنية.

ثمةً عدد كبير من المخطوطات نادرة المحتوى وفريدة النوع، وتمثل أعمالاً لم تكن معروفةً من قبل. موضوعات تلك المخطوطات متنوعة: فهي ليست أعمالاً دينية وفلسفية فحسب، بل هناك أعمال أدبية، وتأريخية، ومعجمات، وأطروحات في علوم اللغة، والعلوم الدقيقة والطبيعية - الرياضيات، والجغرافيا، وعلم الفلك، والطب وغيرها. شكلت مجموعة دوبروفسكي ب. ب. نواة قسم المخطوطات الشرقية، ولن نبالغ إذا قلنا: إنَّ كتاب «أورينتاليا-Orientalia» لدوبروفسكي أثار الاهتمام بجمع آثار الكتابة الشرقية داخل المجتمع الروسي، ولا سيما لدى القياصرة الروس.

اقتنت المكتبة، بفضل ألكسندر الأول ونيقولاي الأول والإسكندر الثاني، أكثر من ٢٠ ألف مخطوطة شرقية – هي جوائز حروب وهدايا دبلوماسية ومجموعات تجاوزت تكلفتها ميزانية المكتبة لسنوات عديدة. ثم اغتنى القسم الشرقي أيضاً بفضل نشاط الأفراد وانكبابهم على جمع المخطوطات، منهم: مهندس التعدين فرولوف ب. ك.، والدبلوماسيون سيمونينتش ي. و.، ودولغاروكي د. ي.، وخانيكوفن. ف.، وجابا. أ.، والمبشران- بيتر (كامينسكي)، وأنتونين (كابوستين)، والأسقف بورفيري (أوسبينسكي)، والعلماء - ك. تيشندورف، وف. د. سميرنوف، وي. ب. ميناييف، وي. يو. كراتشكوفسكي وأخرون. ولعل من المجموعات المهمة جداً من حيث الحجم (١٩ ألف مخطوطة شرقية) ما قدمه أ. س. فيركوفيتش، وقد دخلت المكتبة أعوام ١٨٦٢-١٨٧٦.

جمع فيركوفيتش تلك المخطوطات من الإمبراطورية الروسية والشرق الأوسط. وتمكن في القاهرة، من شراء مخطوطات قديمة تعود إلى الفترة ما بين القرنين العاشر والرابع عشر، وكانت في حالة مروعة، لكنها ذات قيمة كبيرة من حيث النصوص التي تحتويها.

الأقدم من بين ألفي مخطوطة عربية هي مصاحف مكتوبة بالخط الكوفي بين القرنين الثامن والحادي عشر الميلاديين. وجزء من سلسلة الأنساب الفريدة للقبائل العربية في القرن التاسع. ومن بين الكتب العربية أنواع مختلفة من الأعمال العلمية، منها على سبيل المثال، كتاب الإدريسي في «الجغرافيا»، وأطروحة عن الأبراج للصوفي. ومن بين أكثر من ١٠٠٠ مخطوطة فارسية، ١٤٠ مخطوطة منها مزينة بمنمنمات رائعة، بدءاً من «شاه ناما» الفردوسي عام ١٣٣٣، المنفذة في شيراز. وقد استُخدمت المنمنمات غالباً لتزيين أعمال الشعراء الناطقين بالفارسية:

الفردوسي، ونظامي، والسعدي، والجامي، والديخلوي وغيرهم.

ولعل الرصيد الأساسي للمخطوطات العربية والفارسية قد بدأ يتشكل مع انطلاق نشاط كلية اللغات جامعة بطرسبورغ في الفترة ١٨٤٥-١٨٥٥.



ومع تطور علم الاستشراق في روسيا بدأ النمو الفعلي لرصيد القسم الشرقي، وحين افتتحت كلية اللغات الشرقية زوّدت المكتبة بمجموعات كبيرة من المخطوطات والمراجع الدراسية في مجال الاستشراق، معظمها من جامعة قازان التي كانت في تلك الفترة أكبر مركز جامعي لتعليم اللغات الشرقية، ومن معهد اللغات الشرقية في مدرسة ريشيليف في أوديسا.

ولا تخفي في هذا المجال مُساهمة علماء الاستشراق الروس وأساتذة الكلية من أمثال: أ. كاظم بيك (المُوفى عام ١٨٧٠) والشيخ محمد طنطاوي (ت ١٨٦١) وف. غيرغاس (ت ١٨٨٧) وب. ليরخا (١٨٨٤). يضمُ القسم الشرقي مخطوطات من أعمال الفارابي الفلسفية، ومجموعة أعمال ابن سينا في الطب، والمؤلفات الرياضية والفلكية للبيروني، والطوسى، والشيرازي، والرسالة التاريخية لابن الأثير، ومعجم الترجم لابن خلكان، وغيرها من المخطوطات.

وقد رفدت مجموعة الأستاذ كاظم بيك الذي انتقل إلى سان بطرسبرغ من جامعة قازان المكتبة بقوّة، وهي لا تقل عن ٣٠٠ مخطوطة، وأصبح أول عميد للكتابة؛ ودرَّس فيها اللغات العربية والفارسية والتركية؛ ومما يُذكر أنَّه درَّس الأديب الروسي الشهير ليف تولستوي العربية والتركية لسنتين في جامعة قازان.

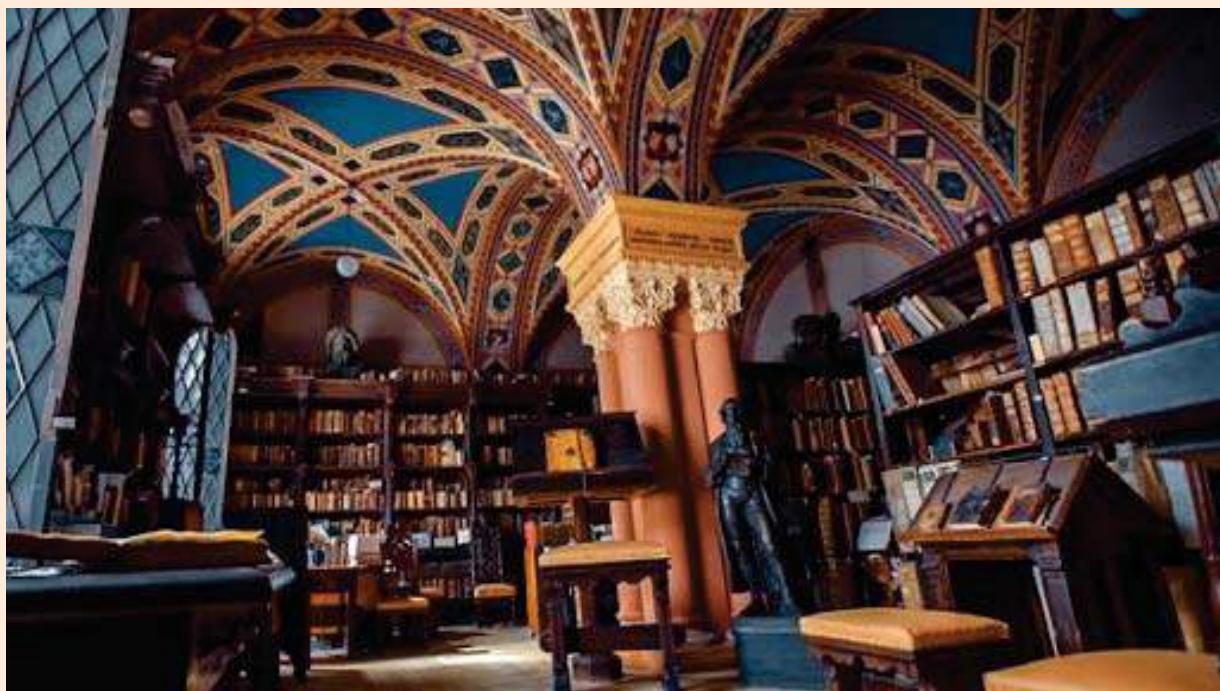
وقد أهدى أيضًا الأستاذ في الكلية الشيخ محمد طنطاوي – وهو عالم مصرى الجنسية واسع المعرفة – عدداً كبيراً من المخطوطات إلى المكتبة المذكورة، ومنها أعمالُ له نفسه، بعضها بالمحكية المصرية.

وقد كثُرت المجموعات التي أهديت إلى هذه المكتبة، ومنها مجموعة البروفيسور أ. و. موخلينسكي (ت ١٨٧٧)، وهي «مخطوطات قيمة جداً». ومنها آثار نادرة في الأدب الديني كتبت بحرروف عربية باللغة البيلاروسية – البولندية، وتتنتمي إلى التتار الليتوانيين الذين يقطنون في منطقة حدود بيلاروسيا – ليتوانيا – بولندا. ويمكن القول: إن لهذه المخطوطات، المحفوظة في مكتبة الكلية، قيمة خاصةً وكبيرةً بالنسبة للعلم؛ لأنَّ معظم المخطوطات المماثلة أُتلفت خلال الحرب العالمية الثانية. وأضخم مجموعة من المخطوطات قُضيَ عليها أثناء قصف وارسو<sup>(١)</sup>. ومنه أيضاً مجموعة المستشرق الروسي المعروف البروفيسور أ. روماسكيفيتش (ت ١٩٤٢)، وتضم مخطوطات نادرة في الكيمياء والفلك والطب والفلسفة. وقد انكبَ بنفسه على دراستها.

ولا تخفي بالتأكيد مساهمات المستعرب الروسي الكبير الأكاديمي أ. يو. كراتشكوفسكي في جمع المخطوطات للمكتبة، فقد أهدى المكتبة ذات يوم عدداً من المخطوطات العربية، أحضرها عام ١٩١١، بعد عودته من مهمة علمية في سوريا، معظمها دواوين شعر درسها ونشرها فيما بعد.

ووصَّفَ كراتشكوفسكي مجموعات أخرى من مخطوطات المكتبة، ومنها مجموعة غيرغاس. وأسهم إسهاماً متميزاً في دراسة المخطوطات العربية، وتحدث عن أبحاثه هذه في كتابه المهم: «مع المخطوطات العربية»، الذي أعيد طباعته مرات عده في روسيا وخارجها، وترجم إلى العربية، كما كتب أعمالاً غير قليلة تُرجم بعضها إلى العربية منها: «تاريخ الأدب الجغرافي العربي»، و«دراسات في تاريخ الأدب العربي»، وسواهما.

١ - عن مقال للأستاذ محمود الحمزة، موقع: [moc.baraissur.www](http://moc.baraissur.www)



«والى يوم تضم المجموعة العربية في القسم الشرقي نحو ٩٠٠ مجلد من المخطوطات (١٠٤٠ كتاب) في جميع مجالات المعرفة: الدين والفقه الإسلامي والفلسفة والمنطق والأدب واللغويات والعلوم الطبيعية والرياضيات والفلك وغيرها.

وشكلت تلك المجموعات العربية من القسم الشرقي في المكتبة مرجعاً مهماً لكثير من العلماء والمستشرقين والمستعربين مثل ف. غ. تيزينهاوزن (ت ١٩٠٢) وب. غ. بولغاكوف (ت ١٩٩٣). وقد عمل مع تلك المخطوطات العربية مؤلف فهرس المخطوطات العربية في فرع سان بطرسبورغ لمعهد الاستشراق التابع لأكاديمية العلوم الروسية أنس ب. خالدوف وبروفيسور الجامعة و. ب. فرولوفا وغيرهما كثير.

أما فهرسة مجموعة المخطوطات العربية في القسم الشرقي فقد بدأت منذ زمن بعيد، إذ عمل في هذا الاتجاه أجيال من العلماء. وكان فهرس المخطوطات العربية والفارسية في الجامعة قد أعدَّ في وقت مبكر. غ. زاليمان وف. روزن. ونشر عام ١٩٩٦ فهرس المخطوطات العربية في القسم الشرقي الذي أعدته فرولوفا وت. ديرياجينا»<sup>(٢)</sup>.

والحق أن ما ذكرناه ليس إلا غيضاً من فيض... فثمة من يُقدر عدد المخطوطات العربية في دول الاتحاد السوفييتي السابق بنحو أربعة وأربعين ألف مجلد موزَّعة في مؤسسات الاستشراق، ودور المخطوطات في سانت بطرسبرغ وموسكو والقوقاز وقازان وطشقند وباكو ودوشنبيه وتбليسي ويريفان عاصمة أرمينيا ومدن أخرى.

٢- المرجع نفسه.

# جَمْعُ أَصْوَلِ الْمُخْطُوطِ

رئيس التحرير

التحقيق بذل عنایة خاصةٍ يتغیّر باذلها إخراج نصٌ قديم على نحوٍ يجعل متنه أقرب ما يكون إلى الصورة التي وضّعها عليه مؤلفه.

وعلى المُحَقِّق أن يسلك في سبيل ذلك جملةً من الأعمال تَصَّلُّ عليها أربابُ هذا الفن، أولُها جَمْعُ أَصْوَلِ النَّصِّ المراد تحقيقه وَتَعَقُّبُ مظانِه بُغْيَةِ الحصول على قَدْرٍ صالحٍ منها يمكن أنْ يُقْيِّمَ نصَّه عنها، ويُقارِبُه مقاربةً مجتهدةً تطمئنُ إليها نفسه بعض الاطمئنان.

هذا ما استقرَّ عليه النَّاسُ في عصرنا، والقطعُ بأوليةِ الأشياء صعبٌ يتَابِي دونه خرطُ القَتَاد؛ فتقليدُ السُّجَادَةِ الحمراء التي تُبْسَطُ تحت أقدامِ النجوم في المِهْرَاجَاتِ العَالَمِيَّةِ الْآنَ يرجع إلى سنيَّ غارقةٍ في القدم عند الأكَادِيِّينَ قبل الميلاد.

وهذا أبو منصورِ عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبيّ النيسابوريّ الملقب بـجاحظ نيسابور المُتَوَفِّى سنة ٤٢٩ هـ صاحبُ مدوّنةِ القرن الرابع الهجريّ الذاَعِيَّةِ الصَّيْتِيَّةِ التي حشدَ فيها روائعَ ما تَدَفَّقتَ به قرائُ الشُّعُراءِ والكتَّابِ من أشعارٍ وأمثالٍ في جميعِ أمصارِ العالمِ الإِسْلَامِيِّ في المئةِ الرَّابِعَةِ «يتيمة الدَّهْرِ في مَحَاسِنِ أَهْلِ الْعَصْرِ» = يُحَدِّثُنا عن أولى خطواتِ التَّحقيقِ: جَمْعُ أَصْوَلِ النَّصِّ وَتَعَقُّبُ مَخَارِجِ روایته، وذلك في معرضِ كلامِه على ديوانِ السَّرِّيِّ الرَّفَاءِ (تَنْحُوا ٣٦٢ هـ)؛ قال:

«وَسَارَ شِعْرُهُ فِي الْآفَاقِ، وَنَظَمَ حاشِيَتِي الشَّامَ وَالْعَرَاقَ، وَسَافَرَ كلامُهُ إِلَى خُرَاسَانَ وَسَائِرِ الْبُلْدَانِ. وَكُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّنِي اسْتَغْرَقْتُ شِعْرَهُ لِجَمِيعِ فِيهِ بَيْنَ لَمْعَ أَنْشَدَنِيهَا وَأَنْسَخَنِيهَا أَبُو بَكْرَ الْخُوارِزْمِيَّ أَوْلًا، وَبَيْنَ دِيَوَانَ شِعْرِهِ الْمَجْلُوبِ مِنْ بَغْدَادَ، وَهُوَ أَوْلُ مَا رَأَيْتُهُ مَمَّا أَنْفَذَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ حَامِدِ الْخُوارِزْمِيِّ مِنْ بَغْدَادَ إِلَى أَبْيِ بَكْرٍ، وَبَيْنَ الْمُجَلَّدَةِ بِخَطِّ السَّرِّيِّ الَّتِي وَقَعَتْ مِنْ جِهَةِ أَبِي نَصْرٍ [سَهْلِ بْنِ الْمَرْبُزِيَّانِ]، وَفِيهَا زِيَادَاتٌ كثِيرَةٌ عَلَى مَا فِي الْدِيَوَانِ.

= فَرَأَتُ فِي كِتَابِ «الْوَسَاطَةِ» لِلْقَاضِي أَبْيَ الْحَسْنِ عَلَيْ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَرْجَانِيِّ أَبْيَاتًا أَنْشَدَهَا لِلسَّرِّيِّ  
فِي جَمْلَةِ مَا أَنْشَدَهُ لِأَكَابِرِ الشُّعُرَاءِ مِمَّا يَتَضَمَّنُ الْإِسْتِعَارَةَ الْحَسْنَةَ مَعَ إِحْكَامِ الصَّنْعَةِ، وَعِذْوَبَةِ الْفَظِّ، وَهِيَ ...

فَأَعْجَبْتُ جَدًّا بِهَا، وَتَعَجَّبْتُ مِنْهَا، وَتَأْسَفْتُ عَلَى مَا فَاتَنِي مِنْ أَخْوَاتِهَا مِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ وَغَيْرِهَا.

ثُمَّ قَرَأْتُ فِي كِتَابِ تَفْسِيرِ ابْنِ جَنِيِّ لِشِعْرِ الْمُتَنبِّيِّ بَيْتًا وَاحِدًا أَنْشَدَهُ لِلسَّرِّيِّ مِنْ قَصِيدَةٍ ... وَهُوَ:

أَسْبَحْتَ رَيْحَانَةَ لِمَنْ عَشِقا  
حَيَّا بِكَ اللَّهُ عَاشِقِيكَ فَقد

فَكَدْتُ أَقْضِي بِأَنِّي لَمْ أَسْمَعْ فِي مَعْنَاهُ أَطْرَافَ مِنْهُ وَلَا أَلْطَافَ وَلَا أَعْذَابَ وَلَا أَخْفَ، وَطَلَبْتُ الْقَصِيدَتَيْنِ،  
فَعَزَّتَا وَأَعْوَزَتَا.

وَعْلَمْتُ أَنَّ الَّذِي حَصَّلْتُ مِنْ شِعْرِهِ غَيْضٌ مِنْ فَيْضٍ مَا لَمْ يَقُعْ إِلَيْهِ» اهـ

إِذْنُ جَمْعِ أَبْوِ مُنْصُورِ أَصْوَلِ دِيَوَانِ السَّرِّيِّ الَّتِي اِنْتَقَلَتْ مِنْ بَغْدَادِ إِلَى نِيَسَابُورَ، وَهِيَ:

لَمَعَ مِنْهُ أَوْقَفَهُ عَلَيْهَا الْخُوارِزْمِيُّ رِوَايَةً وَكِتَابَةً، وَنَسْخَةُ دِيَوَانِهِ الْمُجْلُوبُ مِنْ بَغْدَادِ بِسَعْيِ مِنْ أَبِي عَبْدِ  
اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ حَامِدِ الْخُوارِزْمِيِّ، وَمُجْلَدُهُ بَخْطُ السَّرِّيِّ حَمَلَهَا أَبُو نَصِّرِ سَهْلُ بْنِ الْمَرْزُبَانِ مِنْ بَغْدَادِ إِلَى  
نِيَسَابُورَ، وَفِيهَا زِيَادَاتٌ عَلَى نَسْخَةِ أَبِي عَبْدِ اللهِ الْخُوارِزْمِيِّ، وَأَبْيَاتٌ لَهُ مِنْ قَصِيدَةٍ أَنْشَدَهَا الْقَاضِي الْجَرْجَانِيُّ  
فِي الْوَسَاطَةِ، وَبَيْتٌ لَهُ مِنْ قَصِيدَةٍ أَنْشَدَهُ لَهُ ابْنُ جَنِيِّ فِي «الْفَسْرِ»، وَخَلَّتِ الْأَصْوَلُ الَّتِي بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْهُمَا.  
ثُمَّ أَقْرَرَ الرَّجُلُ أَنَّ مَا فَاتَهُ مِنْ شِعْرِ السَّرِّيِّ أَكْثَرُ مَا قَيَّدُهُ وَرَوَاهُ وَجَمَعَهُ.

وَلَعَلَّ اختِلافَ الأَوْقَاتِ الَّتِي تَتَدَفَّقُ فِيهَا قَرِيْحَةُ الشَّاعِرِ، وَلَا سِيمَّا إِذَا كَانَ مُكْثِرًا يَنْقَادُهُ الْخَاطِرُ أَنَّ  
شَاءَ، وَيُؤْتِيَهُ الْقَوْلُ مَتَى جَاَشَ صَدْرُهُ = مِمَّا يَحْوِلُ بَيْنَ شِعْرِهِ وَبَيْنَ حَمْلِ الرُّوَاةِ لَهُ . وَتَبَيَّنَ شِعْرُ الشَّاعِرِ  
جُودَةً وَرِدَاءَهُ، وَمَا يَغْشاَهُ مِنْ نَسِيَانٍ، وَرِجُوعَهُ عَنْ بَعْضِ مَا قَالَ وَقَدْ أَطْلَقَ فِي النَّاسِ = كُلُّ أَوْلَئِكَ مَا يُفَسِّرُ  
اِختِلافَ نَسَخِ الْدِيَوَانِ.

وَإِعْجَابُ النَّاقِدِ بِأَبْيَاتٍ مِنْ قَصِيدَةٍ دُونَ أَبْيَاتٍ مِمَّا يَحْمِلُ أَيْضًا عَلَى تَقيِيدِ الْجَمِيلِ النَّابِضِ وَهَذِ  
السَّفِيفِ الْمَتَهَالِكِ.

عَلَى الْجَمْلَةِ قَدَّمَ أَبُو مُنْصُورِ دِرْسًا لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُحَقِّقَ دِيَوَانَ شَاعِرٍ، كَيْفَ يَتَحرَّى أَصْوَلُهُ فِي خَازِنِ  
الشَّرِقِ وَالْغَربِ، وَهِيَ شَيْءٌ كَثِيرٌ، ثُمَّ يَتَعَقَّبُ أَشْعَارَهُ فِي كِتَابِ الْأَدْبِ الْعَامِ وَالنَّقْدِ وَالْمَصَادِرِ الْمُخْتَلَفَةِ الْبُلْدَانِ  
وَالْتَّرَاجِمِ وَالْأَنْسَابِ وَسُواهَا، فَيَلْحِقُ مَا وَجَدَهُ فِيهَا بِمَا خَلَّتِ الْأَصْوَلُ مِنْهُ، وَهُوَ عَمَلٌ لَا تَنْقَضِي مِنْهُ غَايَةُ،  
لَكَثِرَةِ مَا يَخْرُجُ مِنْ كَنْزَ الْتُرَاثِ وَأَسْفَارِهِ الْعِتَاقِ وَإِمْكَانِ الْإِسْتِدَرَاكِ عَلَى مَا جُمِعَ، وَلَا سِيمَّا إِذَا كَانَ الْمَحْقُقُ  
ذَا شَأْوِيْ بَعِيدٌ وَمَمَّنْ يُلْاحِقُهُ نَشَادُنُ الْكَمَالِ فِيمَا يَصْنَعُ.

## السِّيَفِيَّةُ الْأُولَى

# مِنْ دِيْوَانِ أَبِي الطَّيْبِ الْمُتَنبَّيِّ (ت٤٣٥هـ)

## بِشَرْحِ الْوَاحِدِيِّ (ت٤٦٨هـ)

د. إِبْرَاهِيمِ مُحَمَّدِ الْمَحْمُودُ \*

سِيَفِيَّةُ أَبِي الطَّيْبِ الْمُتَنبَّيِّ

أَبُو الطَّيْبِ الْمُتَنبَّيِّ<sup>(١)</sup>: أَحْمَدُ بْنُ الْحُسْنِ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ الْجُعْفَى الْكُوفِيُّ (٣٠٣ - ٤٣٥هـ). الشَّاعِرُ الْمَفْنُونُ الَّذِي اكْتَنَرَ شِعْرُهُ بِالْجَمَالِ وَالْجَلَالِ، وَاغْتَنَمَ بِاللُّغَةِ وَالبَلَاغَةِ وَكَثُيرٌ مِنْ فُنُونِ الْعَرَبِيَّةِ؛ فَقَدْ «اشْتَغَلَ بِفُنُونِ الْأَدَبِ وَمَهَرَ فِيهَا، وَكَانَ مِنَ الْمُكْثَرِينَ مِنْ نَقْلِ اللُّغَةِ وَالْمَطَلِعِينَ عَلَى غَرِيبِهَا وَحُوشِيَّهَا، وَلَا يُسَأَلُ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا وَاسْتَشْهَدَ فِيهِ بِكَلَامِ الْعَرَبِ مِنَ النَّظَمِ وَالنَّثَرِ<sup>(٢)</sup>».

وَمَا يَزَالُ مَالِئُ الدُّنْيَا وَشَاغِلُ النَّاسِ يَمْلَأُ الْآفَاقَ بِشِعْرِهِ، وَيَشْغُلُ الْخَلَقَ فِي تَفْسِيرِ ظُواهِرِهِ، وَتَأْوِيلِ مُشْكِلِهِ. وَلَمْ يُشَرِّحْ دِيْوَانُ شَاعِرٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالإِسْلَامِ كَمَا شَرَحَ دِيْوَانَ الْمُتَنبَّيِّ<sup>(٣)</sup>.

وَلَا يَخْفَى عَلَى كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ وَاللُّغَةِ تُلْكَ الْمَكَانَةُ السَّامِقَةُ الَّتِي كَانَتْ لِأَبِي الطَّيْبِ الْمُتَنبَّيِّ، وَذَلِكَ الْإِبْدَاعُ وَالْجَمَالُ فِي شِعْرِهِ. وَقَدْ طَرَقَ شَاعِرُ الْعَرَبِيَّةِ مُعْظَمَ أَبْوَابِ الشِّعْرِ، فَنَظَمَ فِي الْمَدْحِ وَالرِّثَاءِ وَالْهَجَاءِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَغْرَاضِ الشِّعْرِ. عَلَى أَنَّ أَشْهَرَ الْمَشْهُورِ الْمَدِيْحِ قَصَائِدُ السِّيَفِيَّاتُ الَّتِي خَصَّ بِهَا سَيْفُ الدُّولَةِ الْحَمْدَانِيُّ أَبَا الْحَسَنِ عَلَيِّ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمْدَانَ (ت٤٣٦هـ). وَهِيَ قَصَائِدُ عَالِيَّاتٍ جِيَادٍ، غَنِيَّاتٍ بِاللُّغَةِ وَالْمَعْانِي غَنِيَّةٍ بِقِيَّةٍ شِعْرِهِ.

\*مُحَقَّقٌ وَبَاحِثٌ فِي التِّرَاثِ الْعَرَبِيِّ.

(١)- انظر ترجمته في: يتيمة الدهر ١ / ١٣٩، و تاريخ بغداد ٥ / ١٦٤، و تاريخ دمشق ٧١ / ٧٦، و نزهة الألباء ٢١٩، و وفيات الأعيان ١ / ١٢٠، و تاريخ الإسلام ٨ / ٦٥، والوافي بالوفيات ٦ / ٢٠٨، و سير أعلام النبلاء ١٢ / ٢٥٥، ولسان الميزان ١ / ٤٤، والأعلام ١ / ١١٥، وغير ذلك كثير.

(٢)- وفيات الأعيان ١ / ١٢٠.

(٣)- انظر الصبح المنبي ١ / ٤٢٤.

وقد وقع اختياري على السيفية الميمية الأولى:

وَفَأُوكُمَا كَالرَّبِيعِ أَشْجَاهُ طَاسِمَهُ  
بِأَنْ تُسْعِدَهُ الدَّمْعُ أَشْفَاهُ سَاجِمَهُ  
لَأَنَّهَا أَوَّلُ قَصِيدَةٍ قَالَهَا أَبُو الطَّيْبُ فِي مَدْحُ سَيْفِ الدُّولَةِ. ذَكَرَ ابْنُ الْعَدِيمَ<sup>(٤)</sup> فِي حَوَادِثِ سَنَةِ (٢٣٧ هـ): «وَفِيهَا  
وَصَلَ أَبُو الطَّيْبِ الْمُتَنبِّيَ الشَّاعِرُ إِلَى سَيْفِ الدُّولَةِ، وَمَدَحَهُ بِالْقَصِيدَةِ الْمِيمَيَّةِ».  
وَمَمَّا حَمَلَنِي أَيْضًا عَلَى اخْتِيَارِ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ وَإِفْرَادِهَا بِالْتَّحْقِيقِ دُونَ غَيْرِهَا مَا دَارَ حَوْلَهَا مِنْ حَرَكَةِ نَقْيَةٍ؛ إِذ  
اسْتَفَزَ مَطْلَعَهُ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ قِرَائِهِ النُّقَادُ وَالنُّحَادُ وَالْمُغْرِبِينَ.

فَقَدْ ذَكَرَ الْقَاضِي الْجَرْجَانِيُّ<sup>(٥)</sup> كَلَامًا لَا يَخْلُو مِنْ قَسْوَةٍ فِي حَقِّ هَذِهِ الْاِسْتِهْلَالِ؛ إِذْ قَالَ فِيمَا قَالَ: «وَمَنْ يَرَى  
هَذِهِ الْأَلْفَاظَ الْهَائِلَةَ، وَالْتَّعْقِيدَ الْمُفْرَطَ، فَيُشَكُّ أَنَّ وَرَاءَهَا كَنْزًا مِنَ الْحُكْمَةِ، وَأَنَّ فِي طَيْهَا الْغَنِيمَةَ الْبَارِدَةَ...  
فَمَا هَذَا مِنَ الْمَعَانِي الَّتِي يُضَيِّعُ لَهَا حَلَاوةَ الْلَّفْظِ، وَبَهَاءَ الْطَّبْعِ، وَرَوْنَقَ الْاِسْتِهْلَالِ، وَيُشَحِّ عَلَيْهَا حَتَّى يُهَلِّلَ  
لِأَجْلِهَا النَّسْجَ، وَيُفْسِدَ النَّظَمَ، وَيَفْصِلَ بَيْنَ الْبَاءِ وَمَتَعَلِّقَهَا بِخَبَرِ الْاِبْتِدَاءِ قَبْلَ تَامَهُ، وَيُقْدِمَ وَيُؤْخِرَ، وَيُعَمِّي  
وَيُعَوِّصُ!». بِلْ إِنَّ هَذِهِ الْبَيْتَ فِي رَأْيِهِ<sup>(٦)</sup> مِنَ الْمَطَالِعِ الْمُسْتَقْبَحَةِ الَّتِي لَمْ يُوفَقْ فِيهَا أَبُو الطَّيْبِ.

وَرَأَى التَّعَالَابِيُّ<sup>(٧)</sup> أَنَّ هَذِهِ الْبَيْتَ «مِمَّا تَكَلَّفَ لَهُ الْلَّفْظُ الْمُتَعَقِّدُ وَالْتَّرْتِيبُ الْمُتَعَسِّفُ لِغَيْرِ مَعْنَى بَدِيعٍ يَفِي  
شَرْفَهُ وَغَرَابَتُهُ بِالْتَّعَبِ فِي اسْتِخْرَاجِهِ، وَلَا تَقُومُ فَائِدَةُ الْاِنْتِفَاعِ بِهِ يَازِأَ التَّأْذِي بِاسْتِمَاعِهِ».  
وَقَالَ الْعَمِيدِيُّ<sup>(٨)</sup> فِي حَقِّ هَذِهِ الْمَطَلَعِ: «وَاللَّهُ لَوْ أَوْقَدَ إِلَيْنَا أَلْفَ شَمْعَةٍ لِيَسْتَضِيءَ بِنُورِهَا إِلَى اسْتِبْاطِ  
غَوَامِضِ هَذِهِ الْبَيْتِ مَعَ قَلَةِ الْفَائِدَةِ فِيهِ؛ لَصَعْبَ عَلَيْهِ».

وَأَمَّا ابْنُ رَشِيقٍ<sup>(٩)</sup> فَقَدْ رَأَى أَنَّ أَبَا الطَّيْبِ «رُبِّمَا عَقَدَ أَوَّلَ الْأَشْعَارِ ثِقَةً بِنَفْسِهِ، وَإِغْرَابًا عَلَى النَّاسِ»، وَذَكَرَ  
أَنَّ هَذِهِ الْبَيْتَ «يُحْتَاجُ إِلَى أَصْمَاعِيْ إِلَى أَنْ يُفَسِّرَ مَعْنَاهُ».

عَلَى أَنَّ كُلَّ ذَلِكَ لَا يَنْفِي فَخَامَةَ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ، وَغَنِيَ الْمُعْجَمُ الْلُّغُويُّ فِيهَا، فَضْلًا عَنِ الْمَعْانِي الْحَسَانِ؛ بِلْ إِنَّ غَيْرَ  
بَيْتِ مِنْ أَبْيَاتِ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ قَدْ سَارَ بَيْنَ النَّاسِ جَمِيلُ مَعْنَاهُ، وَلَطِيفُ مَبْنَاهُ، وَقَدْ اخْتَارَ الصَّاحِبُ بْنُ عَبَادَ<sup>(١٠)</sup> فِي كِتَابِهِ  
(الْأَمْثَالُ السَّائِرَةُ) مِنْ هَذِهِ السِّيَفِيَّةِ خَمْسَةَ أَبْيَاتٍ جَرَتْ مَجْرَى الْمُثَلِّ. وَأَمَّا مَطْلَعُ الْقَصِيدَةِ الَّتِي لَمْ يَسْلِمْ مِنَ النَّقْدِ  
عَلَى مَا ذَكَرْتُ؛ فَقَدْ أَلَفَ مَادَةً غَنِيَّةً لِلشَّرَاحِ؛ إِذْ أَفْرَدَ لَهُ أَبُو الْفَتْحِ قُرَابَةً ثَلَاثَ صَفَحَاتٍ لِتَوْجِيهِهِ، وَخَصَصَ الْواحِدِيُّ  
قُرَابَةً صَفَحتَيْنِ، وَقَدْ ضَمَّ هَذَا الشَّرَحُ تَوْجِيهَاتٍ صِنَاعِيَّةً نَقَلَ مُعْظَمَهَا عَنِ ابْنِ جِنِّيٍّ مَصْرِحًا وَغَيْرَ مُصْرِحٍ.

(٤)- بغية الطلب / ٢٦٧٤ .

(٥)- الوساطة . ٩٨ .

(٦)- الوساطة . ١٥٧ . وانظر: الْيَتِيمَةَ / ١٨٢ ، والصَّبِحُ الْمُنْبِيَ / ٢١٧ .

(٧)- الْيَتِيمَةَ / ١٨٢ .

(٨)- الإيابة . ٩٦ .

(٩)- العمدة / ١ / ٢٣٩ - ٢٤٠ .

(١٠)- الأمثال السائرة من شعر المتنبي . ٣٦ .

وقد اقتطعت هذه القصيدة من شرح ديوان المتنبي للواحدى على بن أَحْمَدَ بْنُ مُحَمَّدَ بْنَ عَلَىٰ النِّيَسَابُورِيِّ (ت ٤٦٨هـ)<sup>(١)</sup>. هذا الشَّرْحُ الَّذِي يُمثِّلُ مَرْحَلَةً وُسْطَىٰ بَيْنَ الشُّرُوحِ الْمُطَوْلَةِ كَالْفَسْرِ، وَبَيْنَ الشُّرُوحِ الْمُقْتَضَبَةِ أَوْ تِلْكَ الَّتِي اقْتَصَرَتْ عَلَى تَقْسِيرِ الْأَبْيَاتِ الْمُشْكَلَةِ، كَتَفْسِيرِ الْأَبْيَاتِ الْمَعْانِي لِأَبِي الْمُرْشِدِ الْمَعْرِيِّ، وَقَدْ سَارَ الْوَاحِدِيُّ فِي شَرْحِه لِدِيَوَانِ الشَّاعِرِ عَلَى التَّرْتِيبِ التَّارِيْخِيِّ لِلقصائدِ، لَا عَلَى التَّرْتِيبِ الْأَلْفَابِيِّ لِلقوافِيِّ.

وَشَرْحُ الْوَاحِدِيِّ شَرْحٌ غَيْرُ نَفِيسٍ لِيُسَأَ بِالْمُفْصَلِ الْمُتَطَافِلِ، وَلَا هُوَ بِالْوَجِيزِ الْمُتَضَائِلِ، وَهَذَا مَنْهَجُهُ الَّذِي أَلْحَى إِلَيْهِ فِي مُقْدِمَتِه؛ إِذْ قَالَ: «وَمِنْ حَقِّ الْمَصْنَفِ أَنْ يَكُونَ كَلَامُهُ مَقْصُورًا عَلَى الْمَقْصُودِ بِكَتَابِهِ، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ مِنْ أَسْبَابِهِ، غَيْرُ عَادِلٍ إِلَى مَا لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ، وَلَا يَعْرِجُ عَلَيْهِ». وَهُوَ كَمَا قَالَ؛ إِذْ شَرَحَ الْأَبْيَاتِ الْوَاضِحةَ الْمَعْانِي شَرْحًا يَسِيرًا، وَثَمَّةَ عَدْدٌ يَسِيرٌ مِنَ الْأَبْيَاتِ كَانَ قَدْ تَجَاوَزَهَا الْوُضُوْحُهَا. وَأَمَّا الْأَبْيَاتُ الَّتِي تَحْتَاجُ إِلَى إِيْضَاحِ وَتَأْوِيلِ فَقَدْ بَسَطَ الْكَلَامَ عَلَيْهَا، وَنَقَلَ أَقْوَالَ الْأَئْمَةِ فِيهَا، مَعَ شَيْءٍ مِنَ النَّقْدِ فِيمَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ، وَاعْتِدَادِ بِمَا ظَهَرَ لَهُ مَمَّا لَمْ يَظْهُرْ لِغَيْرِهِ فِي تَقْسِيرِ الْأَبْيَاتِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يُرْضِي.

وَقَدْ اشْتَمَلَ شَرْحُ الْوَاحِدِيِّ إِلَى جَانِبِ تَقْسِيرِ مَعْانِي أَبْيَاتِ أَبِي الطَّيْبِ عَلَى جُمْلَةِ صَالِحةٍ مِنْ مَسَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ، وَشَوَاهِدَ مَشْهُورَةٍ فِي مُعْظَمِهَا، وَبَعْضُهَا نَادِرٌ لَا تَكَادُ تَجُدُهُ إِلَّا عِنْدَهُ، أَوْ عِنْدَ صَاحِبِ التَّبَيَّانِ الَّذِي اقْتَفَى قَفْوَ الْوَاحِدِيِّ فِي شَرْحِه؛ سَوَاءً أَذْكَرَ ذَلِكَ عَنْهُ تَصْرِيْحًا أَمْ سَكَتَ عَنْهُ، وَكَثِيرًا مَا فَعَلَ.

وَقَدْ حَفَظَ لَنَا هَذَا الشَّرْحُ أَيْضًا نُقُولًا كَثِيرًا عَنْ أَبْنِ جَنِيِّ (ت ٣٩٢هـ)، وَابْنِ فُورَّاجَةِ (ت ٤٥٥هـ)، وَمِنْ هُؤُلَاءِ الشُّرَّاحِ الَّذِينَ نَقَلَ عَنْهُمْ مِنْ لَمْ تَصِلْ إِلَيْنَا شُرُوحُهُمْ لِأَبْيَاتِ أَبِي الطَّيْبِ؛ كَأَبِي بَكْرِ الْخُوَارِزْمِيِّ (ت ٣٨٣هـ)، وَأَبِي الْفَضْلِ الْعَرْوَضِيِّ (ت بَعْدَ ٤٦٤هـ)، وَابْنِ دُوْسْتِ (ت ٤٣١هـ).

وِلِشَرْحِ الْوَاحِدِيِّ نَشَرْتَانِ أَقْدَمُهُمَا نَشْرَةً بِرْلِينَ بِعِنْيَةِ دِيْتِرِيْصِيِّ (١٨٦١م)، ثُمَّ نَشْرَةً دَارَ الرَّاِئِدِ الْعَرَبِيِّ (١٩٩٩م) الَّتِي نَشَرَهَا مُحَقَّقاًهَا عَنِ النَّشْرَةِ الْأُولَى، وَلَمْ يُخْرِجَهَا عَنِ أَصْلِ مَخْطُوطِهِ، وَمِنْ تَوْفِيقِ اللَّهِ إِيَّاِيَّ أَنِي وَقَفْتُ بِأَخْرَةِ عَلَى مَخْطُوطِهِ لِهَذَا الشَّرْحِ حَمَلَنِي عَلَى الْمُضِيِّ قُدُّمًا فِي إِخْرَاجِ هَذَا الشَّرْحِ بِحُلَّةٍ جَدِيدَةٍ.

وَقَدْ رَجَعْتُ فِي تَحْقِيقِ هَذِهِ الْقُصِيدَةِ مِنْ (شَرْحِ دِيَوَانِ الْمُتَنَبِّيِّ) لِلْوَاحِدِيِّ (ت ٤٦٨هـ)، إِلَى جُمْلَةِ صَالِحةٍ مِنْ شُرُوحِ الْمُتَنَبِّيِّ؛ كَانَ فِي مَقْدِمَتِهَا كِتَابُ (الْفَسْرُ) لِابْنِ جَنِيِّ (ت ٣٩٢هـ)، وَ(شَرْحُ شِعْرِ الْمُتَنَبِّيِّ) لِابْنِ الإِفْلِيلِيِّ (ت ٤٤١هـ)، وَ(اللَّامِعُ الْعَزِيزِيِّ) لِأَبِي الْعَلَاءِ الْمَعْرِيِّ (ت ٤٤٩هـ)، وَ(مَعْجِزُ أَحْمَدَ) الْمَسْوُبُ لِأَبِي الْعَلَاءِ أَيْضًا، وَ(الْمُوْضِحُ) لِلتَّبَرِيزِيِّ (ت ٥٠٢)، وَ(الْتَّبَيَّانُ الْمَسْوُبُ لِلْعُكْبَرِيِّ) (ت ٦٦٦هـ)، وَقَدْ يَكُونُ لِابْنِ عَدْلَانَ (ت ٦٦٠هـ)، أَوْ لِغَيْرِهِ. وَمِنَ الْكِتَبِ الَّتِي دَارَتْ حَوْلَ أَبِي الطَّيْبِ وَقَضَاهَا شِعْرَهُ، وَأَفْدَتْ مِنْهَا فِي التَّحْقِيقِ: كِتَابُ (الْوَاسِطةِ) لِلْقَاضِي الْجُرجَانِيِّ (ت ٣٦٦هـ)، وَكِتَابُ (الْمُنْصِفِ) لِابْنِ وَكِيعِ (ت ٣٩٣هـ)، وَكِتَابُ (الْفَتْحُ عَلَى أَبِي الْفَتْحِ) لِأَبِي عَلَىِّ بْنِ فُورَّاجَةِ الْبَرُوْجَرْدِيِّ (ت ٤٥٥هـ)، وَكِتَابُ (الْمَاخِذُ عَلَى شُرَاحِ دِيَوَانِ أَبِي الطَّيْبِ الْمُتَنَبِّيِّ) لِابْنِ مَعْقِلِ الْأَزْدِيِّ<sup>(١)</sup> - صَاحِبِ التَّصَانِيفِ الْمَشْهُورَةِ: أَسْبَابِ النَّزُولِ، وَتَفَاسِيرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: الْبَسِيطُ، وَالْوَجِيزُ، وَالْوَسِيطُ. وَغَيْرُ ذَلِكَ كَثِيرٌ. وَقَدْ تَرَجَمَ لَهُ يَاقُوتُ الْحَموِيُّ فِي مَعْجمِ الْأَدْبَاءِ ١٦٥٩.

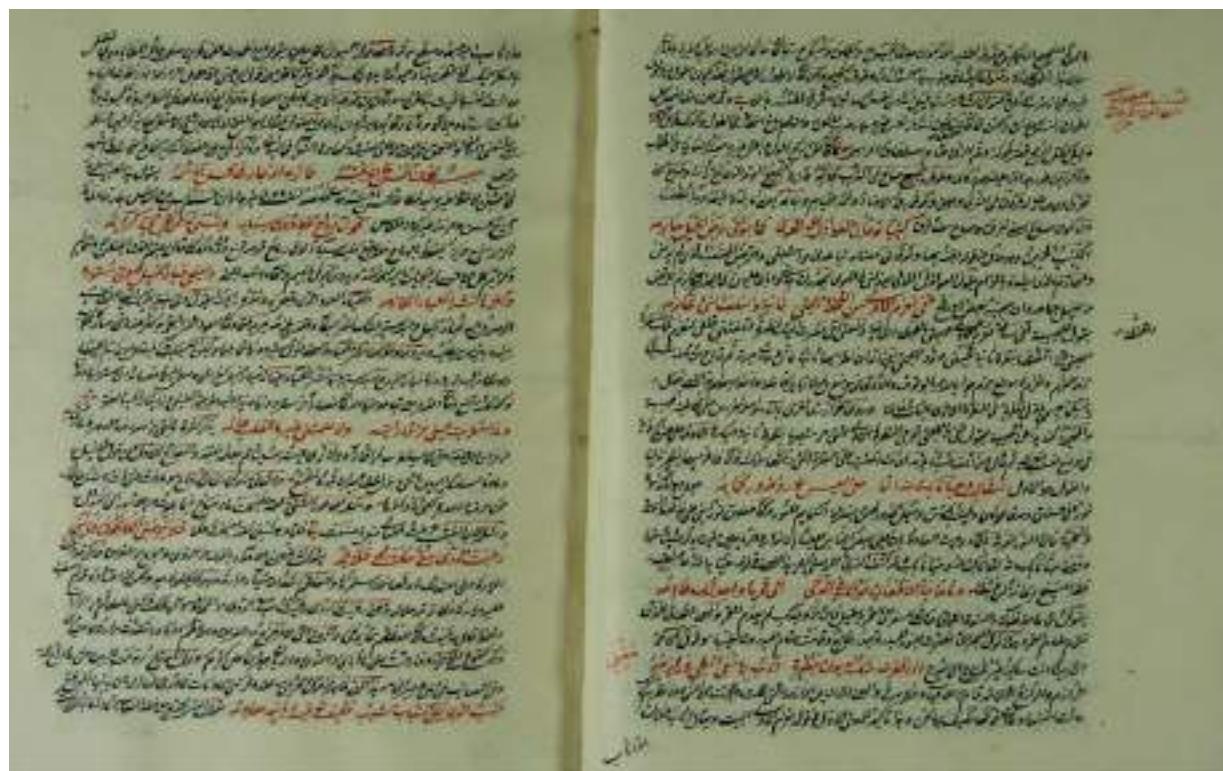
(ت ٦٤٤ هـ)، وكتاب (الصُّبُحُ الْمُنْبِيُّ عَنْ حَيْثِيَّةِ الْمُتَّبَّى) لِيُوسُفَ الْبَدِيعِيِّ (ت ١٠٧٣ هـ). هذا كُلُّهُ بعد توثيق شعر المُتَّبَّى من ديوانه بتحقيق عبد الوهاب عزام.

وقد جعلتُ (الفَسْر) في مُقْدَّمة المُصادر لقدمه ولأهميةَه، أمَّا قدْمُه فلأنَّ ابنَ جِنِّيَ أولَ مَنْ شَرَحَ دِيوَانَ صَدِيقِه المُتَّبَّى، وأمَّا أهميَّتُه فلأنَّ الشَّارِخَ قَرَأَ الْدِيْوَانَ عَلَى الشَّاعِرِ نَفْسِه<sup>(١٢)</sup>، وهذا الاتِّصالُ المباشرُ بَيْنَ الشَّارِخَ وَالشَّاعِرِ أَعْطَى (الفَسْر) قيمةً كبيرةً بَيْنَ شِرَاحِ المُتَّبَّى، بل إِنَّ شِرَاحَ المُتَّبَّى اتَّكَؤُوا عَلَيْهِ، وَنَهَلُوا مِنْهُ، بِتَصْرِيفٍ أَوْ بِغَيْرِ تصْرِيفٍ.

وهذا لا يقلُّ مِنْ أهميَّةِ الشُّرُوحِ الأُخْرَى؛ سُوَاءً تَلَقَّتِ الْمُتَّبَّى قَبْلَ الْوَاحِدِيِّ كَاللَّامِعِ وَالْمُعْجَزِ، أَمْ تَلَقَّتِ الْمُتَّبَّى بَعْدَ كَالْمُوْضِحِ وَالتَّبْيَانِ، أَمْ تَلَقَّتِ الْمُتَّبَّى عِنْتَ بِمُشْكِلَاتِ شِعْرِ أَبِي الطَّيْبِ أَوْ دَارَتْ حَوْلَه مَمَّا ذُكِرَ قَبْلَ قَلِيلٍ.

### صور المخطوط (الأصل)





الصفحة ١٣٣ [أ / ب]



الصفحة ١٣٤ [أ / ب]



## السِّيَفِيَّاتُ

(١٦٠)

وقالَ يَمْدُحُ سَيْفَ الدُّولَةِ أَبَا الْحَسَنِ عَلَيْهِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ حَمْدَانَ عَنْ نُزُولِهِ أَنْطَاكِيَّةَ وَمُنْصَرَفَهُ مِنَ الظَّفَرِ بِحُصْنِ  
بَرْزُوِيَّةِ<sup>(١٣)</sup> [فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ سَبْعِ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمَةِ]<sup>(١٤)</sup> [وَكَانَ جَالِسًا فِي شِرَاعِ وَدِيَّاجِ]<sup>(١٥)</sup> : [الطَّوِيل]

**وَفَاؤُكُمَا كَالرَّبِيعِ أَشْجَاهُ طَاسِمُهُ  
بِأَنْ تُسْعِدَا وَالدَّمْعُ أَشْفَاهُ سَاجِمُهُ**

أشْجَاهُ: أَشَدُّهُ شَجْوًا، مِنْ قَوْلِكَ: شَجَانِي هَذَا الْأَمْرُ، أَيْ: أَحْرَنِي. وَالطَّاسِمُ: الطَّامِسُ وَالدَّارِسُ.

يُخَاطِبُ خَلِيلَهُ الَّذِينَ عَاهَدَاهُ بِأَنْ يُسْعِدَهُ عَلَى الْبُكَاءِ عَنْ رَبِيعِ الْأَحَبَّةِ. يَقُولُ لَهُمَا: وَفَاؤُكُمَا يَإِسْعَادِي مُشَبَّهٌ بِالرَّبِيعِ<sup>(١٧)</sup>.

ثُمَّ فَسَرَّ وَبَيْنَ وَجْهِ الشَّبَّهِ، فَقَالَ: أَشْجَاهُ الرَّبِيعِ طَاسِمُهُ. يَعْنِي: أَنَّهُ كُمَا تَقَادَمَ عَهْدُهُ كَانَ أَشْجَاهِ لِزَائِرِهِ، وَأَشَدَّ  
لُحْزَنَهُ؛ لَأَنَّهُ لَا يَتَسَلَّلُ بِهِ الْمُحِبُّ.

وَأَشْفَاهُ الدَّمْعُ لِلْحُزْنِ أَيْضًا سَاجِمُهُ، وَهُوَ الْهَاطِلُ الْجَارِيِّ. وَالْمَعْنَى: ابْكِيَا بِدَمْعٍ سَاجِمٌ؛ فَإِنَّهُ أَشْفَى لِلْغَلِيلِ، كَمَا  
أَنَّ الرَّبِيعَ أَشْجَاهُ الْمُحِبِّ إِذَا دَرَسَ.

وَوَفَاؤُهُمَا بِالْإِسْعَادِ، وَهُوَ الْإِعَانَةُ عَلَى الْبُكَاءِ، وَالْمُوْافَقَةُ فِيهِ هُوَ الْبُكَاءُ؛ وَلِذَلِكَ<sup>(١٨)</sup> قَالَ: «وَالدَّمْعُ أَشْفَاهُ سَاجِمُهُ».

وَالْمَعْنَى: ابْكِيَا بِدَمْعٍ فِي غَايَةِ السُّجُومِ، فَهُوَ أَشْفَى لِلْوَجْدِ؛ فَإِنَّ الرَّبِيعَ فِي غَايَةِ الطُّسُومِ، وَهُوَ أَشْجَاهُ الْمُحِبِّ. وَأَرَادَ  
بِالْوَفَاءِ هُنْهَا: الْبُكَاءُ؛ لَأَنَّهُمَا عَاهَدَاهُ عَلَى الْإِسْعَادِ، وَوَفَاؤُهُمَا بِذَلِكَ الْعَهْدِ أَنْ يَبْكِيَا مَعَهُ.

وَمِمَّا يُذَكَّرُ فِي هَذَا الْبَيْتِ أَنَّهُ شَبَّهَ الْوَفَاءَ بِالرَّبِيعِ، وَتَمَّ الْكَلَامُ؛ لَأَنَّ قَوْلَهُ: «وَفَاؤُكُمَا كَالرَّبِيعِ» مُبْتَدَأٌ وَخَبْرٌ، وَخَبْرُ  
الْمُبْتَدَأِ يُؤْتَنُ بِتَنَمِّيَّةِ الْكَلَامِ. وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِالْمُبْتَدَأِ بَعْدَ الْإِخْبَارِ عَنْهُ شَيْءٌ، وَقَدْ قَالَ: «بِأَنْ تُسْعِدَا»، فَلَا<sup>(١٩)</sup> يَجُوزُ  
أَنْ يَتَعَلَّقَ بِالْوَفَاءِ، وَلَكِنَّهُ يَتَعَلَّقُ بِقَوْلٍ يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ «وَفَاؤُكُمَا»، فَكَانَهُ قَالَ[١٣٢ / ١]: وَفَيْتُمَا بِأَنْ تُسْعِدَا<sup>(٢٠)</sup>.

وَقَالَ ابْنُ جِنِّيِّ فِي مَعْنَى هَذَا الْبَيْتِ<sup>(٢١)</sup>: كُنْتُ أَبْكِي الرَّبِيعَ وَحْدَهُ، فَصَرَّتُ أَبْكِي وَفَاءَكُمَا مَعَهُ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ: «وَفَاؤُكُمَا  
كَالرَّبِيعِ»<sup>(٢٢)</sup>، أَيْ: كُلُّمَا ازدَدْتُ بِالرَّبِيعِ وَوَفَائِكُمَا وَجْدًا ازدَدْتُ بُكَاءً. هَذَا كَلَامُهُ.

(١٢) - ذُكِرَ ياقوتُ أَنَّ حِصْنَ قُوبَ السَّوَاحِلِ الشَّامِيَّةِ عَلَى سِنِّ جَبَلِ شَاهِقٍ، يُضَرِّبُ بِهِ المَثَلُ فِي الْحَصَانَةِ، مَعْجمُ الْبَلَادِ ١ / ٣٨٣.

(١٤) - مَا بَيْنَ حَاصِرَتِينَ لَيْسَ فِي الأَصْلِ.

(١٥) - مَا بَيْنَ حَاصِرَتِينَ لَيْسَ مِنَ الْمُطبَوعَةِ.

(١٦) - انْظُر: دِيْوَانَ الْمُتَتَّبِيِّ ٢٤٢، وَالْفَسْرُ ٣ / ٣١٩، وَاللَّامِعُ ١١١٩، وَالْمَعْجَزُ ٣ / ١٢، وَالْمَوْضِعُ ٤ / ٤٦٧، وَالْتَّبَيَانُ ٣ / ٣٢٥.

(١٧) - فِي الأَصْلِ: لِلرَّبِيعِ.

(١٨) - كَذَا فِي الأَصْلِ. وَفِي الْمُطبَوعَةِ: فَلِذَلِكَ.

(١٩) - كَذَا فِي الأَصْلِ. وَفِي الْمُطبَوعَةِ: وَلَا.

(٢٠) - هَذِهِ تَوْجِيهَاتُ ابْنِ جِنِّيِّ فِي الْفَسْرِ ٣ / ٣٢٠ - ٣٢١. وَعَنْهُ: ابْنُ الشَّجَرِيِّ فِي أَمَالِيَّهِ ١ / ٣٠٠، ٣٩٩.

(٢١) - الْفَسْرُ ٣ / ٣٢٢. وَعَنْهُ فِي التَّبَيَانِ ٣ / ٣٢٦.

(٢٢) - مَا بَيْنَ حَاصِرَتِينَ سَقْطٌ مِنَ الْمُطبَوعَةِ.

وعلى ما ذكرَ شَبَهَ وفَاءَهُمَا بِالرَّبْعِ؛ لِأَنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَى الْبُكَاءِ عَلَى وَفَائِهِمَا وَعَلَى الرَّبْعِ بِدَمْعٍ سَاجِمٍ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ:  
وَالدَّمْعُ أَشْفَاهُ سَاجِمٌ».

وَالَّذِي نَكَرْنَا أَوْلًا أَقْرَبُ مِنْ هَذَا الَّذِي نَكَرَهُ أَبُو الْفَتْحِ، وَهُوَ جَائِزٌ يَحْتَمِلُ الْبَيْتَ.  
وَيُرَوَى<sup>(٢٣)</sup>: «وَالدَّمْعُ» بِالْكَسْرِ<sup>(٢٤)</sup> عَطْفًا عَلَى «الرَّبْعِ». وَعَلَى هَذَا التَّشْبِيهِ وَقَعَ بِهِمَا فِي حَالَتَيْنِ، يَقُولُ: وَفَاؤُكُمَا  
كَالرَّبْعِ الدَّارِسِ فِي الْأَدْوَاءِ إِذَا لَمْ تُجْرِيَا عَلَيْهِ، وَكَالدَّمْعِ السَّاجِمِ فِي الشَّفَاءِ إِذَا أَجْرِيْتُمَا عَلَيْهِ<sup>(٢٥)</sup>.

**أَعْقُ خَلِيلِيَّهُ الصَّفَيْنِ لَائِمُهُ**  
أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ بِالْعُشْقِ بِلِفْظِ مُؤْكِدٍ لِهَذَا الْوَصْفِ. وَلَوْ قَالَ: أَنَا عَاشِقٌ؛ جَازَ، وَلَكِنَّ هَذَا أَبْلَغُ وَأَتْمٌ. ثُمَّ ابْتَدَأَ  
فَقَالَ: كُلُّ عَاشِقٍ لِهُ خَلِيلَانِ صَفَيَّانِ، فَأَعْقَهُمَا فِي الْخَلَّةِ مِنْ لَامَهُ فِي هَوَاهُ. وَفِي هَذَا تَعْرِيْضٌ بِالنَّهِيِّ عَنِ الْلَّوْمِ. يَعْنِي أَنَّ  
مِنْ لَامَنِي مِنْكُمَا عَلَى الْبُكَاءِ وَالْجَزَعِ اعْتَقَدْتُ فِيهِ الْعُقوْقَ، وَكَانَ<sup>(٢٦)</sup> لِأَئْمَكُمَا أَعْقُكُمَا.  
وَمَعْنَى الْأَعْقَهُ هُنَّا: الْعَاقُ، كَقُولُ الْفَرَزِدِقِ<sup>(٢٧)</sup>:

**بَيْتَ ادْعَائِمُهُ أَعْزُّ وَأَطْوَلُ**  
[إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا]<sup>(٢٨)</sup>  
وَكَمَا قَالَ حَيَّانُ<sup>(٢٩)</sup> بْنُ قُرْطَ:

**خَالِي بَنُو أَوْسِ**<sup>(٣٠)</sup> وَخَالُ سَرَاتِهِمْ  
أَوْسٌ فَأَيُّهُمَا أَدْقُ وَأَلَمُ

أَيِّ فَأَيُّهُمَا الدَّقِيقُ وَاللَّئِيمُ؟ وَلَيْسَ يُرِيدُ أَنَّ الدِّقَّةَ وَاللَّؤْمَ اشْتَمَلَا عَلَيْهِمَا مَعًا، ثُمَّ زَادَ أَحَدُهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ.  
وَقَدْ يُطْلُقُ هَذَا الْلَّفْظُ وَلَيْسَ يُرَادُ بِهِ الْاشتِراكُ، كَقُولِهِ تَعَالَى: «أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقْرَأً وَأَحْسَنُ  
مَقِيلًا» [الفرقان: ٢٤]، وَلَا خَيْرٌ فِي مُسْتَقْرَأَ أَهْلِ النَّارِ وَلَا حُسْنٌ؛ كَذَلِكَ جَازَ أَنْ يَقُولَ: أَعْقُ خَلِيلِيَّهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِلمُمْسِكِ  
عَنِ الْلَّوْمِ صِفَةُ عُقُوقِ<sup>(٣٠)</sup>!

(٢٢)- كذا في الأصل. وفي المطبوعة: وَيُرَوَى.

(٢٤)- ذكرها عن الواحدى صاحب التبيان ٣/٣٢٦، ولم أقف على هذه الرواية عند أحد سواه. وقد ذهب ابن سيده في شرح المشك ١٥٨ إلى أنَّ  
«الدَّمْعَ» مَعْطُوفٌ على موضع «بَأْنَ تَسْعَداً»، وَفَاؤُكُمَا بِالْإِسْعَادِ وَبِالْدَمْعِ.

(٢٥)- في المطبوعة: وَفَاؤُكُمَا كَالرَّبْعِ الدَّارِسِ فِي الْأَدْوَاءِ إِذَا لَمْ تُجْرِيَا عَلَيْهِ الدَّمْعَ السَّاجِمَ، وَفِي الشَّفَاءِ إِذَا أَجْرِيْتُمَا عَلَيْهِ. تحريف.

(٢٦)- كذا في الأصل. وفي المطبوعة: فَكَانَ.

(٢٧)- في ديوانه ٢/١٥٥، وشرح التقاضي ٣٥٤، وغريب الحديث: لابن قتيبة ٢/١٤٤، وللحربي ٢/٥٦٩، والزاهر ١/٣٠، وديوان الأدب ٢/١٢٧،  
وشرح كتاب سيبويه ٢/٤٢٢، ١٤٨، والموشح ١٦٤، ١٤٨، والكشف عن مساوى شعر المتنبي ٦٦، والجليس الصالح ٨٦، والملمع في صنعة الشعر ١٠٩،  
واللامع ١/٢١٤، والعمدة ١/٢٥٢، ١٤٤، والتذكرة الحمدونية ٦/١٥٩، ٢٨٧/٧، ٤٢٨٥، ٥٧٣٩، وشمس العلوم ٤/٤٢٨٥، ٥٧٣٩، والحماسة المغربية ١/٦٣٠، وسفر  
السعادة ٦٥٥، والدر الفريد ١/٣٩٧، والتذليل ١٠/٢٦٨، والتمهيد ٢٦٧٨، والمقاصد الشافية ٤/٥٨٢، والخزانة ٨/٢٤٢، ٢٧٦، وغير ذلك كثير.

(٢٨)- لم يقع مابين حاصلتين في الأصل. والراجح أنها مزيدة من دتير بصي، إذ إن صاحب التبيان - وهو المتبع للواحدى - لم يثبت صدر البيت أيضاً.  
في المطبوعة: جَبَانٌ. وفي التبيان: حبان. تصحيفان. ولم أقف على ترجمته. والذي في النواود وعنه في الفسر: حَيَّانُ بْنُ قُرْطَ الْيَدْبُوْعِيِّ، جَاهِلِيٍّ.

(٢٩)- البيت في: النواود ١٩٤، والفسر ٣/٣٢٤، والاقضاب ١/٥٣، والموضوح ٤/٤٧١، والتبيان ٣/٣٢٧.

(٣٠)- في النواود والاقتضاب: خَالِي أَبُو أَنْسٍ. وفي الفسر والموضوح: خَالِي بَنُو أَنْسٍ. وفي التبيان ومطبوعة الواحدى: خَالِي بَنُو أَوْسٍ. وفي الأصل: خَالِي  
بنواس. كذا، ولعلها: خَالِي بَنُو أَنْسٍ.

(٣٠)- كلام الواحدى هنا ملخص عن كلام ابن جني في الفسر ٣/٣٢٣. وانظر: الموضوح ٤/٤٧١-٤٧٠، والتبيان ٣/٣٢٧.

والرَّفْعُ فِي «كُلَّ عَاشِقٍ» رَوَايَةُ ابْنِ جَنِّيٍّ<sup>(٢١)</sup>.

وقَالَ ابْنُ فُورَّجَةَ<sup>(٢٢)</sup>: «كُلَّ نُصْبٍ عَلَى أَنَّهُ الْمَفْعُولُ مِنْ «عَاشِقٍ». يُرِيدُ أَنِّي أَعْشَقُ كُلَّ عَاشِقٍ مُصْفِي يَعْدُ عَاقَّ خَلِيلِيَّهُ<sup>(٢٣)</sup> مَنْ لَامَهُ فِي هَوَاهُ.

**وَقَدْ يَتَزَيَّا بِالْهَوَى غَيْرُ أَهْلِهِ**

التَّزَيِّي: تَكْلُفُ الرَّزِّيِّ، وَهُوَ الْلِبَاسُ وَالْهَيَّةُ.

وَفِي هَذَا الْبَيْتِ تَعْرِيْضٌ بِصَاحِبِيْهِ أَنَّهُمْ لَيْسُوا مِنْ أَهْلِ الْهَوَى وَإِنْ تَكَلَّفُوا وَاتَّسَمُوا بِهِ. يَقُولُ: قَدْ يَتَكَلَّفُ الْإِنْسَانُ الْهَوَى وَلَيْسَ مِنْ أَهْلِهِ.

وَتَعْرِيْضٌ أَيْضًا<sup>(٢٤)</sup> بِأَنَّهُمْ لَيْسُوا مِنْ أَهْلِ الصَّحْبَةِ؛ حَيْثُ قَالَ: قَدْ يَسْأَلُ الْإِنْسَانُ الصَّحْبَةَ مَنْ لَا يَكُونُ مُوَافِقًا لَهُ فِي أَحْوَالِهِ. وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ صَاحِبِيْهِ لَمْ يَقِنَا بِمَا عَاهَدَاهُ مِنَ الإِسْعَادِ.

**بَلِيتُ بِلِي الْأَطْلَالِ إِنْ لَمْ أَقِفْ بِهَا**

**وَقُوفَ شَحِيحٍ ضَاعَ فِي التُّرْبِ خَاتِمُهُ**

يَدْعُونَ عَلَى نَفْسِهِ بِأَنْ يَبْلُى كَمَا يَبْلَى<sup>(٢٥)</sup> (الْأَطْلَالُ إِنْ لَمْ يَطُلْ وَقُوفُهُ بِهَا طُولَ وَقُوفِ الْبَخِيلِ الَّذِي ضَاعَ خَاتِمُهُ فِي التُّرْبَ).

وَأَوْرَدَ ابْنُ جَنِّيَّ<sup>(٢٦)</sup> عَلَى هَذَا سُؤَالًا، فَقَالَ: لَيْسَ فِي وَقْوفِ الشَّحِيحِ عَلَى طَلْبِ الْخَاتِمِ مُبَالَغَةً يُضَرِّبُ بِهَا الْمَثَلُ. وَأَجَابَ عَنْ هَذَا بِأَنَّ قَالَ الْعَرَبُ كَمَا تُبَالِغُ فِي وَصْفِ الشَّيْءِ، وَتَجَاوِزُ الْحَدَّ؛ فَقَدْ تَقْتَصِرُ أَيْضًا وَتَسْتَعْمِلُ الْمُقَارَبَةَ. قَالَ: وَهَذَا بِعِينِهِ قَدْ جَاءَ فِي الشِّعْرِ الْفَصِيحِ، فَضَرَبَتِ الْعَرَبُ الْمَثَلَ بِهِ فِي الْحَيَّةِ، وَهُوَ قَوْلُ الرَّاجِزِ<sup>(٢٧)</sup>:

**فَهُنَّ حَيْرَى كَمُضِلَّاتِ الْخَدْمِ**

هَذَا كَلَامُهُ.

وَقَالَ أَبُو الْفَضْلِ الْعَرْوَضِيَّ<sup>(٢٨)</sup>: لَا نَلَزِمُ<sup>(٢٩)</sup> هَذَا السُّؤَالَ. بَلْ نَقُولُ: لَمْ يُرِدْ أَبُو الطَّيْبٍ قَدْرَ وَقْوفِ الشَّحِيجِ، بَلْ

(٢١)- الفسر ٣ / ٣٢٣. وهي رواية: الديوان ٣٤٢، واللامع ١١٢٠، والمعجز ٤ / ٤٧٠، والتبیان ٢ / ٣٢٧.

(٢٢)- توجيه ابن فورجة في التبیان ٢ / ٣٢٧. وذكر صاحب المعجز رواية النصب في توجيهه للبيت.

(٢٣)- كذا في الأصل. وفي المطبوعة: «خليل العاق».

(٢٤)- في المطبوعة أقحمت في هذا الموضع كلمة «فيه».

(٢٥)- في المطبوعة: بكري.

(٢٦)- الفسر ٣ / ٣٢٧-٣٢٦. وعنده في التبیان ٢ / ٣٢٨.

(٢٧)- جرير في ديوانه ١ / ٥١٥. والفسر ٣ / ٣٢٧، ومصادر محققته، وزد عليه: الوساطة ٤١٠، واللامع ١١٢١، وتفسير أبيات المعاني ٢٢٦، والموضع ٤ / ٤٧٤، والتبیان ٣ / ٣٢٩، والماخذ ١ / ٣٢٩، والآخذ ١ / ٣٢٩، والخزانة ٥ / ٥، ٢٥٣ / ٥، ٢٥٤، ٢٥٣ / ٥، ١٧٣، ١٧٥، ١٧٧، ١٧٣ / ٥، ١٦٧. الخدم: جَمْعُ خَدْمَة، الْخَلَّالُ. والرواية الأشهر: «يَبْحَثُ كَمُضِلَّاتِ الْخَدْمِ». يَصِفُ النُّوقَ وَمَنْ يَبْحَثُ بِمَنَاسِبِهِنَّ الْأَرْضَ كَمَا يَبْحَثُ الْمُضِلَّاتُ خَلَّالِهِنَّ فِي التُّرْبَ. عن الخزانة.

(٢٨)- قول العروضي في التبیان ٣ / ٣٢٩.

(٢٩)- في المطبوعة: لم يلتزم.

أراد صورة وقوفه، فشبَّهَ هَيَّةً وُقوفَ نَفْسِهِ بِهَيَّةِ وُقوفِ الشَّحِيحِ؛ وذلكَ أَنَّ الشَّحِيجَ إِذَا طَلَبَ الْخَاتَمَ احْتَاجَ إِلَى الْاِنْحِنَاءِ لِيَقَفَ<sup>(٤٠)</sup> بَصَرَهُ عَلَى الْخَاتَمِ. وَلَوْ كَانَ بَدَلُ الْخَاتَمَ شَيْئًا أَعْظَمَ<sup>(٤١)</sup> مِنْهُ كَالْخَلَّالِ وَالسُّوَارِ؛ لَكَانَ يَطْلُبُهُ عَنْ قِيَامٍ، فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى الْاِنْحِنَاءِ، وَلَوْ كَانَ صَغِيرًا كَالشَّذَرَةِ وَالدُّرَّةِ<sup>(٤٢)</sup>؛ لَكَانَ يَطْلُبُهُ قَاعِدًا. فَهُوَ يَقُولُ: إِنْ لَمْ أَقْفُ بِهَا مُنْحَنِيًّا بِوَضْعِ<sup>(٤٣)</sup> الْيَدِ عَلَى الْكَبِيدِ وَالْاِنْطَوَاءِ عَلَيْهَا كَوْقُوفُ الشَّحِيجِ الطَّالِبِ الْخَاتَمَ. وَيَشَهَّدُ بِصَحَّةِ هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ أَبْنِ هَرَمَةَ يَذْمُ بَخِيلًا<sup>(٤٤)</sup>:

### نَكَسَ لَمَّا أَتَيْتُ سَائِلَهُ      وَاغْتَلَ تَنْكِيسَ نَاظِمِ الْخَرَزِ

فَشَبَّهَ حَالَتَهُ وَهِيَتَهُ بِهَيَّةِ مَنْ يَنْظُمُ الْخَرَزَ فِي الْإِطْرَاقِ وَتَنْكِيسِ الرَّأْسِ. عَلَى أَنَّا نَقُولُ إِنْ التَّزَمْنَا هَذَا السُّؤَالَ: قد يَبْلُغُ مِنْ قِيمَةِ الْخَاتَمِ [١٣٢ / ب] مَا يَحْقُّ لِلشَّحِيجِ أَنْ يَطُولَ وُقوفُهُ عَلَى طَلَبِهِ، فَقَدْ يَكُونُ حَلَقًا يُحْبَسُ بِهِ وَيُطْلَقُ وَيُقْتَلُ، وَرُبَّمَا كَانَ خَاتَمًا لِخَرَزَيْنِ أَمْوَالَ كَثِيرَةٍ، وَمَعَانِ<sup>(٤٥)</sup> سَوَى هَذَا. انتهى كلامُهُ.

وَنَقُولُ أَيْضًا فِي جَوابِ هَذَا السُّؤَالِ: إِنْ وُقوفُ الشَّحِيجِ، وَإِنْ كَانَ لَا يَطُولُ كُلَّ الْطُولِ؛ فَقَدْ يَكُونُ أَطْوَلَ مِنْ وُقوفِ غَيْرِهِ، فَجَازَ ضَرْبُ الْمُثَلِّ بِهِ، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ<sup>(٤٦)</sup>:

### رَبَّ لَيْلٍ أَمَدَّ مِنْ نَفَسِ الْعَا شِقٌ طُولًا قَطَعْتُهُ بِاِنْتِحَابٍ

وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ أَقْصَرَ لَيْلٍ أَطْوَلُ مِنْ نَفَسِ الْعَاشِقِ، وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ نَفَسُ الْعَاشِقِ أَمَدَّ مِنْ نَفَسِ غَيْرِهِ جَازَ ضَرْبُ الْمُثَلِّ بِهِ، وَإِنْ لَمْ يَبْلُغُ النَّهَايَةَ فِي الْطُولِ. وَكَذَلِكَ قَوْلُ الْآخَر<sup>(٤٧)</sup>:

### وَلَيْلٌ كَظِلٌّ الرُّمْحٌ قَصَرٌ طَوْلُهُ دَمُ الزَّقْ عَنَّا وَاصْطِفَاقُ الْمَزَاهِرِ

لَمَّا كَانَ ظِلُّ الرُّمْحٌ أَطْوَلَ مِنْ ظِلِّ غَيْرِهِ جَعَلَهُ الْغَايَةَ فِي الْطُولِ.

(٤٠) - في المطبوعة: لِيَقَعَ.

(٤١) - كذا في المطبوعة والتبيان. وفي الأصل: وردت الجملة بنصب «بَدَل» ورفع «شيءٌ أَعْظَم».

(٤٢) - في التبيان: والدُرَّةِ.

(٤٣) - في المطبوعة: لَوْضَعُ. وكذا في التبيان.

(٤٤) - في شعره ١٣٤. والبيت في: الوساطة ٤١٠، والتبيان ٣٢٩ / ٣، والماخذ ٥ / ١٧٣.

(٤٥) - في المطبوعة وقع اضطراب في العبارة، إذ وردت على هذا النحو: لِخَرَزَيْنِ الْأَمْوَالِ كَثِيرَةٌ مَعَانِ.

(٤٦) - الْوَأْوَاءُ الدَّمْشَقِيُّ كَمَا فِي تَارِيخِ دَمْشَقٍ ٥١ / ١٧٨، وَمُختَصِّرٌ ٢١ / ٣٢٤، وَلِيُسُ فِي دِيْوَانِهِ. وَيَعْزِيُ الْبَيْتُ لِخَالِدِ الْكَاتِبِ فِي: زَهْرُ الْآدَابِ ٨٠٠، وَبِغَيْةِ الْطَّلَبِ ٧ / ٣١٩٩. وَهُوَ بِالنَّسْبَةِ فِي: الْوِسَاطَةِ ٤٧١، وَالْعَمَدةِ ١ / ٩٣٨، وَالسَّمْطِ ٢٩٥، وَالتَّبَيَانِ ٢ / ٩٣٩، وَالْمَأْذُونِ ٥ / ١٧٤، وَزَهْرُ الْأَكْمَ ١ / ١٧٧، وَ ٢ / ٢٩٩.

(٤٧) - يَزِيدُ بْنُ الطَّوْرِيِّ فِي شِعْرِهِ (مَا يَنْسَبُ لَهُ وَلِغَيْرِهِ) ٧٣، وَالْبَيْتُ لَهُ: فِي الْحَيَانِ ٦ / ٤٠٩، وَالصَّاحَاجِ (صَفَقَ)، وَجَمِيْرَةُ الْأَمْثَالِ ٢ / ١٩، وَشَمَارِ الْقَلُوبِ ٦٢٦، وَالسَّمْطِ ٩٣٨، وَمَجْمِعِ الْأَمْثَالِ ١ / ٤٣٧، وَالْأَسَاسِ (رَمْح)، وَاللَّسَانِ وَالْتَّاجِ (صَفَقَ). وَلِشُبُرْمَةَ بْنِ الطَّفَلِ فِي: السَّمْطِ ٤٠٣، وَالْحَمَاسَةِ ١٦٠٥، وَذَكَرَ الْبَصْرِيُّ أَنَّ الْجَاحِظَ نَسَبَهَا إِلَى أَبِنِ الطَّوْرِيِّ. وَالْبَيْتُ بِلَا نَسْبَةٍ فِي: الْمَعْانِيِ الْكَبِيرِ ١ / ٤٦٩، وَالشِّعْرَ وَالشِّعْرَاءِ ٢٧٦، وَدِيْوَانَ الْمَعْانِيِ الْمُعْنَانِيِ ١ / ٣٤٨، ٣١١، وَشِرْحِ الْمَعْلُوقَاتِ لِلزَّوْزَنِيِّ ١٦٦، وَالْفَائِقِ ٢ / ١٢٠، وَالْمَسْتَقْسِيِّ ١ / ٣٢٩، وَالتَّبَيَانِ ٣ / ٣٢٩، وَالْمَأْذُونِ ٥ / ١٧٤، وَنَهَايَةِ الْأَرْبَ ٧ / ٤٧، وَالْطَّرَازِ ١ / ١٧٨، وَنَفْحِ الْطَّيْبِ ٣ / ٥٤٠.

وذكر ابن فورجة<sup>(٤٨)</sup> أن بعضهم روى:

### وَقُوفٌ شَجِيجٌ صَاعٌ فِي التُّرْبِ جَاثِمٌ

..... . . . . .

قال: والشَّجِيجُ: الْوَتْدُ الَّذِي شُجَّ رَأْسُهُ . و «صَاعٌ» بِمَعْنَى: تَفَرَّقَ، أَيْ: صَارَتْ لَهُ عُرُوقٌ فِي الثَّرَى، وَعَلَقَ . وَقَدْ تُورِقَ الْأَوْتَادُ وَعُمَدُ الْخَيَامِ . و «جَاثِمٌ»<sup>(٤٩)</sup>: بِمَعْنَى: ثَابِتٌ وَمُقِيمٌ . وَهَذَا تَكْفُّرٌ، وَلَا يَكُونُ «صَاعٌ» بِمَعْنَى: تَفَرَّقَ<sup>(٥٠)</sup> . [وَصَاعٌ مَعْنَاهُ: فَرَقَ]<sup>(٥١)</sup> .

### كَمَا يَتَوَقَّى رَيْضُ الْخَيْلِ حَازِمٌ

الكَتِيبُ: الْحَزِينُ . وَهُوَ حَالٌ مِنْ قَوْلِهِ: «أَقْفِ بِهَا» . و «تَوَقَّانِي» مَعْنَاهُ: تَبَاعِدَنِي وَاجْتَبَنِي<sup>(٥٢)</sup> . وَالرَّيْضُ: الصَّعْبُ الَّذِي لَمْ يُرْضِ . وَالحَازِمُ: الَّذِي يَشْدُدُ بِالْحِزَامِ . يَقُولُ: الْعَوَانِلُ الْلَّاتِي يَعْذِلُنِي فِي الْهَوَى يَحْذِرُنَّ جَانِبِي وَإِبَائِي عَلَيْهِنَّ كَمَا يَحْذِرُ حَازِمُ الرَّيْضِ مِنَ الْخَيْلِ جَمَاحَهُ أَنْ يُصِيبَهُ بَعْضُ أَوْ رَمْحٍ .

### فِي تَغْرِمِ الْأُولَى مِنَ الْلَّحْظِ مُهْجَتِي بِثَانِيَةٍ وَالْمُتَلِّفُ الشَّيْءَ غَارِمَهُ

يَقُولُ لِلْحَبِيبَةِ: قَفِي سَاعَةً تَغْرِمُ الْلَّحْظَةُ الْأُولَى مُهْجَتِي بِاللَّحْظَةِ الثَّانِيَةِ .

وَالْمَعْنَى أَنِّي نَظَرْتُ إِلَيْكَ نَظَرَةً أَتَفَتَنِي، فَقَفِي لِتَغْرِمَ تَلْكَ النَّظَرَةَ مُهْجَتِي الَّتِي أَتَلَفَّتْهَا بِنَظَرِهِ ثَانِيَةً تُحِبِّينِي وَتَرُدُّ مُهْجَتِي . يَعْنِي أَنَّهُ إِنْ نَظَرَ إِلَيْهَا ثَانِيَةً عَاشَ، وَعَادَتْ حَيَاةُهُ . ثُمَّ قَالَ: وَمَنْ أَتَلَفَ شَيْئًا لَزَمَهُ الْغُرْمُ . و «تَغْرِم» فِي مَوْضِعِ الْجَزْمِ جَوَابًا لِلأَمْرِ بِالْوُقُوفِ، و «الْأُولَى» فِي مَوْضِعِ الرَّفْعِ؛ لِأَنَّهَا هِيَ الْفَاعِلَةُ . وَأَخَذَ بَعْضُهُمْ هَذَا الْمَعْنَى فَقَالَ<sup>(٥٣)</sup> :

### يَا مُسْقِمَا جِسْمِي بِأَوَّلِ نَظَرَةٍ فِي النَّظَرَةِ الْأُخْرَى إِلَيْكَ شِفَائِي

وَرَوَى الْخُوارَزَمِيُّ «تَغْرِمِي»، بِالْيَاءِ<sup>(٥٤)</sup>، وَأَصْلُهُ «تَغْرِمِينَ» عَلَى مُخَاطَبَةِ الْحَبِيبَةِ . وَالْمُهْجَةُ: كَنَايَةُ عِنِ الْحَبِيبَةِ . يَقُولُ: قَفِي يَا مُهْجَتِي تَغْرِمِي النَّظَرَةُ الْأُولَى الَّتِي حَرَمْتُنِيهَا بِنَظَرِهِ ثَانِيَةً إِلَيْكَ . و «الْأُولَى» عَلَى هَذِهِ الرِّوَايَةِ فِي مَوْضِعِ النَّصْبِ بِ«تَغْرِمِي» . ثُمَّ قَالَ: وَمَنْ أَتَلَفَ شَيْئًا غَرَمَهُ، أَيْ: أَنْتَ أَتَلَفْتَ عَلَيِ النَّظَرَةِ الَّتِي رُمِتْهَا مِنْكَ أَوْلًا، فَاغْرَمِيهَا بِنَظَرِ ثَانٍ .

(٤٨) - الفتح ٢٧٩ . وَعَنْ الْوَاحِدِيِّ فِي التَّبِيَانِ ٣ / ٣٢٩ . وَلَمْ أَقْفِ عَلَى هَذِهِ الرِّوَايَةِ فِي دِيْوَانِ الْمُتَبَّيِّ أَوْ أَحدِ شَرْوَحِهِ .

(٤٩) - فِي الْمُطَبَّوِعَةِ: خَاتِمَهُ . تَصْحِيفٌ . وَكَذَا فِي التَّبِيَانِ .

(٥٠) - فِي الْلِسَانِ (صَوْع): صَاعٌ الشَّيْءَ وَصَوْعَهُ: فَرَقَهُ . وَالتَّصْوُعُ: التَّفَرُّقُ .

(٥١) - مَا بَيْنَ حَاسِرَتَيْنِ لَمْ يَرِدْ فِي الْمُطَبَّوِعَةِ .

(٥٢) - فِي الْمُطَبَّوِعَةِ: «تَبَاعِدَنِي وَاجْتَبَنِي» . بِصِيَفَةِ الْمَضَارِعِ .

(٥٣) - الْبَيْتُ فِي: الْفَتْحِ ٢٧٦، وَتَفَسِيرِ أَبِيَّاتِ الْمَعَانِيِّ ٢٢٨، وَالْتَّبِيَانِ ٣ / ٣٣٠ . قَالَ ابْنُ فُورْجَةَ فِي قَاتِلِ الْبَيْتِ: «وَلَا أَعْلَمُ: أَقْبَلَ أَبِي الطَّيْبِ أَمْ بَعْدَ زَمَانِهِ» . وَنَقْلُ صَاحِبِ التَّبِيَانِ عَنْ ابْنِ وَكِبِيْعَ أَنَّ هَذَا الْبَيْتَ لِخَالِدِ الْكَاتِبِ، وَأَخَذَهُ أَبُو الطَّيْبِ مِنْهُ . وَلَمْ أَقْفِ عَلَى قَوْلِ ابْنِ وَكِبِيْعَ فِي الْمَنْصَفِ .

(٥٤) - ذَكَرَهَا صَاحِبُ التَّبِيَانِ ٣ / ٣٣٠ فِي نَقْلِ عَنْ ابْنِ الْقَطَاعِ دُونَ عَزْوٍ لِلْخُوارَزَمِيِّ .

والقول هو الأول.

### سَقَادِ وَحَيَاً بِكَ اللَّهُ إِنَّمَا عَلَى الْعِيسَى نُورٌ وَالْخُدُورُ كَمَا تَمَّ

جَعَلَ هُوَلَاءِ النَّسْوَةَ نُورًا فِي حُسْنِهِنَّ وَصَفَاءِ لَوْنِهِنَّ وَطَيْبِ رَائِحَتِهِنَّ، وَجَعَلَ الْخُدُورَ لَهُنَّ بِمَنْزِلَةِ الْكَمَاثِمِ لِلنُّورِ.  
وَلَا جَعَلَهُنَّ نُورًا بَلْ عَلَى هَذَا الْلَّفْظِ السُّقْيُ وَالْتَّحْيَةُ؛ فَإِنَّ النُّورَ نُضْرَتْهُ بِالْمَاءِ، وَجَرَتِ الْعَادَةُ<sup>(٢٥)</sup> يَأْنِي بِحَيْيٍ  
بَعْضُ النَّاسِ بَعْضًا بِالْأَنْوَارِ وَالرِّيَاحِينِ، فَيَنْاوِلُهُ شَيْئًا مِنْهَا.

(معنى) «حياتاً بِكَ اللَّهُ»: لِقَانِكَ<sup>(٢٦)</sup> اللَّهُ تَعَالَى، وَحَيَاً بِكَ، وَقَدْ كَشَفَ السُّرِّيُّ الْمَوْصَلِيُّ عَنْ هَذَا الْمَعْنَى فِي<sup>(٢٧)</sup> قَوْلِهِ<sup>(٢٨)</sup>:

### حَيَا بِهِ اهْ عَاشِقِيهِ فَقَدْ أَمْبَحَ رِيْخَانَةَ لِمَنْ عَشِقَ

### وَمَا حَاجَةُ الْأَظْفَاعَ حَوْلَكِ فِي الدُّجَى إِلَى قَمَرِ مَا وَاجَدَكِ عَادِمَهُ

يَقُولُ: أَيْ حَاجَةُ لِهُوَلَاءِ النَّسْوَةِ الْلَّاتِي مَعَكَ فِي السَّفَرِ إِلَى الْقَمَرِ بِاللَّيلِ؛ فَإِنَّ مَنْ وَجَدَكَ لَمْ يَعْدْمِ الْقَمَرِ.

وَالْمَعْنَى أَنَّهَا فِي الدُّجَى تَقْوُمُ مَقَامَ الْقَمَرِ، وَهُوَ مِنْ قَوْلِ الْبُحْتَرِيِّ<sup>(٢٩)</sup>:

### أَضَرَتْ بِضَوءِ الْبَدْرِ وَالْبَدْرُ طَالِعٌ وَقَامَتْ مَقَامَ الْبَدْرِ لِمَا تَغَيَّبَ

وَقَوْلِ الْآخِرِ<sup>(٣٠)</sup>:

### غَيْرُ مُخْتَاجٍ إِلَى السُّرُجِ إِنْ بَيْتَ أَنْتَ سَاكِنُهُ

### أَثَابَ بِهَا مُغَيِّبِيَ الْمَطِيِّ وَرَازِفَهُ إِذَا ظَفَرَتْ مِنْكِ الْغَيْنُونَ بِنَظَرَهُ

الرَّازِمُ وَالرَّازِحُ: الَّذِي قدْ قَامَ مِنَ الْأَعْيَاءِ فَلَا يَرْجِعُ.

وَالْمَعْنَى أَنَّ الْأَبْلَ الرَّازِحَةَ الَّتِي كَلَّتْ وَعَجَرَتْ عَنِ الْمَشْيِ إِذَا نَظَرَتْ إِلَيْكَ عَاشَتْ أَنْقُسْهَا، وَعَادَتْ قُوَّتْهَا، فَكَيْفَ بِنَا

[تحن]<sup>(٣١)</sup>: وهذا تَأكِيدٌ لِلْمَعْنَى الْأَوَّلِ فِي قَوْلِهِ: «تَغَرَّمَ الْأُولَى»، الْبَيْتُ.

رِيْقَالُ: أَثَابَ فُلَانَ<sup>(٣٢)</sup> [١٢٢ / ١]. إِذَا ثَابَ إِلَيْهِ جَسْمُهُ، وَصَلَحَ بَدْنُهُ. وَمَعْنَى قَوْلِهِ: «الْغَيْنُونُ»: كُلُّ عَيْنٍ.

(٢٥)- انظر: شرح المشكال لابن سعيد، ١٥٨.

(٢٦)- في المطبوعة: «كَفَانَا بِكَ»، تحرير.

(٢٧)- في المطبوعة: بقوله.

(٢٨)- السُّرِّيُّ الرَّفَاءُ، في ديوانه (تحقيق الحسيني) ٢ / ٥١٢، والبيت له في الفسر ٢ / ٢٢٩، والبيبة ١ / ١٦١، والمعجز ٣ / ١٨، والتبيان ٢ / ٣٢٠، والتأخذ ١ / ٢٥٥، والصبح ١ / ٤٤٥.

(٢٩)- في بيواته ١٩٧، والبيت في الموازنة ٢ / ١٧٥، والوسطاء ٢٦، والمنصف ٥١، والصناعتين ٢٢٢، والبيبة ٣ / ١٧٢، والإبانة ٩٩، ومحاضرات الأدباء ٢ / ٢٢٠، والحسابة المقربية ١ / ٧٥٨، والتبيان ٢ / ٣، ٢٦٠، والصبح ١ / ٣٢١، ٣٢٦، ٣٦٧، ٤٩.

(٣٠)- عبد الصمد بن العطاء في بيواته ٧٨، والبيت في تاريخ بغداد ١٦ / ٥٦٣، ومصارع العشاق ٢ / ٢٢٠، ومحاضرات الأدباء ٢ / ٢٢٢، ومشق ٦٦، ومحضره ٢٨ / ١٩٥، والحسابة المقربية ١ / ٧٥٨، والتبيان ٣ / ٣٣١، والواقي بالوفيات ٤ / ١٣٩.

(٣١)- في المطبوعة: سقط ما بين حاصلتين. وفي الأصل: فكيف بها.. تحرير صوابه ما أثبت.

(٣٢)- ونكر أبو العلاء في اللامع ١١٢٤ أنَّ المعرف في هذا: ثاب، يغير همة.

يَقُولُ: إِذَا ظَهَرَتْ لِلنَّاظِرِينَ صَلَحَتْ حَالُ الْمَطَايَا، وَهِيَ لَا تَعْقُلُ بِالنَّظَرِ إِلَيْكُ، فَمَا الظُّنُّ بِنَا، وَحَيَاةُنَا بِرُؤْيَاكُ؟  
وَهَذَا كُلُّهُ مَعْنَى قَوْلِ ابْنِ جَنْيٍ<sup>(٦٣)</sup>: إِنَّ الْإِبْلَ الرَّازِحَةَ إِذَا نَظَرَتْ إِلَيْكُ عَاشَتْ أَنْفُسُهَا، فَكَيْفَ بِنَا؟!  
وَقَالَ ابْنُ فُورَّجَةَ<sup>(٦٤)</sup>: إِنَّمَا يَعْنِي بِالْمَطَيِّ أَصْحَابَهَا. وَالْإِبْلُ لَا فَائِدَةَ لَهَا فِي النَّظَرِ إِلَى هَذِهِ الْمَحْبُوبَةِ وَإِنْ فَاقَتْ  
حُسْنًا وَجَمَالًا، وَإِنَّمَا رُكَّابُهَا يُسَرُّونَ<sup>(٦٥)</sup> بِذَلِكَ.

وَالْقَوْلُ مَا قَالَهُ أَبُو الْفَتْحِ؛ لَأَنَّ الْإِبْلَ الَّتِي لَا عَقْلَ لَهَا يُؤْثِرُ<sup>(٦٦)</sup> فِيهَا النَّظَرُ عَلَى مُقْتَضَى الْمُبَالَغَةِ وَالتَّعْمُقِ فِي الْمَعْنَى،  
لَا عَلَى الْحَقِيقَةِ كِعَادَةِ الشُّعُرَاءِ فِي الْمُبَالَغَةِ.  
وَذَكَرَ الْمَطَيِّ عَلَى الْلَّفْظِ<sup>(٦٧)</sup>، كَتَذَكِيرِ النَّخْلِ وَالسَّحَابِ وَمَا أَشْبَهُهُ<sup>(٦٨)</sup> مِنَ الْجَمْعِ.

### حَبِيبُ كَأَنَّ الْحُسْنَ كَانَ يُحِبُّهُ      فَاتَّرَهُ أَوْ جَارَ فِي الْحُسْنِ قَاسِمُهُ

يَقُولُ: هَذَا الْحَبِيبُ مُنْفَرِدٌ فِي الْحُسْنِ<sup>(٦٩)</sup> لَا حَظٌ لِغَيْرِهِ فِيهِ، فَكَأَنَّ الْحُسْنَ أَحَبَّهُ فَاسْتَخَلَصَهُ لِنَفْسِهِ دُونَ غَيْرِهِ. أَوْ:  
مِنْ قَسْمِ الْحُسْنِ بَيْنَ النَّاسِ جَارٌ فَاعْطَاهُ جَمِيعَ الْحُسْنِ، وَحَرَمَهُ غَيْرُهُ مِنَ النَّاسِ.

### تَحُولُ رِمَاحُ الْخَطِّ دُونَ سِبَابِيِّهِ      وَتُسْبِبَى لَهُ مِنْ كُلِّ حَيٍّ كَرَائِمُهُ

ذَكَرَ أَنَّهُ مَنِيعٌ عَزِيزٌ يُحْفَظُ بِالرِّمَاحِ، فَلَا يَقُعُ عَلَيْهِ سِبَابٌ؛ لَأَنَّ رِمَاحَ قَوْمِهِ تَمْنَعُ دُونَ ذَاكَ كَمَا قَالَ<sup>(٧٠)</sup>:

### بِصُمُّ الْقَنَا يُحْفَظُنَ لَا بِالْتَّمَائِمِ ..... . . . . .

وَكَرَائِمُ كُلِّ حَيٍّ تُسْبَبَى لَهُ، فَيَجِئُ<sup>(٧١)</sup> إِلَيْهِ، لِيَخْدُمَهُ.

وَيُرَوَى «تَجُولُ»، بِالْجِيمِ<sup>(٧٢)</sup>. وَالْحَاءُ أَشْبَهُ بِالْمَعْنَى.

### وَآخِرُهَا نَشَرُ الْكِبَاءِ الْمُلَازِمُهُ      وَيُضْحِي غُبَارُ الْخَيْلِ أَدَنَى سُتُورِهِ

الْكِبَاءُ: الْعُودُ الَّذِي يُتَبَخَّرُ بِهِ. وَنَشَرُهُ: رَائِحَتُهُ.

(٦٣)- الفسر ٣ / ٣٣٠. وعنه في: التبيان ٣ / ٣٣١، والماخذ ٥ / ١٧٦.

(٦٤)- قوله في: التبيان ٣ / ٣٣١، والماخذ ٥ / ١٧٦.

(٦٥)- في المطبوعة: يرون. تحريف صوابه ما أثبت.

(٦٦)- في المطبوعة: يَتَأَثِّرُ. تحريف صوابه ما أثبت.

(٦٧)- انظر: تهذيب اللغة ٢ / ٢٠٨ (عرف).

(٦٨)- في المطبوعة: وما أَشْبَهُهُمَا.

(٦٩)- في المطبوعة: منفرد بالحسن. وفي التبيان ٣ / ٣٣١: متفرد في الحسن.

(٧٠)- المتتبّي في ديوانه ١٩٦. وصدر البيت:

دِيَارُ الْأَوَاتِيِّي دَارُهُ مَنْ عَزِيزَةُ

والبيت في: الوساطة ١٣٣، واليتيمة ١، ٢٢١، والفتح ٣١٥، والعمدة ٢، ٢٢١، والصلب ٢ / ١٢٠، ٢٣٧. وقد مضى في موضعه من شرح الديوان.

(٧١)- في المطبوعة: وَتُجْبِي.

(٧٢)- لم أقف على هذه الرواية فيما بين يدي من مصادر المتتبّي.

يَقُولُ: أَدْنَى سُتْرَ إِلَيْكَ أَيْهَا الطَّالِبُ الْوَصُولَ إِلَيْهِ؛ غُبَارُ الْخَيْلِ، وَأَبْعَدُ سُتْرَ عَنْكَ نَشْرُ الْكِبَاءِ الَّذِي يَلْزَمُهُ. يُرِيدُ أَنَّ دُخَانَ الْعُودِ الَّذِي يَتَبَخَّرُ بِهِ كَثُرَ عِنْدَهُ حَتَّى قَدْ صَارَ كَالْحَجَابِ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ مَنْ يَطْلُبُهُ.  
وَيُرَدِّوْيَ (٧٣): «أَوْلَاهَا نَشْرُ الْكِبَاءِ». وَالْمَعْنَى (٧٤): أَوْلُ سُتْرٍ دُونَهَا مَمَّا يَلِيهَا.

وَيُمْكِنُ أَنْ يُقْلِبَ هَذَا فِيَقَالَ: أَدْنَى سُتْرَ إِلَيْهَا مِنَ السُّتُورِ دُونَهَا غُبَارُ الْخَيْلِ، وَأَبْعَدُ سُتْرَ عَنْهَا نَشْرُ الْكِبَاءِ. يَعْنِي أَنَّ غُبَارَ الْخَيْلِ كَثُرَ حَتَّى وَصَلَ إِلَيْهَا، فَصَارَ أَدْنَى سُتْرٍ مِنْهَا دُونَهَا، وَكَذَلِكَ ارْتَفَعَ دُخَانُ الْعُودِ حَتَّى تَبَاعَدَ مِنْهَا الدُّخَانُ، فَصَارَ آخَرَ سُتْرَ دُونَهَا. وَهَذَا أَشْبَهُ بِطَرِيقَةِ الْمُتَّبِّيِّ فِي إِيَثَارِ (٧٥) الْمُبَالَغَةِ.

وَمَا اسْتَغْرَبْتُ عَيْنِي فِرَاقًا رَأَيْتُهُ  
يَذْكُرُ كَثْرَةً مَا لَقِيَ مِنْ صُرُوفِ الدَّهْرِ، وَمَا مُنِيَ بِهِ مِنْ فِرَاقِ الْأَحِبَّةِ حَتَّى لَا يَسْتَغْرِبَ فِرَاقًا رَآهُ، وَلَا تَرَى (٧٦)  
عَيْنُهُ شَيْئًا لَمْ يَعْلَمْهُ قَلْبُهُ.  
وَالْمِصْرَاعُ الْأَوَّلُ مِنْ قَوْلِ طُفَيْلِ (٧٧):

بِذِي لَطَفِ الْجِيَرَانِ قَدْمًا مُفَجَّعُ

عَنْ حَرْفِ وَاحِدَةٍ لَكَيْ أَرْدَادَهَا

بَلْوُتُ مِنَ الْأُمْسُورِ إِلَى السُّؤَالِ

فَلَمَّا دَهَتْنِي لَمْ تَزِدْنِي بِهَا عِلْمًا

وَمَا أَنَا بِالْمُسْتَنْكِرِ الْبَيْنِ إِنِّي

وَالثَّانِي مِنْ قَوْلِ عَدِيِّ بْنِ الرَّقَاعِ (٧٨):

وَعَرَفْتُ حَتَّى لَسْتُ أَسْأَلُ عَالَمًا

وَمِثْلُهُ لِلْأَعْوَرِ الشَّنِّيِّ (٧٩):

لَقَدْ أَصْبَحْتُ مَا أَحْتَاجُ فِيمَا

وَمِثْلُهُ لِأَبِي الطَّيْبِ (٨٠):

عَرَفْتُ الْلَّيَالِي قَبْلَ مَا صَنَعْتُ بِنَا

(٧٣)- لم يروها أحد فيما بين يدي من مصادر المتنبي، وذكرها صاحب التبيان ٣ / ٣٣٢ عن الوادي.

(٧٤)- في المطبوعة: يعني.

(٧٥)- في المطبوعة: إيثاره.

(٧٦)- في المطبوعة: ترية. وكذا في التبيان ٣ / ٣٣٢.

(٧٧)- في ديوانه ١١٩. والبيت في: الوساطة ٣٣٥، والحماسة ١٠٢، وشرحها: للمرزوقي ١ / ١٩٩، وللفارسي ٢ / ٩٦، وللتبريزى ١٧٧، وللدر الفريد ٢ / ٧٧، والتبيان ٣ / ٣٢٢، والماخذ ٥ / ١٤٠، والخزانة ٤ / ٣٠٩.

(٧٨)- في ديوانه ٣٧. والبيت في: البيان والتبيان ٣ / ١٦٣، والحيوان ٣ / ٢٩، والشعر والشعراء ٦٠٤، والعقد ٦ / ١٤٦، ٨٧، والوساطة ٢٣٥، ولباب الآداب ١٦٦، والتذكرة الحمدونية ٥ / ٤٠٢، والتبيان ٣ / ٣٢٢.

(٧٩)- في ديوانه ٣٧، والحماسة البصرية ٩٣١. والبيت في: الشعر والشعراء ٦٢٥، والأمثالى ٢ / ٢٠٨، والوساطة ٣٣٥، والتبيان ٣ / ٣٢٢، والدر الفريد ٧ / ٣٥٢.

(٨٠)- في ديوانه ١٦٠. والبيت في: الوساطة ١٤٩، والمنصف ٦٩٤، والمنتحل ١٦٨، والبيتيمة ١ / ١٦٩، وقشر الفسر ٣٢٩، وأمثالى ابن الشجري ٣ / ٢٥٥، والدر الفريد ٤ / ٢٢٠، ١٦٧ / ٧، والصبح ١ / ٤٦٠. وقد مضى في موضعه من شرح الديوان. هذا وقد جاء بيت أبي الطيب في مطبوعة الوادي قبل بيت الأعور الشنوي. وروي العجز في الأصل: «فَلَمَّا دَهَتْنِي لَقَدْ أَصْبَحْتُ عَالَمًا». ولم أقف على هذه الرواية عند أحد.

**فَلَا يَتَهَمُنِي الْكَاشِحُونَ فَإِنِّي رَعَيْتُ الرَّدَى حَتَّى حَلَّتْ يَعْلَقُمُهُ**  
يَقُولُ: لَا يَتَهَمُنِي الْأَعْدَاءُ بِالْخَوْفِ مِنَ الرَّدَى وَالْجَزَعِ مِنَ الْفِرَاقِ؛ فَإِنِّي قَدْ ذَقْتُ الْمَرَارَةَ<sup>(٨١)</sup> حَتَّى اعْتَدْتُ ذَوْقَهَا فَلَا أَسْتَمِرُهَا.

والعلقم: أَشَدُّ الْأَشْيَاءِ مَرَارَةً، وَهُوَ لَا يَحْلُو لِأَحَدٍ، وَلَكِنْ مَنْ اعْتَادَ ذَوْقَهُ لَمْ يَصُبُّ عَلَيْهِ مَرَارَتُهُ، فَكَانَهُ قَدْ حَلَّ لَهُ.  
وَمَعْنَى «رَعَيْتُ الرَّدَى»: رَعَيْتُ أَسْبَابَ الرَّدَى مِنَ الْمَخَافِ وَالْمَهَالِكِ. وَكَنَى بِالْعَلَقَمِ عَنِ الْمَرَارَاتِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: «رَعَيْتُ»؛ لِأَنَّ الْعَلَقَمَ مَمَّا يُرْعَى.

وَالْمَعْنَى أَنِّي لَا أَجِزَّعُ مِنَ الْفِرَاقِ وَإِنْ عَظُمَ أَمْرُهُ، وَاشْتَدَّتْ مَرَارَتُهُ؛ لِاعْتِيَادِيِّ ذلك، كَقَوْلِ الْآخِرِ<sup>(٨٢)</sup>:

**وَفَارَقْتُ حَتَّى مَا أُبَالِي مِنَ النَّوْءِ وَإِنْ بَانَ جِيَرَانٌ عَلَيَّ كِرَامُ وَقَوْلِ الْمُؤْرِجِ<sup>(٨٣)</sup>:**

**رُوغْتُ بِالْبَيْنِ حَتَّى مَا أَرَاعُ لَهُ**  
وَهذا الْمَعْنَى ظَاهِرٌ فِي قَوْلِ الْخَرِيمِيِّ<sup>(٨٤)</sup>:

**لَقْدْ وَقَرَتْنِي الْحَادِثَاتُ فَمَا أَرَى  
مُشِبِّبُ الَّذِي يَبْكِي الشَّبَابَ مُشِبِّبُ**

يَقُولُ: الَّذِي يَجْزَعُ عَلَى فَقْدِ الشَّبَابِ إِنَّمَا أَشَابَهُ مِنْ أَشَبَّهُ [١٣٣ / ب]. وَالشَّيْبُ حَصَلَ مِنْ عِنْدِ مَنْ حَصَلَ مِنْهُ الشَّبَابُ، فَلَا سَبِيلٌ إِلَى التَّوْقِيِّ مِنَ الْمُشِبِّبِ؛ لِأَنَّ أَمْرَهُ بِيَدِ غَيْرِهِ.

**وَتَكْمِلَةُ الْعَيْشِ الصَّبَا وَعَقِيبَهُ**

يَقُولُ: تَمَامُ الْعَيْشِ هُوَ الصَّبَا أَوْلًا، ثُمَّ مَا يَتَعَقَّبُهُ مِنْ بُلُوغِ الْأَشْدَّ حَتَّى يَكُونَ يَافِعًا مُتَرَعِّغاً<sup>(٨٥)</sup> إِلَى أَنْ يَخْتَافَ إِلَى عَارِضِيِّهِ لَوْنًا بَيَاضِ وَسَوَادِ.

(٨١)- في المطبوعة: المَرَارَات. وكذا في التبيان / ٣٣٣.

(٨٢)- عُزِيَّ الْبَيْتُ لِصَرْيِعِ الْغُوَانِيِّ فِي: شَرْحِ الْحَمَاسَةِ لِلْفَارَسِيِّ / ١٧٦، وَلِيُسْ فِي دِيْوَانِهِ؛ وَلِالْمُتَتَّبِيِّ فِي مَحَاضِرَاتِ الْأَدْبَاءِ / ٢٧٧! . وَهُوَ بِالنَّسَبَةِ فِي الْشِّعْرِ وَالشِّعْرَاءِ / ١٢٣، وَعِيُونِ الْأَخْبَارِ / ١٢٢، وَالْوَسَاطَةِ / ٣٣٦، وَالْمَنْصَفِ / ٦٥٣، وَجَمِيعَةِ الْأَمْثَالِ / ١٨٥، وَالْحَمَاسَةِ، وَشَرِحُهَا: لِلْمَرْزُوقِيِّ / ١٩٨، وَلِلتَّبَرِيزِيِّ / ٩٥، وَالْمَنْتَحِلِ / ٢١١، وَالذِّخِيرَةِ / ٥٥، وَالْمَذَكُورَةِ الْحَمْدُونِيَّةِ / ٨٠، وَالتَّبَيَانِ / ١٠، وَوَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ / ٣٣٣، وَوَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ / ٥٠٥، وَالْوَافِيِّ بِالْوَفَيَاتِ / ١٠١.

(٨٣)- مُؤْرِجُ بْنِ فَيْدِ السَّدُوْسِيِّ (ت ١٩٥هـ). وَالْبَيْتُ لَهُ فِي: الْوَسَاطَةِ / ٣٣٦، وَشَرْحِ الْحَمَاسَةِ لِلْفَارَسِيِّ / ٢٢٩، وَإِنْبَاهِ الرِّوَاةِ / ٣٢٩، وَوَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ / ٤٠٤. وَعُزِيَّ لِلْمُتَتَّبِيِّ فِي مَحَاضِرَاتِ الْأَدْبَاءِ / ٢٧٧! . وَهُوَ بِالنَّسَبَةِ فِي: الْحَمَاسَةِ / ١٠١، وَشَرِحُهَا: لِلْمَرْزُوقِيِّ / ١٩٩، وَلِلتَّبَرِيزِيِّ / ٩٦، وَالْمَذَكُورَةِ الْحَمْدُونِيَّةِ / ٦٠٤، وَالتَّبَيَانِ / ٣٣٣، وَالدرِّ الفَرِيدِ / ٦٣٤. وَفِي الْمَطَبُوعَةِ: «مَا أَرَاعَ .. وَبِالصَّابِبِ ..».

(٨٤)- هُوَ إِسْحَاقُ بْنُ حَسَانَ أَبُو يَعْقُوبَ (ت ٢١٤هـ). وَالْبَيْتُ فِي: الْوَسَاطَةِ / ٣٣٦، وَالْمَذَكُورَةِ الْحَمْدُونِيَّةِ / ٤٢٥، وَتَارِيخِ دَمْشِقٍ / ١٦٣٧، وَالتَّبَيَانِ / ٣٣٣.

(٨٥)- في المطبوعة: يَافِعًا مُتَرَعِّغاً.

وَغَائِبُ لَوْنِ الْعَارِضِينَ: هُوَ الْبَيَاضُ، وَالقَادِمُ: هُوَ السَّوَادُ السَّابِقُ إِلَى الْعَارِضِ.  
وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ بِالقَادِمِ: الشَّيْبَ، مِنْ: قَدَمَ يَقْدُمُ، إِذَا وَرَدَ، وَبِالْغَائِبِ: السَّوَادُ الَّذِي غَابَ بِقُدُومِ الْبَيَاضِ<sup>(٨٦)</sup>.  
وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ غَائِبُ لَوْنِ الْعَارِضِينَ: لَوْنَ الْبَشَرَةِ حِينَ تَغِيبُ عِنْهُ<sup>(٨٧)</sup> سَوَادِ الشِّعْرِ وَبَيَاضِهِ، وَالقَادِمُ هُوَ: لَوْنُ  
الشِّعْرِ مِنْ سَوَادِ وَبَيَاضِهِ.

وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ بِالْغَائِبِ: لَوْنَ جُلْدَةِ الْعَارِضِ الْمُتَسَتَّرَةِ<sup>(٨٨)</sup> بِالشِّعْرِ، وَبِالقَادِمِ: سَوَادِ الشِّعْرِ النَّاثِبِ. وَهَذَا هُوَ  
الْأُولَى؛ لَأَنَّهُ يَجْعَلُ تَمَامَ الْعَيْشِ أَنْ يَكُونَ إِلَيْسَانُ صَبِّيًّا، ثُمَّ مُتَرْعِرِعًا يَافِعًا<sup>(٨٩)</sup>، ثُمَّ يَنْبُتُ شَعْرُهُ فَيَكُونُ شَابًا.  
وَلَمْ يَجْعَلِ الشَّيْبَ مِنْ تَكْمِلَةِ الْعَيْشِ؛ لَأَنَّ مِنْ شَابَ قَدْ مَاتَ، كَمَا قَالَ<sup>(٩٠)</sup>[٩١]:

يَفْشِي عَلَى الْأَرْضِنَ مَشْيَهَا لَكَ  
لَكَانَ فِي شَيْبِهِ فَذَلِكَ  
بَيَاضُهُمَا الْمَحْمُودَ إِذَا أَمْرَدَ  
قَبِيْحٌ وَلَكِنْ أَحْسَنُ الشَّعْرِ فَاحْمُمْهُ

يَقُولُ: الْبَيَاضُ فِي الشِّعْرِ حَسَنٌ، وَلَمْ يُخْضِبِ الْبَيَاضُ؛ لَأَنَّهُ مُسْتَقْبِحٌ، وَلَكِنَّ السَّوَادَ أَحْسَنُ مِنْهُ، فَالْخَاصِبُ إِنَّمَا  
يَطْلُبُ الْأَحْسَنَ مِنْ لَوْنِي الشِّعْرِ.

حَيَا بَارِقٌ فِي فَازَةٍ أَنَا شَائِمُهُ  
أَرَادَ بَمَاءِ الشَّبِيَّةِ: نَضَارَتِهَا وَحُسْنَهَا. وَالْبَارِقُ: السَّحَابُ ذُو الْبَرْقِ. وَالْفَازَةُ: شِرَاعُ دِيَاجٍ نُصِبَ لِسَيْفِ  
الدَّوْلَةِ. وَالشَّائِمُ: النَّاظِرُ إِلَى الْبَرْقِ يَرْجُو المَطَرَ.  
يَقُولُ: أَحْسَنُ مِنِ الشَّبَابِ مَطْرُ سَحَابٍ بَارِقٍ [و]<sup>(٩٢)</sup> أَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ. يَعْنِي سَيْفَ الدَّوْلَةِ؛ جَعَلَهُ مَطَرُ سَحَابٍ لِجُودِهِ  
وَعُمُومِ نَفعِهِ.

(٨٦)- انظر هذين التفسيرين في اللامع ١١٢٥ . وكلام الواحدى على البيت في التبيان ٣ / ٣٣٤-٣٣٣.

(٨٧)- في المطبوعة: يَغِيبُ عَنْهَا.

(٨٨)- في المطبوعة: الْسُّسْتَرَةِ.

(٨٩)- في المطبوعة: ثُمَّ مُتَرْعِرِعًا ثُمَّ يَافِعًا.

(٩٠)- ما بين حاصلتين ليس في المطبوعة.

(٩١)- متنازعَا النِّسْبَة؛ فَهُما لابن الرومي في المحب والمحبوب ١ / ٣٨٢ ، ولنصرور الفقيه في التمثيل والمحاشرة ٣٨٨ ، وليموت بن المزرع في حماسة الظرفاء ١٩١ ، ولابن واصلة الحلبي في المجموع اللفيف ٧١ ، وللحافظ بن سهل بن غانم في معاهد التنصيص ٢ / ١٨٩ ، وبلا نسبة في: اللطائف والظرافات، ونهاية الأربع ٢ / ٢٦ . ورواية الشطر الأول من البيت الأولى في المطبوعة: مَنْ شَابَ فِي النَّاسِ مَاتَ حَيًّا... .

(٩٢)- في ديوانه ٥٨٥ . والبيت في: الفتح ٢٨٠ ، وتفسير أبيات المعاني ٢٢٩ ، والتبيان ٣ / ٣٣٤ .

(٩٣)- ما بين حاصلتين ليس في المطبوعة.

وَكَنَى بِالشَّيْءِ عَنْ تَعْلِيقِ رَجَائِهِ بِهِ بِإِنْتِظَارِ جُودِهِ وَجَمَعَ لَهُ فِي هَذَا الْبَيْتِ بَيْنَ ضُرُوبِ مِنَ الْمَدِحِ الْحَسَنِ وَالْجُودِ وَاسْتِحْقَاقِ التَّأْمِيلِ.

**عَلَيْهَا رِيَاضٌ لَمْ تَحْكُمْهَا سَحَابَةُ  
وَأَغْصَانُ دَوْحٍ لَمْ تُفْنِ حَمَائِمُهُ**  
يَصِفُّ تُلُكَ الْفَازَةَ بِأَنَّهَا مُصَوَّرَةٌ بِصُورَةِ رِيَاضٍ وَأَشْجَارٍ غَيْرِ أَنَّهَا لَيْسَتْ مَمَّا أَنْبَتَهُ السَّحَابُ وَحَاكَتُهُ. وَأَغْصَانُ  
تُلُكَ الْأَشْجَارِ لَا تَتَغَنَّى حَمَائِمُهَا؛ لَأَنَّهَا صُورٌ غَيْرُ ذَاتِ رُوحٍ.

**وَفَوْقَ حَوَاشِيِّ كُلِّ ثَوْبٍ مُوجَّهٍ  
مِنَ الدُّرِّ سِمْطٌ لَمْ يُثْقِبْهُ نَاظِمُهُ**  
الْمُوجَّهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ: ذُو الْوَجْهَيْنِ. وَأَرَادَ بِسِمْطِ الدُّرِّ: الدَّوَائِرَ الْبِيْضَ عَلَى حَاشِيَّةِ تُلُكَ الْأَثْوَابِ الَّتِي اتَّخَذَتِ  
مِنْهَا الْفَازَةُ. شَبَهَهَا بِالدُّرِّ لِبِيَاضِهَا، غَيْرِ أَنَّ مِنْ نَظَمِهِ لَمْ يُتَّقِبُ؛ لَأَنَّهُ لَيْسَ بِدُرٍّ حَقِيقِيٍّ.

**تَرَى حَيَّوَانَ الْبَرِّ مُحْتَلِحًا بِهَا<sup>(٩٤)</sup>  
يُحَارِبُ ضِدَّ ضِدَّهُ وَيُسَائِلُهُ**

هَذِهِ الْفَازَةُ كَانَتْ مُصَوَّرَةً بِأَجْنَاسِ الْحَيَّوَانِ.

يَقُولُ: تَرَاهَا مُصْطَلَحَةً بِهَذِهِ الْفَازَةِ، وَعَادَتُهَا التَّفَارُسُ وَالتَّهَارُشُ، وَهِيَ مُصَالَحةٌ؛ لَأَنَّهَا نُقُوشٌ.

وَأَرَادَ بِالْمُحَارِبَةِ أَنَّهَا نُقِشتَ فِي صُورَةِ الْمُحَارِبِ. وَمَعْنَى الْمُسَالَمَةِ أَنَّهَا جَمَادٌ لَا رُوحَ فِيهَا فَنَقَاتٌ.

**إِذَا ضَرَبَتْهُ الرِّيحُ مَاجَ كَانَهُ  
تَجُولُ مَذَاكِيَّهُ وَتَدَأِي ضَرَاغِمُهُ**

الْمَذَاكِيُّ: الْمُسْنَةُ مِنَ الْخَيْلِ. وَتَدَأِيُّ: مَعْنَاهُ: تَخْتَلُ. يُقَالُ: أَدَوْتُ لَهُ، وَدَأَوْتُ لَهُ أَدَأِي<sup>(٩٤)</sup>، أَيْ: خَتَّلَهُ. وَرُوِيَ  
بِالذَّالِّ<sup>(٩٥)</sup>. وَمَعْنَاهُ: تَطْرُدُهُ. يُقَالُ: ذَأَى إِلَبَ ذَأَوا، أَيْ<sup>(٩٦)</sup>: طَرَدَهَا.

يَقُولُ: إِذَا ضَرَبَتِ الرِّيحُ هَذِهِ الثَّوْبَ تَحَرَّكَ حَتَّى كَانَهُ يَمُوجُ، وَكَانَ الْخَيْلُ الَّتِي صُورَتْ عَلَيْهِ جَائِلَةً، وَكَانَ أُسُودَهُ  
تَخْتَلُ الظِّبَاءَ لِتَصِيدِهَا، وَتَطْرُدُهَا لِتُدْرِكَهَا.

**وَفِي صُورَةِ الرُّومِيِّ ذِي التَّاجِ ذَلَّةُ  
لِأَبْلَخَ لَا تِيجَانَ إِلَّا عَمَائِمُهُ**

صُورَ مَلْكُ الرُّومِ عَلَى هَذِهِ الثَّوْبِ سَاجِدًا لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ، [وَلِذَلِكَ قَالَ: «ذَلَّةٌ»]<sup>(٩٧)</sup>.

وَعَنِي بِالْأَبْلَخِ: سَيْفُ الدَّوْلَةِ. [وَهُوَ الْمُتَكَبِّرُ الْعَظِيمُ فِي نَفْسِهِ]<sup>(٩٨)</sup>. وَيُرَوَى بِالْجِيمِ<sup>(٩٩)</sup>، وَهُوَ الْمُنْقَطِعُ شَعْرُ الْحَاجِبِينِ.

وَجَعَلَهُ لَا تَاجَ لَهُ؛ لَأَنَّهُ عَرَبِيٌّ، وَتِيجَانُ الْعَرَبِ: عَمَائِمُهَا.

(٩٤) - كذا في المطبوعة وبقية مصادر المتّبّي. وفي الأصل والفسر ٣ / ٣٢٤: «مُصْطَلَحًا بِهِ».

(٩٤) - في المطبوعة: يُقَالُ: دَأَوْتُ لَهُ، وَدَأَيْتُ أَدَأِي. وفي التبيّان ٣ / ٣٣٥: يُقَالُ: أَدَوْتُ لَهُ، وَدَأَوْتُ لَهُ، لغة في دَأَيْتَ.

(٩٥) - ذُكرت هذه الرواية في: اللامع ١١٢٧، والموضع ٤ / ٤٨٢، والتبيّان ٣ / ٣٣٥؛ في سياق شرح البيت.

(٩٦) - في المطبوعة: إِذَا.

(٩٧) - ما بين حاصلتين ليس في الأصل.

(٩٨) - ما بين حاصلتين سقط من المطبوعة.

(٩٩) - وهي رواية: الديوان ٢٤٧، والفسر ٣ / ٣٣٦، وابن الأفلاقي ١ / ١٦٥، واللامع ١١٢٧، والمعجز ٣ / ٤٨٢، والموضع ٤ / ٤٨٢، والتبيّان ٣ / ٣٣٥، والصبح ١ / ١٨٦.

## تَقْبِلُ أَفْوَاهُ الْمُلُوكِ بِسَاطَةٍ وَيَكْبُرُ عَنْهَا كُمْهُ وَبَرَاجِمُهُ

يَقُولُ: الْمُلُوكُ يَخْدُمُونَهُ بِتَقْبِيلِ بِسَاطَةِهِ، وَلَا يَبْلُغُونَ أَنْ يُقْبَلُوا كُمْهُ أَوْ يَدَهُ؛ لَأَنَّهُ أَعْظَمُ شَأْنًا مِنْ ذَلِكَ. [١٣٤ / أ]

## قِيَامًا مِنْ يَشْفِي مِنَ الدَّاءِ كَيْهُ وَمَنْ بَيْنَ أَذْنِيْ كُلَّ قَرْمٍ مَوَاسِمُهُ

قِيَاماً: مَصْدَرٌ لِمَا يُذَكَّرُ فِعْلُهُ، كَأَنَّهُ قَالَ: قَامُوا قِيَاماً<sup>(١٠٠)</sup>. يُرِيدُ أَنَّهُمْ قَامُوا بَيْنَ يَدِيهِ.

وَكَنَّى بِالْكَيْهِ عَنْ ضَرْبِهِ وَطَعْنِهِ وَلَذْعَةِ حَرْبِهِ؛ وَبِالْدَاءِ عَنْ غَوَائِلِ الْأَعْدَاءِ.

وَمَعْنَاهُ<sup>(١٠١)</sup> أَنَّهُ يَرِدُ بِالْطَّعْنِ وَالضَّرْبِ مِنْ عَصَاهُ إِلَى طَاعَتِهِ كَمَا يَرِدُ مِنْ بِهِ دَاءُ إِلَى الصَّحَّةِ بِالْكَيْهِ.

وَالْمَوَاسِمُ: جَمْعُ الْمَيْسِمِ، وَهُوَ مَا يُوسِمُ بِهِ. وَيُقَالُ أَيْضًا: الْمَيَاسِمُ، بِالْبَيَاءِ، عَلَى لَفْظِ الْمَيْسِمِ<sup>(١٠٢)</sup>. وَهَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ<sup>(١٠٣)</sup> أَنَّ كُلَّ مَلَكٍ عَظِيمٍ قَدْ ذَلَّ لَهُ، وَبَانَ عَلَيْهِ أَثْرُ قَهْرِهِ إِيَّاهُ.

## قَبَائِعُهَا تَحْتَ الْمَرَاقِقِ هَيْبَةً وَأَنْفَذُ مِمَّا فِي الْجُفُونِ عَزَائِمُهُ

الْقَبَائِعُ: جَمْعُ الْقَبِيعَةِ، وَهِيَ الْحَدِيدَةُ<sup>(١٠٤)</sup> فَوْقَ مَقْبَضِ السَّيْفِ. [وَكَنَّى عَنِ السُّيُوفِ]<sup>(١٠٥)</sup> وَلَمْ يَجْرِ لَهَا ذُكْرٌ.

يَقُولُ: قَامُوا عَنْهُ مُتَكَبِّنِينَ<sup>(١٠٦)</sup> عَلَى قَبَائِعِ سُيُوفِهِمْ هَيْبَةً لَهُ وَتَعْظِيمًا. ثُمَّ قَالَ: [وَ] عَزَائِمُهُ أَنْفَذُ مِنْ نِصَالِ السُّيُوفِ. وَهِيَ مَا فِي الْجُفُونِ.

## لَهُ عَسْكَرًا خَيْلٍ وَطَيْرٍ إِذَا رَمَى بِهَا عَسْكَرًا لَمْ يَبْقَ إِلَّا جَمَاجِمُهُ

يَقُولُ: لَهُ عَسْكَرَانِ: خَيْلُهُ وَالطَّيْرُ الَّتِي تَطْيِيرُ مَعَهَا لِلْوُقُوعِ عَلَى الْقَتْلَى، فَإِذَا رَمَى عَسْكَرَهُ لَمْ يَبْقَ إِلَّا عِظَامُ الْجَمَاجِمِ؛ لَأَنَّ عَسْكَرَ الْخَيْلِ يَقْتَلُهُمْ، وَعَسْكَرَ الطَّيْرِ يَأْكُلُهُمْ.

وَالضَّمِيرُ فِي «بِهَا» يَعُودُ إِلَى الْخَيْلِ وَالطَّيْرِ [جَمِيعًا]<sup>(١٠٧)</sup>.

## أَجَلَّتْهَا مِنْ كُلِّ طَاغِيْ ثِيَابُهُ وَمَوْطِئُهَا مِنْ كُلِّ بَاغِ مَلَاجِمُهُ

الْمَلَاجِمُ: مَا حَوْلَ الْفَمِ، وَهِيَ مَوْضِعُ اللُّغَامِ.

يَقُولُ: أَجَلَّهُ خَيْلِهِ ثِيَابُ كُلِّ طَاغِيْ مِنْ مُلُوكِ الرُّومِ، وَمَوَاطِئُ حَوَافِرِهَا وَجْهُ كُلِّ بَاغِ مِنْهُمْ.

(١٠٠) - وَذَكَرَ أَبُو الْعَلاءِ فِي الْلَّامِعِ ١١٢٨ أَنَّهُ مَنْصُوبٌ عَلَى الْحَالِ مِنَ الْمُلُوكِ. وَانْظُرْ: الْمَعْجُزُ ٣ / ٢٢، وَالْمَوْضِعُ ٤ / ٤٨٢، وَالْتَّبَيَانُ ٣ / ٣٣٦.

(١٠١) - فِي الْمَطْبُوعَةِ: وَمَعْنَى الْبَيْتِ.

(١٠٢) - فِي الْمَطْبُوعَةِ: وَيُقَالُ أَيْضًا: الْمَيَاسِمُ، بِالْبَيَاءِ، عَلَى لَفْظِ الْمَبَسَّمِ. تَصْحِيفٌ.

(١٠٣) - فِي الْمَطْبُوعَةِ: يُضْرِبُ بِهِ.

(١٠٤) - فِي الْمَطْبُوعَةِ: حَدِيدَةٌ.

(١٠٥) - مَا بَيْنَ حَاصِرَتِينَ سَقْطٌ مِنَ الْمَطْبُوعَةِ.

(١٠٦) - فِي الْأَصْلِ: مَسْتَمْسِكَيْنِ.

(١٠٧) - مَا بَيْنَ حَاصِرَتِينَ لَيْسَ فِي الْمَطْبُوعَةِ.

(١٠٨) - مَا بَيْنَ حَاصِرَتِينَ لَيْسَ فِي الْأَصْلِ.

## فَقَدْ مَلَ ضَوْءُ الصُّبْحِ مِمَّا تُغَيِّرُهُ وَمَلَ سَوَادُ اللَّيلِ مِمَّا تُزَاحِمُهُ

أَرَادَ مِمَّا تُغَيِّرُ فِيهِ، فَحَذَفَ الْجَارَ، وَأَوْصَلَ الْفَعْلَ<sup>(١٠٩)</sup>، كَفُولُ الرَّاجِز<sup>(١١٠)</sup>:

فِي سَاعَةٍ يُحَبُّهَا الطَّعَامُ<sup>(١١١)</sup>

أَيْ: يُحَبُّ<sup>(١١٢)</sup> فِيهَا [الطَّعَام]<sup>(١١٢)</sup>. وَكَانُوا يُغَيِّرُونَ وَقْتَ الصُّبْحِ لِيَتَغَفَّلُوا الْقَوْمَ؛ وَلِذَلِكَ كَانُوا يَقُولُونَ عِنْ الدَّفَرَةِ: وَأَصْبَاهَا.  
يَقُولُ: لِكَثْرَةِ غَارَاتِكَ فِي وَقْتِ الصُّبْحِ قَدْ مَلَ الصُّبْحُ مِنْهَا، وَمَلَ اللَّيلُ مِنْ مُزَاحَمَتِكَ إِيَّاهُ، وَهُوَ أَنْ تَبْلُغَ<sup>(١١٣)</sup> كُلَّ  
مَوْضِعٍ يَبْلُغُهُ اللَّيلُ. هَذَا هُوَ الْمَعْنَى الْمَعْرُوفُ لِهَذَا الْبَيْتِ.  
وَالْتَّاءُ فِي «تُغَيِّرُهُ» وَ«تُزَاحِمُهُ»: يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ لِلْخَطَابِ  
وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ<sup>(١١٤)</sup> لِلْخَيْلِ.

وَقِيلَ فِي مَعْنَى هَذَا الْبَيْتِ: «تُغَيِّرُهُ»، تَحْمِلُهُ عَلَى الْغَيْرَةِ<sup>(١١٥)</sup> بِمَا<sup>(١١٦)</sup> يَزِيدُ عَلَى بَيَاضِهِ بَرِيقُ أَسْلَحَتِكَ، وَتُزَاحِمُ  
اللَّيلَ فَتَذَهَّبُ ظُلْمَتَهُ بِضَوْءِ أَسْلَحَتِكَ.

## وَمَلَ حَدِيدُ الْهِنْدِ مِمَّا تَلَاطِمُهُ وَمَلَ الْقَنَا مِمَّا تَدْقُ صُدُورُهُ

يَقُولُ: مَلَ رَمَاحُ الْأَعْدَاءِ مِنْ دَقَّكَ أَعْالِيَاهَا، وَمَلَتْ سُيُوفُهُمْ مِنْ مُلَاطِمَتِكَ إِيَّاهَا.

وَأَرَادَ بِالْمُلَاطِمةِ: مُقَابَلَتَهَا بِالْتَّرَسَةِ وَالْمَجَانِ، فَذَلِكَ مُلَاطِمةُ بَيْنَهَا<sup>(١١٧)</sup>.

وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ رَمَاحَ خَيْلِهِ وَسُيُوفِهِ<sup>(١١٨)</sup>، عَلَى أَنْ تَرْفَعَ الصُّدُورِ. يَقُولُ: مَلَتْ رَمَاحُكَ مِنْ كَثْرَةِ مَا تَدْقُ صُدُورُهَا  
أَعْدَاءَكَ، وَمَلَتْ سُيُوفُكَ مِنَ الشَّيءِ الَّذِي تُلَاطِمُهُ لِكَثْرَةِ وَقْعِهَا عَلَيْهِ.

## سَحَابٌ مِنَ الْعِقبَانِ يَرْحَفُ تَحْتَهَا سَحَابٌ إِذَا اسْتَسْقَتْ سَقْتَهَا صَوَارِمُهُ

جَعَلَ الْعِقبَانَ الَّتِي تَطِيرُ فَوْقَ خَيْلِهِ سَحَابًا، وَجَعَلَ خَيْلَهُ أَيْضًا سَحَابًا؛ لِمَا فِيهَا مِنْ بَرِيقِ الْأَسْلَحَةِ، وَصَبَّ الدَّمَاءِ،

(١٠٩) - في المطبوعة: وأَوْصَلَ الْهَاءَ.

(١١٠) - الْبَيْتُ بِلَا نِسْبَةٍ فِي: الْفَسْرُ / ٢، ٥٦١ / ٣، ٣٢٨، وَالْتَّقَامُ / ٩٤، وَأَمَالِيُّ ابْنِ الشَّجَرِيِّ / ٤، ٤٨٥، وَالْمَوْضِعُ / ٢٨٧، ٧ / ٣، ٢٢٦، وَمَصَادِرُ مَحْقَقَةٍ،  
وَالْتَّبَيَانُ / ٣، ٣٣٧، وَالْمَلَاخِدُ / ١، ١٨٠، ٢٠٥٧، ١٣٦ / ٣، ٢٠٥٧، وَالْتَّنْبِيلُ / ٨، ٨٦، وَالتَّمَهِيدُ / ٢٠٣٣.

(١١١) - في المطبوعة: تُجْبِهَا الطَّعَامًا. بَيْنَهَا الْفَعْلُ لِلْمُعْلَمَ، وَنَصْبُ الطَّعَامِ.

(١١٢) - أَيْ: في المطبوعة: تحبُّ.

(١١٣) - ما بَيْنَ حَاصِرَتِينَ لَيْسَ فِي الأَصْلِ.

(١١٤) - في المطبوعة: بِيَلَعَ.

(١١٥) - في الأصل: يكون.

(١١٦) - عَزَا ابْنُ سِيدِهِ فِي شَرْحِ الْمُشْكَلِ ١٦٠ هَذَا الْقَوْلُ إِلَى طَاهِرِ بْنِ الْحَسِينِ.

(١١٧) - في المطبوعة: مِمَّا.

(١١٨) - في المطبوعة: بَيْنَهُمَا.

(١١٩) - في المطبوعة: وَسِيَوفُهَا.

وَصَوْتُ الْأَبْطَالِ، وَجَعَلَ الْأَسْفَلَ يَسْقِي الْأَعْلَى إِغْرَابًا فِي الصَّنْعَةِ<sup>(١١٩)</sup>.

وَهَذَا الْمَعْنَى، وَهُوَ صُحْبَةُ الطَّيْرِ لِلْجَيْشِ، كَثِيرٌ فِي الشِّعْرِ. قَالَ الْأَفْوَهُ الْأَوْدِيُّ<sup>(١٢٠)</sup>:

وَتَرَى الطَّيْرَ عَلَى آثَارِنَا رَأَيَ عَيْنٍ ثِقَةً أَنْ سَتُمَارُ

مَعْنَاهُ: تُعْطِي الْمِيرَةَ بِمَا تَجِدُ مِنْ لُحُومِ الْقَتْلَى. وَمِثْلُهُ قَوْلُ النَّابِغَةِ<sup>(١٢١)</sup>:

عَصَائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ إِذَا مَا غَرَزُوا بِالْجَيْشِ حَلْقَ فَوَقُهُمْ

وَقَالَ أَبُو نُوَاسُ<sup>(١٢٢)</sup>:

ثِقَةً بِالشَّبْعِ مِنْ جَزْرِهِ

تَتَأْيِيْدَ الطَّيْرِ غَدْوَتَهُ

وَبَيْتُ الْمُتَكَبِّيِّ مِنْ قَوْلِ أَبِي تَمَّامَ<sup>(١٢٣)</sup>:

وَقَدْ ظَلَّتْ عَقْبَانُ أَعْلَامَهُ ضَحَّى  
أَقَامَتْ مَعَ الرَّأْيَاتِ حَتَّى كَانَهَا

[١٣٤] [ب]

عَلَى ظَهْرِ عَزْمٍ مُؤْيَدَاتِ قَوَائِمُهُ

سَلَكْتُ صُرُوفَ الدَّهْرِ حَتَّى لَقِيَتُهُ

أَيْ: خُضْتُ حَوَادِثَ الدَّهْرِ حَتَّى لَقِيَتُ سَيْفَ الدَّوْلَةِ. يَصُفُّ كَثْرَةً مَا عَانَى مِنَ الْحَوَادِثِ حَتَّى بَلَغَهُ.  
وَجَعَلَ عَزْمَهُ مَرْكُوبَهُ؛ لَأَنَّهُ بِعَزْمِهِ يُسَافِرُ. وَاسْتَعَارَ لَهُ ظَهِيرًا لِمَا كَانَ مَحْمُولَ عَزْمِهِ. وَلَمَّا اسْتَعَارَ لَهُ الظَّهِيرَ  
اسْتَعَارَ لَهُ الْقَوَائِمَ، وَجَعَلَهَا «مُؤْيَدَات»: مُؤْيَدَاتٍ، مِنْ آيَيْهُ، إِذَا قَوَاهُ.

مَهَالِكَ لَمْ تَصْحَّبْ بِهَا الذَّئْبَ نَفْسُهُ

(١١٩) - انظر: شرح المشكل ١٦٢-١٦١. وذكر ابن سيده أنَّ الْبَيْتَ يُروى أَيْضًا: «يَزْحَفُ فَوْقَهَا»، فيكون «العقبان» في أول الْبَيْتِ كِتَابَةً عن الخيل.

(١٢٠) - في ديوانه ٧٧. والْبَيْتُ في: الموازنة ١ / ٦٦، والوسطاء ٢٧٤، والنصف ٢٧٤، والصَّاعِتين ١٨٨، واللامع ٢٢٥، واللامع ٦٧٧، والمشكل ٦٦١، وزهر الأدب ١٠٧١، وأمالي ابن الشجري ٢٣٧، والذخيرة ١ / ٢٨٢، والذخيرة ١ / ١٣٧، والتبيان ٢ / ٢٣٩، والماخذ ٧٨ / ٢.

(١٢١) - في ديوانه ٤٢. والْبَيْتُ في: الحيوان ٦ / ٤٨٤، ٤٨٤ / ٧، ١٢، والشعر والشِّعْراء ١٦٧، والمعاني الكبير ١ / ٢٨٣، والوسطاء ٢٧٤، والنصف ١٨٨، ٦٦٧، وابن الإفلي ١ / ١٦٧، واللامع ٦٧٧، وزهر الأدب ١٠٦٩، ومحاضرات الأدباء ٢ / ١٨٧، ٧٠٩، وأمالي ابن الشجري ٣ / ١٢٨، والذخيرة ١ / ٢٨٤، وخريدة القصر ١ / ٢٦١، والخمسة المغربية ١ / ١٢٤، والتبيان ٣ / ٣٣٩، والمثل السائر ٣ / ٢٨١، والماخذ ٢ / ٧٨، وضرائر الشعر ٢٢، ٢٨٤ / ٢٨٩، ووفيات الأعيان ٦ / ٣٣١، ٣٣٥، والتدر الفريد ٢ / ٤٣٦، ٢١٠، والتمهيد ٤٠٨١، والمقاصد الشافية ٥ / ٦٨٨، والصبح ١ / ٥١، والخزانة ٤ / ٢٨٩.

(١٢٢) - في ديوانه (الحديثي) ٢٧٨. والْبَيْتُ في: الموازنة ١ / ٦٧، والوسطاء ٢٧٤، والنصف ١٨٨، واللامع ٦٧٧، وزهر الأدب ١٠٧١، وأمالي ابن الشجري ٣ / ١٣٨، والتذكرة الحمدونية ٤ / ٤٦، والخمسة المغربية ١ / ٢٨٤، والتبيان ٣ / ٣٣٩، والمطرب ١٦٢، والماخذ ٢ / ٧٨، ٨١ / ٣، والخزانة ٤ / ١٤١، والخزانة ٤ / ٢٩٠. تَتَأْيِيْدَ تَرْقُبَهُ وَالجَزَرِ: الْقَتْلَى.

(١٢٣) - في ديوانه ٣ / ٨٢. والْبَيْتُ في: الموازنة ١ / ٦٥، ٣٣٧ / ٣، ٣٣٧، والإبانة ٦٤، وزهر الأدب ١٠٦٩، ومحاضرات الأدباء ٢ / ١٨٨، وأمالي ابن الشجري ٣ / ١٣٩، والذخيرة ١ / ٢٨٤، والخمسة المغربية ١ / ٣٨٣، والتبيان ٣ / ٣٣٩، والمطرب ٦١، والمثل السائر ٣ / ٢٨٢، ووفيات

الأعيان ٦ / ٢٣٥، والخزانة ٤ / ٥٢، والصبح ١ / ٥٢، والخزانة ٤ / ٢٩٠.

(١٢٤) - في ديوانه ٣ / ٦٥. والْبَيْتُ في: الموازنة ١ / ٦٥، ٣٣٧ / ٣، والوسطاء ٢٧٤، والإبانة ٦٤، وزهر الأدب ١٠٦٩، ومحاضرات الأدباء ٢ / ١٨٨، وأمالي ابن الشجري ٣ / ١٣٩، والذخيرة ١ / ٢٨٤، والخمسة المغربية ١ / ٣٨٣، والتبيان ٣ / ٣٣٩، والمطرب ٦١، والمثل السائر ٣ / ٢٨٢، ووفيات

الأعيان ٦ / ٢٣٥، والخزانة ٤ / ٥٢، والصبح ١ / ٥٢، والخزانة ٤ / ٢٩٠.

نَصَبَ «مَهَالِكَ» كَأَنَّهَا أَبْدَلَهَا مِنَ الْصُّرُوفِ<sup>(١٢٤)</sup>. وَلَيْسَ انتصاَبُهَا عَلَى الْبَدَلِ؛ لَأَنَّهَا لَا تَكُونُ مِنْ صُرُوفِ الدَّهْرِ فِي شَيْءٍ، وَلَكِنَّهَا مُنْتَصِبَةٌ بِفَعْلِ دَلِيلٍ عَلَيْهِ مَعْنَى الْكَلَامِ، كَأَنَّهُ قَالَ: قَطَعْتُ مَهَالِكَ لَوْ سَلَكَهَا الذِّئْبُ لَمْ تَصْبِحْهُ رُوحُهُ؛ لَأَنَّهُ يَمُوتُ فِيهَا جُوَاعًا، وَكَذَلِكَ الْغَرَبُ لَا يَقْطَعُهَا.

وَخَصَّ هَذِينَ؛ لَأَنَّهُمَا يَأْلَفَانِ<sup>(١٢٥)</sup> الْقِفَارَ وَالْمَوَاضِعَ الْبَعِيدَةَ مِنَ النَّاسِ؛ وَلِهَذَا يُقَالُ لَهُمَا: الْأَصْرَمَانِ. وَإِذَا لَمْ يَقْطَعَا هَا فَغَيْرُهُمَا [أَعْجَزُ]<sup>(١٢٦)</sup>.

**وَخَاطَبْتُ بَحْرًا لَا يَرَى الْعِبْرَ عَائِمَّهُ**  
يَقُولُ: أَبْصَرْتُ مِنْ سَيْفِ الدَّوْلَةِ بَدْرًا فِي الصَّبَاحَةِ وَالظَّلَاقَةِ لَا يَرَى بَدْرُ السَّمَاءِ مِثْلُهُ مَعَ اطْلَاعِهِ عَلَى الدُّنْيَا كُلُّهَا، وَخَاطَبْتُ مِنْهُ بَحْرًا لَا يَرَى السَّابِعُ فِي سَاحِلِهِ.

**بِلَا وَاصِفٍ وَالشِّعْرُ تَهْذِي طَمَاطِمُهُ**  
يَقُولُ: لَمَّا رَأَيْتُ صَفَاتَهُ لَا وَاصِفٌ لَهَا مَعَ كَثْرَةِ طَمَاطِمِ الشِّعْرِ -يَعْنِي شُعَرَاءَ<sup>(١٢٧)</sup> الَّذِينَ يَمْدُحُونَهُ- فَغَضِبْتُ لِأَجْلِهِ. وَسَبَبْتُ غَضِبَهِ قُصُورُ شُعَرَائِهِ عَنْ بُلُوغِ وَصْفِهِ.

**سَرِيَّتُ فَكُنْتُ السَّرَّ وَاللَّيْلُ كَاتِمُهُ**  
يَقُولُ: كُنْتُ إِذَا قَصَدْتُ أَرْضًا بَعِيدَةً سَرِيَّتُ بِاللَّيْلِ مُشْتَمِلًا بِالظَّلَامِ كَأَنِّي سَرُّ وَاللَّيْلُ يَكْتُمُ ذَلِكَ السَّرَّ. وَهَذَا مَنْقُولٌ مِنْ قَوْلِ الْبُحْتَرِيِّ<sup>(١٢٨)</sup>:

**وَطَيْكَ سِرًا لَوْ<sup>(١٢٩)</sup> تَكَلَّفَ طَيْهُ**  
وَأَخَذَ الصَّاحِبُ هَذَا الْمَعْنَى فَقَالَ<sup>(١٣٠)</sup>:  
**تَجَشَّمْتُهُ وَاللَّيْلُ وَحْدَهُ جَنَاحُهُ**  
**لَقَدْ سَلَ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْمَجْدُ مُعْلِمًا**  
يَقُولُ: هُوَ سَيْفُ سَلَهُ<sup>(١٣١)</sup> الْمَجْدُ. يَعْنِي أَنَّ الشَّرَفَ وَمَعَالِي الْأُمُورِ تَسْتَعْمِلُهُ وَتَحْمِلُهُ عَلَى قِتَالِ الْأَعْدَاءِ، فَلَا يُغْمِدُهُ الْمَجْدُ بَعْدَ أَنْ سَلَهُ، وَلَا يَتِيمُهُ الضَّرَبُ؛ لَأَنَّهُ لَيْسَ سَيْفًا مِنْ حَدِيدٍ يَنْثَلِمُ بِالضَّرَبِ.

(١٢٤) المعجز / ٢٦. وروايتهما بالرفع في: الديوان، ٢٤٨، والفسر / ٣، والواحة / ٣٣٩، والموضع / ٤٤٦.

(١٢٥) - في الأصل: بالغان.

(١٢٦) - ما بين حاصلتين سقط من الأصل.

(١٢٧) - في المطبوعة: الشعراة.

(١٢٨) - في ديوانه ٨٧٩. والبيت في: الزهرة، ٦٣٠، والواحة / ٣، والواحة / ٣٩٩، والواسطة / ٣٩١، والتبيان / ٣ / ٣٤٠.

(١٢٩) - في المطبوعة «سر» تحريف.

(١٣٠) - في الأصل: «لم» تحريف.

(١٣١) - في ديوانه ٢٢٥. والبيت في: اليتيمة / ١، والتبيان / ٣، ونهاية الأرب / ١، ٢١٥، والصبح / ١ / ٤٤٤. الْوَحْفُ: الشَّعْرُ الْكَثِيرُ. التَّاجُ (وَحْف).

(١٣٢) - في الأصل: «وَسَلَهُ».

(١٣٣) - المعلم: مَنْ شَهَرَ نَفْسَهُ بِعَصَابَةٍ أَوْ غَيْرِهَا فِي الْحَرْبِ الْفَسَرِ / ٣ / ٣٤١.

وَفِي يَدِ جَبَارِ السَّمَاوَاتِ قَائِمُهُ

عَلَى عَاتِقِ الْمَلْكِ<sup>(١٣١)</sup> الْأَغْرِّ نَجَادُهُ

عَنِ الْمَلْكِ الْأَغْرِّ<sup>(١٣١)</sup> : الْخَلِيفَةُ.

يَقُولُ: هُوَ سَيْفٌ يَتَّقَدِّدُ الْخَلِيفَةُ، وَيُمْضِيَ اللَّهُ تَعَالَى فِي أَعْدَاءِ دِينِهِ، فَهُوَ زَيْنُ الْخَلِيفَةِ، نَاصِرٌ لِدِينِ اللَّهِ تَعَالَى. وَمِثْلُهُ

لَأَبِي تَمَّامٍ<sup>(١٣٢)</sup> :

لَحْدٌ سِنَانٌ فِي يَدِ اللَّهِ عَامِلُهُ

لَقَدْ حَانَ مَنْ يُهْدِي سُوَيْدَاءَ قَلْبِهِ

وَمِثْلُهُ لَأَبِي الطَّيْبِ<sup>(١٣٣)</sup> :

وَأَنْتَ لِوَاءُ الدِّينِ وَاللَّهُ عَاقِدُ

فَأَنْتَ حُسَامُ الْمُلْكِ وَاللَّهُ خَارِبُ

وَتَدَخَّرُ الْأَمْوَالَ وَهُنَّ غَنَائِمُهُ

تَحَارِبُهُ الْأَعْدَاءُ وَهُنَّ عَبِيدُهُ

يَقُولُ: أَعْدَاءُهُ يُحَارِبُونَهُ وَهُنَّ عَبِيدُهُ؛ لَأَنَّهُ يَسْبِيْهُمْ فَيُسْتَرِّقُهُمْ وَيَمْلِكُ رِقَابَهُمْ. وَمَا يَدْخِرُونَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ غَنَائِمُهُ؛

لَأَنَّهُ يَحْتَوِيهَا بِالْإِغْرَارِ عَلَيْهَا.

وَيَسْتَعْظِمُونَ الدَّهْرَ وَالدَّهْرُ دُونَهُ

وَيَسْتَكْبِرُونَ الدَّهْرَ وَالدَّهْرُ دُونَهُ

يَقُولُ: هُمْ يَعْدُونَ الدَّهْرَ كَبِيرًا الْأَمْرُ، عَظِيمُ الشَّأْنِ؛ لِإِتْيَانِهِ بِحَوَادِثِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ. وَالدَّهْرُ دُونَهُ؛ لِأَنَّهُ طَوْعُهُ.

وَيَسْتَعْظِمُونَ الْمَوْتَ؛ لَأَنَّهُ أَعْظَمُ حَادِثٍ. وَالْمَوْتُ خَادِمُهُ؛ لَأَنَّهُ يُطِيعُهُ فِي أَعْدَاءِهِ.

وَإِنَّ الَّذِي سَمَّى عَلَيَا مَنْصِفَ

وَإِنَّ الَّذِي سَمَّاهُ سَيْفًا لَظَالِمٌ

يَقُولُ: إِنَّ[١٣٤] الَّذِي سَمَّاهُ عَلَيَا فَقَدْ سَمَّاهُ بِمَا يَسْتَحِقُهُ مِنَ الْوَاصْفِ بِالْعُلُوِّ، وَقَدْ أَنْصَفَهُ. وَالَّذِي سَمَّاهُ سَيْفًا فَقَدْ

ظَلَمَهُ؛ لَأَنَّ السَّيْفَ، وَإِنْ عَظُمَ أَثْرُهُ، فَهُوَ جَمَادٌ، وَلَأَنَّ السَّيْفَ لَا يَقْطَعُ مَا يَقْطَعُهُ. [وَهُوَ قَوْلُهُ]<sup>(١٣٥)</sup>

وَتَقْطَعُ لَزْبَاتِ الزَّمَانِ مَكَارِمُهُ

وَمَا كُلُّ سَيْفٍ يَقْطَعُ الْهَامَ حَدُّهُ

ذَكَرَ فَضْلَهُ فِي هَذَا الْبَيْتِ عَلَى السَّيْفِ.

يَقُولُ: قَدْ يَنْبُو حَدُّ السَّيْفِ عَنْ قَطْعِ الْهَامِ، وَمَكَارِمُ الْمَدُودِ تُذَهِّبُ شَدَائِدَ الرَّمَانِ وَتَقْطَعُهَا عَنِ<sup>(١٣٦)</sup> الْبَرِّيَّةِ؛ فَمِنْ

أَيْنِ يُشْبِهُ فِعْلَهُ فَعْلَ السَّيْفِ حَتَّى يُطَلَّقَ عَلَيْهِ اسْمُهُ!<sup>[١٣٥]</sup>

(١٣١) - ضَبَطَتْ فِي الأَصْلِ «الْمَلْكُ». وَهِيَ فِي الْدِيْوَانِ ٢٤٨، وَالْفَسْرِ ٣٤١، وَاللَّامِعِ ١١٣١، وَالْمَعْجَزِ ٢٧/٤٨٧، وَالتَّبَيَّانِ ٣٤١: «الْمَلْكُ». وَذَكَرَ أَبُو الرَّشِيدِ الْمَعْرِيُّ فِي تَفْسِيرِ أَبْيَاتِ الْمَعْانِي ٢٣٠ أَنَّ مَنْ رَوَاهَا بِضَمْنِ الْمَيْمَنِ جَعَلَ الْمَلْكَ مُتَّقَدِّدًا لِسَيْفِ الدُّوْلَةِ، يَعْنِي مُلْكَ بْنِ الْعَبَاسِ، وَمِنْ فَتْحِ الْمَيْمَنِ فِي الْمَلَرَادِ الْخَلِيفَةِ.

(١٣١) - فِي الْمُطبَوعَةِ فِي الْمَوْضِعَيْنِ: الْبَيْتُ وَالشَّرْحُ: «الْأَعْنَ». (١٣٢) - فِي دِيْوَانِهِ ٣/٢٧. وَالْبَيْتُ فِي: الْمُحَبُّ وَالْمُحَبُوبِ ١/١٥٨، وَالْوَسَاطَةِ ٢٨٥، وَالذِّخِيرَةِ ١/٤٤٧، وَالْحَمَاسَةِ الْمَغْرِبِيَّةِ ١/٣٢٠، وَالتَّبَيَّانِ ٣/٢٤١.

(١٣٢) - فِي دِيْوَانِهِ ٣١٤. وَالْبَيْتُ فِي: الْمُحَبُّ وَالْمُحَبُوبِ ١/١٥٧، وَالْوَسَاطَةِ ٢٨٥، وَالذِّخِيرَةِ ١/٣٩، وَابْنِ الْإِفْلَيْلِيِّ ١/٣٨٧، وَقَسْرِ الْفَسْرِ ١/٤٩، وَأَيْمَانِ الْعَصْرِ ٤/١٦٥، وَالصَّبِحِ ٢/٢٩٩. وَسَيَّاْتِي فِي مَوْضِعِهِ مِنْ شَرْحِ الْدِيْوَانِ.

(١٣٤) - مَا بَيْنَ حَاسِرَتَيْنِ لَيْسَ فِي الأَصْلِ.

(١٣٥) - مَا بَيْنَ حَاسِرَتَيْنِ لَيْسَ فِي الْمُطبَوعَةِ.

(١٣٦) - كَذَا فِي الْمُطبَوعَةِ وَالتَّبَيَّانِ ٣/٢٢٤. وَفِي الأَصْلِ: مِنْ.

## فهرس المصادر والمراجع

- ١- الإبانة عن سرقات المتنبي لفظاً ومعنى للعميدى، تحقيق إبراهيم الدسوقي البساطى، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦١ م.
- ٢- الأمثال السائرة من شعر المتنبي للصاحب بن عباد، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين، مكتبة النهضة، بغداد، ط١، ١٩٦٥ م.
- ٣- الأعلام للزركلى، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥٠٢، ٢٠٠٢ م.
- ٤- أعيان العصر وأعوان النصر للصفدى، تحقيق د. نبيل أبو عمشة، ود. محمد موعد، ود. علي أبو زيد، ود. محمود سالم محمد، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٨ م.
- ٥- الاقتضاب في شرح أدب الكتاب لابن السيد البطليوسى، تحقيق مصطفى السقا وحامد عبد المجيد، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ١٩٩٦ م.
- ٦- أمالى ابن الشجري، تحقيق د. محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٩٢ م.
- ٧- الأمالى لأبى علي القالى، ومعه الذيل والنواود والتنبيه، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢ م.
- ٨- إنباء الرواية على أنباء النهاة للفقطى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية (مصورّة عن دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٩٨٦ م)، بيروت، ٢٠٠٩ م.
- ٩- بغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم، تحقيق د. سهيل زكار، دار الفكر.
- ١٠- البيان والتبيين للجاحظ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣ هـ.
- ١١- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للذهبي، تحقيق د. بشار معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٣ م.
- ١٢- تاريخ بغداد، للخطيب البغدادى، تحقيق د. بشار معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠١ م.
- ١٣- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، تحقيق عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥ م.
- ١٤- التبيان في شرح الديوان المنسوب لأبى البقاء العكجرى، تحقيق مصطفى السقا وصاحبته، دار المعرفة، بيروت.
- ١٥- التذليل والتكميل في شرح كتاب التسهيل لأبى حيان الأندلسى، تحقيق د. حسن هنداوى، صدر منجماً عن دارى القلم بدمشق وكذوز إشبيلية بالرياض، في الأعوام ١٩٩٧-٢٠٢١ م. ولما يتم.
- ١٦- تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب المتنبي لأبى المرشد المعري، تحقيق مجاهد الصواف ومحسن غياض، دار المؤمن للتراث، دمشق، ١٩٧٩ م.
- ١٧- التذكرة الحمدونية لابن حمدون البغدادى، تحقيق إحسان عباس وبكر عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١٧ هـ.

- ١٨- التمام في تفسير أشعار هذيل مما أغفله أبو سعيد السكري لابن جنى، تحقيق ناجي القيسي وأحمد مطلوب وخدية الحديثي، بغداد، ١٣٨١هـ.
- ١٩- التمثيل والمحاضرة للشعالي، تحقيق عبد الفتاح الحلو، الدار العربية للكتاب، ط٢، ١٩٨١م.
- ٢٠- تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد لنظر الجيش، تحقيق د. علي محمد فاخر وأصحابه، دار السلام، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م.
- ٢١- تهذيب اللغة للأزهري، تحقيق محمد عوض مرعب و أصحابه، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- ٢٢- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للشعالي، دار المعارف، القاهرة.
- ٢٣- الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافعي لأبي الفرج المعافى بن زكريا، تحقيق عبد الكريم سامي الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.
- ٢٤- جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٩٨٨م.
- ٢٥- الحماسة لأبي تمام برواية الصولي، تحقيق د. عبد الله عبد الرحيم عسيلان، المجمع الثقافي، أبوظبي، ط١، ٢٠١٤م.
- ٢٦- حماسة الظرفاء من أشعار المحدثين والظرفاء للعبد لكانى الزوزني، تحقيق خليل عمران منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.
- ٢٧- الحماسة المغربية لأبي العباس أحمد بن عبد السلام الجراوي، تحقيق محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، ١٩٩١م.
- ٢٨- الحماسة البصرية للحسن البصري، تحقيق د. عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- ٢٩- الحيوان للجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٣٠- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٩م.
- ٣١- الدر الفريد وبيت القصيد لابن أيدمر المستعصمي، تحقيق د. كامل الجبورى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١٥م.
- ٣٢- ديوان الأعور الشنّي، تحقيق ضياء الدين الحيدري، دار المواهب، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.
- ٣٣- ديوان الأفوه الأودي، تحقيق د. محمد التونجي، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
- ٣٤- ديوان البحترى، تحقيق حسن كامل الصيرفى، دار المعارف، القاهرة.
- ٣٥- ديوان أبي تمام بشرح التبريزى، تحقيق محمد عبده عزام، دار المعارف، القاهرة.

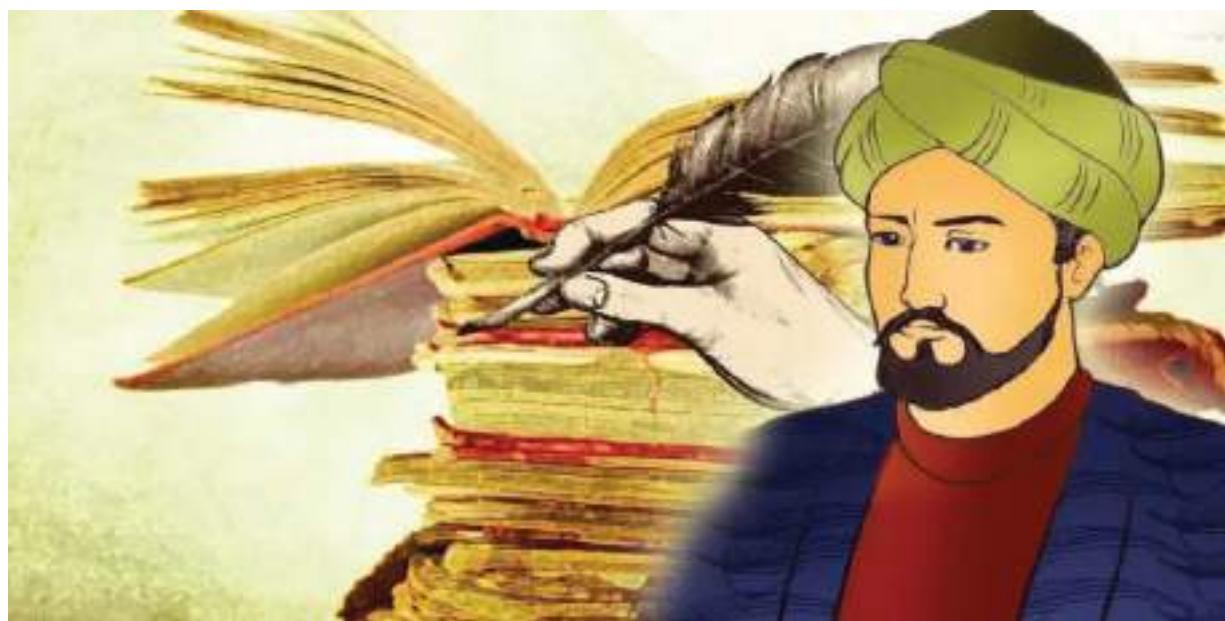
- ٣٦- ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب، تحقيق د. نعمان أمين طه، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٦ م.
- ٣٧- ديوان ابن الرومي، تحقيق د. حسين نصار، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٣ م.
- ٣٨- ديوان السري الرفاء، تحقيق د. حبيب حسين الحسيني، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨١ م.
- ٣٩- ديوان الصاحب بن عباد، تحقيق محمد حسن آل ياسين، دار القلم، بيروت، مكتبة النهضة، بيروت-بغداد.
- ٤٠- ديوان طفيلي الغنوبي بشرح الأصمعي، تحقيق حسان فلاح أوغلي، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٧.
- ٤١- ديوان أبي الطيب المتنبي، تحقيق د. عبد الوهاب عزام، لجنة التأليف والترجمة والنشر.
- ٤٢- ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح الواحدي، تصحيح فريدرك ديتريصي، نشرة برلين، ١٨٦١ م.
- ونشرة أخرى تحقيق د. ياسين الأيوبي، ود. قصي الحسين، دار الرائد العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٩ م.
- ٤٣- ديوان عدي بن الرقاع العاملی، تحقيق د. حسن محمد نور الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٠.
- ٤٤- ديوان المعاني لأبي هلال العسكري، دار الجيل، بيروت.
- ٤٥- ديوان النابغة الذبياني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٨٥ م.
- ٤٦- ديوان أبي نواس، تحقيق د. بهجت الحديثي، المجمع الثقافي، أبوظبي، ط١، ٢٠١٠.
- ٤٧- الذخيرة في محسنات أهل الجزيرة، لابن بسام الشنتريني، تحقيق إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا-تونس، ١٩٧٨ - ١٩٨١ م.
- ٤٨- الزاهر في معاني كلمات الناس لأبي بكر بن الأنباري، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٢ م.
- ٤٩- زهر الآداب وثمر الألباب، للحصري القيرياني، دار الجيل، بيروت.
- ٥٠- زهر الأكم في الأمثال والحكم للحسن اليوسفي، تحقيق د. محمد حجي، ود. محمد الأخضر، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨١ م.
- ٥١- سفر السعادة وسفير الإفادة لعلم الدين السخاوي، تحقيق د. محمد الدالي، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥ م.
- ٥٢- س茗ط اللائي في شرح أمالى القالى للبكري، تحقيق عبد العزيز الميمنى، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٥٣- سير أعلام النبلاء للذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٣ م.
- ٥٤- شرح ديوان أبي الطيب المتنبي (معجز أحمد) لأبي العلاء المعري، تحقيق د. عبد المجيد دياپ، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٦ م.

- ٥٥- شرح ديوان الحماسة للتبريزى، دار القلم، بيروت.
- ٥٦- شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، تحقيق غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.
- ٥٧- شرح ديوان الفرزدق، تحقيق عبد الله إسماعيل الصاوي، القاهرة، ط١، ١٩٣٦م.
- ٥٨- شرح شعر المتنبى لابن الإفليلى، تحقيق د. مصطفى عليان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.
- ٥٩- شرح كتاب الحماسة لزيد بن علي الفارسي، تحقيق د. محمد عثمان علي، دار الأوزاعي، بيروت.
- ٦٠- شرح كتاب سيبويه للسيرافي، تحقيق أحمد حسن ورفيقه؛ دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.
- ٦١- شرح المشكل من شعر المتنبى لابن سيده، تحقيق مصطفى السقا، ود. حامد عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٦م.
- ٦٢- شرح المعلقات السبع للزؤذنى، أبو عبد الله، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.
- ٦٣- شرح نفائض جرير والفرزدق لأبي عبيدة معمر بن المثنى (برواية اليزيدي عن السكري عن ابن حبيب عنه)، تحقيق: محمد إبراهيم حور، وليد محمود خالص، المجمع الثقافي، أبو ظبى، ط٢، ١٩٩٨م.
- ٦٤- شعر إبراهيم بن هرمة القرشى، تحقيق محمد نفاع وحسين عطوان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٦٩م.
- ٦٥- شعر عبد الصمد بن المعتذل، تحقيق زهير غازي زاهد، المجمع العلمي العراقي، النجف، ١٩٧٠.
- ٦٦- الشعر والشعراء لابن قتيبة، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط٣، ٢٠٠١م.
- ٦٧- شعر يزيد بن الطُّرثُرَى، صنعة د. حاتم الضامن، وزارة الإعلام العراقية، بغداد، ١٩٧٣.
- ٦٨- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم لنُشوان بن سعيد الحميري، تحقيق د. حسين بن عبد الله العمري وصاحبها، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٩٩م.
- ٦٩- الصُّبُحُ الْمُنْبِىِّ عن حيثية المتنبى ليوسف البديعى، المطبعة العامرة، ط١، ١٣٠٨هـ.
- ٧٠- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) للجوهرى، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٨٤م.
- ٧١- الصناعتين لأبي هلال العسكري، تحقيق علي الجاجوى و محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩هـ.
- ٧٢- ضرائر الشعر لابن عصفور، تحقيق السيد إبراهيم محمد، دار الأندلس، بيروت، ط٢، ١٩٨٢م.
- ٧٣- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ليحيى بن حمزة العلوى، المكتبة العنصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.
- ٧٤- العقد الفريد لابن عبد ربه، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

- ٧٥- **العمدة في محسن الشعر وأدابه** لابن رشيق القمياني، تحقيق محمد محبي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط٥، ١٩٨١م.
- ٧٦- **غريب الحديث للحربي**، تحقيق د. سليمان إبراهيم محمد العايد، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٥هـ.
- ٧٧- **غريب الحديث** لابن قتيبة، تحقيق د. عبد الله الجبوري، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط٢، ٢٠١٠م.
- ٧٨- **الفائق في غريب الحديث والأثر للزمخشري**، تحقيق علي البحاري ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت.
- ٧٩- **الفتح على أبي الفتح** لابن فورجة، تحقيق عبد الكريم الدجلي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط٢، ١٩٨٧م.
- ٨٠- **الفسر** لابن جنّي، تحقيق د. رضا رجب، دار الينابيع، دمشق، ط١، ٢٠٠٤م.
- ٨١- **قشر الفسر لأبي سهل الزوزني**، تحقيق د. عبد العزيز بن ناصر المانع، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط١، ٢٠٠٦م.
- ٨٢- **الكشف عن مساوىء شعر المتنبي** للصاحب بن عباد، تحقيق محمد حسن آل ياسين، مكتبة النهضة، بغداد، ط١، ١٩٦٥م.
- ٨٣- **اللامع العزيزي** شرح ديوان المتنبي لأبي العلاء المعري، تحقيق محمد سعيد المولوي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط١، ٢٠٠٨-٢٠١٢م.
- ٨٤- **باب الآداب للشعالي**، تحقيق: أحمد حسن لبع، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.
- ٨٥- **لسان العرب** لابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٩٩٤م.
- ٨٦- **لسان الميزان** لابن حجر العسقلاني، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.
- ٨٧- **اللطائف والظرائف للشعالي**، دار المناهل، بيروت.
- ٨٨- **المأخذ على شراح ديوان أبي الطيب المتنبي** لابن معقل الأزدي، تحقيق د. عبد العزيز المانع، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط١، ٢٠٠١م.
- ٨٩- **مجمع الأمثال للميداني**، تحقيق محمد محبي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت.
- ٩٠- **المجموع اللفيف** لأبي جعفر الأقطسي، تحقيق يحيى وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ.
- ٩١- **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء للراغب الأصفهاني**، دار الأرقام، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

- ٩٢- **المحب والمحبوب والمشمول والمشروب للستري الرفاء**، تحقيق مصباح غلاونجي وماجد حسن الذبي، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٨٦م.
- ٩٣- **المحتسب في تبيان وجوه شواد القراءات والإيضاح عنها لابن جنی**، تحقيق علي النجدي ناصف، عبد الفتاح إسماعيل، ود. عبد الحليم النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٣٨٦هـ.
- ٩٤- **مختصر تاريخ دمشق لابن منظور**، تحقيق روحية النحاس، ورياض مراد، ومحمد مطيع، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٨٤م.
- ٩٥- **المستقصى في أمثال العرب للزمخشري**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م.
- ٩٦- **مصارع العشاق للسراج القاري**، دار صادر، بيروت.
- ٩٧- **المطرب من أشعار أهل المغرب لابن دحية الكلبي**، تحقيق إبراهيم الأبياري وصاحبيه، دار العلم للجميع، بيروت، ١٩٥٥م.
- ٩٨- **المعاني الكبير لابن قتيبة**، صحة سالم الكرنكوي، صورته دار الكتب العلمية (عن مطبعة دائرة المعارف العثمانية، ١٩٤٩م)، بيروت، ط١، ١٩٨٤م.
- ٩٩- **معاهد التنصيص على شواهد التلخيص للعباسي**، تحقيق محمد محبي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت.
- ١٠٠- **معجز أحمد**= شرح ديوان أبي الطَّيْبِ الْمُتَّنَبِّيِّ.
- ١٠١- **معجم الأدباء لياقوت الحموي**، تحقيق د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.
- ١٠٢- **معجم البلدان لياقوت الحموي**، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م.
- ١٠٣- **معجم ديوان الأدب للفارابي**، تحقيق د. أحمد مختار عمر، مؤسسة دار الشعب، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- ١٠٤- **المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية للشاطبي**، تحقيق د. عبد الرحمن العثيمين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ٢٠٠٧م.
- ١٠٥- **الممتع في صنعة الشعر لعبد الكريم النهشلي القير沃اني**، تحقيق د. محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية.
- ١٠٦- **المذصف للسارق والمسروق منه في إظهار سرقات أبي الطَّيْبِ الْمُتَّنَبِّيِّ لابن وكيع**، تحقيق عمر خليفة بن إدريس، جامعة قات يونس، بنغازي، ط١، ١٩٩٤م.
- ١٠٧- **الموازنة بي شعر أبي تمام والبحترى للأمدي**، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ط٥، ٢٠٠٦م.
- ١٠٨- **الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء للمرزباني**، عُنيت بنشره جمعية نشر الكتب العربية بالقاهرة، ١٣٤٣هـ.

- ١٠٩ - **المُوضِحُ في شرح شعر أبي الطَّيِّبِ الْمُتَّبِّيِّ للخطيب التَّبرِيزِيِّ**، تحقيق د. خلف رشيد نعمان، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ٢٠٠٠ م.
- ١١٠ - **نزهَةُ الْأَلْبَاءِ في طبقاتِ الأَدْبَاءِ لابنِ الْأَنْبَارِيِّ**، تحقيق د. إبراهيم السامرائي، مكتبة المدار، الأردن، ط٣، ١٩٨٥ م.
- ١١١ - **نفحُ الطَّيِّبِ من غصنِ الأندلسِ الرَّطِيبِ لِلمَقْرِيِّ**، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٦٨ م.
- ١١٢ - **نهايةُ الْأَرْبَ في فنونِ الأَدْبِ لشَهَابِ الدِّينِ النَّوَيْرِيِّ**، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط١، ١٤٢٣ هـ.
- ١١٣ - **النوادرُ في اللُّغَةِ لِأَبِي زِيدِ الْأَنْصَارِيِّ**، تحقيق د. محمد عبد القادر أحمد، دار الشروق بيروت والقاهرة، ط١، ١٩٨١ م.
- ١١٤ - **الوافي بالوفياتِ لِلصفديِّ**، تحقيق مجموعة من الباحثين، طبع المعهد الألماني في بيروت.
- ١١٥ - **الوَسَاطَةُ بَيْنَ الْمُتَّبِّيِّ وَخُصُومِهِ لِلقاضِيِّ الجرجانيِّ**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد الباوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر.
- ١١٦ - **وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ وَأَنْبَاءُ أَبْنَاءِ الزَّمَانِ**، لابن خلكان، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، مصورة عن دار الثقافة، بيروت، ط١، ١٩٦٨ م.
- ١١٧ - **يَتِيمَةُ الْدَّهْرِ** في محاسن أهل العصر للشعاعي، تحقيق د. مفید قمیحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٣ م.

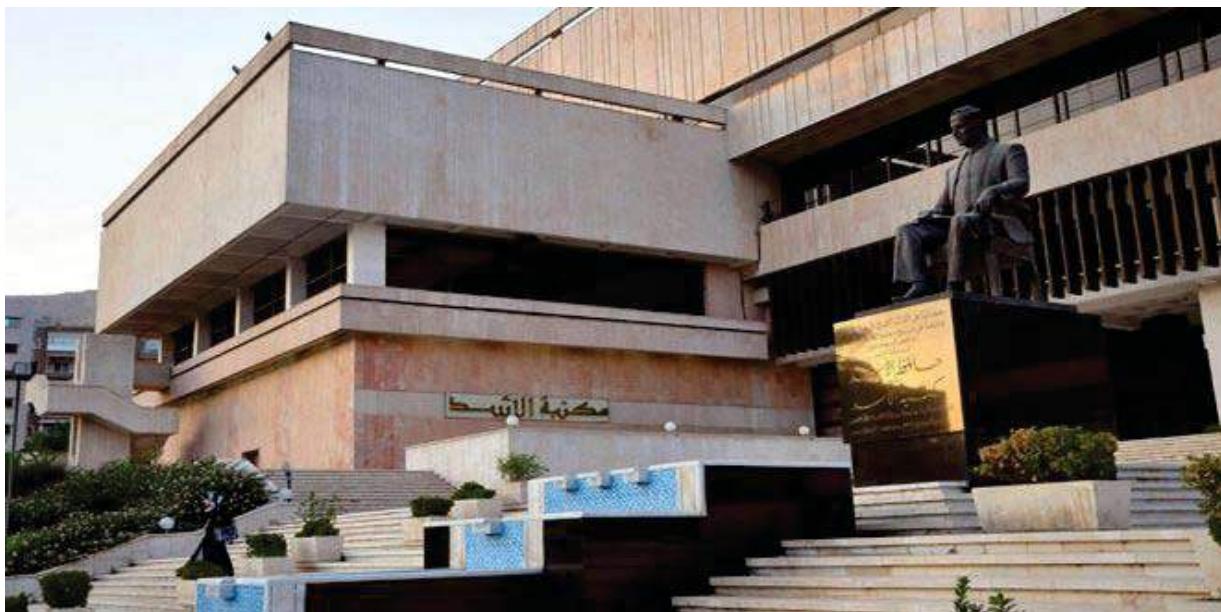


# تقديرات وإضاءات على خوارج المخطوطات

## مخطوطات مكتبة الأسد مثلاً

إياد فايز مرشد\*

تُعدُّ المخطوطاتُ العربيَّة تراثاً نفيساً ضخماً على مستوى العالم، وهي نتاج حضارةٍ كبرى، وإرثٍ حضاريٍّ بامتياز، وجزءٌ مهمٌّ من ذاكرةِ الوطن العربي، إذ تمثلُ هويَّةَ الأُمَّة، وحلقةَ وصلٍ بين الماضي والحاضر.



التراث العربي آفاقاً للدراسة، وألْفت حوله كتب عديدة في الوطن العربي لإبراز فضلاته على الثقافة العالمية، وقد أُعجب كثيراً من العلماء والمستشرقين الغربيين بعظمة هذا التراث العربي المخطوط، فانهمكوا في

ومازالت المخطوطاتُ حقلًا بكرًا، ومصدرًا إغراءً للباحثين الذين عملوا على الفحص في استكشاف معلوماتٍ قيمةٍ لإثراء الدراسات والأبحاث، ففتح

\* المدير العام لمكتبة الأسد الوطنية.

التاريخية، ووصولاً إلى دراسات السير وما يتعلق بالحرف والتجارات المختلفة<sup>(٦)</sup>.

واستفادَ الباحثون من النصوص الهمشريَّة، ومن التقييدات المدونة على الغلاف الداخليِّ والخارجيِّ، أو على صفة العنوان، وأحياناً في آخر المخطوطة عند حُرُد المتن.

وفي أحيان كثيرة نجد هذه التقييدات تفوق في أهميتها متن المخطوطة نفسه، وتتعدد ببيانات وقيود التوثيق في المخطوطات العربية، وهي تساعده في توثيق النسخ، ورفع قيمتها التاريخية والمادية.

واعتاد بعض النسخ أو المؤلفين أن يدونوا ما يرونَه مهمًا في حياتهم من فوائد، وأشعار، أو أحداث مهمة، أو ترجمة لبعض العلماء في ظهور الأغافلة؛ لقلة الورق، أو عدم القدرة على شرائطه.

#### أهمية دراسة هذه التقييدات:

إنَّ الأهداف الرئيسيَّة التي ترمي إليها هذه الدراسة هي التعريف بالقيود التي دُونَت على المخطوطات؛ لإبراز أهم أنواعها، وتحليل سماتها، وخصائصها الموضوعيَّة، والتأكُّد من وجود معلومات لهادلة علميَّة وتاريخيَّة، تمثل أهميَّة خاصة للمؤرخين والباحثين في المجالات الثقافية، والاقتصادية، والاجتماعية<sup>(٧)</sup>.

وتهدُّ إلى الوقوف على خوارج النصِّ التي تُعدُّ سمة بارزةً لثقافة المخطوط العربي وإلى التعريف بجانب مهمٍّ من جوانب علم المخطوطات أو الكوديكولوجيا الذي هو علم المخطوط بالمفهوم الحديث، ودراسة المخطوط كونه قطعة ماديَّة، وهذا المصطلح من وضع العالم الفرنسي (ألفونس دان)، والكلمة مركبةٌ من اللفظة اللاتينية (كوديكس)؛ أي: الكتاب، ومن اللفظة اليونانية (لوجوس) بمعنى: علم دراسة، وقد دخلت المعجم الفرنسي سنة ١٩٥٩ م<sup>(٨)</sup>.

إعداد البحوث والدراسات لإبراز هذا التراث، ومنهمالأمريكي «دونكان بلاك ماكونالد» الذي كان عضواً مرسلاً في المجتمع العلمي العربي بدمشق<sup>(٩)</sup>.

ولم يُعد المخطوط ذلك النص المكتوب فقط، بل أصبح أثراً مادياً يحملُ بين طياته ملامح متعددة، لا تزال بحاجة إلى من يميِّز اللثام عنها، ويكشف شيئاً من جوانبها المجهولة<sup>(١٠)</sup>.

وللخلاف قيمةٌ أثريَّةٌ فَطَنَ لها علماءُ العربية، إذ لم يُحصر على عنوان المخطوط، بل دونَ عليه السَّماعات، القراءات، والإجازات، والمناولات، والمقابلات، والبلاغات، والمطالعات، والتملكات، والتقييدات، والوقفيات، مما يدخل تحت ما سماه الأوربيون «بخوارج النص»<sup>(١١)</sup>، وهي: البيانات التي تساعده على معرفة تاريخ المخطوط من مثل: التجليد، والكتابة، والورق، والرق، والتذهيب، والتملك، والوقف، والتَّوقيعات، والتصحيحات<sup>(١٢)</sup>، وتعيين المحقق على نشر الكتاب نشرًا علميًّا، إذ يُعرَفُ منها التاريخيُّ أو التقريريُّ الذي كُتِّبَ فيه النسخة، ورحلة المخطوط، وقد تفيد هذه الخوارج في معرفة المخطوطات المهجَّرة، ويسعى إليها في معرفة بعض الحوادث والتاريخ، وقد يُسبِّب فقدان الغلاف، أو انطمام بيانات مشكلاتٍ كثيرةً منها: تجرؤ بعض النسخ على إثبات عنوانٍ جديدٍ اعتماداً على الظن، ولكنَّ رجال التحقِّيق أدركوا ما يعتري الغلاف أحياناً من التدليس والتزييف، ولا سيما في العنوان واسم المؤلف، وذلك بعرضه على المصنفات الخاصة بالمؤلفين والمؤلفات<sup>(١٣)</sup>.

وبالنظر إلى المجموعة الواسعة التي نجدها في خوارج النصوص نجد أنها مثلت مصدراً غنياً للعديد من الحقول، بدايةً من تاريخ الفكر، ومروراً بالتاريخ الاجتماعي، والاقتصادي، والعمري، والطبوغرافي



التّاريـخ والتـرـاجـم، وكتـبـ الأـدـب، وإنـ كـانـتـ مـصـنـفـاتـهـمـ الآـخـرـىـ لـمـ تـخـلـ مـنـ الـاستـقـادـةـ مـنـهـاـ، فـكـثـيرـاـ مـاـ يـجـدـ النـاظـرـ فيـ كـتـبـ التـرـاثـ تـصـدـيرـ المـؤـلـفـ بـعـضـ كـلامـهـ: وـجـدـتـ، وـجـدـ عـلـىـ ظـهـرـ كـتـابـ كـذـاـ بـخـطـ فـلـانـ ...ـ قـرـأـتـ عـلـىـ ظـهـرـ كـتـابـ ...ـ رـأـيـتـ عـلـىـ ظـهـرـ كـتـابـ ...ـ إـلـخـ، فـنـجـدـهـمـ يـنـقـلـوـنـ: تـارـيـخـ مـيـلـادـ تـارـةـ وـوـفـاةـ أـخـرىـ، أوـ أـبـيـاتـ شـعـرـيـةـ مـسـتـمـلـحـةـ، أوـ قـائـمـةـ بـمـصـنـفـاتـ عـالـمـ ماـ، أوـ حـكـمـ عـالـمـ عـلـىـ كـتـابـ<sup>(١١)</sup>.

الـثـانـيـ: إـفـرـادـ مـصـنـفـاتـ لـجـمـعـ هـذـاـ النـوعـ مـنـ الفـوـائـدـ وـالـتـصـانـيـفـ فيـ هـذـاـ الـبـابـ قـلـيـلـةـ، وـالـقـدـيمـ مـنـهـاـ مـفـقـودـ<sup>(١٢)</sup>.

إـنـ جـلـ هـذـهـ التـقـيـيدـاتـ لـاـ عـلـاقـةـ تـرـبـطـهاـ بـمـنـ النـسـخـ المـشـبـبةـ عـلـيـهـاـ، وـلـاـ بـمـوـضـعـهـاـ، إـذـ نـجـدـ فـائـدـةـ فيـ النـحوـ أوـ الصـرـفـ، أوـ الـاعـقـادـ عـلـىـ نـسـخـةـ كـتـابـ تـتـضـمـنـ كـتابـاـ فيـ الطـبـ أوـ الـفـلـكـ أوـ الـرـياـضـيـاتـ، أوـ نـجـدـ وـثـيقـةـ تـارـيـخـيـةـ

لـكـنـ الأـسـتـاذـ «ـمـحمدـ صـابـرـ شـيخـمـوسـ»ـ يـرـىـ أـنـهـ منـ الـخـطـأـ تـرـجـمـةـ (ـكـوـديـكـولـوـجيـ)ـ أـنـهـ عـلـمـ الـكـتـابـ المـخـطـوـطـ، بلـ هوـ الـعـلـمـ الـأـثـارـيـ لـلـكـتـابـ<sup>(١٣)</sup>.

وـقـدـ ذـكـرـتـ الـبـاحـثـةـ (ـلـينـدـةـ شـقـرـةـ)ـ فـيـ مـقـالـهـاـ عـلـىـ أـنـ الـبـحـثـ فـيـ عـنـاصـرـ الـكـوـديـكـولـوـجيـاـ يـمـثـلـ الـمـرـحلـةـ الـأـسـاسـيـةـ فـيـ عـمـلـيـةـ نـقـدـ النـصـوصـ، كـمـاـ أـصـبـحـ مـنـ الـضـرـوريـ إـنـشـاءـ مـعـاهـدـ لـدـرـاسـةـ وـتـدـرـيـسـ عـلـمـ الـكـوـديـكـولـوـجيـاـ، وـكـذـاـ تـأـهـيلـ مـخـتصـينـ فـيـ هـذـاـ عـلـمـ يـكـونـونـ قـادـرـينـ عـلـىـ الـاـهـتـمـامـ وـالـعـنـايـةـ بـهـ<sup>(١٤)</sup>.

وـقـدـ اـعـتـنـىـ عـلـمـؤـنـاـ قـدـيمـاـ وـحـدـيـثـاـ بـهـذـاـ النـوعـ مـنـ التـقـيـيدـاتـ، وـيـمـكـنـ إـجـمـالـ مـظـاهـرـ اـعـتـنـائـهـمـ بـهـاـ فـيـ مـظـهـرـيـنـ أـسـاسـيـنـ:

الأـوـلـ: اـعـتـمـادـهـمـ عـلـيـهـاـ عـلـىـ أـنـهـاـ مـصـدـرـ مـنـ الـمـصـادـرـ الـتـيـ يـسـتـمـدـونـ مـنـهـاـ موـادـ تـصـانـيـفـهـمـ فـيـ شـتـىـ الـعـلـومـ وـالـفـنـونـ، وـأـكـثـرـ مـاـ يـظـهـرـ هـذـاـ الـاعـتـمـادـ فـيـ كـتـبـ

طرته، مما ليس له علاقة بنص المؤلف<sup>(١٩)</sup>، وظهرية المخطوط هي الصفحات الأولى من المخطوط أو صفحة العنوان<sup>(٢٠)</sup>.

أما غاشية المخطوطات فتطلق على الورقة الأخيرة من المخطوط التي يدون بها تقييد الخاتم، والغاشية لغة هي: السرّج أو الغطاء المزركش الذي يوضع على ظهر الفرس وفوق البردعة<sup>(٢١)</sup>، وهي الحلس الذي يُلقى تحت الرّحل، وخص بعضهم به الحمار<sup>(٢٢)</sup>. وفي هذه الدراسة سأذكر بعض هذه التقييدات، وهي تقييدات التملك، والمطالعة، والإعارة، والأبيات الشعرية والألغاز، والفوائد، والنسخ، وكلمة كبييج التي ترد أحياناً في غاشية المخطوط، ويمكن أن تكون بقية التقييدات من إجازات وسماعات وتصحيحات ومقابلات موضوعاً لبحث آخر.

#### تقيدات التملك:

من التقييدات التي صيدت من طرر المخطوطات تقيدات التملك، فقد كانت المخطوطات العربية على امتداد التاريخ الإسلامي تكتب وتُنسخ لأغراض متعددة، فالمؤلف الذي يُعد مسؤودة أو مبِيضة لأحد مؤلفاته يكون دائمًا هو مالك هذه النسخة و أصحابها الأول.

كذلك فإنَّ العلماء وطلبة العلم الذين ينسخون نسخاً من كتب مؤلفين آخرين لاستخدامهم الشخصي يكونون هم المالكين الأول لهذه النسخ، ودائماً يكون قيد الفراغ من كتابة هذه النسخ بالصيغة الآتية:

على يد كاتبه وصاحبه أو

كتبه لنفسه ولمن شاء الله تعالى منْ بعده  
أو فرغ من تحريره .. لنفسه.

ويدخل ضمن هذه النوعية الكتب التي يطلب السلاطين والملوك والأمراء وكبار العلماء كتابة نسخ

غايةً في الأهمية، مختبئاً بذيل كتاب في القراءات، أو ورقاً طائراً في بطن كتاب حوتاً عن نسخة خطية نفيسة<sup>(١٣)</sup>. وقد تخلوا هذه التقييدات من قيمة توهّلها لأن يعني بها، لهذا يزهد محققو هذه النسخ ومفهروها في الإشارة إليها وتقييدها وتحريرها فتموت، ويموت ما فيها من علم وخبر<sup>(١٤)</sup>.

إن تاريخ الكتابة على طرر الكتب قديم، ولا يُستبعد أن يكون في القرن الثاني الهجري، على أن الاهتمام بها غالباً بعد توافرها، ويعتقد أنه كان في القرن الرابع الهجري<sup>(١٥)</sup>، أما طرّة المخطوط فهي الفراغ الموجود على جانبي الصفحة، والهامش الذي يترك في أعلى الكتاب في المكاتب العثمانية<sup>(١٦)</sup>.

يذكر القزويني أن القاضي (أبا القاسم عبد الملك بن أحمد بن المعافى القزويني) كان كثيراً الجمع والكتابة، حسن الخط، يتهاداه الناس فيما بينهم، سافر وخالف نبلاء العصر<sup>(١٧)</sup>.

وقال: رأيت بخطه: حضر عندي الشيخ الرئيس (أبو الحسن علي بن الحسن البجلي)، وأنا بأصبهان سنة خمسئة، وقد خرّجت له ما في الصناديق من الكتب، فأخذ يتأمل على ما في ظهورها، وقال لي:

لو جمع ما على ظهور هذه الكتب لكان رئيس مال عالم، فقلت له: روى لنا الشيخ (أبو زكرياء يحيى بن علي الخطيب التبريزي) ت ٥٠٢ هـ، عن أبي القاسم الرقّي، أنه كان يروي عن بعض مشايخ الأدب وقد مرض، أنه قيل له: ما تشتهي؟ فقال: ظهور الكتب، وأكباد الحساد، وأعين الرقباء<sup>(١٨)</sup>.

وقيود التوثيق في المخطوطات هي مجموعة من المصطلحات المثبتة على المخطوطات التي تحتوي على معلومات ذات دلالة مفيدة للباحثين، ويقصد بها كل نصٍّ كتب على ظهرية المخطوط، أو غاشيته، أو

ساقه التقدير، انتظم في ملك الفقير، تملكه بالاستكتاب، من ملك صاحبه، انتقل بالبيع الصحيح، ثم انتقل، ثم بعد ذلك دخل في ملك، تشرف بملكه أو بتملكه، في نوبة فلان، من وداع الدهر، مالكه، من فضل الله على فلان، اشتراه، ثم استودعها الله، ثم آل في نوبة الفقير، صار في نوبة، انسك في سلك، مما سلطه التقدير، ثم شرف الله عبده بتملك هذا السفر، ...<sup>(٢٤)</sup>.

وهناك قسمان من التملكات؛ **الأول**: تملك الشراء، وأركان هذا التملك أربعة: هي النسخة المبيعة، البائع، المشتري، ومن شهد على إتمام هذه العملية بالثمن المقدر لهذه النسخة.

**الثاني**: تملك الوقف: هي أن يقوم مالك الكتاب أو مؤلفه بوقف كتابه على أحد المساجد، أو المدارس، أو المكتبات<sup>(٢٥)</sup>.

#### قيود المطالعة والنظر والانتقاء:

إن كلمة المطالعة لغة مشتقة من مادة طلع، وطالع، يطالع مطالعة فهو مطالع، طالع البحث: قرأه، وأدام النظر فيه، ومطالعة الكتب: قراءتها. أما اصطلاحاً: فإنه من الأشياء الأساسية التي ينبغي الإشارة إليها، كون المطالعة ترتبط عادةً بالكتاب والكتابة<sup>(٢٦)</sup>، ويطلق عليها بالنظر، وتعني: أن يطالع عالم أو متعلم أو قارئ في الكتاب بقصد الاستفادة منه أو المذاكرة فيه<sup>(٢٧)</sup>.

ولهذه القيود دور كبير في إلاء قيمة المخطوط، فهذه القيود تفيد أن أحد العلماء الثقات قد طالع هذه النسخة، وانتقى من مادتها ما ضمّنه في أحد كتبه، أو نظر فيها مستفيضاً منها إضافة إلى أن لقيود النّظر أهمية كبيرة فيما يخص تاريخ النسخة المخطوطة، بما توفره من معلومات ثمينة في كثير من الأحيان عن العلماء وأساتذتهم<sup>(٢٨)</sup>.

كثيرة هي صيغ هذا القيد فمنها:

منها ليضعوها في خزائنِ كتبِهم الخاصة، وفي هذه الحالة لا يُشار إلى ذلك عند الفراغ من كتابة النسخة، وإنما على صفحة عنوانها (الظهيرية)، وتكون هذه النسخ عادةً مكتوبة بخطٌ منسوب، ومزданة الغلاف بأشكال زخرفية، أو مزينة بالذهب والألوان، ويُطلق عليها: (النسخ أو المخطوطات الخزائنية)، ويثبت ذلك بالصيغ الآتية:

**خزانة .. لأجل تحفة. برسم الخزانة.**

برسم خزانة. بإشارة حسب إشارة. حسب أمر<sup>(٢٩)</sup>. وبعد وفاة مالك النسخة الأول، أو اضطراره إلى بيعها، أو عند عرض نسخ بعض الكتب للبيع في سوق الوراقين، فإن ملكيتها تنتقل إلى مالك جديد، وعادةً ما يثبت أصحاب هذه النسخ انتقالها إلى حوزتهم وشراءها لها بالطريق الشرعي.

وتساعد هذه التملكات أحياناً في تحديد تاريخ تقريري للنسخ التي لا يُعرف لها تاريخ النسخ، وفي معرفة رحلة النسخة وانتقالها من يد إلى يد أو من بلد إلى بلد، كذلك فإننا نجد في هذه التملكات خطوط كثيرة من العلماء المشهورين الذين آلت إليهم هذه النسخ. كما أن وجود النسخة في ملك عالم شهير يمنحها أصلية وثقة أكبر؛ إذ تتاح لهذه النسخة فرصة مراجعة هذا العالم وتصححها، وتقيينا هذه التملكات أيضاً في معرفة أسماء كثير من أصحاب خزائن الكتب ومحبيها في تاريخ الإسلام، مثل: ياقوت الحموي، وتابع الدين أبي اليمن الكندي وصلاح الدين خليل بن أبيك الصندي، ومحمد بن أبيذر العلائي ...

وقد اعتاد أصحاب الكتب ذكر أسمائهم، وربما طريق حصولهم على المخطوط، وذلك وفق عبارات قد تكون على طرق المخطوطات، وربما غواشيه، ومنها: تملكه، انتقل، ملكه الفقير، من عواري الزمان، مما



- تذكر أسماء بعض البلدان، والقرى، والحاواضر العلمية.

- تساعد على تحديد نسبي أو تقريري لنسخ المخطوطات في حال عدم وروده.

- تُعد دليلاً على أهمية الكتاب، ومدى اهتمام العلماء وطلاب العلم به، وانتشار تداوله<sup>(٢٠)</sup>.

- وتنقسم أنواع قيود المطالعة التي وردت في المخطوطات إلى قسمين:

١. مطالعة موجزة: تقتصر على عبارة أو عبارتين.

٢. مطالعة مفصلة: فيها معلومات تفصيلية<sup>(٢١)</sup>.

أما عن أسلوب مطالعة الكتاب فقد وجد على ظهر كتاب: (الفرائد والفوائد والسوانح واللوائح) وهو: أن ينظر في الفاظه ومعانيه، ويتدبر غاية التدبر في أن هذا اللفظ موضوع لذلك المعنى أم يحتمل غيره، وأنه لازم أو متعدد، ومن أي باب، وأنه صفة، أو مضاف، أو جزاء، أو معرفة، أو نكرة، وأنه عام أو خاص، وتعريفه وشرائطه موجود أو معدهوم، ويتأمل وجه تقديم الكلام وتأخيره وترتيبه، ومناسبته لذلك في كل لفظ، وأن ينظر في المتن والشرح، ويقصد أن يعرف أن الشارح من أي عبارة المتن أخذ، واستخرج الذي ذكره، ويجهد أن يجد منعاً أو مناقضةً أو معارضة على قانون يوجبه علم المراقبة.

وبالجملة يلزم أن ينظر في مؤلفات الفضلاء كيفية أخذهم وإخراجهم، وأسلوب مطالعتهم وأسئلتهم وأجبتهم، ويتشبه بهم ويقلدتهم، ويستعمل العلوم الآلية من لغة وصرف ونحو ومنطق ومعانٍ كاستعمالهم<sup>(٢٢)</sup>.

#### قيود الإعارة:

كانت إعارة الكتب قدّيماً تثير جدلاً كبيراً، ما بين مؤيد ومعارض، ومن أشهر ما قاله السعد التفتازاني في هذا الشأن:

طالعه وعلق منه ما اختاره مالكه فلان، واستفاد منه داعياً مالكه فلان ومنها أيضاً

(نظر فيه)، (تأمله)، (تأمل معانيه)، (فرغ من تأمله) و(استوعبه واستئثار منه)، (سرّح فيه الطرف)، (نظر وجني من حدائق مجانية)، (نظر فيه الفقير الحقير)، (استوفاه مطالعة

(طالعه فلان)، (طالعه العبد)، (نظر فيه العبد)، (نظر فيه فلان بن فلان)، وعلق منه ما اختاره، واستفاد منه وطالعه، وكتب منه ما احتاج إليه، وطالعه وانتقى منه لشرح».

وكانوا أحياناً ما يؤرخون وقت الإطلاع، وقد يكون المطالع هو صاحب النسخة، وقد يكون شخصاً آخر، وهو الأكثر انتشاراً بين هذه النماذج، فقد ارتبطت قيود النظر والمطالعة ارتباطاً وثيقاً بقيود التملك، ذلك أنه عادةً ما تشير بأطوال متفاوتة إلى أن مفاهيم أنَّ هذا الشخص أو ذاك طالع / نظر في كتاب معين أو جزء منه.

وتحتوي المطالعات على:

أ. اسم المطالع.

ب. الجزء أو الكتاب الذي جرت مطالعته.

ج. تاريخ المطالعة بالسنة، وأحياناً بالشهر والسنة.

د. مكان المطالعة<sup>(٢٣)</sup>.

أما القيد الذي يثبت على المخطوط للدلالة على من طالعه ونظر فيه فهو: قيدٌ يبين أو يفيد أنَّ عالماً طالع نسخة الكتاب خارج الدرس لينقل عنها معلومات ليستعملها في تدريسه، فيسجل على هامشه بعض الملاحظات ويصحح ما قد يرد فيه من أخطاء.

أما عن أهمية هذا النوع من القيود فإنها:

- تذكر أسماء بعض العلماء وطلاب العلم المغمورين الذين قد لا نجد لهم ذكرًا في كتب الترجم.

وأهيف مذبوج على صدر غيره  
يترجم عن ذي منطق وهو أبكم  
تراه قصيراً كلما طال عمره  
ويضحى بليغاً وهو لا يتكلم

قيود الفوائد:

كان للأقدمين عادةً جميلةً عندما كانوا يدونون معلومات مفيدةً على ظهور الكتب التي عندهم، هذه المعلومات لا ضبط لها ولا تقييد، يعني أنَّ مالك الكتاب أو ناسخه قد يعجبُ شيء، فلا يجدُ أمامه سوى كتابٍ يدون على صفحاته ما شاء، وقد يتعمَّد ذلك، فتكون المعلومات عن مؤلف الكتاب أو الكتاب نفسه.

ومجموع هذه المعلومات سماها الباحثون (فوائد)، يعني: أي شيء فيه فائدة، من شعر، أو أثر، أو حكمة، أو خبر، أو ترجمة، أو تحديد موضع، أو تاريخ حادثة، أو تصحيح خطأ، وتسمى في عصرنا معلومات، وقد تكون نقلًا من كتاب، أو رواية عن عالم أو أديب، أو معلومة جديدة أتى بها من عنده، أو سمعها من آخرين لم تُدرج في كتاب، ولا تعرفُ في باب من أبوابه، وهي التي يمكن الاستفادة منها علمياً.

وهو أمرٌ جليل حقاً، فإنه لا يعرف قيمة هذه الفوائد والمعلومات إلا من اطلع عليها وعرف كنهها وفائتها<sup>(٣٦)</sup>.

تضمن الفوائد أي شيء فيه فائدة من شعر أو أثر أو حكمة أو ترجمة، أو قيود تاريخ مواليد أو وفيات، وقد ذكر «فرانسوا ديروش» في كتابه: (المدخل إلى كتاب المخطوط الحرفي العربي) أنَّ المواليد والوفيات كانت تدون بدءاً من القرن الثالث الهجري على صفحات وقایة المخطوطات، ويمكن أن تكون ذات فائدة كبيرة في تاريخ المخطوط، وعادةً ما تبدأ: (ولد لي مولود)<sup>(٣٧)</sup>.

ألا يا مستعير الكتب دعني  
فإنَّ إعارتي للكتب عار  
فمحبوبني من الدنيا كتابي  
وهلرأيت محبوباً يعار؟!  
فأجابه السيد الشريف الجرجاني  
ولا تمنع كتاباً مستعيراً  
فإنَّ البخل للإنسان عار  
الم تسمع حديثاً صحيحاً  
جزاءُ البخل عند الله ثار  
ومع هذا، فإنَّ الكتاب يُعدُّ من أهمِّ الوسائل لنيل العلم وتحصيله، ولهذا فقد دأبَ العلماء على جمع الكتب، وحفظها، وصيانتها، والبحث على إعارتها، ومنها ما ذكره (يونس بن يزيد) عن الزهرى: إياك وغلول الكتب، قلت: وما غلول الكتب؟ قال: حبسها عن أصحابها<sup>(٣٨)</sup>.  
- كما استحبوا إعارةَ الكتب من عُلم منه الانتفاع بها، والمحافظة عليها، ولما في ذلك من الفضل العظيم، قال وكيع بن الجراح: (أول بركة الحديث إعارة الكتب)<sup>(٣٩)</sup>.

قيود الأبيات الشعرية والألغاز:  
كان للشعر عند العرب مكانة عالية، إذ يتميز بإيقاعه الموسيقي الجميل، وتناسق مفرداته، وجمال التشبيهات الأدبية فيه، وتعدد لطائف يمكن من خلالها دراسة ثقافة المؤلف، أو الناسخ، أو المالك للمخطوط، وهناك تقديرات لألغاز مسلية تطرّب قارئها، وهي من الأشكال الأدبية القديمة عند العرب<sup>(٤٠)</sup>، وتعكس أنماطاً من التفكير في سبيل الوصول إلى المعرفة بأسلوب يجمع بين الفائدة والمتعة.  
قال الشاعر «علي مصطفى السراج» في القلم الرصاص ملفزاً:

## كتاب حوى الدر والجوهرا

وطاب من يجتني ثمرا<sup>(٤١)</sup>

لكن ما جمعه قليل، فقد نقل فيه فوائد من (٦١) مخطوطاً، وقد اقتصر فيه على ما وجده في مكتبه، أو ما هو قريب منه<sup>(٤٢)</sup>.

وفي العصر الحديث انبرى للتصنيف في هذا النوع

«محمد خير يوسف» فصنف ثلاثة كتب:

**أولها:** كتاب (الغرر على الطرر) : (غرر الفوائد على طرر المخطوطات والنوادر)، ذكر فيه قرابة مئة فائدة.

**الثاني:** (فوائد حاضرة من طرر المخطوطات والكتب النادرة)، ضمنه قرابة مئتي فائدة.

**الثالث:** (جمال النظر فيما ورد من حكمة وفائدة وأثر على ظهر كتاب خط وندر)<sup>(٤٣)</sup>.

وهناك أيضاً كتاب (التقييدات الشهية من ظهور وغواشي وحواشي النسخ الخطية) لصالح الأزهري. لعل أكثر ما يكتب على ظهور الكتب بعد الشعر ما يتعلّق بالترجم، فمن أمثلة ذلك: ترجمة للإمام الشاطبي كتبه ناسخ (الهبات السنوية على أبيات الشاطبية الرائية) للملالي القاري، نسخة الأزهرية، نقله العرياني والإزميري<sup>(٤٤)</sup>، ولا شك أن مثل هذه المعلومات التي لا تتوافر غالباً في مصادر الترجم تكون مفيدة للدارسين.

وقد ذكر النديم في (الفهرست) أنه وجد على ظهر جزء بخط عتيق مكتوب: تسمية من اسمه من مفسري كتب (أرسطو) اليوناني في المنطق وغيره من الفلسفه: (ناوفرسطس)، أوديميس، أرميس، يوانيوس، أيامليخس، الإسكندر ... وغيرهم<sup>(٤٥)</sup>. هكذا نرى أنَّ الفوائد المدونة على ظهور المخطوطات فيها إثراء للمعلومات، ومجال للتوثيق العلمي.

وقد تكون نقلًا من كتاب، أو روايةً من عالم أو أديب، أو تكون قيوداً مطالعة، أو قيوداً جغرافية بأسماء أماكن لبلدان كثيرة، وهناك قيود تتعلق بأحداث تاريخية من ميلاد ووفاة، وحسب، وجذب، وقطط، وغلاء، وبلاء، وعملات متداولة، وبيع وشراء لأشياء خاصة<sup>(٤٦)</sup>.

ويلاحظ كل مطلع على تراثنا المخطوط كم قيَّد الأوائل من فوائد ونوادر في أوائل الكتب وعلى بطانتها، وعلى جلتها الداخلية والخارجية. وكانوا إذا رأوا رجلاً حسن العلم يقولون: لعلَّ علمه من دفاتر الكتب.

وقد بادر بعض العلماء إلى تدوين هذه القيود في كتب مستقلة، وقد جمع القبطي، علي بن يوسف بن إبراهيم (ت ٦٤٦هـ) مقداراً وافراً من التعليقات، والفوائد، والطرف التي تعود العلماء أن يضعوها على ظهور الكتب. فألف (نُهْزَةُ الْخَاطِرِ وَنَزْهَةُ النَّاظِرِ) في أحسن ما نُقل على ظهور الكتب، وهو أحد كتبه التي فقدت، ولما يقف الناس على خبر وجود نسخة منه<sup>(٤٧)</sup>.

وممَّن جمع التقييدات والفوائد الخطية أيضاً (جميل العظيم) المتوفى ١٣٥٢هـ في كتاب فريد بعنوان: «الصُّبابات فيما وجدته على ظهور الكتب من الكتابات»، ذكر في مقدمته:

«وبعد: فهذا مجموع جمعت فيه ما وجدته على ظهور الكتب والرسائل من الفوائد والمسائل والأشعار، مع اختيار الأهم والعزيز دون المبتذل»<sup>(٤٨)</sup>، والكتاب من نوادر الملتقطات، وهو على اسمه: «الصُّبابات» والصُّباباة بضم الصاد: بقية الماء في الإناء، وهي التي يعنيها المؤلف، وهو كما قيل:

المجتمعه لدينا، ومن ثم معرفة ترجمة الناسخ. إنْ كان من الأعيان. من كتب الترجم (٤٩).

ولتاریخ المخطوط أهمية كبيرة في تحديد قيمته، وبيان مدى اقتراب النسخة التي بين أيدينا من نسخة المؤلف (٥٠).

وقيود النسخ ميدانٌ خصبٌ لمعلومات نفيسة حول المؤلفين والناسخ، وتختلف أهميتها باختلاف عمر النسخة المخطوطة، والمؤلف والناسخ، ولها أهمية في مجال تحقيق المخطوطات، وتعين على تحديد مصداقية المخطوط من الناحية التوثيقية والعلمية (٥١).

ومما ورد من قيود النسخ:

انتهى بحمد الله وحسن توفيقه على يد المعرف بذنبه كاتبه فلان.

ومما ورد أيضاً:

تمت بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه على يد العبد الفقير الضعيف الذليل الحقير الراجي عفوريه .. سنة .. على أن بعض الناسخ اعتمدوا طريقة حساب التاريخ بالكسور، ومن أشهر الكتب التي ألفت في هذا الموضوع كتاب (التاريخ بالكسور في الكتاب العربي المخطوط) «لحمد بن حميد العوفي»، وهذا التاريخ يحتاج حلّه إلى رياضية ذهنية، وممارسة عملية، وهناك طريقة (حساب الجمل)، وهي طريقة حسابية توضع فيها أحرف الهجاء العربية مقابل الأرقام بمعنى أن يأخذ الحرف الهجائي القيمة الحسابية للعدد الذي يقابله وفق جدول معلوم، ويقوم هذا الحساب على الحروف الأبجدية: أبجد، هون، حطي، كلمن، سعفص، قرشت، ثخذ، ضطبع.

مثال ذلك ما وجد قبل نهاية مخطوط «نزة النظر» لابن حجر العسقلاني: قد تم نظمي لكتاب النخبة عام «جلض» بمصر في ذي الحجة.

### قيود النسخ أو الفراغ:

إنَّ النسخَ في المعنى اللغوي من مادة نسخ، ونسخ الكتاب: نقله، وكتبه حرفاً بحرف.

أما المعنى الاصطلاحي فيقصد بها: تدوين الكلام على الورق؛ ليتكونَ منه الكتاب أو الوثيقة (٤٦).

وهناك ما يسمى بحدِّ المتن الذي هو بمنزلة وثيقة الهُويَّة للمخطوط العربي، إذ يحمل إجابات لأسئلة تحدّد هذه الهوية، مثل: مَنْ مؤلفه؟ مَنْ ناسخه؟ متى وأين نُسخ هذا المخطوط؟

ويُعدَّ عتبةً رئيسةً من عقبات النص في المخطوط العربي، ويمكن تعريف حدِّ المتن بأنه ذلك البيان الخاتمي الذي يصدره الناسخ أو المؤلف (في حالة أن تكون النسخة بخط المؤلف) يعلن فيه الناسخ عن انتهاءِ الجلسات التي عقدت لصياغةِ وبناءِ نصَّ الكتاب المخطوط (٤٧).

ويشمل هذا البيان معلومات توازي المعلومات الواردة في شهادات ميلاد البشر، فهي معلومات ميلاد المخطوط، واسم المؤلف، واسم الناسخ، ومكان و تاريخ النسخ، ويصب هذا البيان في قالب غالباً ما يكون على شكل هرم مقلوب، وتتنوع حروف المتن وفقاً للمعلومات المحمّلة في أحشائها (٤٨).

وكان الناسخ يعملون على نسخ الكتب بالأجرة، وكان منهم الجاهل، والعالم، وطالب العلم، والمتوسط بينهم؛ لذا اختلفت نفاسةُ النسخ وقيمتها وضبطها.

وقد لا يُعرف الناسخ، فنلجاً إلى معرفته من جملة حالات عدة: نسبة الناسخ: فقد يشير الناسخ في آخر اسمه إلى نسبته، فترشدنا كتب الأنساب إلى معرفة ذلك إن كان من المشهورين في صناعة النسخ.

وقد يُذكر اسم الناسخ، واسم أبيه فقط، فيعيننا ذلك على معرفة طبقة الناسخ مع القرائن الأخرى

وقدّم تفسيرين جديرين بالتقدير، أولهما: لأن القرد دائم الحركة، ولا يهدأ، ومن يقترب من ذلك النبات يصبح مثله، والثاني: لأن القرد يحب ذلك النبات، فاكتسب النبات اسمه، وكلمة (كج) تعني: «ملتو ومنحنٍ»، وهي صفة تناسب النبات بجذوره الليفية السميكة وأوراقه المتسلقة.

واستخدمت هذه اللفظة المختلفة في كنهها تعويذة أو دعاء، والهدف منه حفظ المخطوطة من الأرضية، فقد كان ثم اعتقاد أنه يكفي إدراج اسمها في المخطوطات حتى تؤمن لها الحماية، ومن ثم تعددت صيغ الدعاء، فمنها: «يا حفيظ يا كبيكج»، و«يا كبيكج يا حفيظ» أو «احفظ يا كبيكج» يا «كبيكج احفظ الورقة»، وقد تكرر لفظ هذه الكلمة غير مرّة، ورصل لها «آدم جاسك» كثيراً من الصور، مثل: «كبيشك، كيكتج، كبكيج، أكيكنج، كنينكج».

ولهذا دور في تحديد قيمة المخطوط، إذ المعالج بهذا النبات يكون أعلى قيمة من غيره، ومثاله اليوم ما يقوم به من شراء سلعة بالضمان أو دونه<sup>(٥٠)</sup>.

#### الخاتمة:

كانت أغفلة المخطوطات، و بداياتها، و نهاياتها، مواضع إستراتيجية بالنسبة لتاريخ المخطوط العربي<sup>(٥١)</sup>، فقد نقل منها كل من الأدباء، والمحدثين، والمؤرخين، والجغرافيين معلومات وافرة، منها: معلومات دقيقة تتعلق بالترجم، وتاريخ ميلادهم، وأنسابهم، وأخبار وأثار وأحداث ووقائع، وتنبيهات وتصحيحات، وتحديد موقع جغرافية مدن وقرى.

وسأعرض فيما يأتي نماذج من خوارج النصوص التي ذكرتها في الدراسة، وهي نماذج مأخوذة من مخطوطات أصلية من مكتبة الأسد الوطنية.

كلمة «جلض» بحسب الجمل تساوي ٨٣٢ هـ، إذ إن حرف ج يساوي ٢، وحرف ل يساوي ٣٠، وحرف ض يساوي ٨٠٠<sup>(٥٢)</sup>.

#### تقييد كبيكج في المخطوطات العربية

إن دراسة الملاحظات التي يدونها ناسخو المخطوطات ومالكونها الأوائل تُعد بحق من الجوانب الأكثر تشويقاً في مجال علم المخطوط وتطوره، ومن بين الملاحظات يجد الباحث أنماط الأدعية والتعاونية كلها، وأحد هذه الأدعية يتضمن كلمة (كبيكج) التي يكتنفها كثير من الغموض، وهي في الغالب تكتب على الورقة الأولى أو الأخيرة من المخطوطة<sup>(٥٣)</sup>.

فقد شغلت فكرة الحفاظ على الكتاب أو المخطوطة ذهن الكاتب أو الوراق الذي يستنسخه، فعمل كل منهما على البحث عن طرائق لحفظ الكتب من عوادي الزمن من حشرات وأرضية.

ومن الأمور الملاحظة في كثير من المخطوطات لفظة (كبيكج)، واختلف أهل التحقيق في معناها، فقيل: هي نبتة تتكون منها أنواع منها: كرسس البر، وقال الرازي في كتابه الحاوي: إن كبيكج هو نبات العناب. وقيل: هو دعاء، أو هو اسم من أسماء الله سبحانه باللغة السريانية<sup>(٥٤)</sup>.

ومنهم من ذكر أنها اسم نبات باليونانية، وكان يُعرف عند العرب باسم: كف الضبع، وكف السبع، وشجرة الضفادع، أو هو نوع من البقدونس البري، أو ورد شقائق النعمان.

ومنهم من ذكر أنها اسم ملك ذي سلطان على الحشرات.

ذكر البيروني المتوفى ١٠٤٨ هـ / ١٠٤٤ م أنها مؤلفة من مقطعين: كابي الهندية السنسرية، وتعني: القرد، وكج، وتعني: الملتو أو المنحنى.

- (٢١) المصدر السابق، ٢٥٣.
- (٢٢) ابن منظور. لسان العرب، الجزء الأول، بيروت: دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، ط١؛ ١٩٩٦م، ١ / ٣٧٠.
- (٢٣) السيد، أيمن فؤاد. الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات، القاهرة: دار الكتب المصرية اللبنانية، ج٢، ط١؛ ١٩٩٧م، ٤٥٣.
- (٢٤) المصدر السابق، ٤٥٤.
- (٢٥) السيد النشار، السيد. في المخطوطات العربية، الإسكندرية: دار الثقافة العلمية، ١٩٩٧م، ٩٣، ٩٤.
- (٢٦) اللقاني، أحمد إبراهيم. طرق المخطوطات العربية، نماذج من خوارج النص؛ ٢٠١٩م، (مقالة إلكترونية).
- (٢٧) المشوخي، د. عابد سليمان. أنماط التوثيق في المخطوط العربي في القرن التاسع الهجري، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية؛ ١٩٩٤م، ٩٧.
- (٢٨) اللقاني، أحمد، المصدر السابق.
- (٢٩) المشوخي، د. عابد، المصدر السابق، ٩٩.
- (٣٠) المصدر السابق، ١٠٠.
- (٣١) العيد، حاج قوير، مصدر سابق، ١٦٨.
- (٣٢) العظم، جميل. الصبابات فيما وجدته على ظهور الكتب من الكتابات، اعتماء: رمزي سعد الدين دمشقية، بيروت: دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر، ط١؛ ٢٠٠٠م، ٩٥.
- (٣٣) البغدادي، أبو بكر الخطيب. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق: د. محمود الطحان، الرياض: مكتبة المعارف؛ ١٩٨٣م، ٢٤٢.
- (٣٤) السمعاني، عبد الكريم. أدب الإملاء والاستملاء، تحقيق: أحمد محمد عبد الرحمن محمود، جدة: مطبعة المحمودية، ط١؛ ١٩٩٣م، ١٩٣.
- (٣٥) عيد، حاج قوير، مصدر سابق، ١٨٤.
- (٣٦) يوسف، محمد خير. التوثيق العلمي من ظهور الكتب والمخطوطات: مجلة الفيصل بالرياض، العدد ٣٦٥، هـ ١٤٢٣، ١٢.
- (٣٧) فرانسيس ابليوش. المدخل إلى المخطوط العربي، تحقيق: أيمن فؤاد السيد، لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ٢٠٠٥م، ٤٩٣.
- الهوامش:**
- (١) المحاسني، سماء زكي. دراسات في المخطوطات العربية، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض؛ ١٩٩٩م، ١٤.
  - (٢) العيد، حاج قوير. بيانات وقيود التوثيق في المخطوط العربي، مخطوطات خزانة توات أنموذجاً، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراة في المكتبات، في جامعة وهران؛ ٢٠١٨م، من المقدمة أ.
  - (٣) الدربي، جمعة. قيمة الغلاف في التأليف العربي، عضو اتحاد كتاب مصر، مجلة الرببيئة، العدد: ١٥، مقالة إلكترونية.
  - (٤) بنين، أحمد شوقي. طوبى: مصطفى. معجم مصطلحات المخطوط العربي: قاموس كوديكولوجي، الرباط: الخزانة الحسينية، ط٣؛ ٢٠٠٥م، ١٥٥.
  - (٥) الدربي، جمعة، المصدر السابق.
  - (٦) أندریاس جورکی، کونراد هیرشلر؛ المترجم: أحمد العدوی. خوارج النص في المخطوطات مصدرًا وثائقياً، الكويت: مركز الوراق للتراث، ط١؛ ٢٠١٦م، ١٦٨.
  - (٧) العيد، حاج قوير، المصدر السابق، من المقدمة د.
  - (٨) بنين، أحمد شوقي، المصدر السابق، ٣٠٢.
  - (٩) شيخموس، محمد صابر عبد القادر. المبادئ العشرة لعلم الكتاب المخطوط، أم درمان؛ ١٤٤٠هـ، ٢٩.
  - (١٠) شقرة، ليندة. مقالة علم المخطوطات أو الكوديكولوجيا، مجلة الكتاب، العدد: الثالث، ٢٠٠٧م، ٣.
  - (١١) الأزهري: صالح بن محمد بن عبد الفتاح. التقديرات الشهية من ظهور وغواشي وحواشي النسخ الخطية، الكويت: مركز الوراق للتراث، شركة دار البشائر للطباعة والنشر، ط١؛ ٢٠١٦م، ٧.
  - (١٢) المصدر السابق، ٨.
  - (١٣) المصدر السابق، ٥.
  - (١٤) المصدر السابق، ٦.
  - (١٥) يوسف، محمد خير رمضان. مجموعة مقالات ودراسات، الجزء الأول؛ ١٤٣٩هـ، ٨.
  - (١٦) بنين، أحمد شوقي، مصدر سابق، ٢٢٢.
  - (١٧) يوسف، محمد خير. مجموعة مقالات، مصدر سابق، ٨.
  - (١٨) المصدر السابق، ٩.
  - (١٩) عيد، حاج قوير، مصدر سابق، ١٤.
  - (٢٠) بنين، أحمد شوقي، مصدر سابق، ٢٤٠.

## المصادر والمراجع

١. آدم، جاسك. كبيكج في المخطوطات العربية، ترجمة: عصام الشنطي.
٢. آدم كتشد، كبيكج في المخطوطات العربية، مجلة الرياض الإلكترونية، العدد: ١٤٤٢٤، ٢٠٠٧ م.
٣. ابن منظور. لسان العرب، الجزء الأول، بيروت: دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، ط١: ١٩٩٦ م.
٤. النديم، الفهرست، بيروت: دار المعرفة، ١٩٩٤ م.
٥. الأزهري: صالح بن محمد بن عبد الفتاح. التقييدات الشهية من ظهور وغواشي وحواشي النسخ الخطية، الكويت: مركز الوراق للتراث، شركة دار البشائر للطباعة والنشر، ط١: ٢٠١٦ م.
٦. أندریاس جورکی، کونراد هیرشلر؛ المترجم: أحمد العدوی. خوارج النص في المخطوطات مصدرًا وثائقياً ص ١٦٨، الكويت: مركز الوراق للتراث، ط١: ٢٠١٦ م.
٧. البغدادي، أبو بكر الخطيب. الجامع لأخلاق الرواية وأداب السامع، تحقيق: د. محمود الطحان، الرياض مكتبة المعرفة؛ ١٩٨٣ م.
٨. بنين، أحمد شوقي. طوبى: مصطفى. معجم مصطلحات المخطوط العربي: قاموس كوديكولوجي، الرباط: الخزانة الحسينية، ط٣، ٢٠٠٥ م.
٩. جعري، ضياء الدين. ظاهرة كتابة كبيكج في المخطوط العربي، (مقالة إلكترونية).

- (٣٨) عيد، حاج قويدر، مصدر سابق، ١٥٩.
- (٣٩) السيد، أيمن فؤاد. الكتاب العربي، مصدر سابق، ٥٠٨.
- (٤٠) العظم، جميل، مصدر سابق، ٢٣.
- (٤١) يوسف، محمد خير، مقالات، مصدر سابق، ٨.
- (٤٢) يوسف، محمد خير. الغرر على الظرر، غرر الفوائد على طرق المخطوطات والنواود؛ ج ١، بيروت: دار البشائر الإسلامية؛ ٤٢٠٠٤ م، ٨.
- (٤٣) الأزهري، صالح، مصدر سابق، ٨.
- (٤٤) يوسف، محمد خير، مجموع مقالات، مصدر سابق، ٩.
- (٤٥) النديم. الفهرست، بيروت: دار المعرفة، ١٩٩٤ م، ٣١٥.
- (٤٦) العيد، حاج قويدر، مصدر سابق، ١٤٢.
- (٤٧) السعداوي، يسرى عبد الحميد محمود. حرد المتن في المخطوط العربي (دراسة ببليوغرافية تحليلية)، ٢١.
- (٤٨) المصدر السابق، ٧٤.
- (٤٩) الطباع، إياد. مقالة بعنوان: علم المخطوط العربي، الخزانة، العدد الثالث؛ ٢٠١٨ م. تصدر عن مركز إحياء التراث التابع لدار مخطوطات العتبة العباسية المقدّسة، ١٦٧.
- (٥٠) الحلوجي، عبد الستار. المخطوط العربي، ط٢، ١٩٨٩ م، ٢٦٨.
- (٥١) عيد، حاج قويدر، مصدر سابق، ١٤٥.
- (٥٢) المشوخي، عابد، مصدر سابق، ١٧٣.
- (٥٣) آدم، جاسك. كبيكج في المخطوطات العربية، ترجمة: عصام الشنطي، مجلة تراثيات، طبعة القاهرة؛ ٦٢٠٠٦ م. عدد ٨ من (٩٣ ← ٨٧).
- (٥٤) جعري، ضياء الدين. ظاهرة كتابة كبيكج في المخطوط العربي، (مقالة إلكترونية).
- (٥٥) آدم كتشد. كبيكج في المخطوطات العربية، الرياض: مجلة الرؤية الإلكترونية، ٢١٢٠٠٧ م ديسمبر؛ ١٤٤٢٤ العدد: ١٤٤٢٤، ٢٠٠٧ م.
- (٥٦) السيد، أيمن فؤاد، مصدر سابق، ٥٤٣.
- (٥٧) المشوخي، عابد، مصدر سابق، ١٧٤.



- ال دمشقية، بيروت: دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر، ط١؛ ٢٠٠٠ م.
٢٠. العيد، حاج قويدر. بيانات وقيود التوثيق في المخطوطة العربية، مخطوطات خزائن توات أنموذجاً، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في المكتبات، في جامعة وهران؛ ٢٠١٨ م.
٢١. فرانسوادirosh. المدخل إلى المخطوطة الحرفي العربية، تحقيق: أيمن فؤاد السيد، لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ٢٠٠٥ م.
٢٢. اللقاني، أحمد إبراهيم. طرر المخطوطات العربية، نماذج من خوارج النص؛ ٢٠١٩ م، (مقالة إلكترونية).
٢٣. المحاسني، سماء ذكي. دراسات في المخطوطات العربية، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض؛ ١٩٩٩ م.
٢٤. المشوخي، د. عبد سليمان الرياض. أنماط التوثيق في المخطوطة العربية في القرن التاسع الهجري، مكتبة الملك فهد الوطنية؛ ١٩٩٤ م.
٢٥. يوسف، محمد خير. التوثيق العلمي من ظهور الكتب والمخطوطات: الرياض، العدد: ٣٦٥؛ ١٤٢٣ هـ.
٢٦. يوسف، محمد خير. الغرر على الطرر، غرر الفوائد على طرر المخطوطات والنواير؛ ج١، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ط١؛ ٢٠٠٤ م.
٢٧. يوسف، محمد خير. مجموعة مقالات ودراسات، الجزء الأول؛ ١٤٣٩ هـ.
١٠. الحلوجي، عبد الستار. المخطوط العربي، ط٢؛ ١٩٨٩ م.
١١. الدربي، جمعة. قيمة الغلاف في التأليف العربي، عضو اتحاد كتاب مصر، مجلة الربطة، العدد: ١، (مقالة إلكترونية).
١٢. السعداوي، يسرى عبد الحميد محمود. حرد المتن في المخطوطة العربية (دراسة ببليوغرافية تحليلية).
١٣. السمعاني، عبد الكريم. أدب الإملاء والاستملاء، تحقيق: أحمد محمد عبد الرحمن محمود، جدة: مطبعة المحمودية، ط١؛ ١٩٩٣ م.
١٤. السيد، أيمن فؤاد. الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات، القاهرة: دار الكتب المصرية اللبنانية، ج٢، ط١؛ ١٩٩٧ م.
١٥. السيد النشار، السيد. في المخطوطات العربية، الإسكندرية: دار الثقافة العلمية، ١٩٩٧ م.
١٦. شقرة، ليندة. مقالة علم المخطوطات أو الكوديكولوجيا، مجلة الكتاب الإلكترونية، العدد: الثالث، ٢٠٠٧ م.
١٧. شيخموس، محمد صابر عبد القادر. المبادئ العشرة لعلم الكتاب المخطوط، ألم درمان؛ ١٤٤٠ هـ.
١٨. الطباع، إياد. مقالة بعنوان: علم المخطوط العربي، الخزانة، العدد الثالث؛ ٢٠١٨ م. تصدر عن مركز إحياء التراث التابع لدار مخطوطات العتبة العباسية المقدّسة.
١٩. العظم، جميل. الصبابات فيما وجدته على ظهور الكتب من الكتابات، اعتناء: رمزي سعد الدين

# التحديات التي تقف عائقاً في وجه مُفهِّس المخطوطات وطرائق حلها

## \*أمدنة الحسن

المخطوطات ثروة لا تعدُّها ثروة، فهي نتاجُ أجدادِنا الذين قضوا جُلَّ عمرهم في العلمِ والتحصيل، وهي إرث الأجداد وأمانةٌ في أعناقنا، ولعلَ التحدِّي الأكبرُ الذي يواجه المخطوطاتِ هو جهلُ الكثيرين بما هي و أهميتها، وعدم الاهتمام بها، بل الإساءة لها في بعض الأماكن بوضعها ضمن شروطٍ غير ملائمة لها، والتقصير في صيانتها، وعدم معرفة طرائق حفظها الصحيحة، وإهمال العمل بتحقيقها ونشرها.

نجد انعدام التوحيد القياسي لبطاقات الفهرسة في العالمين العربي والغربي.

**والمحظوظات** هي كل مصنف أو تأليف قديم، كتبه مؤلفه بخط يده، أو كتبه أحد النسّاخ المعاصرين له، أو من الذين جاؤوا من بعده، سواء أكان ذلك في شكل لفائف، أم في شكل صُحف، فُرم بعضها إلى بعض على هيئة دفاتر أو كراسيس<sup>(١)</sup>.

ولفظ (الفهرسة): فارسيٌّ معربٌ، ويعرف أصحاب

المعجم العربي الفهرس بأنه: الكتاب الذي تجمع فيه الكتب<sup>(٢)</sup>، معرّب فهرست، وهو فهرس المكتبة وأداؤها

١- المخطوط العربي: عبد الستار الحلوجي، مكتبة الصباح،  
الرياض، ط٢، ١٩٨٩، ص١٥.

<sup>٢</sup>- لسان العرب: ابن منظور، بيروت، دار إحياء التراث، ط١، ١٩٩٥، الجزء العاشر، ص٣٤٢.

ونحنُ اليوم بحاجةٍ ماسَّةٍ لإعدادِ جيلٍ يحملُ لواءَ حمايةِ المخطوط بترميمه، وإصلاحِ ما فسد منه بفعلِ الإنسانِ، وعواملِ الزَّمنِ، وتعريضه للأرضَةِ والفترياتِ. ونحنُ اليومُ أحوجُ إلى مَنْ يقومُ بتحقيقِ المخطوط وإخراجهِ إلى النُّورِ، وذلك للتصديِّ لبعضِ مَنْ ينظرُ ملءِ يعملُ بتحقيقِ المخطوطاتِ التراثيةِ نظرةً دون نظرِهم للعملِ بالبحثِ العلميِّ لواكبةً للتغيراتِ في العصرِ الحديثِ.

والفهارس هي مفاتيح للكشف عن هذه الكنوز،  
على منْ يعمل بإعدادها أن يكونَ ذا مهارةٍ وخبرةٍ وعلمٍ  
لتسيير الاستفادة منها.

ورغم إقامة الدورات المهمة بشؤون المخطوطات

\* مديرية قسم المخطوطات في مكتبة الأسد الوطنية.

لقد تبادرت أساليب المفسرين، وأتسمت معظم الفهارس بالجفاف والجمود؛ لندرة المعلومات المتعلقة بالمخطوطات ومؤلفيها، مع أن كل التحديات تتفق على أن الفهرسة تهدف إلى الضبط البibilioغرافي للمخطوطات.

إن التحديات التي سأذكرها ليست من قبيل التصورات النظرية، وإنما وجدناها من خلال العمل، ولعل أولها أهلية المفسر.

إذ ينبغي لم يعمل في فهرسة المخطوطات أن يكون مقدراً لقيمة المخطوط العلمية والمعنوية؛ لأن المخطوط هو هوية الأمة وأساس التقدم.

وي ينبغي أن يرافق هذا التقدير حب المخطوط، وسلامة الذوق، والدقة، والصبر والأناة، والأمانة العلمية، ولعل أول التحديات تلك التي تتعلق بثقافة المفسر وأهليته، إذ يجب أن يكون على دراية بأهمية المخطوطات وقيمتها، فأجادنا قد ترکوا إرثاً من أجل العلوم أصالة، هذا الإرث يعكس مجده الأمة، ويمثل تاريخها، وفكرها، وعلمها، بل حياتها، فالاهتمام به وتقديره ضرورة قومية وعلمية وإنسانية.

أما الحب فهو شرط في ممارسة أي عمل والنجاح فيه، وهذا الحب الّذم ما يكون من يفهرس المخطوط أو يحققه، هذا الحب الذي ينسيه حظه من الراحة، فيكون سخياً في بذل الجهد، والأمانة العلمية تقتضي التوثيق الدقيق، والتوصيف الصحيح، والموضوعية.

وعلى المفسر أن يتعامل مع المخطوط بصر وأناة، فمن ذلك ما يصادفه من صعوبة في قراءة بعض الخطوط العسيرة، فالتعجل يؤدي إلى الإخلال بهذه الأمانة.

وقد قال المستشرق الروسي كراتشوفسكي في ذلك:

التعريف بمقنياتها، وهو يقدم البيانات التي تكفل تمييز كل واحدة من هذه المقتنيات عمّا سواها<sup>(٣)</sup>.

وفهرسة المخطوطات علمٌ قائم بذاته، لا يستطيع أن يقوم به إلا من اتصف بشروط خاصة تؤهله لتحقيق الفهرسة الوصفية الصحيحة، فالتعامل مع التراث فنٌ وعلمٌ وحرفٌ، ربما لا تتطلبه مجالات مهنية أخرى.

والفهرس هو القنطرة التي يعبر عليها الباحث وصولاً إلى مقتنياتها؛ لأنه ثبت شامل بكل ما تحتويه<sup>(٤)</sup>.

والفهارس في المكتبات هي المفاتيح الرئيسية لاكتشاف كنوز المخطوطات، والتعريف بها لنشرها. وقد قال الدكتور (عبدالستار الحلوجي) حول ضرورة إعداد فهارس متقدمة:

«لست مستعداً أن أضع عمري في صنع الفهارس، ويأتي من بعدى من يفهرس مرة أخرى؛ لكي يصح الخطأ. المفروض أن أضع بيانات صحيحة من أول مرة، قد أحذف بعض البيانات أو قد أوجلها، إنما المعلومات التي أسجلها ينبغي أن تكون صحيحة من أول مرة»<sup>(٥)</sup>.

والفهرسة علمٌ من العلوم الأساسية في مجال المكتبات والمعلومات، علم له أصوله وقواعد، وهو لا يكتسب بالدراسة فقط، وإنما بالمارسة العملية، فالمعلومات يستمدّها المفسر من خلال إعداده المهني، ومن ثقافته الخاصة ومطالعاته.

٣- فن فهرسة المخطوطات مدخل وقضايا، تنسيق وتحرير د. فيصل الحفيان، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ١٩٩٩ م ص ٢٥.

٤- فهرسة المخطوطات العربية، عبد سليمان المشوخي، مكتبة المنار، الأردن، ط ١٩٨٩، ص ٢٠.

٥- فن فهرسة المخطوطات، تنسيق وتحرير د. فيصل الحفيان، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ١٩٩٩ م، ص ١٦.

الطريقةُ حتى أواخرِ عصرِ المخطوطاتِ؛ أي: حتى  
النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري<sup>(٦)</sup>.

فالمفهُرُسُ الحادُقُ ينْتَبِهُ إِلَى الْهَامِشِ لِيُمِيزَ الشَّرْوَحَ  
وَالْتَّعْلِيقَاتِ مِنَ الْكِتَابِ الْمُسْتَقْلَةِ؛ لِئَلَا تَتَعَرَّضَ لِلإِهْمَالِ  
وَالضِيَاعِ.

فالتحققُ من صحة العنوان ليس أمراً سهلاً؛ وذلك لأنَّ أسماء عديدة منها:

فقدان الورقة الأولى أو بضم ورقات من أول الكتاب وأخره، وهذه الأوراق تحتوي في الغالب على اسم المؤلف، وعنوان المخطوطة، إضافة إلى ما قد أضافه القراء أو المتملكون من معلومات قد تكون مفيدة جداً<sup>(٧)</sup>.

وقد يكون العنوان مطموساً أو مزيفاً حينئذ يبدأ المفهرس بالتحقيق من صحة العنوان، فالخطأ في العنوان يؤدي إلى فقدان هوية المخطوط، ولا بد للمؤلف أن يتحقق من صحة العنوان بمقابلة المخطوط بالنسخ الأخرى إن وجدت، وإن لم يتمكن المفهرس من العثور على العنوان يستظهر عنواناً ملائماً لموضوع المخطوط داخل معقه فتن.

ومن أمثلة العنوان المزيَّف ما كُتب بخطِّ حديثٍ على كتاب «جواهر القرآن ونتائج الصنعة» لجامعة العلوم

٦- فهرسة المخطوطات العربية، تأليف: عابد سليمان المشوخي،  
مكتبة المناد، الأردن، ط ١٩٨٩، ص ٤١.

٧-المقدمة السارقة، ص ١٩٣

© 2013 by the author; licensee MDPI, Basel, Switzerland. This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution license (<http://creativecommons.org/licenses/by/3.0/>).

«الاشغال بدراسة المخطوطات يحمل في ثناياها السرور والحزن معاً».

ذلك ينبغي أن يكون مفهُرُس المخطوطاتِ ذا فَكِيرٍ حصيف، ومتَمْتَعًا بِذَاكِرَة قويّة، ودقة الملاحظة، وذا ثقافةً واسعةً لتحديدِ موضوع المخطوط، وأن يجالسَ الْعُلَمَاءَ والمُفَهَّرِسِين؛ للانتفاع من ثمراتِ تجاربهم ومخزونِ قراءتهم، وأن يتقنَّ قواعدَ اللغة العربية، وأن يكونَ ذا معرفةً ودرأيةً بأنواعَ الخطوط، وأن يكون مواكِبًا للتطورِ العلميّ، والتقنيَّات الحديثة، واستخدامِ الحاسوبِ والشَّابكة لتسهيلِ العمل، وعليه أن يكونَ أيضًا ملماً بالآخطاءِ التي وقع بها المُفَهَّرِسُون السَّابِقُون، وأن يكون عارِفًا بمصطلحاتِ المخطوطات.

ولعلَّ هذا التَّحدي قد أدى ببعضِ الباحثين إلى  
الانصراف عن هذا المجال.

وهناك تحديات تتعلق بالهامش، والعنوان، والمؤلف، والتصنيف، والجاميع، والتزوير في تاريخ النسخ، وجهل بعض النساخ أثناء الكتابة، والاضطراب في ترتيب الأوراق، وغريبة المخطوطة.

فمن التحديات التي تتعلق بالهامش:

لقد حرصَ النّسّاخُ العَرْبُ عَلَى تِرْكِ فَرَاغٍ عَلَى  
الجِهَاتِ الْأَرْبَعِ لِلصَّفَحَةِ . هُوَ مَا يُعْرَفُ  
بِالْهَوَامِشِ أَوِ الْحَوَاشِيِّ ، وَكَانَتْ هَذِهِ الْفَرَاغَاتُ  
تَنْتَاصِبُ مَعَ حِجْمِ الْوَرْقَةِ ، فَتَتَسْعَ كَلَمًا كَبِيرًا الْوَرْقَةِ ،  
وَتَضْيِيقُ كَلَمًا صَغِيرًا .

وقد كتب القراءُ والعلماءُ في هذه الهوامش شروحَهم  
وتعليقاتِهم واستدراكاتِهم، بل كانوا يؤلفون كتبًا  
أخرى على هوامش كتب موجودة بالفعل، قد تتفقُ  
وقد تختلفُ مع موضوع المخطوطة، وقد عرفتُ هذه

الدين السيوطي) المتوفى سنة ٩١١هـ، وهو الذي ذكر في ترجمته أنه ولدته أمُّه بين الكتب، وقد أشار أَحْمَد الخازنِدار وَمُحَمَّد إِبْرَاهِيم الشِّيبَانِي في كتاب «دليل مخطوطات السيوطي وأماكن وجودها» إلى أنَّ عدَّها يصل إلى تسعينَ وثمانينَ بين رسالة كبيرة ومجلدٍ ضخم، فله كتب كثيرة، إذ يُعدُّ من أغزر المؤلفين العرب انتاجاً في مختلف فنون المعرفة.

فقد ذاع صيته، فنسبوا إليه ما ليس له لغرضٍ  
تجاري بحت، وهو ترويج الكتاب.

ويقال: إن شهرته قامَتْ على كتب ليست في الحقيقة  
من تأليفه، وربما اختصر وأضاف إلى كتاب معين، ثم  
غير عنوانه، ونسبه إلى نفسه.

مثال: مخطوط بعنوان: «نشر العلم في شرح لامية العجم» هو لجمال الدين محمد بن عمر بن بحر القمي، المتوفى سنة ٩٣٠هـ، وليس للجلال السيوطي. وهناك كثيرون من المخطوطات تسبّبوا إليه حساده، وهو منها بريء، أو نسبها إليه بعض الورّاقين والنسّاخ لترويجها.

والشيء المستفاد منه أن على المفهرين ألا يعتمدوا على المعلومات التي تردد في بداية المخطوط ونهايته، أو المقدمة أو صفحة العنوان، بل عليهم الرجوع إلى المصادر وكتب التراجم لتوثيق صحة البيانات التي يكتبهن عن المخطوط.

وهناك تحدٌ في التصنيف:

إن الأخطاء التي نلاحظها في فهارس المخطوطات  
المنشورة من إدراج عناوين المخطوطات تحت فنونٍ  
لا تتنمي إليها يعود بالدرجة الأولى إلى ضعف ثقافة  
المفهرس، وافتقاره إلى المعرفة الدقيقة لكلٍّ فنٍ من  
فنون المعرفة.

ينبغي للمفهرس أن يهتم بالتصنيف اهتماماً

الأصبهاني الباقولي (٥٤٢ هـ) : إعراب القرآن  
للرِّزْجَاجِ . وقد بَسَطَ مُحَقِّقُ الجوادر القولَ في تحقيقِ  
هذه المسألة في مقدمة تحقيقه للجوادر ، الصادر عن  
دار القلم بدمشق ١٩٢٠ م.

وقد تحمل النسخة من المخطوط غير عنوان، واحد على الغلاف، وآخر في المقدمة، وثالث في الخاتمة، ففي هذه الحالة يُستبعد العنوان الموجود على الغلاف، ويُعتمد العنوان الوارد في المقدمة لأنّه أساسي، ولا يمكن الشك فيه.

فعلى المُفهَّرِسِ تحرِي الدِّقَّةَ في اختيارِ العنوانِ؛  
وذلك بالعودة للفهارس، وكتبِ التراجم، والنسخِ  
الآخرِ).

وهناك تحدٌ في نسبة المخطوط لغير صاحبه:  
ومن ذلك أن يكون اسم المؤلف عرضةً للتزوير  
والتدليس، ومنه ما قاله: (محمد ماهر حمادة) في  
مقالة بعنوان: «سرقات الكتب وانتهاكلها في العصور  
الإسلامية».

قال: «لم تخل دنيا الإسلام في عهودها الزاهرة من سرقات الكتب... فقد ذُكرت عدّة حوادث اُتهم بها أدباءً ومؤلفون عظام بسطوهم على مؤلفات الآخرين ونسبتها إليهم».

كما ذكر (حنين بن إسحاق) سبب انتقال بعض الكتب إلى افتخار بعض الناس وزهدهم بأنّ في مكتابِهم كتبًا لأعاظم المؤلفين القدامى أكثر مما يملكون غيرُهم من الناس<sup>(٨)</sup>.

وقد نسبَ كثيُرٌ من الكتبِ لبعضِ المؤلفين  
الشهورين، وهي ليست لهم، ومن أشهرهم (جلال

٨- مقالة بعنوان: سرقات الكتب واحتلالها في العصور الإسلامية،  
تأليف: محمد ماهر حمادة، مجلة عالم الكتب، رئيس التحرير: عبد  
العزيز الرفاعي، المجلد الثاني العدد ٨ كانون الثاني ١٩٨٢، ص. ٢.

يتَأكَّدُ من مطابقةِ بدايةِ الرسالةِ ونهايتها مع النسخ الأخرى للعنوان نفسه، فمن أمثلة الخطأ الذي قد يقع فيه المفهُرسُ أن ينقلَ بدايةً رسالةً وآخرَ رسالةً أخرى. وهذا تضييعٌ رسالةً قد تكون مهمّةً جداً، ويصعب اكتشافُها، فمن ذلك ما فعلته المفهُرسة لخطوّطات النحو في المكتبة الظاهيرية عند فهرستها (رسالة في معاني الحروف) برقم (٩٥٧٢)، فقد جعلتها مع الكتاب الذي بعدها وهو (مفاتيح الأبواب)، وصحيح هذا الخطأ بفضل جهود المفهُرسين الأكفاء في مكتبة الأسد، وأفرد برسالة مستقلة، كما في النموذجين (أ) و(ب).

فلا بد للمفهـرس من التأـني في تقلـيب صفحـات المـخطوط، ليتسنى لـه مـعـرـفة كل رسـالـة عـلـى حـدـة لـفـهـرـسـتـها عـلـى أـنـهـا كـتـابـ مـسـتـقـلـ.

وهناك تحدٍ يتعلّق بتاريخ المخطوط:

يَهْتَمُ النَّسَاخُ بِإِثْبَاتِ تَارِيخِ الْإِنْتِهَاءِ مِنْ نَسْخِ  
الْمُخْطُوطِ، أَوْ قَدْ يَغْفِلُونَ عَنِ إِثْبَاتِهِ، وَلَكِنْ يَحْدُثُ أَنْ  
تَسْقُطُ الْأُوراقُ الْأُخِيرَةُ مِنْ الْمُخْطُوطِ، وَهِيَ الَّتِي تَحْمِلُ  
تَارِيخَ النَّسْخِ، أَوْ يَحْدُثُ شَطَبٌ مَتَعَمِّدٌ، أَوْ أَنْ يَكُونَ  
الْمُخْطُوطُ غَيْرَ مُؤْرِخٍ فِي الْأَصْلِ، وَهَذَا يَحْدُثُ كَثِيرًا<sup>(۱۲)</sup>.

وقد يكون هناك تزوير في تاريخ المخطوط؛ إذ نجد تلاعباً بالتاريخ المكتوب في الحردة، وهي كلمة نبطية ذكرها ابن دريد في الجمهرة، وفيها: اسم الناسخ وتاريخ النسخ ومكانه، وهذا التلاعب ليظهر أنَّ عمر المخطوط أقدم من تاريخه الحقيقي.

١٢- فهرسة المخطوطات العربية، عايد سليمان المشوخي، مكتبة  
المنار، ط١، ١٩٨٩، ص ٢٠٣

كبيراً؛ لئلا يقع فريسة الخلط بين موضوع وأخر،  
أخذاً بالظاهر من اسم المخطوط، ولا بد له من تقليب  
المخطوط تقليباً جيداً؛ ليهتدي إلى موضوع المخطوط  
ال حقيقي، ومن أجل هذا يفضل أن تسبق الفهرسة  
التصنيف؛ لأن فهرسته للمخطوط تكشف عن  
موضوعه كشفاً تماماً<sup>(٩)</sup>.

فمنهم مَنْ صَنَّفَ (مِثْلَثَاتَ قَطْرَب) فِي (الْهَنْدَسَةِ)،  
عَلَمًا بِأَنَّهُ كَتَابٌ فِي الْلُّغَةِ، يَجْمِعُ الْكَلْمَاتِ الْمُتَشَابِهَةِ  
الرَّسْمُ الَّتِي تَتَغَيِّرُ مَعَانِيهَا بِتَغَيِّيرِ حَرْكَةِ حِرْفٍ بَعْيِنِهِ  
مِنْهَا، كَالْحَجَّةُ وَالْحُجَّةُ وَالْحَجَّةُ، الْأُولَى مَصْدَرٌ مَرَّةٌ  
مِنْ زِيَارَةِ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ، وَالثَّانِيَةُ الْبُرْهَانُ، وَالثَّالِثَةُ  
السَّنَّةُ.

**وَثُمَّةِ تَحْدِيَاتٍ تَعْلُقُ بِالْجَامِعِ:**

**المجاميع: المخطوطات التي تحتوي على عدّة رسائل أو مؤلفات سواء أكانت ملولة واحدة أم لعدّة مؤلفين، جمع بعضها إلى بعض، وضمت في كتاب واحد، وأحياناً تكون في فنون متعددة ومتنوعة<sup>(١)</sup>.**

وعند فهرسة هذه الرسائل يجدر بالمهتم أن يكون حذراً في التعامل معها، فقد تتدخل الرسائل لعدم وجود فاصل بينها يميّز نهاية الرسالة الأولى وبداية الثانية.

وَمَا لَا شَكَ فِيهِ أَنَّ خَبْرَةَ الْمُفَهَّرِسِ وَمَارسَتْهُ  
الْيَوْمِيَّةُ فِي التَّعَامِلِ مَعَ الْمُخْطُوطَاتِ تَعِينَهُ عَلَى كَشْفِ  
نَهَايَاتِ الرَّسَائِلِ وَبِدَائِيَّاتِهَا<sup>(١١)</sup>.

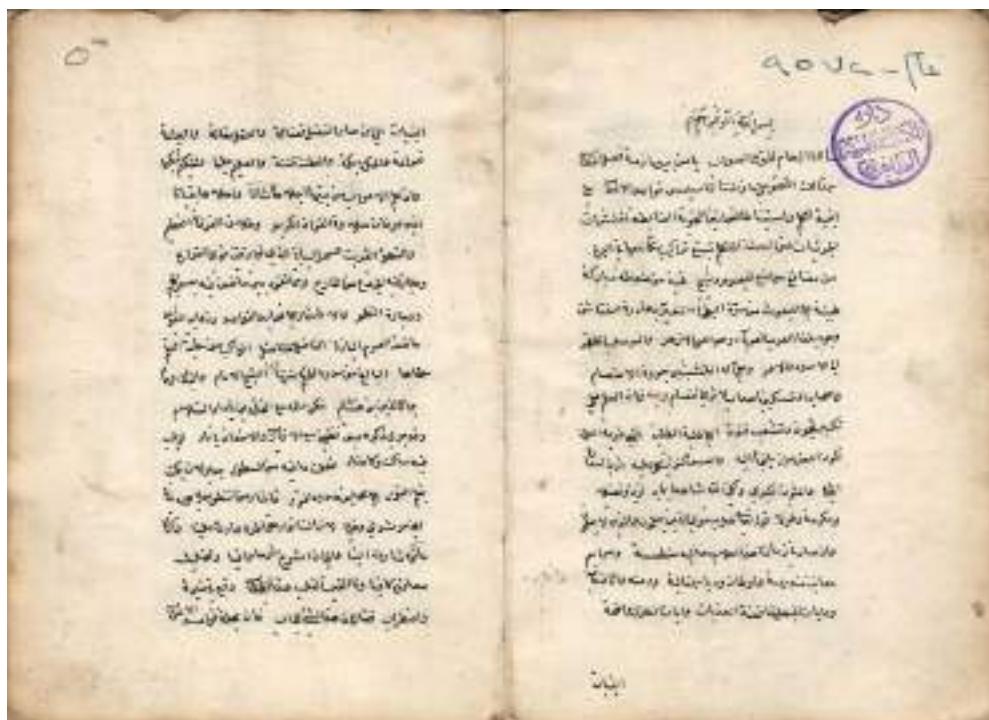
٩- الدورة التدريبية السادسة لشؤون الدول العربية، ١٩٨٧  
محاضرات في الفهرسة والتصنيف، عصام الشنطي، ص ١٧

١- المخطوطات العربية: مشكلات وحلول، د. عابد سليمان المشوخي، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ٢٠٠١، ص ٨٢.

١١- المصدر نفسه ص ٨٤.



النموذج الأول (أ)



النموذج الثاني (ب)

وقد يأتي الخل في تاريخ النَّصْ، ومثاله: (تفسير  
الجلالين) وهو للجلال المُحَلّي المتوفى سنة ٨٦٤ هـ،  
وللتلميذه الجلال السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ، وقد  
أنهى المُحَلّي نصيبيه من تأليفه سنة ٨٦٤ هـ، وتلميذه  
السيوطى أتمه سنة ٨٧١ هـ. وقد زورت يد خبيرة  
تاریخ النسخ ب٨٣١ بدلاً من ٩٣١ هـ؛ لتكسب النسخة  
قيمةً علميةً بالقدم، وهي برقم: (٧١٥٧)<sup>(١٤)</sup>، كما في  
النموذجين (ج) و(د).

وهناك تحدٍ يتعلّق بجهل الناسخ:

قد يكون هناك اضطرابٌ وأخطاءٌ داخل النصِّ.  
لأنَّ النُّسَاخَ كانوا ينقلونَ عن مخطوطاتٍ قليلةٍ  
الإعجمام، فيقرؤُها كلُّ ناسخٍ حسبما يصحُّ عنده، فإنَّ  
كان جاهلاً في المعنى أدى لاختلالٍ في النصِّ وفحواه.  
ولحلُّ هذه المشكلات يجدرُ بنا إعدادُ المفهرسِ  
إعداداً جيداً كما ذكرتُ في المقدمة؛ ليكتشفُ الخللُ في  
النَّصِّ سواءً أكان بسببِ جهلِ النُّسَاخِ أمِّ منْ جرَأِ  
تقزيرِهم المتعمد للربحِ الماديِّ.

وهناك تحدٌ يتعلّق باضطراب في ترتيب الأوراق:  
قد يظهر خلُلٌ آخر يتعلّق بتقديم وتأخير كراسات  
وأوراق بعض المخطوطات، ولا سيّما تلك التي تخلو  
من التعقيبات والترقيم في أثناء التجليد، وهذا بالطبع  
يسبّب مشكلةً لمفهـر المخطوطات الذي عليه أن يتأكـد  
من صحة النـصّ وسلسلـه واكتـمالـه<sup>(١٥)</sup>.

١٤ (٢) أملية بعنوان: قراءة الفهرسة لنص التراث المخطوط، عبد الإستار الحلوجي، دورة مؤسسة الفرقان بحلب، ٢٠٠٨، ص. ٣٠.

١٥ - فن فهرسة المخطوطات، مدخل وقضايا، تأليف: د. فيصل الحفناوي، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ١٩٩٩، ص. ١٢.

في تحديد تاريخ النسخ أو تحديد القرن الذي كُتِبَ فيه المخطوطة، ويستطيع تحديد العالمة المائية بالرجوع إلى الكتب في هذا الفن.

فالعلماء المائية ذات أشكال متعددة منها على  
شكل أزهار وحيوانات وطيور ودروع وأهلة.  
وكل عالمة عبارة عن شعار مصنوع الورق، وتظهر  
في المخطوطات خطوط مائية عمودية وأفقية، وهي  
تشير إلى قرون معينة.

فَمَعَ أَنَّ التَّارِيْخَ مَهْمُ جَدًا لِتَحْدِيدِ مَدِيْ اقْتِرَابِ  
النَّسْخَةِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِيْنَا مِنْ نَسْخَةِ الْمُؤْلِفِ، وَمَدِيْ  
قَرْبَهَا مِنَ الْأَصْلِ الَّذِي أَخْذَتْ عَنْهُ، لَا يَحْمُلُ كَثِيرٌ مِنَ  
الْمَخْطُوطَاتِ تَارِيْخَ نَسْخَهُ، رِبَّما لِعَدَمِ اهْتِمَامِ النَّاسِ  
بِذَكْرِ التَّارِيْخِ، وَرِبَّما لِضِياعِ الْوَرْقَةِ الْأَخِيرَةِ مِنَ  
الْمَخْطُوطِ، وَهِيَ الْمَوْضِعُ الَّذِي يُذَكَّرُ فِيهِ التَّارِيْخُ عَادَةً.  
وَلَيْسَ فَقْدَانُ تَارِيْخِ الْمَخْطُوطِ هُوَ الْمَظْهَرُ الْوَحِيدُ  
لِهَذِهِ الْمُشَكَّلةِ، وَإِنَّمَا لَهَا مَظَاهِرٌ أُخْرَى كَانُ يُسْقَطُ  
النَّاسِخُ رَقْمَ الْأَلْفِ مِنَ التَّارِيْخِ فَيَقُولُ مَثَلًا: سَتَةِ ثَلَاثَيْنِ  
وَمَائَةً، وَهُوَ يَعْنِي: سَنَةِ أَلْفِ وَثَلَاثَيْنِ وَمَائَةً، تَمَامًا كَمَا  
نَفْعَلُ نَحْنُ الآنَ حِينَ نَؤْرُخُ بَعْضَ كَتَبِنَا وَنَقُولُ: سَنَةِ  
٩٧١م، وَنَهْمَلُ الْأَلْفَ عَلَى أَسَاسِ أَنَّهَا مَفْهُومَةٌ ضَمِنًا،  
وَذَلِكَ خَطأٌ يَقْعُدُ فِيهِ كَثِيرٌ مِنْ مَفَهَرِسِيِّ الْمَخْطُوطَاتِ  
الْعَرَبِيَّةِ، وَهُوَ خَطأٌ يَكْشِفُهُ خَطُ النَّسْخَةِ، وَوَرْقُهَا،  
وَبَقِيَّةُ مَلَامِحِهَا الَّتِي تَنْبَئُ عَنْ عَمَرٍ لَا يَمْكُنُ أَنْ يَصْلُ  
خَطَّ الْحَسَابِ فِيهِ إِلَى أَلْفِ عَامٍ.

وقد يرد تاريخ النسخ بحساب الجمل، وهو نظام قديم دخل في كثير من مجالات الفكر الإسلامي<sup>(١٣)</sup>،

<sup>١٣</sup> - فهرسة المخطوطات العربية، عايد سليمان المشوخي، ص ٢٠٢.



النموذج (ج)

وهنا لا بد من الاعتماد على التعقيبة والتصفيح لإصلاح ترتيب الأوراق المضطربة الترتيب، والتعقيبة هي نوع من الترقيم استعمله القدماء لترتيب مؤلفاتهم، وتسمى الرقاص والوصلة، وتعني: أن يثبت الناسخ في نهاية الصفحة تحت آخر الكلمة من السطر الأخير أول كلمة في الصفحة الآتية.

أما التصفيُح فهي إثبات الكلمة الأخيرة من الصفحة اليمني الماضية في رأس الصفحة الحالية السيري، وهاتان الكلمتان تقدمان الحل الأمثل في ضبط تسلسل الأوراق، دون الاعتماد على ترقيم العايشين من الورّاقين ..

وهذا الخلُّ في الترتيب يكثرُ في المجاميع، وتصبحُ  
فهرسةُ تلك الرسائل أمراً عسيراً وشائكاً..



النموذج (د)

المخطوطاتُ العربيةُ في أنحاءِ العالمِ على وجهِ التقريرِ.  
فمن التَّحدياتِ التي واجهتِ التَّوثيقَ العربيَّ سرقةِ  
كتوزِ التراثِ جراءَ الحروبِ والکوارثِ، فتبعثرتُ  
المخطوطاتُ العربيةُ في أماكنٍ متعددةٍ عربيةً وغربيةً،  
فهناك مخطوطاتٌ عربيةٌ ذاتُ أجزاءً كثيرةً تبعثرتُ في  
بلادٍ كثيرةٍ فبقيت ناقصةً، وعانتُ الاغترابِ، وبعضُها  
بقيَ مجهولًا الهويةَ، وبعضُها حرفَ وصُحفَ عنوانُهُ،  
كما ذكرَ الدكتورُ (مختارُ هاشم) في قصيدة «العبرورية»  
الْوَدِيَّةِ في الأبيحاثِ الورديَّةِ» بقولهِ:

«عَبُورِيَّة وَدِيَّة» طَوَّحَتْ بِهَا  
صِرُوفُ النَّوْى حَتَّى اسْتَقَرَّ اغْتِرَابُهَا  
بِشَارَعِ رِيشَلِيو أُقْيِمَتْ وَسُمِّيَّتْ  
أَبُو رِيَّةٍ مَا إِنْ يَهُونُ مَصَابُهَا  
تَقُولُ: جَعَلْتُ الْوَرَدَ مِنِي رِسَالَةً

إِلَيْكُمْ وَلَكُنْ لَمْ يَعُدْ يِ جَوَابُهَا  
وَهُنْتُ عَلَى أَهْلِي وَلَمْ أَلْقَ عَنْهُمْ  
مُّقَامًا وَهَرَّتْنِي بَدَارِي كَلَبُهَا  
تَلَقَّفَنِي شَخْصٌ غَرِيبٌ وَحَطَّ بِي  
بَدَارٌ وَدَادٌ لَا تَضِيقُ رَحَابُهَا  
وَلَكُنْتُ خَلَفٌ بَعْضِي بَجْلَقٌ  
وَقَدْ ضَاعَ لَمْ يَحْفَظَهُ مَنْ يِ كَتَبَهَا  
وَكَمْ ضَاعَ مَثِيلِي مِنْ كَرَائِمِ يَعْرَبٍ  
إِلَى الْغَرْبِ زُفْتُ حِيثُ تَمَ اِنْتَهَابُهَا  
وَكَمْ مِنْ سَبَايَا لِلتَّرَاثِ قَدْ اِخْتَفَتْ  
وَلَمْ يَدْرِ أَهْلُ الدَّارِ أَيْنَ جَنَابُهَا  
فَأَيْنَ حَمَادَةُ الدَّارِ مِنْ آلِ يَعْرَبٍ  
لَمَنْ تُقْتَنِي أَسْيَافُهَا وَحَرَابُهَا  
سَلَامٌ عَلَى شَهْمِ أَحْسَنَ بَغْرِبَتِي  
وَغَرَبَةُ نَفْسٍ يَسْتَجِدُ عَذَابُهَا  
وَمِنْ هَنَا نَخَلْصُ إِلَى أَنَّ فَهْرَسَةَ الْمَخْطُوطَاتِ لَيْسَتْ

وهناك تحدٌ آخر بسبب وجود الجزازات أو الأوراق الطيارة:

وهي تلك القصاصات أو الأوراق التي تضاف بين ثنایا النص من الشرح لعدم وجود فراغ حول النص، يُطلق عليها أحياناً اسم الطيارات..

وتحتوي على:

- ١- تعلقيات أو توضيح لبعض الكلمات الغريبة  
أو الغامضة، أو المصطلحات المجهولة لإفهام القارئ  
المعنى المراد منها.

٢- لتصحیح خطأ وقع فيه المؤلف.

٣- لبسـط قضـية أـشار إـليـها المؤـلـف بـإـجـمالـ، أو  
ورود نـصـّ أـوـمـاـ إـلـيـهـ المؤـلـفـ، ولا تـتمـ الفـائـةـ مـنـهـ إـلاـ  
بـتـوـضـيـحـهـ.

٤- لتكمل النقص.

٥- لتسجيل الفوائد من الناسخ أو المتملك من باب  
تداعي الخواطر.

٦- لإثبات نصوص مقتبسة من كتاب آخر تدور حول موضوع يتناوله المخطوط<sup>(٦)</sup>.

كما أن أشكالها متنوعة، وبعضها مثبت بين الأوراق، وبعضها دون تثبيت.  
إن الأوراق الطيارة المتحركة تتطلب جهداً كبيراً  
لمعرفته أماكنها الصحيحة، وهذا يتطلب جهداً ووقتاً  
والمفهرسُ الخبيرُ بقراءة النصوص يعينُ المحققَ كثيراً  
 عند وضعها في مكانها المناسب.

وهناك تحدٍ يتعلّق بغريبة المخطوطات:

كتب على بعض المخطوطات أن ترحل في البلاد، حيث نقل المخطوط من مستقره في بلد ليودع في خزانة بلد آخر، وتععدد دور الكتب التي تحفظ فيها

١٦- المخطوطات العربية مشكلات وحلول، تأليف: د. عابد سليمان المشوخي، مكتبة الملك عبد العزيز، الرياض، ٢٠٠١، ص ١٠٣.

- عبد الستار الحلوجي، ط٢، مطبعة الصباح، ١٩٨٩ م.

٥ - حمادة، محمد ماهر، مقالة بعنوان: سرقات الكتب وانتفالها في العصور الإسلامية / محمد ماهر حمادة، مجلة عالم الكتب، رئيس التحرير: عبد العزيز الرفاعي، العدد ٢، كانون الثاني، ١٩٨٢ م.

٦ - السامرائي، قاسم، علم الاكتناء العربي الإسلامي، مركز الملك فيصل، الرياض ط١، ٢٠٠١ م.

٧ - الشنطبي، عصام، الدورة التربوية السادسة لمبعوثي الدول العربية لدراسة شؤون المخطوطات العربية، ١٩٨٧، محاضرات في الفهرسة والتصنيف / عصام الشنطبي.

٨ - المشوخي، عابد سليمان، المخطوطات العربية: مشكلات وحلول / عابد سليمان المشوخي، الرياض، ٢٠٠١ م.



أمراً هيّناً، ولا عملاً يسيراً، بل إنها فنٌ وصنعةٌ  
قوامُها الهوائيةُ والمحبةُ والدراميةُ العميقةُ الدقيقةُ، فإنَّ  
في عملية الفهرسةِ تحدياتٌ كثيرةٌ يمرُ بها المفهرس،  
نكرتُ بعضَها في هذه المقالة.

إنَّ المخطوطات تتفاوتُ في حالاتها وتكويناتها  
الخارجية والداخلية عند وصولها إلى يد المفهرس،  
فبعضُها كاملةٌ غير منقوصة، وبعضُها أثْر الزمْنُ  
والعُبُثُ فيها، وبعضُها تجرأت العوامل البشرية  
على استلابِ أواخرها، وبعضُها عُبِثَ بها المزورون  
فحرّفوا عنوانينَها وأسماءَ مؤلفيها ونسّاخها، وغيّبوا  
بترقيمها أو كشطوا ما يدلُّ على أجزائِها<sup>(١٧)</sup>.

فالعمل في فهرسة المخطوطات يحتاج إلى دربةٍ  
واسعةٍ وصبرٍ وأناءٍ وتجربةٍ طويلةٍ لمواجهة هذه  
التحديات التي تقف في وجه المفسر.

فَمَا أَحْوَجْنَا الْيَوْمَ إِلَى مُفْهَرِسِينَ أَوْ فِيَاءٍ يَحْبُونَ  
الْتَّرَاثَ، وَيَنْافِحُونَ عَنْهُ، وَيَقْتَفِيُونَ أَثْرَ أَجْدَادِهِمْ،  
وَيَحْفَظُونَ عَلَى الْأَمَانَةِ الَّتِي وَضَعُتْ فِي أَعْنَاقِهِمْ  
يَإِخْلَاصٍ وَتَفَانٍ.

المصادر والمراجع

- ابن منظور: لسان العرب / ابن منظور، بيروت: دار إحياء التراث، ط١، ١٩٩٥ م.
  - الحفيان، فيصل: فن فهرسة المخطوطات، مدخل وقضايا / فيصل الحفيان، القاهرة، معهد المخطوطات العربية، ١٩٩٩ م.
  - الحلوجي، عبد الستار، أملية بعنوان: قراءة الفهرسة لنص التراث المخطوط / عبد الستار الحلوجي، دوره مؤسسة الفرقان بحلب، ٢٠٠٨ م.
  - الحلوجي، عبد الستار، المخطوط العربي /

١٧- علم الاتصال العربي الإسلامي، تصنیف: د. قاسم السامرائي، مرکز الملك فیصل، الرياض، ط١، ٢٠٠١، ص ٩٦-٩٧.

# الاستخدامات الهندسية في آلات الرصد الفلكية

## «الأسطرلاب أنموذجاً»

أ. د. مصطفى موالي و أ. جاسم حمود\*

### الملخص

نظراً لوجود كثير من آلات الرصد الفلكية التي قدمت خدمات جليلة للحضارة العربية والإسلامية في مجالات عدّة، كان لا بد من دراسة هذه الآلات وكيفية استخدامها، لذلك درسنا في هذا البحث إحدى هذه الآلات وهي: الأسطرلاب والاستخدامات الهندسية لها، ومن ثم بيننا أهمية تلك الدراسة في المجتمع العربي والإسلامي وما قدمته من فائدة عظيمة في معرفة المساحات والارتفاعات للأماكن التي يصعب الوصول إليها وما إلى ذلك.

وذلك من خلال الاستخدامات الهندسية لهذه الآلة، وسنبين أهمية هذه الآلة للعرب وال المسلمين. تكمن أهمية استخدام الأسطرلاب في الحضارة العربية والإسلامية من الناحية الهندسية؛ إذ إنه استخدم لتحديد سمت القبلة وحساب عرض الأنهر وسعة البحيرات؛ فقد استخدم كجهاز مساحي، واستخدم في صناعة الأزياج الفلكية، وكان له دور مهم في الملاحة البحرية؛ إذ استخدم كبوصلة لتحديد الجهات، واستخدم أيضاً في معرفة أجزاء فلك البروج، ومعرفة غاية الارتفاع للبروج، والكثير من الأمور الفلكية التي تهم العرب والمسلمين، ومن أجل ذلك قمنا بدراسة استخدامات الأسطرلاب، وبيان مهامه في الحضارة العربية والإسلامية، وذلك بما وجدناه في كتب العلماء العرب.

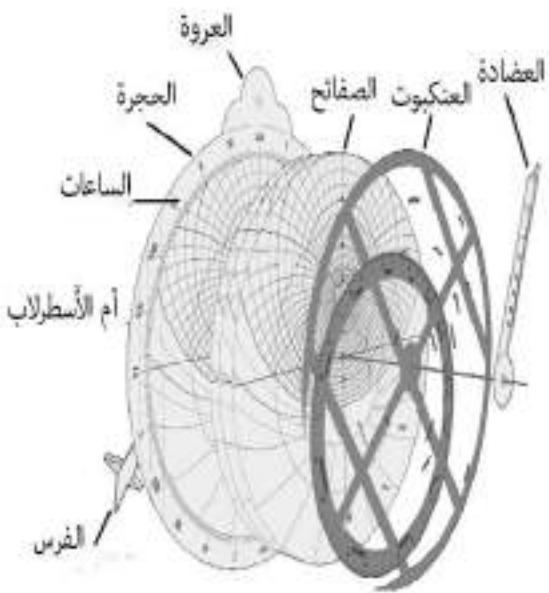
### أولاً - مقدمة البحث:

تعددت آلات الرصد الفلكية ولكنها تتشابه في كثير من الاستخدامات، ولذلك استخدمت في كثير من الأمور، ومنها في الأمور الدينية مثل: تحديد سمت القبلة، وتحديد أوقات الصلاة، وتحديد بداية الشهور القمرية و نهايتها، واستخدمت كذلك في الأمور الهندسية مثل: تحديد المسافات والمساحات ومعرفة الارتفاعات والأعماق، وهذه الآلات الفلكية قدمت خدمات جليلة للمجتمع العربي والإسلامي، ولذلك كان لا بد من تسليط الضوء عليها. سنتناول في بحثنا هذا؛ دراسة استخدام آلة الرصد الفلكية الأسطرلاب في الحضارة العربية والإسلامية،

\* باحثان في معهد التراث العلمي العربي - جامعة طب.

وخطوط المدارات-مداري السرطان والجدي- وخط الاستواء، والخطوط السماوية تبقى في شكل دوائر، أو في شكل أجزاء من دوائر<sup>(٤)</sup>.

والشكل الآتي يبيّن بُنية الأَسْطَرِ لَاب:



الشكل رقم (١) - مكونات الأسطر لاب<sup>(٥)</sup>.

## بـ- أجزاء الأسطر لاب:

من خلال الشكل السابق سوف نذكر التسميات  
لكل جزء من أجزاء الأسطرلاب، ثم تعريفها وشرحها  
شرحًا مختصراً كل على حدة.

## ١- أم الأسطر لاب:

«وهي عبارة عن قرص محفور بصورة دائيرية، توضع فيه الصفائح والشبكة، ويكون عمقها متناسباً مع عدد هذه الصفائح المتعلق بالعرض

٤- مجموعة من المؤلفين، نشر ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م، «الأسطرلاب»،  
الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر  
والتنمية، الدار البيضاء، ط٢، ص ٧٦٥

5- Timothy (J.M.), 2011, *Astrolabe the Missing Manual*, California, P.17.

5- Timothy (J.M.), 2011, *Astrolabe the Missing Manual*, California, P.17.

### **ثانياً-الاطار النظري للبحث:**

## أ- تعريف الأسطر لاب:

الأَسْطَر لاب: آلة معهودة يُتَوَصَّلُ بها إلى معرفة  
كثير من الأمور النجمية على أَسْهَل طرِيق، وأَقْرَب مأخذ،  
مبين في كتبها، كارتفاع الشمْس، وسمت القبْلَة، وعرض  
البَلَاد، وغير ذلك<sup>(١)</sup>، وأَمَا في رأي الخوارزمي (توفي بعد  
٢٢٢ هـ / ٨٤٧ م)<sup>(٢)</sup> فإن التسمية اليونانية أَصْطَر لابون،  
ويعني مقياس النجوم (أَصْطَر: مرآة، لابون: النجم)،  
ومن ذلك قيل لعلم النجوم أَصْطَر نوميا<sup>(٣)</sup>.

وعلى الجملة يمكننا أن نعرف الأسطر لاب:

**بأنه:** هو جهاز استعمله المتقدمون في تعين مواقع الأجرام السماوية، ومعرفة الوقت والجهات الأصلية، وتحديد مواقیت الصلوات عند المسلمين، ومعرفة سمت (اتجاه) القبلة.

يحتوي وجه الأسطرلاب على خريطة القبة السماوية، كما يوجد فيه أداة تشير إلى الجزء المنظور من القبة السماوية في وقت معين، وقد رسمت القبة المنظورة على وجه الأسطرلاب المسطح بطريقة حسابية دقيقة، وهي الطريقة نفسها التي استخدمت في رسم خريطة العالم (الكرة الأرضية) على مساحة مسطحة، وهذه الطريقة تسمح بتحويل الدوائر من أشكال كروية إلى أشكال مسطحة دون تغيير للقيمة الحقيقية للزاوية التي ترسم بين خطين على الشكل الكروي (خطوط العرض)، وعلى هذا فإن خط الأفق،

١- حاجي خليفة، دون سنة نشر، كشف الظنون عن أسامي الكتب  
والفنون، دار إحياء التراث العربي، لبنان، م杰 ١، ص ١٠٦-١٠٧.

٢- بروكلمان، كارل، نشر ١٣٧٨هـ / ١٩٥٩م، *تاريخ الأدب العربي*، دار المعارف، مصر، ط٤، ج٤، ص ١٦٣.

٣- الخوارزمي، أبو عبد الله بن أحمد بن يوسف الكاتب،  
نشر ١٣٤٩هـ / ١٩٣٦م، مفاتيح العلوم، الطبعة الأولى، طبعه عثمان  
خليل، مصر، ص ١٣٥

الجغرافية التي صمم الأنسطرلاب لها، وعدها على الأقل أربعة<sup>(٦)</sup>.

## - الطوق:

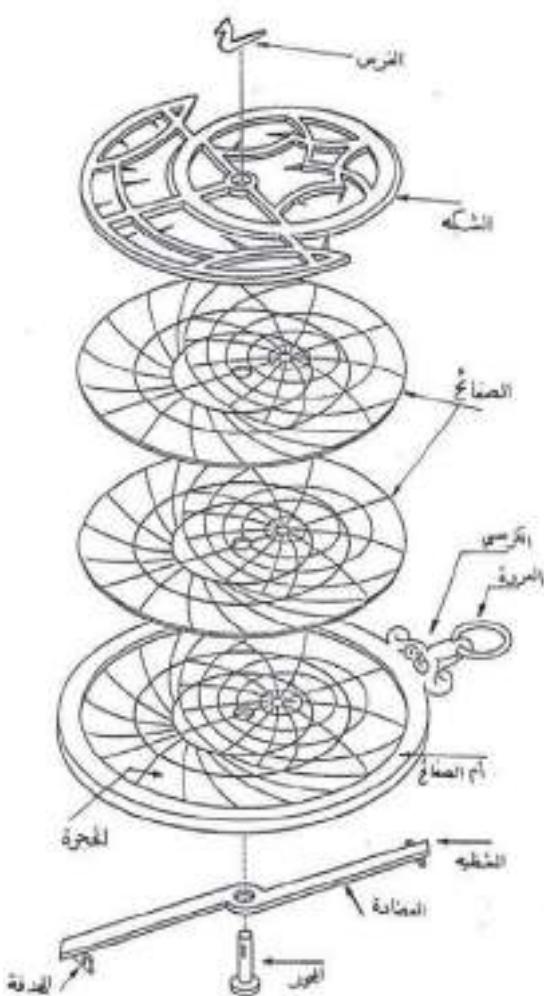
ويسمى أيضاً بالحجرة: وهي الحلقة المحيطة بجميع الصفائح، وهي مجزأة بثلاثة وستين جزءاً متساوية على عدد أجزاء الفلك، تبدأ من طرف القطر المحاذي لمركز العلاقة والعروة، وتنتهي إليها<sup>(٧)</sup>.

## - الصفائح:

وفي كل صفيحة منها ثلاثة دوائر تامة متوازية، مركزها مركز الصفيحة؛ تسمى إحداها مدار رأس الحمل، ودائرة الميزان هي الوسطى منها التي يدور عليها أول الحمل غير مفارق لها، وتسمى الأخرى مدار رأس السرطان وهي التي تدور عليها أول السرطان غير مفارق لها. والأخرى تسمى مدار رأس الجدي وهي أكبرهن؛ وهي التي يدور عليها أول برج الجدي غير مفارق لها.

ويقسم هذه الدوائر الثلاث قطران يتقاطعان على زوايا قائمة، أحدهما يمر بوسط العلاقة، والأخر المقاطع يمر بنقطتي وسط المشرق والمغرب، ويسمى أيضاً خط الاستواء.

ونخص ما كان من الخط المار بوسط العلاقة بين الفصل المشترك له ودائرة الأفق التي نذكرها فيما بعد بأنه يسمى خط وسط السماء، ونخص القسم الثاني منه بأنه يسمى خط وتد الأرض<sup>(٨)</sup>.



الشكل(٢)-أجزاء الأنسطرلاب<sup>(٩)</sup>.

## - القطب:

وهو ثقب في مركز الأنسطرلاب يمر فيه محور لثبيت صفائح الأنسطرلاب وشبكته والعضادة، وفيه يكون موقع نجم القطب.

## - الفلس:

هو محور يركب في القطب، وتركب عليه صفائح الأنسطرلاب وشبكته والعضادة، ويسمح له بالدوران بحرية لتسهيل العمل بالأنسطرلاب.

٩- حمود، مخطوط رسالة في العمل بالأنسطرلاب لأمية بن أبي الصلت، جامعة حلب، سوريا، ص ١٢٥.

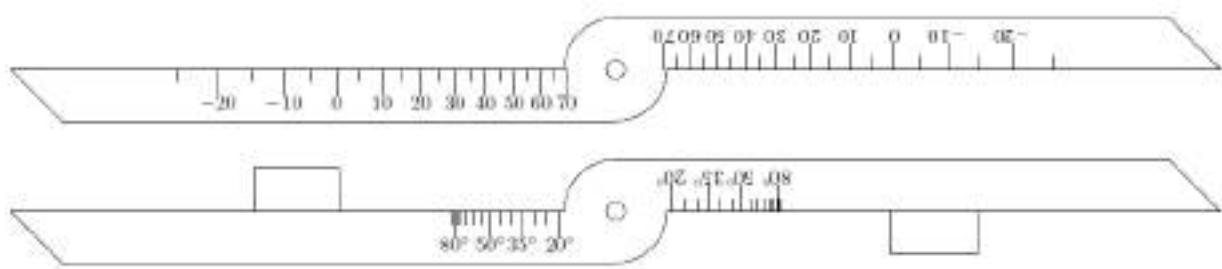
٦- حمود، جاسم، حقق. ١٤٤٥/٢٠١٨م، مخطوط رسالة في العمل بالأنسطرلاب لأمية بن أبي الصلت، مشروع ماجستير بإشراف الأستاذ الدكتور مصطفى مواالدي، معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب، سوريا، ص ١٢٣.

٧- أبو الصلت، أمية بن عبد العزيز، بدون تاريخ نسخ، مخطوط رسالة العمل بالأنسطرلاب، مخطوط المكتبة البريطانية، مخطوطات شرقية، Or5479، بريطانيا، ص ٢(و).

٨- المصدر السابق، ص ٣(ظ).

وتوجد الأرقام على ظهر الأنسطرلاب لمعرفة خطوط العرض لبلاد معينة وفقاً ما يعرف بنظام حساب الجمل، وهو نظام العد الذي كان مستخدماً لدى العرب قديماً.

**٨- العضادة المحرفة:**  
وهي تشبه المسطرة، وتوضع على ظهر الأنسطرلاب، ولها شظيّتان ترکبان بشكل عمودي عليها، وفي كل شظيّة ثقب يستخدم للتسييد على النجوم أو الأماكن المراد قياس ارتفاعها<sup>(١١)</sup>.



الشكل(٣)-العضادة<sup>(١٢)</sup>.

**٩- البروج الشمالية:**  
هي التي تدور داخل دائرة مدار رأس الحمل والميزان، وهي: الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة.

**١٠- البروج الجنوبية:**  
هي التي تدور خارجاً من دائرة مدار رأس الحمل والميزان، وهي: الميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت.

**١١- السماوات:**  
هي قطع الدوائر المخطوطة على نقطة سمت الرأس، وقد ترسم في بعض الصفائح مقاطعة

١١- المرجع السابق، ص ١٢٨.

12 -Ford (D.M.), 2010, *Make your own Model Astrolabe*, P.5.

**٦- الفرس:**

ويشكل القفل لأجزاء الأنسطرلاب المتحركة، ويركب على الفلس.

**٧- العنكيّوت أو الشبكة:**

وتركب فوق الصفائح على وجه الأنسطرلاب شبكة تدور بحرية حول المحور، وحافتها تلازم الحافة الداخلية للحجرة، وتكون مخرومة، وبها نتوءات وتزيينات، وتسمى الشبكة أو العنكيّوت، والاسم الثاني هو الغالب.

كل واحد من هذه النتوءات يدل على نجم معين، ويدعى مُريّ النجم أو الكوكب (قديماً كانت تسمى النجوم بالكواكب)، وعدد هذه المُريّات بحدود العشرين مُريّة على الأقل، تشير إلى ألمع نجوم السماء.

ويوجد في القسم العلوي من العنكيّوت دائرة تسمى دائرة البروج؛ وهي جزء منه ومقسمة إلى اثنى عشر قسماً، وكل منها يمثل برجاً من الأبراج المعروفة، والحافة السفلية لهذه الدائرة على تماس دائرة السرطان تماماً.

«وفي أعلى العنكيّوت يوجد نتوء متميز، يدعى مُريّ العنكيّوت؛ وهو بمنزلة مؤشر للعنكيّوت أثناء دورانه»<sup>(١٣)</sup>.

١٠- حمود، مخطوط رسالة في العمل بالأنسطرلاب لأمية بن أبي الصلت، جامعة حلب، سوريا، ص ١٢٨.

- ٦- تحديد المسافات والمساحات.
- ٧- معرفة المناسبات والأعياد في تحديد بداية الشهور ونهايتها<sup>(١٥)</sup>.
- ٨- تحديد المساحات والسعات.
- ٩- تحديد غاية الارتفاع وتحديد موقع النجوم والكواكب ومعرفة أجزاء البروج.
- ١٠- تحويل الساعات وتصريفها من الساعات الموجة إلى المستوية وبالعكس.

**د- استخدامات الأسطرلاب الهندسية:**  
للأسطرلاب استخدامات هندسية عديدة منها:

- ١- تحديد ارتفاع الكواكب:**  
ولمعرفة ذلك نتبع الخطوات الآتية:
  - أ- نعلق الأسطرلاب باليد اليمنى، ويجب أن يكون محاذياً لحرف الكوكب الذي نريد أخذ ارتفاعه.
  - ب- نضع إحدى العينين على ثقب الشطبة، ونغمض العين الأخرى.
  - ج- نحدد شعاع الكوكب؛ وذلك من خلال ثقب الشطبة.

د- نحرك العصادة باليد الأخرى إلى فوق وإلى أسفل، حتى ينفذ بصرك من الثقب الذي وضعته عليه، إلى الثقب الذي في الشطبة العليا إلى الكوكب أو الشيء الذي نريد حساب ارتفاعه.

هـ- نقوم بعدّ أجزاء الارتفاع، وبذلك تكون حصلنا على الارتفاع المطلوب لذلك الكوكب أو ذلك الشيء المراد حساب ارتفاعه<sup>(١٦)</sup>.

ومن خلال البحث وكوجهة نظر نريد القول إن

١٥- الغازى، أحمد باشا مختار، ١٣٠٦هـ / ١٨٨٩م، رياض المختار في مرآة الأشكال، ترجمة حمزة شفيق بك منصور، الجامعة الكبرى الأمريكية ببولاق، مصر، ط١، ص٢٠٤.

١٦- أبو الصلت، مخطوط رسالة في العمل بالأسطرلاب، ص٥ ب (و).

للمقاطرات، ويرسم بعضها في الجانب الأسفل الذي فيه أقسام الساعات.

#### ١٢- الساعات:

هي الأقسام المتساوية التي تعددتها قطع الدوائر المخطوطة في الجانب الأسفل من الصفحة التي تلي المقنطرات وهي / ١٢ / ساعة على كل واحدة منها كتابة تدل عليها، ويعلم بها أية ساعة هي<sup>(١٧)</sup>.



الشكل (٤)- أسطرلاب موضح فيه مواضع الساعات<sup>(١٤)</sup>.

- ج- مهام الأسطرلاب:**  
للأسطرلاب مهام جمة منها:
  - ١- معرفة القبلة.
  - ٢- تحديد مواقيت الصلاة.
  - ٣- تحديد مواقيت الكسوف والخسوف.
  - ٤- مواعيد فصول السنة.
  - ٥- صناعة الأزياج الفلكية.

١٣- حمود، مخطوط رسالة في العمل بالأسطرلاب لأمية بن أبي الصلت، ص٤٢.

14 Timothy (J.M.), 2011, *Astrolabe the Missing Manual*, California, P.37.

كثيرة، وتختلف هذه الأشكال من حيث شكلها وارتفاعها، لهذا يطلق عليها مصطلح التضاريس للإشارة إلى هذه الأشكال المتباعدة، فتُعرف التضاريس على أنها الأشكال البارزة التي تتشكل على سطح الأرض بفعل عوامل داخلية وخارجية.

وهي تتكون من ثلاثة أنواع رئيسية هي: الجبال والهضاب والسهول، وتختلف هذه الأنواع في خصائصها والارتفاع عن سطح البحر وعن سطح الأرض.

ولمعرفة الارتفاع لتلك الأشياء التي يصعب الوصول إليها نتبع الخطوات الآتية:

١- يجب أن يختار مكانٌ ممِيزٌ من بسيط الأرض يحيط بالشيء الذي نريد حساب ارتفاعه.

٢- نحسب ارتفاع الكواكب الثابتة الموضوعة على صفيحة الأسطرلاب.

٣- ثم ندير ظهرنا بخلاف جهة الشيء الذي نريد حساب الارتفاع له، ونترك العضادة على حالها.

٤- نضع بصرنا على ثقب الشطبة العليا، وننظر حيث ينفذ بصرنا نحو الشطبة السفلية، ويقع على بسيط الأرض.

٥- نضع علامة على الموضع الذي وقع عليه بصرك.

٦- نأخذ ارتفاعه ونحدد سنته، ونعيد ظهرنا إلى الموضع السابق، وننظر من الثقب الأعلى حتى ينفذ بصرك من الثقبين إلى بسيط الأرض.

٧- ونُعلمُ على ذلك الجزء الذي يقع عليه علامة ثانية.

٨- نحسب المسافة بين موقعي قدميك في القياسين، وأنأخذ الفرق بين العلامتين.

المقصود بتحديد الارتفاع هو للكواكب الثابتة وليس للكواكب المتحركة؛ إذ إن العرب القدماء قد ميزوا بين الكواكب الثابتة والكواكب المتحركة.

٢- حساب مساحة (سعة) نهر أو بحيرة:

السعة هي المسافة التي يشغلها أي شيء، والمؤلف يتحدث عن معرفة سعة الأنهر والأودية وغيرها، ويعده ذلك من أهم استخدامات الأسطرلاب، وذلك لما يحتاج إليه الناس في حياتهم بشكل عام ولا سيما فيما يتعلق بالزراعة والري، ولمعرفة ذلك نتبع الخطوات الآتية:

نحدد الأماكن المتساوية الارتفاع انطلاقاً من المكان الذي يبدأ فيه الراسد بالقياس.

إذاً كنا نريد حساب سعة النهر:

١- نقف على حرف النهر، وننظر من ثقبي الشطبتين، ونحرك العضادة إلى الأعلى والأسفل حتى ينفذ بصرنا نحو الموضع الذي نريد حساب سعته.

٢- نحرك العضادة على حالها، ونعود إلى المكان الذي يمكننا قياسه من بسيط الأرض.

٣- نضع بصرنا من ثقب الشطبة التي تلي الشطبة السابقة، إلى الشطبة الأخرى، حتى تنفذ من الثقبين ويقع على جزء من بسيط الأرض.

٤- نحسب المسافة ما بين قدمتنا وبين المكان الذي وقع عليه بصرنا من ثقب الشطبة على بسيط الأرض.

٥- المسافة السابقة تمثل سعة النهر.

وبالخطوات نفسها التي قمنا بها سابقًا يمكن حساب طول وادٍ أو طول بُرْكَةً أو أي شيء نريد، وقد وضح المؤلف ذلك توضيحاً جيداً<sup>(١٧)</sup>.

٣- حساب ارتفاع الجبال والأماكن المرتفعة:

الأشكال المتنوعة الموجودة على سطح الأرض

١٧- أبو الصلت، مخطوط رسالة في العمل بالأسطرلاب، ص ٢٨  
ب (و).

الظل المبسوط لذلك الارتفاع، فما كان فاحفظه، ثم اضرب عدد أذرع سعة الشيء التي تريد معرفة عمقه بـ ١٢ / .

د- ثم قسم ما اجتمع على ما حفظته.  
هـ- (فما خرج فانقص منه ما بين بصرك إلى الأرض، مما بقي فهو قدر عمق ذلك الشيء) <sup>(٢٠)</sup>.

#### ولنوضح المسألة بطريقة أبسط:

أـ في البداية يجب علينا أن نعرف سعة الشيء المراد حساب عمقه، وسعته هنا أي مساحة قاعدته، والمراد هنا سعة القاعدة السفلية التي سوف نقوم بحسابها.

بـ- نقف على حرف الشيء المراد حساب عمقه، وتعلق الأسطرلاب بيديك، وتجعل جهته نحوك؛ بحيث يكون ربع الارتفاع نحو جهتك يساوي ربع الظل نحو البئر.

جـ- ننظر من ثقب العضادة، حتى ينفذ بصرنا نحو عمق القعر أو عمق البئر.

دـ- نحدد مقدار الظل من موضع مري العضادة، وهو كما أشرنا ربع الارتفاع نحو جهتك يساوي ربع الظل نحو البئر.

هـ- نحدد على كم وقع موضع مري العضادة من عدد أصابع الظل المبسوط <sup>(٢١)</sup> المحدد لذلك الارتفاع.

وـ- نقوم بحساب القياس بين موضع مري العضادة وبين موضع مري العضادة من أصابع الظل المبسوط.

٢٠- أبو الصلت، مخطوط رسالة العمل بالأسطرلاب، المصدر السابق، ص ٢٦ (ظ).

٢١- الظل المبسوط: هو الظل المتعد على يسيط الأفق من الشخص القائم، عليه زوايا قائمة؛ أي يشكل مثلثاً قائماً مع الشخص القائم. أبو الصلت، مخطوط رسالة العمل بالأسطرلاب، المصدر السابق، ص ٢١ (ظ).

ـ نضرب العلامتين ونقسم على المسافة السابقة، مما خرج فهو ارتفاع عمود الشيء الذي قسته <sup>(١٨)</sup>.

**٤- كيفية معرفة قدر أعمق الأشياء المنخفضة:**  
قال أبو الصلت في كتابه: «إذا أردت معرفة ذلك: فاستخرج أولاً سعة ذلك الشيء الذي تريد معرفة عمقه، ثم قف على حرفه وعلق الأسطرلاب بيديك، وانظر من ثقب العضادة حتى ينفذ بصرك منها، ويقع على نهاية عمقه، وانظر على كم وقعت العضادة في الرابع الذي يليك من أجزاء الارتفاع، وكم عدد أصابع الظل المبسوط لذلك الارتفاع، فما كان فاحفظه ثم اضرب عدد أذرع سعة ذلك الشيء المقيس في الثاني عشر، واقسم ما اجتمع على ما حفظته، مما خرج فانقص منه ما بين بصرك إلى الأرض، مما بقي فهو قدر عمق ذلك الشيء، وإن شئت فاضرب جيب الارتفاع المستوي في عرض الشيء، واقسم ما اجتمع على جيب تمام الارتفاع، مما خرج فانقص منه ما بين بصرك والأرض، مما بقي فهو عمق ذلك الشيء» <sup>(١٩)</sup>.

لمعرفة قدر عمق الأشياء المنخفضة باستخدام الأسطرلاب، نتبع ما يأتي، بحسب ما أورد ابن أبي الصلت في كتابه:

أـ- يجب عليك في البداية أن تستخرج سعة الشيء الذي تريد معرفة عمقه.

بـ- تقف على حرفه، وتعلق الأسطرلاب بيديك، وتنظر من ثقب العضادة حتى ينفذ بصرك منها، ويقع على نهاية عمقه.

جـ- ثم انظر على كم وقعت العضادة في الرابع الذي يليك من أجزاء الارتفاع، وكم عدد أصابع

١٨- أبو الصلت، مخطوط رسالة في العمل بالأسطرلاب، ص ٢٨ ب (ظ).

١٩- أبو الصلت، مخطوط رسالة العمل بالأسطرلاب، المصدر السابق، ص ٢٦ ب (ظ).

وعرضه في الشمال، وإن كان خارجاً عنها فهو جنوبى  
وعرضه في الجنوب»<sup>(٢٣)</sup>.

ولمعرفة عروض الكواكب الثابتة نطبق عدداً من الخطوات نوردها بالتالي، ولكن قبل ذلك نعرف الدائرة السمتية أو ما تعرف بدائرة الارتفاع، ودائرة فلك البروج.

**- دائرة الارتفاع:** هي الدائرة التي تمر بقطبي الأفق وقوس الارتفاع قطعة من تلك الدائرة<sup>(٢٤)</sup>، والجزء الواقع بينها وبين أول السمات من الأفق، وتسمى بالدائرة السمتية<sup>(٢٥)</sup>.

**- دائرة فلك البروج:** هي الدائرة العظمى التي هي منطقة الحركة الثابتة، وتسمى أيضاً فلك البروج، والشمس في حركتها تلزم هذه الدائرة، وهذه المنطقة مائلة عن معدل النهار<sup>(٢٦)</sup>.

وتعرف أيضاً بأنها نطاق فلك البروج، إذ ينقسم إلى عشر قسمات متساويةً بحسب انقسام فلك البروج تسمى بروجاً، وتنسب إلى الصور التي عند النطاق وهي: الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدلو، والحوت، كل برج منها ينقسم ثلاثة جزءاً متساوياً تسمى درجاً، والدرجة ستون دقيقة، والدقيقة ستون ثانية، والثانية ستون ثالثة، وكذلك ما يتبع ذلك إلى الرابع والخمسين وصاعداً إلى ما لا نهاية له<sup>(٢٧)</sup>.

٢٣- أبو الصلت، مخطوط رسالة العمل بالأسطرلاب، المصدر السابق، ص(٢٨ب).

٢٤- الخوارزمي، أبو عبد الله بن أحمد بن يوسف الكاتب، نشر١٣٤٩هـ / ١٩٣٠م، مفاتيح العلوم، طبعه عثمان خليل، مصر، ص ١١٥.

٢٥- التهانوي، محمد علي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ج ١، ص ٢٤٧.

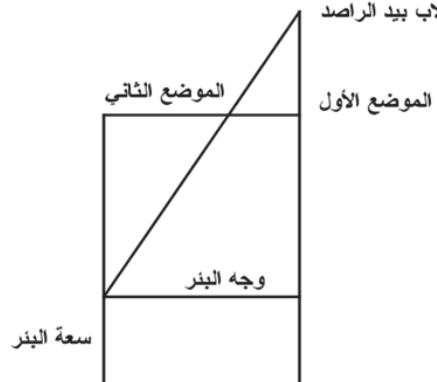
٢٦- البيروفي، محمد بن أحمد، كتاب التفهيم لأوائل صناعة التنجيم، المكتبة البريطانية، Or8349، مخطوطات شرقية، ص ٢٨، ٦٤.

٢٧- القبيصي، عبد العزيز، مخطوط المدخل إلى صناعة أحكام النجوم، نسخة مصورة معهد التراث العلمي برقم ٩١٣، سوريا-حلب، ص ٣ و ١٠٠.

ز- وبعد حساب القياس نضرب القياس الذي حصلنا عليه في أصابع الظل؛ التي تكون بين بصرك والأرض، وهو يمثل قياس عمق البئر.

ح- وإذا ضربت ما بين بصرك وبين الأرض في ١٢ / حددت عرض البئر؛ أي قطره.

موضع الأسطرلاب بيد الراصد

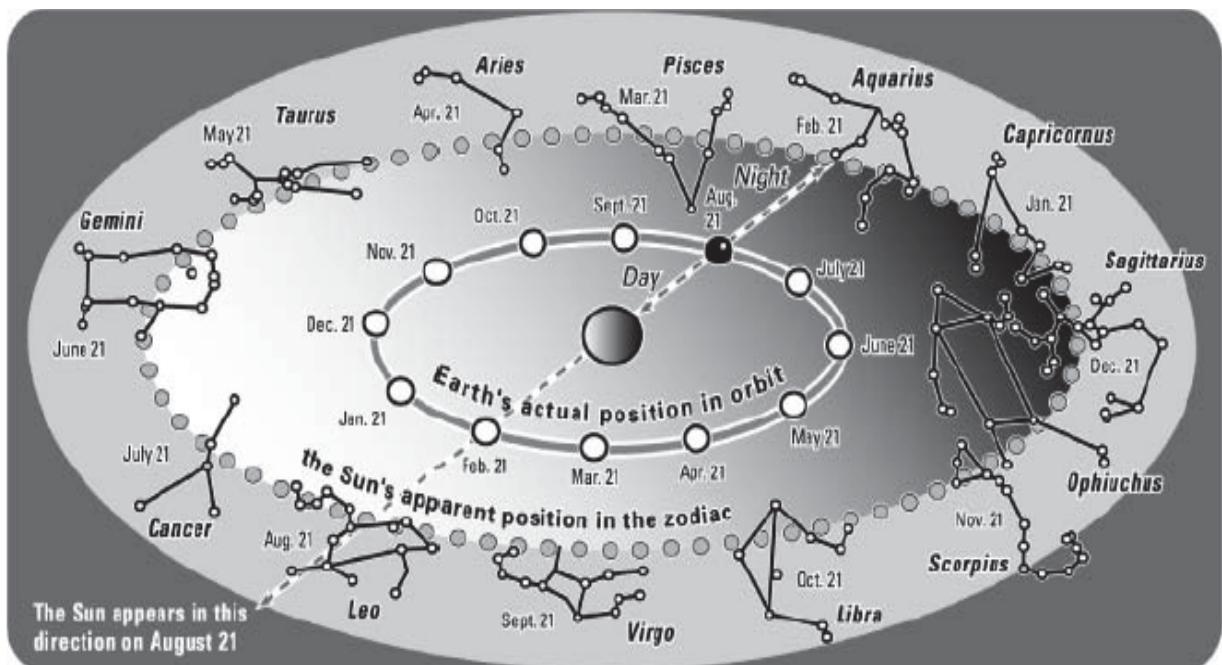


**الشكل (٥)- صورة تبين موضع الأسطرلاب بيد الراصد عند القيام بحساب عمق البئر<sup>(٢٨)</sup>.**

**٥- كيفية معرفة عروض الكواكب الثابتة وهو بعدها من منطقة فلك البروج**

يتحدث ابن أبي الصلت في كتابه رسالة في العمل بالأسطرلاب عن كيفية معرفة عروض الكواكب الثابتة؛ الذي هو بعدها عن منطقة فلك البروج، وذلك باستخدام الأسطرلاب، فيقول: «إذا أردت معرفة ذلك: فاعرف دائرة السمتية التي يقع عليها قطب ذلك البروج، ومحددة الكوكب على ما تقدم، واعرف ارتفاع محددة الكوكب في ذلك الموضع، وارتفاع جزءٍ من منطقة فلك البروج، خذ ما بين الارتفاعين إن كان بينهما فضل فما كان فهو عرض ذلك الكوكب، فإن كان الكوكب داخل منطقة فلك البروج فهو شمالي،

٢٢- رسمنا الصورة بمساعدة برامج الحاسوب؛ على نموذج شكل في كتاب البيروفي التفهيم لأوائل صناعة التنجيم، ص ١٠٠.



الموضع - الذي سُمِّيَناه العرض الأول - كما هو مبين في الشكل السابق، وارتفاع جُزءِيهِ من منطقة فلك البروج.

ت - خذ ما بين الارتفاعين (العرضين الأول والثاني)، ونمِّيَ ما يأتِي:

١ - إذا كان بين الارتفاعين (العرضين) زيادة على محددة الكوكب فهي تمثل عرض ذلك الكوكب؛ أي يكون عرض الكوكب وميله بجهة واحدة.

٢ - إذا كان بين الارتفاعين (العرضين) نقصان عن محددة الكوكب، ننقص العرض الأول من الأكثَر، فالناتج هو عرض ذلك الكوكب؛ أي يكون عرض الكوكب وميله بجهتين مختلفتين.

ث - ولتحديد جهة الكوكب نمِّي:

١ - إذا كان الكوكب داخل منطقة فلك البروج فهو شمالي، وعرضه في الشمال.

٢ - وإن كان خارجاً عنها فهو جنوبي، وعرضه في الجنوب.<sup>(٣٠)</sup>.

<sup>(٣٠)</sup> المصدر السابق، ص ٢٨ ب (ظ).

الشكل (٦) دائرة فلك البروج (المسار الظاهري للشمس)، المقسمة إلى اثني عشر برجاً المعروفة اليوم<sup>(٢٨)</sup>.  
نَتَّبع الخطوات الآتية لِعِرْفَة عِرْضِ الكَوْكَبِ الثَّابِتَةِ:  
أ - يَجُبُ أَن نَعْرِفَ الدائِرَةَ السَّمِّيَّةَ الَّتِي يَقْعُدُ عَلَيْهَا قَطْبُ فَلَكِ الْبَرَوْجِ، وَمَحْدُودَةُ الْكَوْكَبِ، وَذَلِكَ كَمَا هُو مَبِينٌ فِي الشَّكْلِ الْأَتَى:



الشكل (٧) صورة تبيَّن الدائِرَةَ السَّمِّيَّةَ الَّتِي يَقْعُدُ عَلَيْهَا قَطْبُ فَلَكِ الْبَرَوْجِ، وَمَحْدُودَةُ الْكَوْكَبِ<sup>(٢٩)</sup>.  
ب - ثُمَّ اعْرِفْ ارْتِفَاعَ مَحْدُودَةِ الْكَوْكَبِ فِي ذَلِكِ

28 - Celletti (A.), Perozzi (E.), *Celestial Mechanics*, Library of Congress, OP. Cit., P.77.

٢٩ - رسمنا الصورة بمساعدة برامج الحاسوب، بحسب كلام ابن أبي الصلت، إذ عُدَّ الارتفاع الأول هو ذاته العرض الأول، وعُدَّ الارتفاع الثاني هو ذاته العرض الثاني.

- ٥- حاجي خليفة، دون سنة نشر، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي، لبنان، مج ١.
- ٦- حمود، جاسم، حُقُّ ١٤٤ هـ / ٢٠١٨ م، مخطوط رسالة في العمل بالأسطرلاب لأمية بن أبي الصلت، مشروع ماجستير بإشراف الأستاذ الدكتور مصطفى موالي، معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب، سورية.
- ٧- الخوارزمي، أبو عبد الله بن أحمد بن يوسف الكاتب، نشر ١٣٤٩ هـ / ١٩٣٠ م، مفاتيح العلوم، الطبعة الأولى، طبعه عثمان خليل، مصر.
- ٨- الغازى، أحمد باشا مختار، ١٣٠٦ هـ / ١٨٨٩ م، رياض المختار في مرآة الأشكال، ترجمة حمزة شفيق بك منصور، الجامعة الكبرى الأميرية ببورقاق، مصر، ط١.
- ٩- القبيسي، عبد العزيز، مخطوط المدخل إلى صناعة أحكام النجوم، نسخة مصورة معهد التراث العلمي برقم ٩١٣، حلب - سورية، ص٣ و١٠.
- ١٠- مجموعة من المؤلفين، نشر ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م، الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢.
- 11- Celletti (A.), Perozzi (E.), Celestial Mechanics, Library of Congress.
- 12- Ford (D.M), 2010, Make your own Model Astrolabe.
- 13- Timothy (J.M.), 2011, Astrolabe the Missing Manual, California.

## الاستنتاجات:

من خلال البحث وصلنا إلى استنتاجات عدة هي الآتية:

- ١- استخدم الأسطرلاب كجهاز مساحي؛ إذ استخدم في حساب المساحات والسعات.
- ٢- استخدم الأسطرلاب في معرفة الارتفاعات والأعماق، ولذلك له أهمية كبيرة، ولا سيما في الأماكن التي يصعب الوصول إليها.
- ٣- الأسطرلاب من أهم الآلات الفلكية التي كان لها استخدامات هندسية مهمة جداً في المجتمع العربي والإسلامي.
- ٤- استخدم الأسطرلاب في معرفة ارتفاعات الكواكب من الأمور المهمة في ميدان علم الفلك.

## المصادر والمراجع العربية والأجنبية

- ١- أبو الصلت، أمية بن عبد العزيز، مخطوط رسالة العمل بالأسطرلاب، مخطوطة المكتبة البريطانية، مخطوطات شرقية، Or5479، بريطانيا.
- ٢- بروكلمان، كارل، نشر ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٩ م، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ج٤.
- ٣- البيروني، محمد بن أحمد، نسخ ٨٢٣ هـ / ١٤٢٠ م، كتاب التفهيم لأوائل صناعة التنجيم، المكتبة البريطانية، Or8349، مخطوطات شرقية.
- ٤- التهانوي، محمد علي، ١٩٩٦ م، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ج١.

# المخطوطات العربية

## وتأريخ المشاريع الهندسية

د. مها الشعار\*

### أولاً - مقدمة:

رافق علم الهندسة المدنية الإنسان في كل المشاريع الهندسية التي قام بها ابتداء من البيت الصغير البسيط الذي كان من الضروري معرفة مزايا مواد البناء المحيطة به ومساواتها للتوصل إلى أفضل طريقة للتعامل مع تلك المواد، مروراً بالمنشآت المائية (قنوات المياه - السدود- الصهاريج- الأفلاج-...) التي أقامها لتأمين مياه الشرب لبلدته، ومياه الري لأراضيه الزراعية، فكان من الضروري تعرُّف مبادئ علم المساحة وعلم الهندسة المائية لضمان جريان الماء بالراحة وضمان ثبات تلك المنشآت تحت ضغط المياه، وصولاً إلى الأبنية العظيمة (الأبنية الدينية- الأبنية الاقتصادية- الأبنية التعليمية- ...)، فكان من الواجب التوصل إلى قوانين علم الأساسات وعلم الإنشاء والبناء لضمان بقاء تلك الأبنية الضخمة سنين طويلة.

ورغم قِدم هذا العلم فإن الدراسات لتاريخه يواجهه صعوبة بالغة في تعرُّف أهم المشاريع الهندسية الرائعة التي أقامتها الحضارات القديمة والحضارة العربية/ الإسلامية لخراب أغلبها ودماره، وندرة المخطوطات المختصة المهتمة بهذه المشاريع، وهنا يظهر دور المخطوطات العربية القديمة التي يستطيع الباحث من خلال الغوص في بطنونها تعرُّف بعضٍ من هذه المشاريع، وبوصف غير مكتمل في معظم الأحيان، فأغلب مؤلفي هذه المخطوطات كانوا مؤرخين أو جغرافيين.

### ثانياً- أهم المشاريع الهندسية قبل الإسلام في المخطوطات العربية:

#### ١- وصل البحر الشامي (الأبيض) بالمحيط الأطلسي:

يمكن أن نطلق على هذا المشروع اسم المشروع العملاق، وهذا ما مَازَهُ من باقي المشاريع المنشأة في تلك الفترة.

سنورد في بحثنا هذا ملامح هندسية إنشائية لبعض من هذه المشاريع المميزة من نواح عدة مما ذكر في مخطوطاتنا العربية التي تُظْهِرُ ذكاء مهندسي تلك العصور والحلول الناجعة التي تفتقت عنها مخيلتهم المبدعة، وذلك كخطوة أولى لتأريخ أبرز المشاريع الهندسية.

\* أستاذ مساعد معهد التراث العلمي العربي-جامعة حلب.

«البحر الشامي فيما يُحكى أنه كان بركة منحازة<sup>(٢)</sup> مثل ما هو عليه الآن بحر طبرستان لا يتصل ماؤه بشيء من مياه البحور، وكان أهل المغرب الأقصى من الأمم السالفة يغيرون على أهل الأندلس، فيضرون بهم كل الإضرار، وأهل الأندلس أيضاً يكابدونهم ويحاربونهم جهد الطاقة إلى أن كان زمان الإسكندر، ووصل إلى أهل الأندلس، فأعلموه بما هم عليه من التناكر مع أهل السوس، فأحضر الفعلة والمهندسين، وقصد مكان الزقاق، وكان أرضاً جافة، فأمر الممهندسين بوزن الأرض ووزن سطوح ماء البحرين، ففعلوا ذلك، فوجدوا البحر الكبير يشفّ علوه على البحر الشامي بشيء يسير»<sup>(٣)</sup>.

وزن الأرض هي عملية مساحية تُعرف اليوم باسم التسوية، ويتم بواسطتها قياس فرق المنسوب بين نقطتين؛ أي المسافة الرأسية بين سطحي التسوية المارين بينهما، أو بمعنى آخر معرفة مقدار ارتفاع إحدى النقطتين عن الأخرى، ومنها يمكن تحديد ميل الأرض الطبيعية، لذا يُعد وزن الأرض جزءاً من أعمال المساحة الهندسية المستخدمة لأغراض التصميم لأي مشروع مائي هندي، ولا سيما في تقدير ميل القنوات المائية لضمان جريان الماء فيها بالراحة دون الحاجة لآلات رفع المياه.

٢- منحازة: منضم بعضها إلى بعض، معلمة، بائنة حدودها غير متصلة بشيء، منعزلة.

الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٢هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، راجعه واعتنى به محمد محمد تامر وأنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٩م، حرف الحاء، مادة «حون»، ص ٢٩٣.

٣- الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله (عاش في القرن السادس الهجري)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م، مج ٢، ج ١، الإقليم الرابع، ص ٥٦٦.

حدثنا الجغرافي العربي الكبير الإدريسي (عاش في القرن السادس الهجري) في مخطوطته الجغرافية الموسوعية الشهيرة «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» عن هذا المشروع الضخم، في سياق كلامه على البحر المتوسط الواقع في الإقليم الرابع، الذي سُميَ بالبحر الشامي في زمن إدارة العرب له، فذكر أن البحر الشامي كان في قديم الزمان عبارة عن بركة كبيرة محصورة منعزلة لا تتصل مياهها بمحيط الأطلسي كما هو الوضع اليوم، وكانت المنطقة التي تمثل مضيق جبل طارق في الوقت الحاضر تُسمى بالزنقة عبارة عن أرض يابسة تفصل البحر الشامي عن المحيط الأطلسي.



#### خرائط مضيق جبل طارق<sup>(١)</sup>

وكان سكان المغرب الأقصى في تلك الفترة يعبرون عليها ليغيروا على سكان الضفة الأخرى، فيؤذونهم أدى شديداً، فيحاربونهم أهل الضفة الأخرى ويصدّونهم عن مدنهم وقرائهم، بقي الوضع على هذا الحال إلى أن مر بهم الإسكندر المقدوني (٣٢٣ - ٣٥٦ ق.م)، فشكّا إليه أهل الضفة الأخرى ما يعانون من أذى أهل المغرب، فأمر بإحضار العمال والمهندسين، وأمرهم بوزن أرض الزقاق، ووزن سطح مياه البحر الأبيض وسطح مياه المحيط الأطلسي على ضفتي الزقاق. يقول الإدريسي:

١- جبل طارق GIBRALTAR كل المعلومات عنه وسبب تسميته، يونيو 15، 2020، <https://akhbarak.net/>

التي بين بلاد طنجة وبلاد الأندلس، فُحفرت حتى وصل الحفر إلى الجبال التي في أسفل الأرض، وبني عليها رصيفاً بالحجر والجيار إفراغاً، وكان طول البناء اثنى عشر ميلاً، وهو الذي كان بين البحرين من المسافة وبعد، وبني رصيفاً آخر يقابلة مما يلي لأرض طنجة، وكان بين الرصيفين سعة ستة أميال فقط، فلما أكمل الرصيفين ودخل البحر الشامي فاض ماوه عليه، وهلكت بذلك مدن كثيرة كانت على الشطرين معاً، وغرق أهلها، وطغى الماء على الرصيفين نحو إحدى عشرة قامة<sup>(٦)</sup>.

ويؤكد الإدريسي أنه في زمانه، وفي أوقات صفاء البحر كان بقايا الجدار المبني على ضفة بلاد الأندلس تظهر للعيان، ويسمونه أهل الأندلس القنطرة، أما الرصيف المبني على ضفة بلاد المغرب فقد دمرته المياه الجارفة، وبات أثراً بعد عين، فيذكر:

«أما الرصيف الذي يلي بلاد الأندلس فإنه يظهر في أوقات صفاء البحر في جهة الموضع المسمى بالصفحة ظهوراً بينما طوله على خط مستقيم، والربيع قد ذرعه، وقد رأينا عياناً، وجرينا على طوله بطول الزقاق مع هذا البناء، وأهل الجزيتين يسمونه القنطرة، ووسط هذا البناء يوافق الذي فيه حجر الأيل على البحر، وأما الرصيف الآخر الذي بناه الإسكندر في جهة بلاد طنجة فإن الماء حمله في صدره، واحتقر ما خلفه من الأرض، وما استقر ذلك حتى وصل إلى الجبال من كلتا الناحيتين»<sup>(٧)</sup>.

وهكذا تمكنَت الدراسات التي أجرتها مهندسو الإسكندر المقدوني من تحقيق فكرة الإسكندر، ولكن

٦- الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مج ٢، ج ١، الإقليم الرابع، ص ٥٢٦-٥٢٧.

٧- الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مج ٢، ج ١، الإقليم الرابع، ص ٥٢٧.

جائت نتيجة قياسات المهندسين أن المحيط الأطلسي أعلى من البحر الشامي بشيء يسير، فكر الإسكندر طويلاً لإيجاد حل لهذه المشكلة بناء على قياسات المهندسين، وكان الحل برأيه يستند إلى أمرتين: أولاً- بناء جدار عالٌ على طرف الزقاق ليكون كل منهما بمنزلة حاجز يمنع أهل المغرب من تسلقه.

ثانياً- حفر أرض الزقاق لتصل مياه البحر الشامي مع المحيط الأطلسي، فتكون حاجزاً مائياً يصعب عبوره إلى الضفة المقابلة.

بدأ العمال والمهندسوں بتنفيذ فكرة الإسكندر، فنقلت المدن الواقعة على الساحل إلى مناطق أعلى، ثم حفرت الأرض بين الطرفين: طرف طنجة (في المغرب العربي)، وطرف بلاد الأندلس (كما يسميه الإدريسي في زمانه) حتى وصل الحفر إلى أسفل الجبال القائمة على الطرفين، فبني عليها رصيف<sup>(٤)</sup> (أي ما يشبه الجدار) بالحجر والجير، وكان طول هذا الجدار من طرف بلاد الأندلس ١٢ ميلاً، كما بني جدار مقابل الجدار السابق على ضفة بلاد المغرب، وجاءت اللحظة الحاسمة عندما فتحت صلة الوصل بين البحر والمحيط، فارتقت المياه وأغرقت الجدارين، ثم ارتفعت فوقهما نحو ١١ قامة<sup>(٥)</sup>، أي ما يعادل ٢٢ متراً تقريباً، يقول الإدريسي:

«فرفعوا البلاد التي على الساحل من بحر الشام ونقلت من أخفض إلى أرفع، ثم أمر أن تُحفر الأرض

٤- رصيف: رصف: وهي حجارة مرصوف بعضها إلى بعض، وتقول منه: رصفت الحجارة في البناء أرصفها رصفاً: إذا ضمت بعضها إلى بعض. الجوهري، الصحاح، حرف الراء، مادة «رصف»، ص ٤٤٦.

٥- القامة: وحدة للطول يُراد بها في الأصل طول الإنسان، كان العرب والسلمون - ومازالوا - يتعاملون بها، وتعادل عند الإدريسي نحو ١,٩٧٣١ متراً. فاخوري، محمود وخواص، صلاح الدين، موسوعة وحدات القياس العربية والإسلامية، مكتبة لبنان ناشرون، ٢٠٠٢م، ص ١٤٧.



خرائط توضح موقع همدان في إيران<sup>(١)</sup> وفيما يأتي قصة المنارة المبنية من حوافر الحمر الوحشية، وسنترك القزويني (٦٨٢-٦٠٥هـ) يخبرنا عنها بأسلوبه الشائق في مخطوطته (آثار البلاد وأخبار العباد) أثناء حديثه عن أسفجين، فيقول: «أَسْفَجِينُ»: قرية من قرى همدان من ناحية يقال لها ونجر<sup>(٢)</sup> بها منارة الحوافر، وهي منارة عالية من حوافر حمر الوحش، وقد حُكى أن شابور بن أردشير الملك<sup>(٣)</sup> حكم منجموه أنه يزول الملك عنه ويُشقى، ثم يعود إليه، فقال لهم: ما علامه عود الملك؟ قالوا: إذا أكلت خبزاً من الذهب على مائدة من الحديد! فلما ذهب ملكه خرج وحده تختضه أرض وترفعه أخرى، إلى أن صار إلى هذه القرية، فأجر نفسه من شيخ القرية يزرع له نهاراً، ويطرد الوحش عن الزرع ليلاً، فبقى على ذلك مدة، وكانت نفسه نفس الملوك، فرأى شيخ القرية منه أمانة وجلادة، فزوج ابنته منه، فلما تم على ذلك أربع سنين، وانقضت أيام بؤسه، اتفق أن كان في القرية عرس اجتمع فيه رجالهم ونساؤهم،

١١- ويكيبيديا الموسوعة الحرة، مادة «همدان (محافظة)»، <https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AD%D9%85%D8%A7%D9%86>  
١٢- ذكرها ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان، باب الواو والنون وما يليهما، ص ٣٨٤: «ونجر من رستيق همدان قد ذكر أسفجين وفيه منارة ذات الحوافر».  
١٣- شابور بن أردشير: ثاني ملوك الفرس الساسانيين استلم الحكم في الفترة (٢٤٢ - ٢٧٠م).

لم تكن بالدقة المطلوبة كما تصورها هو، وهذا أمر طبيعي، فالقوانين الهندسية والدراسات وتقنيات التنفيذ والأدوات المستعملة في العمل في ذلك الزمان كانت أبسط من أن تكون قادرة على تنفيذ مشروع بحري عملاق ضخم مثل هذا المشروع، ولكن توضح فكرة طرح مثل هذا المشروع العملاق في ذلك الزمان براعة الفكر الهندسي للإسكندر الذي أقام مشاريع هندسية رائدة في مدن عدة مر بها أثناء حملته العسكرية.

## ٢- منارة أسفجين<sup>(٤)</sup>:

تميز هذا المشروع بطرافته وغرابة المواد البناءية المستعملة في إنشائه، وكان من النصب التذكارية المميزة في ذلك الزمان.  
ذكرت المخطوطات العربية أنه في أسفجين التي هي (قرية بهمدان من رستاق ونجر، بها منارة ذات الحوافر)<sup>(٥)</sup>.

وهمدان مدينة من مدن الجمهورية الإيرانية الإسلامية (الآن)، تقع في منطقة الجبال (ميديا القديمة) في سهل خصيب جنوب جبل الوند، وهي مدينة قديمة عُرفت بأنها عاصمة الميديين، وكانت مدينة مهمة على الطريق التجاري بين بلاد الرافدين والشرق في العهد السلوقي والسلطانات الفرثية والساسانية<sup>(٦)</sup>.

٨- الشعار، مها، «مواد البناء النادرة في المؤلفات العربية» في كتاب أبحاث المؤتمر السنوي الرابع والثلاثين لتاريخ العلوم عند العرب المنعقد في جامعة حلب ١٩٤٠ شعبان ١٤٤٠هـ / ٢٢-٢٥ نيسان ٢٠١٩م، منشورات معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب، نشر في ١٧ حزيران ٢٠١٩، ص ٣١.

٩- ياقوت الحموي، شهاب الدين، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، مج ١، باب الهمزة والسين وما يليهما، مادة «أسفين»، ص ١٧٧.

١٠- خماش، نجدة، الموسوعة العربية، مادة «همدان (مدينة)»، مج ٢١، ص ٥١٩.

التي تم اصطيادها لتفطير منارة بهذا الحجم؛ أي إن المنارة كانت نصبًا تذكاريًّا بناه الملك كرمز يذكره أيام الشقاء التي مرت عليه.

أثارت هذه المنارة خيال الملوك والسلطانين الذين سمعوا بقصتها، إذ رغب السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان السلاجوقى (تولى الحكم في الفترة ٤٦٥-١٠٧٢ هـ / ١٠٩٢-١٠٧٢ م) بتقليد عمل شابور، فذكر في مخطوطة «آثار البلاد وأخبار العباد» أنه في «واقصة: منزل بطريق مكة، بها منارة من قرون الوحش وحوافرها كان السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان السلاجوقى خرج بنفسه يشيع الحاج في بعض سني ملكه، فلما رجع أصطاد من الوحش شيئاً كثيراً، فبني من قرونها وحوافرها منارة هناك كما فعله شابور، والمنارة باقية إلى الآن»<sup>(١٩)</sup>.

### ٣- مدينة رومية:

تقع مدينة رومية حسب ما ورد في مخطوطة «آثار البلاد وأخبار العباد» في الإقليم السادس الذي «يبدئ من مساكن ترك المشرق من قاني وتون وخرخيز وكيماك والتفرغز وأرض التركمان وببلاد الخزر واللان والسرير، يمر على القسطنطينية والرومية الكبرى، وببلاد المان وأفرونجة وشمال أندلس، حتى ينتهي إلى بحر المغرب»<sup>(٢٠)</sup>.

ومدينة رومية هي مدينة روما الحالية حسب ما يرجعها بعضهم، وقد ذكرها ياقوت الحموي في مخطوته «معجم البلدان» قائلاً: «هي في بلاد الروم وعلمه، وهي شمالي وغربي القسطنطينية بينهما مسيرة خمسين يوماً أو أكثر، وهي اليوم بيد الإفرنج، وملكتها يقال له ملك المان، وبها يسكن البابا الذي

١٩- القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٢٨٠.

٢٠- القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٥٧٥.

وكانت امرأة شابور تحمل إليه كل يوم طعامه، فكانت في ذلك اليوم اشتغلت عنه إلى ما بعد العصر، فلما ذكرت عادت إلى بيتها، فما وجدت إلا قرصين من الدخن، فحملتهما إليه، فوجدهما ي斯基 وبيتها ساقية، فمد المساحة<sup>(٤)</sup> إليها، فجعلت القرصين عليها، فقعد يأكلهما، فتذكر قول المنجمين: أكل خبز الذهب على مائدة الحديد، فعرف أن أيام المؤس انقضت، فظهر للناس، واجتمع عليه العساكر، وعاد إلى ملكه، فقالوا: ما أشد شيء عليك في أيام المؤس؟ قال: طرد الوحش عن الزرع بالليل!

فصادوا في ذلك الموضع من حمر الوحش ما لا يُحصى، وأمر أن يُبني من حوافرها منارة، فبنيوا منارة ارتفاعها خمسون ذراعاً<sup>(١٥)</sup>، ودورتها<sup>(١٦)</sup> ثلاثون، مصمتة<sup>(١٧)</sup> بالكلس والحجارة، وحوافر الوحش حولها مسمرة بالمسامير، والمنارة مشهورة في هذا الموضع إلى زماننا<sup>(١٨)</sup>.

نفهم من كلام القزويني أن المنارة كانت عبارة عن مبني جداري دائري مصمت لا فتحة فيه، مبني من الأحجار والكلس وقد ثبتت حوافر الحمر الوحشية عليه بالمسامير، وقد بلغ ارتفاع المنارة نحو ٢٥ م، ومحيطها نحو ١٥ م، ولنا أن تخيل عدد الحمر الوحش

١٤- المساحة: آلة كالجرفة يُجرف بها الطين أو نحوه. مسعود، جبران، الرائد، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٩٢ م، ٧٧، حرف الميم، مادة «مسح»، ص ٧٣٧.

١٥- الذراع: وحدة قياس طول، وتعادل ٤٩٣٢٧ م. فاخوري وخواص، موسوعة وحدات القياس العربية والإسلامية، مادة «ذراع»، ص ١٢٤.

١٦- دورتها: محيطها.

١٧- مصمت: ما لا جوف له، وجدار مصمت: لا فرجة فيه. مسعود، الرائد، حرف الميم، مادة «مصمت»، ص ٧٤٦.

١٨- القزويني، ذكريات بن محمد بن محمود، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ص ٢٩٤.

- يدخل النهر المدينة بمجرى كسيت أرضيته وجوانبه بقطع نحاسية صفراء كبيرة مصبوبة كقطع اللبن، ليؤمّن الماء العذب لأرقة المدينة التي بلغ عددها اثنا عشر ألف زقاق، حيث يجري في كل زقاق منها نهران، واحد للشرب، والآخر لمياه المجاري (الخشوش)<sup>(٢٣)</sup>.

- يمر النهر بأسواق المدينة التي يبلغ عددها اثنى عشر ألف سوق، وأرضية الأسواق كلها مبلطة بالرخام، أما أسقفها فمرفوعة على أعمدة عالية يبلغ ارتفاعها ١٥ متراً تقريباً، مبنية من النحاس الأصفر بقواعدها وتيجانها، وبين أعمدة أحد أسواقها حفر ميناء صغير على طول السوق، فتدخل إليه مياه البحر حاملة السفن التجارية المحملة بالبضائع التجارية، فيبتاع التجار منها ما يرغبون، ثم تعود السفن إلى البحر مرة أخرى، كما يوجد في المدينة أسواق أخرى صغيرة بلغ عددها ٢٠٠٠ سوقٌ صغيرة ماعدة الأسواق السالفة الذكر<sup>(٢٤)</sup>.

- في المدينة كنائس عدة، ولكن أهمها كنيسة واسعة جداً بجانبها قصر الملك، ومذبح الكنيسة مصنوع من زبرجد أخضر مربع المسقط (١٠ × ١٠ أذرع) يحمله ٢٠ تمثلاً من الذهب، ارتفاع كل تمثال ١,٥ م، وفي الكنيسة ١٢٠٠ عمود من المرمر الصقيل اللامع، ٢٥ ومثلها من النحاس المذهب، ارتفاع العمود الواحد ١٢٠٠ باب كبار من النحاس الأصفر وأربعون باباً كباراً من الذهب سوى أبواب الأبنوس والعاج وغير ذلك.

٢٣- الخشوش: جمع الحُش موضع قضاء الحاجة.

مسعود، الرائد، حرف الحاء، مادة «حش»، ص ٣٠٥.

٢٤- ياقوت الحموي، معجم البلدان، باب الراء والواو، وما يليهما، مادة «روميه»، ص ١٠٢-١٠٣.

تطييعه الفرنجية، وهو لهم منزلة الإمام، ...، ورومية من عجائب الدنيا بناءً وعظماً وكثرة الخلق»<sup>(٢١)</sup>. وبجمع ما كتبه الجغرافيون العرب في مخطوطاتهم عن هذه المدينة نستطيع التعرف على بعض عجائبها الهندسية:

- فالمدينة واسعة المساحة يبلغ محيطها ٤٠ ميلاً<sup>(٢٢)</sup>، في كل ميل باب، بعض أبوابها مصنوعة من الذهب، وبعضها مكسوة بالنحاس الأصفر. سقوف أبنيتها مكسوة بالرصاص.

- تميزت المدينة بتخطيطها الهندسي الدفاعي الرائع الذي يؤمن لها الحماية الالزمة، ولا سيما أن معظم أبنيتها ومنتشراتها بنيت باستعمال مواد بناء ثمينة مثل (الذهب، الرخام، الأبنوس، العاج، الزبرجد، النحاس المذهب)، فكان يحيط بها سوران مبنيان من الرخام بينهما فاصل عرضه ١٠٠ متراً تقريباً، عرض السور الخارجي ٩ أمتار وارتفاعه ٣١ متراً، أما السور الداخلي فعرضه ٥,٥ أمتار تقريباً، وارتفاعه ٣٦ متراً، ويجري بين السورين نهر عذب، وقد بُني جسر قنطرة على مجرى النهر في المنطقة الفاصلة بين السورين، وصنعت أرضية الجسر من قطع نحاسية ضخمة ليمَرَ النَّاسُ فوقه، بلغ طول القطعة الواحدة ٢٢ متراً تقريباً، وعمق النهر نحو ٦,٤ متراً وعرضه ٢١,٥ متراً، فكلما أراد العدو أن يهاجم المدينة رُفعت تلك القطع النحاسية لتتحول المسافة بين السورين إلى مجرى مائي عميق واسع يستحيل على العدو عبوره.

٢١- ياقوت الحموي، معجم البلدان، باب الراء والواو، وما يليهما، مادة «روميه»، ص ١٠٠.

٢٢- الميل: يعادل ٤٠٠٠ ذراعاً.

فاخوري وخواص، موسوعة وحدات القياس العربية والإسلامية، مادة «الميل»، ص ١٦٠.

ميل منها باب مفتوح، قال: فانتهينا إلى أول باب وإذا سوق البياطرة وما أشبهه، ثم صعدنا درجاً فإذا سوق الصيارة والبازارين»<sup>(٢٧)</sup>.

وذكر القزويني المدينة، فقال: «وثلاثة جوانب المدينة في البحر، والرابع في البر، ولها سوران من رخام، وبين السورين فضاء طوله مئتا ذراع، وعرض السور ثمانية عشر ذراعاً، وارتفاعه اثنان وستون ذراعاً، بها نهر بين السورين يدور ماؤه في جميع المدينة، وهو ماء عذب يدور على البيوت ويدخلها، وعلى النهر قنطرة بدفوف النحاس، كل دفة منها ستة وأربعون ذراعاً، إذا قصدهم عدو رفعوا تلك الدفوف، فيصير بين السورين بحر لا يرام، وعمود النهر ثلاثة وتسعون ذراعاً في عرض ثلاثة وأربعين ذراعاً، وبين باب الملك إلى باب الذهب اثنا عشر ميلاً، وسوق متبد من شرقيه إلى غربيه بأساطين النحاس، وسقفه أيضاً نحاس، وذكر أن بين يدي هذا السوق سوقاً آخر على أعمدة نحاس، كل عمود منها ثلاثون ذراعاً، وبين هذه الأعمدة نقير<sup>(٢٨)</sup> من نحاس في طول السوق من أوله إلى آخره، فيه لسان من البحر تجري فيه السفن، فتجيء السفينية في هذه النقرة، وفيه الأمة حتى تجتاز على السوق بين يدي التجار، فتفق على تاجر تاجر، فيختار منها ما يريد ثم ترجع إلى البحر. وفي المدينة اثنا عشر زقاقاً، يجري في كل زقاق منها نهران: أحدهما للشرب، والآخر للخشوش، وفيها اثنا عشر ألف سوق، في كل سوق قبانان، وأسواقها كلها مفروشة بالرخام الأبيض، منصوبة على أعمدة النحاس، مطبقة بدفوف النحاس.

٢٧- ياقوت الحموي، معجم البلدان، باب الراء والواو، وما يليهما، مادة «روميا»، ج ٣، ص ١٠١.

٢٨- نقير: من نقر، وهو حفرة في الأرض.

الجوهري، الصحاح، حرف النون، مادة «نقر»، ص ١١٦٣.

وهكذا كانت المدينة تلأ بأبنيتها عندما تنعكس أشعة الشمس الساقطة على أسطحها وأبوابها ونهرها وأعمدتها، فتخالب عقول زوراها المبهورين بغمى أهلها الفاحش.

ذكرها ابن الوردي في مخطوطته «خريدة العجائب وفريدة الغرائب»، فقال:

«مدينة عظيمة، ولها أسوار منيعة، لها سوران منيعان من حجر، عرض كل سور منها وسمكه مقدار معين، فأحدهما وهو الداخلي المحيط بالمدينة عرضه أحد عشر ذراعاً، وارتفاعه اثنان وسبعين ذراعاً، وهناك أسطوانات من نحاس أصفر وقواعدها ورؤوسها مفرغ منها، وبها نهر يشقها، وهذا النهر كله مفروش ببلاط من نحاس كهيئة اللبن الكبار، وداخل المدينة كنيسة عظيمة طولها ثلاثة ذراع، وارتفاعها ثلاثة ذراع، وأركانها من نحاس مفرغ مغطى كلها بالنحاس الأصفر»<sup>(٢٩)</sup>.

أما ياقوت الحموي فقد فصل أكثر في وصف عجائبها ناقلاً، فقال: «مدينة رومية: من عجائب الدنيا لعظم عمارتها وكثرة خلقها خارج عن العادة إلى حد لا يصدقه السامع»، ثم ذكر رواية أحد التجار العرب الذين ذهبوا في تجارة إلى رومية، فقال واصفاً المدينة عندما رأها من أعلى جبل وهو في الطريق إليها، فقال: « فعلونا جبلاً في الطريق فإذا بشيء أخضر كهيئة اللح فكبنا، فقال لنا الرسول: لم كبرتم؟ قلنا: هذا البحر ومن سبينا أن نكبر إذا رأينا، فضحك وقال: هذه سقوف رومية وهي كلها مرصصة<sup>(٣٠)</sup> قال: فلما انتهينا إلى المدينة إذا استدارتها أربعون ميلاً، في كل

٢٥- ابن الوردي، سراج الدين (ت ٨٦١ هـ / ١٤٥٧ م)، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تحقيق أنور محمود زناتي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط ١، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٨ م، ص ١٧٣.

٢٦- مرصصة: أي مكسوة بالرصاص.



خرائط توضح موقع إيزاج في إيران<sup>(٢١)</sup>  
وكان زوار المدينة يعانون الأمرّين، ففي أوقات  
الجفاف كان عليهم أن يقطعوا مسافات طويلة وعرة  
وصعبه عبر هذا الوادي للوصول إلى المدينة، أما في  
وقت موسم المطر فكانت الطرق تقطع تماماً لمدة  
طويلة، فلا يستطيع أحد عبور الوادي إلا بعد انتهاء  
موسم الأمطار وجفاف أرض الوادي بشكل كامل،  
وللتغلب على هذه المشكلة ولتسهيل عبور الناس  
والوادي صيفاً وشتاءً، قرر أردشير الملك<sup>(٢٢)</sup> أن يشيد  
جسراً مقنطراً على طول الوادي يختصر المسافات  
والصعاب التي كان المسافرون يلاقونها أثناء عبور  
الوادي، وتجري المياه من تحته عبر القنطرة في موسم  
الأمطار، فيبقى الجسر من الأعلى جافاً للعبور عليه.  
بُدئ العمل في حفر أساس القنطرة تحت الأرض،  
فُبني بالرصاص والحديد حتى وصل إلى وجه الأرض،  
وأتم بناء الأساس حتى وصل ارتفاعه ٢٠ متراً فوق

٢١ - ويكيبيديا الموسوعة الحرة، مادة «إيزاج»  
<https://ar.wikipedia.org>

٢٢ - أردشير الملك: أردشير بن بابك بن ساسان (٢٤٢-١٨٠م)،  
حاكم إصطخر وولي فارس. أسقط الإمبراطورية البارثية، وأصبح  
أول الملوك الساسانيين.

وفيها كنيسة صهيون، طولها فرسخ في عرض  
فرسخ في سمك مئتي ذراع، ...، وفي الكنيسة ألف  
ومئتاً أسطوانة من المرمر الملمع، ومثلها من النحاس  
المذهب، طول كل أسطوانة خمسون ذراعاً، ولها ألف  
ومئتاً باب كبير من النحاس الأصفر المفرغ، وأربعون  
باباً من الذهب، وأما الأبواب من الأبنوس والعاج  
فكثيرة، وفيها مئتا ألف وثلاثون ألف سلسلة من  
ذهب معلق من السقف بيكر تعلق منها القناديل»<sup>(٢٣)</sup>.

#### ٤- قنطرة خرہ زاد في مدينة إيزاج:

تميز هذا المشروع بأبعاده الضخمة، وبتقنية  
إنشائه الفريدة التي تعاملت مع مواد بناء صعبة  
التعامل معها مثل النحاس وال الحديد والرصاص لبناء  
جسر في ظروف طبيعية شاقة جداً.

إيزاج مدينة إيرانية تقع في محافظة خوزستان في  
جمهورية إيران الإسلامية، فيها قنطرة عجيبة، إذ  
تمتد هذه القنطرة على كامل امتداد واد يبلغ طوله  
أكثر من ٥٠٠ متر، وعمقه ٧٥ متراً، وهذا الوادي  
يابس لا ماء فيه إلا في أيام موسم الأمطار حينئذ يمتلئ  
بالماء، ويتحول إلى بحر عميق متلاطم الأمواج.  
ذكرها ياقوت الحموي في مخطوطته «معجم  
البلدان» قائلاً:

«إيزاج: كورة وبلد بين خوزستان وأصبها، وهي  
أجل مدن هذه الكورة، وسلطانها يقوم بنفسه، وهي  
في وسط الجبال، يقع بها ثلج كثير يحمل إلى الأهواز  
والنواحي، ...، وقنطرة إيزاج من عجائب الدنيا  
المذكورة لأنها مبنية بالصخر على واد يابس بعيد  
القعر»<sup>(٢٤)</sup>.

٢٩ - القزويني، آثار البلاد وتاريخ العباد، ص ٥٩١-٥٩٣.

٣٠ - ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج ١، حرف الهمزة، باب  
الهمزة والياء وما يليهما، مادة «إيزاج»، ص ٢٨٨.

وجه الأرض بالرصاص والحديد، وكلما علا البناء ضيق، وجعل بينه وبين جنب الوادي حشو من خبث الحديد، وصب عليه الرصاص حتى صار بينه وبين وجه الأرض نحو من أربعين ذراعاً، فعقدت القنطرة عليه حتى استوى أعلىها على وجه الأرض، وحشى ما بينها وبين جنبي الوادي بالرصاص المخلوط بنحارة النحاس، وهذه القنطرة طاق<sup>(٢٥)</sup> واحد عجيب الصنعة محكم العمل»<sup>(٢٦)</sup>.

بقيت القنطرة عامرة تخدم أهل المدينة بعد الإسلام إلى أن خربت على يد أحد المشاغبين، وسرق بعضهم الرصاص الموجود في حشوها، فبقيت مهدمة، ولم يكن بوسع أحد إصلاحها لضخامه العمل وصعوبته، إلى أن أعاد إليها الحياة وزير الحسن بن بويه<sup>(٢٧)</sup>، الذي جمع العمال والمهندسين، وتفرغ لبنائها مرة أخرى، فكان العمال يجلسون في القفف المربوطة بالبكرات والحبال لينزلوا إلى أرض الوادي، وهناك يذيبون الرصاص والحديد ويصبوونه على الحجارة، وقد استغرق العمل بضع سنين حتى استطاعوا إنجازه، وكلف هذا العمل ٣٥٠٠٠ دينار ذهبي ثمن المواد فقط، لأن أغلب العمال كانوا يعملون سخرة.

٢٥- طاق: ما أُعطِف وجعل كالقوس من الأبنية.  
مجموعة من المؤلفين، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشرق الدولية، القاهرة، ط٤، ١٤٢٥ / ٢٠٠٤م، باب الطاء، مادة «طاق»، ص ٥٧١.

٢٦- القرزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٣٠٣.  
٢٧- الحسن بن بويه: هو أبو علي الحسن بن بويه بن فنا خسرو الديلمي الملقب ركن الدولة (٩٢٤-٩٦٦هـ) مؤسس الدولة البويمية، فكان صاحب أصبانه والري وهمدان وجميع عراق العجم.

موسوعة المعرفة الإلكترونية، مادة «ركن الدولة أبو علي الحسن بن بويء»، <https://www.marefa.org/>

سطح أرض الوادي، ولتنبيته ومنعه من الانجراف أمام ضغط الماء الهائل ملئ الفراغ بين الأساس وكتف الوادي بخبث الحديد، ثم صب عليه الرصاص لتقوية الاتصال بينهما، وكان الأساس عريضاً من الأسفل ويضيق كلما ارتفع، ثم بدأ بتشييد القنطرة فوقه حتى وصلت إلى سطح الأرض المجاورة للوادي، فملئ الفراغ الموجود بينها وبين جنبي الوادي بالرصاص المخلوط بنحارة بالنحاس لزيادة صلابته، والمثير للدهشة أن هذه القنطرة الضخمة بأبعادها الكبيرة من حيث الطول والارتفاع كانت مؤلفة من فتحة واحدة فقط، وقد سمّاها أردشير بقنطرة خره زاد على اسم والدته.



صورة توضح شكل جسر القنطرة الحجري<sup>(٢٨)</sup>  
حدثنا القرزويني عن تقنية بناء هذه القنطرة في مخطوطته «آثار البلاد وأخبار العباد»، فقال:

«بها قنطرة من عجائب الدنيا يقال لها قنطرة خره زاد، وهي أم أردشير الملك، مبنية على واد يابس لا ماء فيه إلا أوان المدود من الأمطار، فإنه حينئذ يصير بجراً عجاجاً<sup>(٢٩)</sup>، وفسحته على وجه الأرض أكثر من ألف ذراع، وعمقه مئة وخمسون ذراعاً، وقد ابتدأ بعمل هذه القنطرة من أسفلها إلى أن بلغ بها

٢٣- شام الروح ٢ - جسر القنطرة من أهم معالم القصرين الأثرية، <https://www.facebook.com/yshamoooy/>

٢٤- عجاج: رفع الصوت، ونهر عجاج: لائه صوت.  
الجوهري، الصحاح، حرف العين، مادة «عجاج»، ص ٧٣٤.

البصرة هي أول مدينة عربية أُنشئت في العصر الإسلامي عام ١٤هـ / ٦٣٥م في زمن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بناها القائد العربي عتبة بن غزوان لتكون مقرًا للجيش الإسلامي. تقع مدينة البصرة على الضفة الغربية لنهر شط العرب، الذي يتكون من التقاء نهري دجلة والفرات، ويصب في الخليج العربي، وتبعد البصرة عن هذا المصب<sup>(٤١)</sup> مسافة ١١٠ كم، وكانت تقع على بعد ١٤ كم جنوب غرب مدينة البصرة الحالية<sup>(٤٢)</sup>، وقد استمر وجودها في هذا الموضع أكثر من سبعة قرون<sup>(٤٣)</sup>.

يروي البلاذري قصة بناها في مخطوطته «فتح البلدان» قائلاً:

«لما نزل عتبة بن غزوان الخريبة كتب إلى عمر بن الخطاب يعلمه نزوله إليها، وأنه لا بد للمسلمين من منزل يشتون به إذا شتوا، ويكتنson فيه إذا انصرفوا من غزوهم، فكتب إليه أن اجمع أصحابك في موضع واحد، ول يكن قريباً من الماء والمراعي، واكتب إلى بصفته، فكتب إليه: إني وجدت أرضاً كثيرة القصبة في طرف البر إلى الريف، ودونها مناقع ماء فيها قصباء. فلما قرأ الكتاب قال: هذه أرض نمرة قريبة من المشارب والمراعي والمحطوب، وكتب إليه أن أنزلها الناس، فأنزلهم إليها، فبنوا مساكن بالقصب، وبنى عتبة مسجداً من قصب، وذلك في سنة ١٤». <sup>(٤٤)</sup>

٤١- السريج، عبد الحسين جواد، مادة «البصرة»، الموسوعة العربية، الهيئة العامة للموسوعة، دمشق، مج ٥، ص ١٢٩.

٤٢- علي، نادية نوري، «نشأة مدينة البصرة وتطورها العمراني في القرن الأول الهجري»، مجلة دراسات البصرة، السنة السابعة، العدد ١٤، ٢٠١٢م، ص ٢٠٢.

٤٣- السريج، مادة «البصرة»، مج ٥، ص ١٢٩.

٤٤- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م)، فتوح البلدان، شركة طبع الكتب العربية، ١٣١٧هـ / ١٩٠٠م، ص ٣٥٤.

حدثنا عن هذا المشروع الضخم ياقوت الحموي في مخطوطته «معجم البلدان»، فقال: «وقد كان المسمعي<sup>(٤٨)</sup> قطعها، فمكثت دهراً لا يتسع أحد لبنيتها، فأضرر ذلك بالسابلة ومن كان يجتاز عليها لا سيما في الشتاء ومدود الأودية، وكان ربما صار إليها أقوام من بقرب منها، فيحتالون في قلع الرصاص من حشوها من الرصاص بالجهد الشديد، فلم تزل على ذلك دهراً حتى أعادها ما انهدم منها وعقدها أبو عبد الله محمد بن أحمد القمي المعروف بالشيخ وزير الحسن بن بويه، فإنه جمع الصناع والمهندسين، واستفرغ الجهد والواسع في أمرها، فكان الرجال يُحطرون إليها في الزنابيل<sup>(٤٩)</sup> بالبكرة والحبال، فإذا استقروا على الأسس أذابوا الرصاص وال الحديد وصبوه على الحجارة، ولم يمكنه عقد الطاق إلا بعد سنين، فيقال إنه لزمه على ذلك، سوىأجرة الفعلة، فإن أكثرهم كانوا مسخرين من الرساتيق التي بين إينج وأصفهان، ثلاثة ألف بینار وخمسون ألف دینار، والآن في مشاهدتها والنظر إليها عبرة لأولي الألباب»<sup>(٤٠)</sup>.

ثانياً- أهم المشاريع الهندسية بعد الإسلام في المخطوطات العربية:

### ١- نهر الأبلة في البصرة:

تميز هذا المشروع بأنه أول مشروع إروائي هندي قام به العرب المسلمين في العراق في أول وأقدم مدينة عربية البصرة.

٤٨- المسمعي: لم نعرفه، ربما كان قاطع طريق.

٤٩- الزنابيل: ج زنابيل. الفقة، الوعاء، الجراب.

٤٠- ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، باب القاف والنون وما يليهما، مادة «فنطرة خُرَزان»، ص ٦٠٤.

فوق الأبلة بأربعة فراسخ يجرى في سباح، لا عمارة على حافاته»<sup>(٤٨)</sup>.

اشتكى أهل البصرة على لسان الأحنف بن قيس الذي قدم مع وفد أهل البصرة إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فجعل الخليفة «يسألهم رجالاً رجالاً، والأحنف في ناحية البيت لا يتكلم، فقال له عمر: أما لك حاجة؟ قال: بلى يا أمير المؤمنين، إن مفاتيح الخير بيد الله، وإن إخواننا من أهل الأمصار نزلوا منازل الأمم الخالية بين المياه العذبة والجتان الملنقة، وإننا نزلنا سبخة<sup>(٤٩)</sup> نشاشة<sup>(٥٠)</sup>، لا يجف نداجها، ولا ينبت مراعها، ناحتتها من قبل المشرق البحر الأجاج، ومن قبل المغرب الفلاة، فليس لنا زرع ولا ضرع، تأتينا منافعنا وميرتنا في مثل مريء النعامة، يخرج الرجل الضعيف، فيستعدب الماء من فرسخين<sup>(٥١)</sup>، وتخرج المرأة لذلك فترقب<sup>(٥٢)</sup> ولدها كما يُربق العنزة يخاف بادرة العدو وأكل السبع، فإذا ترتفع خسيستنا وتتجبر فاقتنا نكنْ كقوم هلكوا، فالحق عمر ذراري أهل

٤٨- البلذري، فتوح البلدان، ص ٣٥٦.

٤٩- سبخة: أرض ذات ملح ونَّرْ، جمعها سباح، والسبخة هي الأرض التي تطواها الملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر، والسبخة ما يعلو الماء من طلوب وتحوه.

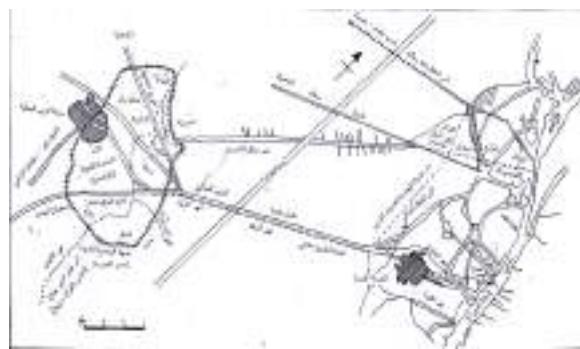
٥٠- نشاشة: سبخة نشاشة لا يجف ثراها ولا ينبت مراعها، وقيل سبخة نشاشة وهو ما يظهر من ماء السباح فينش فيها حتى يعود ملحاً.

ابن منظور، لسان العرب، ج ٨، حرف الشين المعجمة، فصل النون، مادة «نشش»، ص ٢٤٤.

٥١- فرسخ: وحدة للطول يراد بها في الأصل المسافة التي إذا قطعها المسافر قعد واستراح، كان العرب يتعاملون بها في قياسات المسافات الطويلة، ويعادل نحو ٥,١٩٣ كيلومتراً.

٥٢- تربق: من الربيق، وهو جبل فيه عدة عُرَا شهد به البهم. ابن منظور، لسان العرب، ج ١١، حرف القاف، فصل الراء المهملة، مادة «رِيق»، ص ٤٠٣.

ويفهم من كلام الأحنف أن المرأة تربط ولدها بالجبل كما يربط العنزة خوف ضياعه بعد المسافة.



خرائط البصرة الراشدية في القرنين الأول والثاني للهجرة يظهر فيها مسار نهر الأبلة<sup>(٤٥)</sup> تذكر المخطوطات العربية أن أهل مدينة البصرة عانوا كثيراً من قلة المياه الوالصة للمدينة ورداءة نوعها، وذلك لتحول مجرى نهر دجلة والفرات إثر الفيضان الذي اجتاح العراق في السنة السابعة للبعثة النبوية في زمن أبرويز، فأصبحت أغلب المياه تصب في الأراضي المنخفضة (البطائح)<sup>(٤٦)</sup>، مما أدى لانقطاع المياه الوالصة إلى القسم السفلي من مجرى دجلة، فقلت كمية المياه الوالصة إلى شط العرب (دجلة البصرة) الذي تتغذى منه البصرة، وأدى ذلك إلى انخفاض مستوى مياه النهر وأضعف صدتها لآثار مد البحر وجزره حتى باتت الأنهرار ترتفع وتختفي تبعاً لعملية المد والجزر، فتغير مذاق الماء لزيادة نسبة الملوحة فيها، فأصبحت غير مستساغة<sup>(٤٧)</sup> مما اضطر أهل البصرة لشرب ماء البطيخة «وكان شرب الناس قبل ذلك من مكان يقال له دير قاووس، فوهته في دجلة»

٤٥- علي، «نشأة مدينة البصرة وتطورها العمراني في القرن الأول الهجري»، ص ٢٠٣.

٤٦- بطائح: من بطح، والأبطح: مسيل واسع فيه دقاق الحصى، وتبطح السيل، أي اتسع في البطاء.

الجوهري، الصحاح، حرف الباء، مادة «بطح»، ص ٩٩.

٤٧- الشعار، منها، الري في العراق في العصر الأموي، رسالة ماجستير، معهد التراث العلمي العربي-جامعة حلب، ١٩٩٤، ص ٩٥.

والمراحل الهندسية الواجب اتباعها أثناء تنفيذ مثل هذه المشروعات، فقبل البدء بأي مشروع ي يجب القيام بعدة دراسات أولية تفصيلية، وذلك لتجميع العناصر الأساسية التي سيتم بها اختيار القواعد الفنية للمشروع، وتمثل هذه العناصر بالترابة، والمناخ، والوضع الطبيعي للأرض «المييل»، أو ما سُمي سابقاً بـ«وزن الأرض»، وحساب مقدار تدفق المياه الكافي لإرواء الأراضي الزراعية الواقعة على صفي النهر ولتأمين احتياجات سكان المدينة من المياه، مما توجب عليه تقدير شكل المقطع العرضي لمجرى النهر، وحساب مقدار عمق وعرض المجرى بشكل دقيق لتأمين الكميات المطلوبة من الماء.

إن نجاح الوالي أبي موسى الأشعري في إيصال الماء إلى البصرة عبر نهر بلغ طوله نحو ٢٤ كيلومتراً في أرض مثل أرض البصرة المتيسطة، القليلة الانحدار، والرخوة التربة وبقائه مستمراً في الجريان مدة طويلة، يدل على أن الوالي قد حصل على دراسة هندسية مساحية وافية لمسار مجاري النهر وميول الأرض الطبيعية له، وعلى مقدار الحفرات الواجب القيام بها لتأمين الميل الكافي لمجرى النهر حتى تجري فيه المياه بالراحة دون الحاجة لاستعمال أي أداة لضخ المياه، والحفريات الالزامية لتأمين عمق وعرض المجرى اللازمين.

ويبدو؛ رغم أن هذه المعلومة لم تذكر في المخطوطات العربية؛ أن أبي موسى قد كَسَّا أرضية المجرى وجوانبه إما بالحجارة وإما بالأجر المصنع بكثرة في تلك المنطقة لمنع المياه من تغيير مجريها بسبب رخاؤة التربة «وهذا ما كان يحدث كثيراً في الجزء الجنوبي من العراق»، ولحماية المجرى من الحفحة الحاصل من الحصى وحبات الرمال التي تحملها المياه معها أثناء جريانها.

البصرة في العطاء، وكتب إلى أبي موسى أن يحفر لهم نهراً<sup>(٥٣)</sup>.

درس أبو موسى الأشعري الوضع المائي للمحيط بالبصرة، إذ لم يكن فيها نهر جار حتى ذلك الوقت، وفي منطقتها يلتقي نهر دجلة والفرات مكونين دجلة العوراء «شط العرب»، وهي قريبة من البطائح<sup>(٥٤)</sup>، فوجد أنه «كان لدجلة العوراء وهي دجلة البصرة خور، والخور طريق الماء لم يحفره أحد يجري فيه ماء الأمطار إليها ويتراجع ماؤه فيه عند المد، وينصب عند الجزر وكان طوله فرسخاً، وكان لحده مما يلي البصرة خورة واسعة تسمى في الجاهلية الأجانة، وسمته العرب في الإسلام الجزار، وهو على مقدار ثلاثة فراسخ من البصرة بالذرع الذي يكون به نهر الأبلة كله أربعة فراسخ، ومنه يبتدى النهر الذي يعرف اليوم بنهر الأجانة»<sup>(٥٥)</sup>.

نفذ الوالي أبو موسى الأشعري أمر الخليفة، وبدأ بحفر نهر يستمد ماؤه من الشط الغربي لنهر دجلة من الأجانة، ثم تابع الحفر حتى وصل مدينة البصرة، «فلما أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أبا موسى الأشعري أن يحفر لأهل البصرة نهراً، ابتدأ الحفر من الأجانة، وقاده ثلاثة فراسخ، حتى بلغ به البصرة، فصار طول نهر الأبلة أربعة فراسخ»<sup>(٥٦)</sup>.

يُظهر نجاح هذا المشروع قدرة المهندس العربي؛ الذي درس ونفذ هذا المشروع والذي لم تذكر المصادر العربية اسمه للأسف؛ على استيعاب الأعمال

٥٣- البلاذري، أحمد بن علي، فتوح البلدان، ص ٣٦٤.

٥٤- السامرائي، عبد الجبار محسن، «مشاريع الري المنجزة في العراق خلال العصرين الراشدي والأموي»، مجلة سر منرأي، مجلد ٢، السنة الثانية، أيلول ٢٠٠٦، ص ٣٨٤.

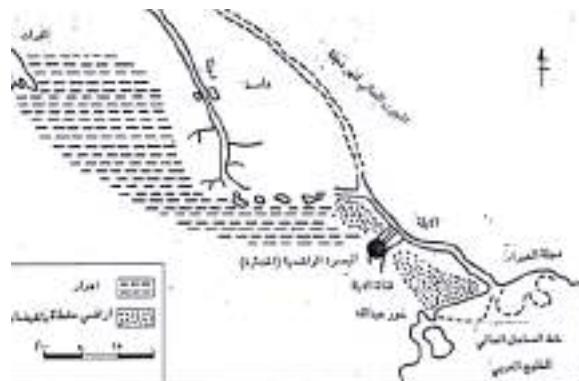
٥٥- البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٦٤.

٥٦- البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٦٥.

من حيث انطم حتى بلغ به البصرة، وولى ذلك عبد الرحمن بن أبي بكرة، فلما فتح عبد الرحمن الماء جعل يركض فرسه والماء يكاد يسبقه»<sup>(٦٠)</sup>.

وكان من نتائج حفر هذا النهر أن كثرة الأراضي الزراعية المستصلحة المجاورة له، واستثمرت واستقر الناس فيها، حتى باتت جنة من جنан الأرض، وتحولت المدينة نظراً لموقعها الجغرافي المهم والحيوي الذي يشرف على رأس الخليج العربي إلى ميناء رئيسي تقصده السفن القادمة من أنحاء العمورة، وأصبحت تمثل حلقة وصل بين الشرق الأقصى (الهند والصين) وشرق أفريقيا من جهة الجزيرة العربية من جهة ثانية<sup>(٦١)</sup>.

يؤكد هذا الكلام ما ذكره الرحالة ناصر خسرو في مخطوطته (سفرنامه) الذي ذكر أيضاً المشكلة الهندسية التي اعترضت السفن عند فوهة نهر الأبلة، إذ ازداد عمق قاع نهر الأبلة مع الزمن نتيجة الحطاحascal بما تحمله المياه من رمال وحصى، فانخفض منسوب سطح مياه النهر عند فوهة النهر، وتسبب هذا بانخفاض منسوب فوهة النهر بشكل عام لقلة المياه الداخلة إليه، مما منع السفن من دخول النهر خوفاً من أن تعلق بأرض النهر، وذكر ناصر خسرو الحل الغريب والناجع الذي جرى استعماله لحلها، فقال: «ويقال إنه كان من المتعذر في وقت ما أن تمر سفينة من فم نهر الأبلة، لعظم عمق مائه، فأمرت امرأة من أثرياء البصرة بتجهيز أربعين مئة مركب وملأتها كلها بنوى التمر وأغرقتها هناك بعد إحكام سدادها، فارتفع القاع وتيسر عبور السفن، وفي الجملة فقد



خرطة مدينة بصرة الراشدية المنشورة<sup>(٦٢)</sup>

ولمَّا كانت مدينة البصرة قد بنيت في منطقة مستوية منخفضة لا يزيد ارتفاعها عن سطح البحر أكثر من ٤ أمتر، ومعدل انحدار أراضيها ضئيل جداً، إذ يبلغ ١ / ٢٠٠٠٠، أدى هذا إلى تراكم الرواسب في النهر تدريجياً دون أن ينطفَّ مجراً النهر سنوياً، مما تسبب في أن ينطم النهر في عهد الخليفة الراشدي عثمان بن عفان رضي الله عنه لمسافة فرسخ واحد من البصرة في مكان يدعى بـ<sup>(٦٣)</sup> الحيري، وقد ذكر البلاذري هذا الأمر، فقال: «ثم إنَّه انطم منه ما بين البصرة وبـ<sup>(٦٤)</sup> الحيري، وذلك على قدر فرسخ من البصرة. وكان زياد بن أبي سفيان واليَا على الديوان وبيت المال من قبل عبد الله بن عامر بن كريز، وعبد الله يومئذ على البصرة من قبل عثمان بن عفان، فأشار على ابن عامر أن ينفذ حفر نهر الأبلة من حيث انطم حتى يبلغ به البصرة، وكان يريث ذلك ويدافع به، فلما شخص ابن عامر إلى خراسان واستخلف زياداً أقرَّ حفر أبي موسى الأشعري على حاله، وحفر النهر

<sup>٥٧</sup> - علي، «نشأة مدينة البصرة وتطورها العمراني في القرن الأول الهجري»، ص ٢٠٧.

<sup>٥٨</sup> - بـ<sup>(٦٥)</sup>: بـ<sup>(٦٥)</sup> السيل موضع كذا، أي خرقه وشقه، فانبثق، أي: انفجر. الجوهرى، الصحاح، حرف الباء، مادة «بـ<sup>(٦٦)</sup>»، ص ٧٤.

<sup>٥٩</sup> - البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٦٥.

٦٠ - البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٦٥.  
٦١ - علي، «نشأة مدينة البصرة وتطورها العمراني في القرن الأول الهجري»، ص ٢٠٦.

كسكر، فحفر نهر الصين، وجمع له الفعلة، وأمر بأن يسلسلوا للآلي شذوا أو يتباطؤوا»<sup>(٦٤)</sup>.

تظهر هذه الطريقة - رغم قسوتها الظاهرة - عقلية الحاج الهندسية المبتكرة، إذ ضمن بوضع السلسل في أرجل العمال أمرين:

أولاً- جودة العمل: كانت السلسلة الواسعة بين العمالعبارة عن خط مرسوم على الأرض ظاهر للعيان، وهو يمثل مسار القناة المطلوب حفرها، فكان يكفي أن يقف المهندس المسؤول عن التنفيذ على تلة مرتفعة، ليرى أي شذوذ طرأ على مسار القناة، فيعيدها إلى المسار الصحيح الخالي من الانعطافات والانحناءات التي تخفض من سرعة المياه الجارية في القناة، التي تتسبب بترسب الرمال وال حصى عند كل انعطاف مما يؤدي إلى انسداد المجرى بسرعة، لقد حدّدت السلسلة للعمال المسار المطلوب حفره.

ثانياً- سرعة العمل: فالعامل المقيد بالسلسل يحاول الانتهاء من عمله بسرعة ليتخلص من قيده، فلا يتباطأ أو يتکاسل.

وحتى إن رغب العامل المقيد بالسلسل بالتكاسل في عمله، فإنه لا يستطيع لأنّه مسؤولة عن حفر جزء من القناة محدود بين ما يحفره العامل الذي قبله والعامل الذي بعده، فإذا تکاسل أو تباطأ بالعمل فسيظهر الجزء غير المنتهي المسؤول عنه مباشرة مما يتسبب بعقابه.

### ٣- تحصين ميناء عكا:

تميز هذا المشروع بإظهاره البراعة والتقنيات الهندسية التي اتبعتها مهندس عربي في تنفيذ بناء تحصين ميناء عكا داخل مياه البحر عجز كثيرون عن بنائه، وقد ذكر المقدسي هذا المشروع في مخطوطته «أحسن التقسيم في معرفة الأقاليم» بشيء من التفصيل؛ لأن

٦٤- البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٩٨.

غادرنا البصرة في منتصف شوال سنة ثلث وأربعين وأربعين، فركبنا الزورق وسرنا في نهر الأبله، ورأينا طوال أربعة فراسخ في اجتيازه حدائق وأكشاكاً ومناظر لا تقطع على شاطئيه، ويقرع من هذا النهر ترع كل منها في سعة نهر، فلما بلغنا شق عثمان وهي أمام الأبلة نزلنا وأقمنا بها»<sup>(٦٥)</sup>.

### ٢- نهر الصين:

تميز هذا المشروع بالتقنية الغربية التي اتبعتها والي العراق الحاج بن يوسف الثقفي لضمان نجاح المشروع.

تذكر المصادر أن الحاج بن يوسف الثقفي والي الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان على العراق «تولى ولاية العراق ٧٥-٦٩٥ هـ / ٧١٤ م) رغب منذ بداية حكمه بالابتعاد عن مدینتي الكوفة والبصرة حيث تركت الثورات التي قامت ضده، والاستقرار في مدينة جديدة تكون قريبة من كلتا المدينتين لسهولة السيطرة عليها، وإبعاد جيش الشام الموضوع تحت إمرته عنهم في الوقت نفسه.

بحث الحاج عن منطقة تليق ببناء مدینته الجديدة، فاستقر رأيه في بادئ الأمر على منطقة تدعى الصين قرب «كسكر»<sup>(٦٦)</sup>، فجمع العمال لحفر نهر يوصل الماء إليها، وقيد أرجلهم بالسلسل خلال وقت العمل (كان الحاج قبل اتخاذه واسطاً أراد نزول الصين من

٦٦- خسرو علوى، ناصر، سفرنامه، ترجمة يحيى الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣ م، ط ٢، سلسلة الألف كتاب الثاني ١٢٢، ص ١٦٨.

٦٣- كسكر: ناحية واسعة تقع جنوب العراق، وتضم الأراضي الواقعة شرق نهر دجلة.  
(يوضح ياقوت الحموي حدودها قائلاً: إن حدود كسكر من الجانب الشرقي في آخر سقى النهروان إلى أن تصب دجلة في البحر كله من كسكر، فتدخل فيه على هذا البصرة ونواحيها).



ذكر في مخطوطة «معجم البلدان»: «كان معاوية في فتحها وفتح السواحل أثر جميل، ولما ركب منها إلى غزوة قبرص رمّها وأعاد ما تشعث منها»<sup>(٧٣)</sup>، وذكر في مخطوطة «فتح البلدان» «قالوا لما كانت سنة ٤٩ خرجت الروم إلى السواحل، وكانت الصناعة بمصر فقط، فأمر معاوية بن أبي سفيان بجمع الصناع والنجارين، فجمعوا ورتبهم في السواحل، وكانت الصناعة في الأردن بعكا»<sup>(٧٤)</sup>.

ومما ساعد على تمركز هذه الصناعة في عكا كثرة أشجار الجميز في المنطقة، إذ يتميز خشب هذه الأشجار بأنه يصبح قوياً جداً وصلباً إذا غمر في الماء، لذا استخدمه المصريون القدماء في بناء القوارب لخاصيته هذه<sup>(٧٥)</sup>.

استولى أحمد بن طولون على سورية عام ٨٧٧ هـ / ٢٦٤ م، ولما زار مدينة عكا لاحظ أنها محسنة من جميع الجهات ماعدا من ناحية مينائها، فرغب في تحصينه ببناء جدار يحيط بالميناء ليمنع اقتراب أي سفينة للأعداء من الميناء كما رأى في ميناء مدينة صور، فعرض الفكرة على مهندسي المنطقة، إلا أنهم نفوا استطاعتهم للقيام بمثل هذا المشروع الضخم في مياه البحر، وأخيراً طرح اسم أبي بكر البناء المقدسي، وقيل لأحمد بن طولون إن كان أحد قادراً على تنفيذ مثل هذا المشروع، فهو أبو بكر.

استدعى أحمد بن طولون أبا بكر البناء من القدس «وهو جد المقدسي، أشهر جغرافيي العرب في القرن

٧٠ - ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٤، حرف العين، مادة «عكة»، ص ١٤٤.

٧١ - البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٢٤.

٧٢ - لوكاس، ألفريد، المواد والصناعات عند قدماء المصريين، ترجمة زكي إسكندر ومحمد ذكري غنيم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م، ص ٧٢.

المهندس اللامع الذي قام بهذا المشروع كان جده أبا بكر البناء، وقد نقل كل من ياقوت الحموي في مخطوته «معجم البلدان»<sup>(٦٥)</sup>، والقزويني في مخطوته «آثار البلاد وأخبار العباد»<sup>(٦٦)</sup> رواية المقدسي كما هي.

عكا مدينة فلسطينية قديمة على ساحل البحر المتوسط شهد لها كل من زارها بالعظمة والمنعة، تقع في الطرف الشمالي من الخليج المسمى باسمها، بين رأس الناقورة شمالاً وجبل الكرمل جنوباً، وهي تقوم على رأس أرضي يتجه جنوباً، ويقابلها في جنوب الخليج رأس الكرمل المتوجه إلى الشمال الغربي، مما جعل عكا محاطة بالمياه من الجنوب والغرب ومتصلة باليابسة من الشمال والشرق، وقد شيدت المدينة على أرض مرتفعة تجنبها لطبعيان مياه البحر في أثناء العواصف، ويقع ميناء المدينة في الجهة الجنوبية لما يسمى شبه جزيرة عكا<sup>(٦٧)</sup>.

ساعد موقع المدينة المحسن طبيعياً على سهولة الدفاع عنها منذ نشأتها، فتحت المدينة في العهد الراشدي على يد شرحبيل بن حسنة<sup>(٦٨)</sup>، ولما أصبح معاوية بن أبي سفيان واليًا على سورية عام ٦٤٠ هـ / ٢٦٤ م عزم على إنشاء أسطول بحري، وتم له ذلك عندما ظفر في عكا بأحواض لبناء السفن من العهد البيزنطي، حسنة التجهيز، فعمد إلى تشغيلها، وبذلك أصبحت عكا الأولى في صناعة السفن بعد دار الصناعة في الإسكندرية<sup>(٦٩)</sup>.

٦٥ - ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٤، حرف العين، مادة «عكة»، ص ١٤٤.

٦٦ - القزويني، آثار الباب وأخبار العباد، الإقليم الرابع، مادة «عكة»، ص ٢٢٣.

٦٧ - حميدة، بسام، مادة «عكا»، الموسوعة العربية، الهيئة العامة للموسوعة، دمشق، مج١٣، ص ٣٦٣.

٦٨ - البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٢٣.

٦٩ - الموسوعة الفلسطينية، مادة «عكا (مدينة)»، <https://www.palestinepedia.net>

٥- جعل على طرفي الفتحة في الجدار قنطرة لتحمل طرفي سلسلة غليظة، ففي النهار تُرفع السلسلة، ويُسمح للسفن بالدخول إلى الميناء تحت رقابة سلطة الميناء، وفي الليل يُعاد ربط السلسلة فتمنع دخول أية سفينة إلى الميناء.

ناى أبو بكر البناء على عمله العطایا الوفيرة من أحمد بن طولون، فأعطاه ألف دينار ذهبي ماعدا الهدایا الكثيرة الأخرى، وكتب اسمه على الجدار، وبذلك ضمن أحمد بن طولون تحصين ميناء عكا بعد أن كانت سفن العدو تُغير على المراكب الراسية في الميناء وتعتدي عليها.

ولو عدنا إلى مخطوطة «أحسن التقسيم في معرفة الأقاليم» لشمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء الشامي المقدسي لوجدنا وصفاً مفصلاً لمراحل عمل جده، يقول:

«عكا مدينة حصينة على البحر كبيرة الجامع فيه غابة زيتون تقوم بسرجه وزيادة، ولم تكن على هذه الحصانة حتى زارها ابن طولون، وقد كان رأى صور ومنعتها واستداره الحائط على مينائها، فأحب أن يتخذ لعكا مثل ذلك الميناء، فجمع صناع الكورة وعرض عليهم ذلك، فقيل لا يهتدى أحد إلى البناء في الماء في هذا الزمان، ثم ذكر له جدنا أبو بكر البناء، وقيل: إن كان عند أحد علم هذا فعنده. فكتب إلى صاحبه على بيت المقدس حتى أنهضه إليه، فلما صار إليه وذكر له ذلك، قال: هذا أمر هين ! علي بغلق الجُمِيز الغليظة، فصفها على وجه الماء بقدر الحصن البري، وخَيَط بعضها ببعض، وجعل لها باباً من الغرب عظيماً، ثم بنى عليها بالحجارة والشيد، وجعل كلما بنى خمس دوامس ربطها بأعمدة غلاظ ليشتد البناء، وجعلت الفلق كلما ثقلت نزلت حتى

العاشر الميلادي»، وطرح فكرة المشروع عليه، فقال: هذا أمر هَيْنٌ ! وشمر عن ساعديه، وبدأ بتنفيذ المشروع وفق المراحل الآتية:

١- طلب أبو بكر تزويده بعدد كبير من جذوع شجر الجمیز التي جعلها كالأوتاد في الماء مع ضم بعضها إلى بعض بربطها بالحبال «مستقيداً من خبرة صناع السفن والمراكب قديماً الذين كانوا يستعملون الحبال لربط الألواح الخشبية بعضها إلى بعض»<sup>(٧٣)</sup>، بدلاً من استعمال المسامير الحديدية التي تتآكل في مياه البحر، فكانت بمنزلة جدار طوق يحيط بالميناء البحري مع ترك فتحة من الناحية الغربية تسمح للسفن القاصدة للميناء بالدخول والخروج منه، فبات كالسور حين يطوق حصنًا برياً.

٢- بدأ ببناء الحاجز الحجري فوق الجذوع بالأحجار والشيد<sup>(٧٤)</sup>، وكان كلما بنى خمسة صفوف من البناء ربطها بأعمدة غليظة ليقوى من تماستها بعضها مع بعض، وبدأت جذوع الأشجار تغوص في الماء قليلاً قليلاً تحت تأثير الثقل المطبق عليها حتى دخلت الجذوع في أرض البحر الرملية واستقرت فيها، فكانت كالأوتاد التي ثبتت البناء بشكل قوي تحت الماء.

٣- ترك أبو بكر الجدار المبني لمدة سنة كاملة ليضمن استقراره تحت الثقل المطبق عليه.

٤- عاد بعد سنة، فأنتم البناء، وكان كلما وصل طرف البناء إلى الحاجز القديم المبني من سنة كاملة داخله فيه وربطه فيه ربطاً قوياً ليؤمن الترابط والتماسك بين البناء القديم والحديث.

٧٣- رببع، صدقى، تاريخ المراكب في مصر القديمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢، م، ص ١٣.

٧٤- الشيد: كل شيء طليت به الحائط من جص أو بلاط، وتقول شاده يشيد شيداً: جصصه.

الجوهرى، الصحاح، حرف الشين، مادة «شيد»، ص ٦٢٦.

### المصادر والمراجع

- ١- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (٦٣٠-٧١٦هـ)، لسان العرب، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م.
- ٢- ابن الوردي، سراج الدين (٨٦١١هـ / ١٤٥٧م)، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تحقيق أنور محمود زناتي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٨م.
- ٣- الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله (عاش في القرن السادس الهجري)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.
- ٤- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي، فتوح البلدان، شركة طبع الكتب العربية، ١٣١٧هـ / ١٩٠٠م.
- ٥- الجوهرى، أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٢هـ)، الصّاحح تاج اللغة وصحاح العربية، راجعه واعتنى به محمد محمد تامر وأنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.
- ٦- حميدة، بسام، مادة «عكا»، الموسوعة العربية، هيئة الموسوعة العربية، دمشق، م杰 ١٣.
- ٧- خسرو علوى، ناصر، سفرنامه، ترجمة يحيى الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣م، ط٢، سلسلة الألف كتاب الثاني ١٢٢.
- ٨- خماش، نجدة، الموسوعة العربية، مادة «همدان (مدينة)»، هيئة الموسوعة العربية، دمشق، م杰 ٢١.
- ٩- رباع، صدقى، تاريخ المراكب في مصر القديمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢م.

إذا علم أنها قد جلست على الرمل تركها حولاً كاماً حتى أخذت قرارها، ثم عاد فبني من حيث ترك، وكلما بلغ البناء إلى الحائط القديم داخله فيه وخيطه به، ثم جعل على الباب قنطرة، فالمراكب في كل ليلة تدخل الميناء وتجر السلسلة مثل صور. قال: فدفع إليه ألف دينار سوى الخلع وغيرها من المركوب، واسمها عليه مكتوب، وقد كان العدو قبل ذلك يغير على المراكب»<sup>(٧٥)</sup>.



### ميناء عكا الآن<sup>(٧٦)</sup>

وهكذا نجد أن مخطوطاتنا العربية ضمت بين جنباتها معلومات هندسية قيمة يمكن أن تفيدنا في تأريخ المشاريع الهندسية المنشأة قديماً، لكنها بحاجة لصبر وجهد دؤوب لجمعها ومقارنتها وتحليلها تحليلاً هندسياً، ونتمنى أن تكون قد قدمنا من خلال بحثنا هذا نماذج مختارة من هذه المشاريع الهندسية المتميزة.

<sup>٧٥</sup>- المقدسي، شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء الشامي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، طبعة ليدن، ١٨٧٧م، ص ١٦٢.

<sup>٧٦</sup>- مدينة عكا # فلسطين، <https://www.pinterest.com>

- ١٨- مجموعة من المؤلفين، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٤ / ١٤٢٥ م.
- ١٩- مسعود، جبران، الرائد، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٩٢ م، ط٧.
- ٢٠- المقدسي، شمس الدين محمد بن أحمد بن أبو بكر البناء الشامي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، طبعة ليدن، ١٨٧٧ م.
- ٢١- ياقوت الحموي، شهاب الدين، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، هـ١٣٩٧ / ١٩٧٧ م.

**المراجع الإلكترونية:**

- ١- جبل طارق GIBRALTAR كل المعلومات عنه وسبب تسميته هكذا، ١٥ يونيو، ٢٠٢٠، <https://akhbarak.net/>
- ٢- شام الروح ٢ - جسر القنطرة من أهم معالم القصیر الأثرية، <https://www.facebook.com/yshamoo>
- ٣- مدينة عكا # فلسطين، <https://www.pinterest.com>
- ٤- الموسوعة الفلسطينية، مادة «عكا (مدينة)»، <https://www.palestinapedia.net>
- ٥- موسوعة المعرفة الإلكترونية، مادة «ركن الدولة أبو علي الحسن بن بويء»، <https://www.marefa.org>
- ٦- ويكيبيديا الموسوعة الحرة، مادة «إيدجز»، <https://ar.wikipedia.org/>
- ٧- ويكيبيديا الموسوعة الحرة، مادة «همدان (محافظة)»، [https://ar.wikipedia.org/wiki/همدان\\_\(محافظة\)](https://ar.wikipedia.org/wiki/همدان_(محافظة))

- ١٠- السامرائي، عبد الجبار محسن، «مشاريع الري المنجزة في العراق خلال العصرين الراشدي والأموي»، مجلة سر من رأى، مج ٢، العدد ٣، السنة الثانية، أيلول ٢٠٠٦ م.
- ١١- السريج، عبد الحسين جواد، مادة «البصرة»، الموسوعة العربية، هيئة الموسوعة العربية، دمشق، مج ٥.
- ١٢- الشعار، مها، الري في العراق في العصر الأموي، رسالة ماجستير، معهد التراث العلمي العربي-جامعة حلب، ١٩٩٤ م.
- ١٣- الشعار، مها، «مواد البناء النادرة في المؤلفات العربية» في كتاب أبحاث المؤتمر السنوي الرابع والثلاثين لتاريخ العلوم عند العرب المنعقد في جامعة حلب ١٩١٧ شعبان هـ١٤٤٠ / ٢٣-٢٥ نيسان ٢٠١٩ م، منشورات معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب، نشر في ١٧ حزيران ٢٠١٩، ص ٢٩٧-٣٣٠، (نشر إلكتروني).
- ١٤- علي، نادية نوري، «نشأة مدينة البصرة وتطورها العمراني في القرن الأول الهجري»، مجلة دراسات البصرة، السنة السابعة، العدد ١٤، ٢٠١٢ م.
- ١٥- فاخوري، محمود وخواص، صلاح الدين، موسوعة وحدات القياس العربية والإسلامية، مكتبة لبنان ناشرون، ٢٠٠٢ م.
- ١٦- القزويني، ذكرياء بن محمد بن محمود، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت.
- ١٧- لوکاس، ألفريد، المواد والصناعات عند قدماء المصريين، ترجمة زكي إسكندر ومحمد ذكرياء غنيم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م.

## الياقوت

# في التراث العلمي العربي

\* د. بثينة جلخي

### مقدمة

عرفت المعادن والأحجار الكريمة منذ القدم، فقد استعملها قدماء المصريين في صناعة الأساور والقلائد والخواتم، وكانوا يعتقدون أن لها سلطاناً سرياً، وكانوا يتحلّون بها لتجلب لهم الفأل الحسن، كما كان اليونان والرومان يستعملون الأحجار الكريمة في ترصيع الخواتم ومختلف الحلبي. اهتم العلماء العرب بدراسة المعادن والأحجار الكريمة، وعرفوا خواصها الطبيعية، واستخداماتها وطرق تكونها وألوانها، وكانت كلمة «معدن» و«أحجار» تعني عندهم المنجم، أما كلمة «جوهر» فأطلقت على حقيقة الشيء، وقد صنفوا إلى شفاف وكمد، فالشفاف كالياقوت، والكمد كالمرجان.

ولم يقتصر استعمال الجوهر والأحجار الكريمة على العنصر الجمالي فحسب، بل تعدد استخداماتها، فدخلت المجالات الطبية والصناعية فضلاً عن الاستعمالات الروحية. وقد ذكر العلماء العرب عدداً كبيراً من الأحجار نذكر منها: الياقوت، والزمرد، والزبرجد، والبلخش، والبنفس، والبجادي، والألماس، وعين الهر، والباذهر، والفيروزج، والعقيق، والجزع، والمغناطيس، والسباداج، والدهنج، واللازورد، والمرجان، والجمشت، والخماهان، واليشم، والبلور، والطلق.

ويُعدُّ العالم الكيميائي جابر بن حيان الأزدي الكوفي (ت ٢٠٠ هـ) أول من ألف كتاباً في الأحجار، فله كتاب الأحجار وكتاب الجوهر الكبير.

ولتعدد الأحجار اشتق العرب لها أسماء من أسماء أشباهها من الكائنات الحية، فهناك الريحانى والفستقى والرماني مشتق من ألوان النبات والأزهار، والذبابى والطاووسى واللبنى اشتق من أسماء الحيوان ومنتجاته، ومنها ما اشتق اسمه من مظاهر شتى كالسماوي والأكعب وغيرها. وكما تعددت هذه الأسماء تعدد أسماء اللون الواحد، فاللون الأحمر له أسماء مختلفة منها الكهرمانى والأرجوانى والجلناري وغير ذلك، ومن ألوانها ميّزوا بين جيدها ورديتها.

\* أستاذة في معهد التراث العلمي العربي - جامعة حلب.

توضيح: ذُكرت المصادر التي استقى منها النصوص في نهاية البحث «قائمة المصادر والمراجع»، واحتفظ كل مصدر بالرقم نفسه في كامل البحث. أما الحواشي السفلية فعُقدت لترجمات الأعلام وتفسير المصطلحات.



من أواخر المؤلفات العربية في علم الجواهر والأحجار. وعليه نقدم في هذا البحث دراسةً عن حجر يُعد من أهم الأحجار التيحظى باهتمام العلماء العرب وهو الياقوت، وتسلیط الضوء على أهم النصوص التراثية التي بحثت في تشكله، وأماكن وجوده، وطرق استخراجه، وخواصه الطبيعية والطبية، وقيمة استخراجه، وخصائصه الطبيعية والطبية، وقيمة عند بعض الشعوب. وتكمّن أهمية هذه النصوص أن معظمها ما زال مخطوطاً لم ينل حقه من التحقيق حتى الآن.

**الياقوت في الدلالتين اللغوية والعلمية:**  
**في الدلالة اللغوية:** «الياقوت» كلمة غير عربية اختلفَ في أصلها، فذهب ابن حمزة الأصفهاني إلى أنهاً مُعرَبَ (ياكند) الفارسية<sup>١</sup>، على حين رأى غيره أنهاً مُعرَبة عن الكلمة الهندية Karund<sup>٢</sup>، وانفرد الأب أنسستاس ماري الكرمي بالقول إنّها مُعرَبة عن اليونانية (Hyakinthos)<sup>٣</sup>، وثمة من ذكر أنهاً

وألف عطارد بن محمد الحاسب المنجم البغدادي (ت ٢٠٦هـ) كتاباً سماه منافع الأحجار، وألف يحيى بن ماسويه (ت ٢٤٣هـ) كتاب الجواهر وصفاتها، ويُعد كتاب أبي الريحان البيروني (ت ٤٤٤هـ) «الجماهر في معرفة الجواهر» من أهم ما وضعه العرب في علم المعادن والأحجار الكريمة.

ثم توالى المؤلفات العربية ذكر منها: كتاب أزهار الأفكار في جواهر الأحجار للتيفاشي (ت ٦٥١هـ)، وكتاب كنز التجار في معرفة الأحجار للقجاعي (ت ٦٨١هـ)، وكتاب نخب الذخائر في أحوال الجواهر لابن الأكفاني (ت ٧٤٩هـ)، وكتاب سر الأسرار في معرفة الجواهر والأحجار لابن الشماع الحلبي (ت ٩٣٦هـ).

ويُعد كتاب قطف الأزهار في خصائص المعادن والأحجار ونتائج المعارف والأسرار لابن عوض المغربي<sup>٤</sup> (عاش في أوائل القرن الحادي عشر الهجري)

وبقدر الشمس وذوابها عليها في موضعها، وبقدر ما احتجبت عن الشمس، فلذلك اعترضت فيها العوارض من الشدة والرخاوة والطعوم الحريفة والروائح والألوان»<sup>٧</sup>.

أما عن كيفية تشكل حجر الياقوت فقد قال التيفاشي: «والعلة في تكون حجارة الياقوت هي أن الشمس لما طلعت على الأرض سختها بقوتها، فسخن من الأرض مالم يحجب منها بشيءٍ، واشتدت سخونة المكان وظهور الشمس عليه، فقطرت الشمس رطوبة المكان الذي اشتد حرارتها عليه، فلما اشتد بيته لقلة رطوبته اجتذبت قوته من الشمس وقوتها حراً أو بيضاً، فانقلب من طباعه ولونه وطعمه على قدر الرطوبة التي كانت فيه من كثرتها وقلتها، حبست الرطوبة وقامت عليه، اجتب الماء ما كان في ذلك من حر الشمس وبيسهها، وطلعت عليه الشمس سخنته، وحجبت الرطوبة عن ذلك البيس الذي فيها بحر الشمس، فسخن الماء بحرها، فتاطف وقوى على تحليل البيس الذي قبلته الأرض من بيته الشمس المتصل بها في الماء، وانحل به، واشتدت عليه السخونة حتى ظهرت قوة البيس المفرط فيه، فكان منه الحجر المسمى الياقوت، فاشتد به بيته، وضاقت مسامه لقبض البيس له ولشدة انحلاله وشدة لطافته ورجع منعدداً، ولسبب البيس تكاثفت أجزاؤه بعضها في بعض وتداخلت، فهذه علة تكون الياقوت»<sup>٨</sup>.

أما عن ماهية الياقوت فقد أجمع العلماء العرب على أن الياقوت حجر ذهبي يتشكل من الأجسام غير الذائبة التي تتعقد ليتشكل الياقوت، إلا أن هناك بعض العوامل التي أعاقة تشكله كالرطوبة والبيوسة، فتشكلت أحجار بألوان مختلفة لا تذوب في النار.

ذكر التيفاشي: «قال بالينوس: والياقوت حجر

معربة دون النّص على أصلها، وقال ابن منظور: «هو فاعُول، الواحدة: ياقوته، والجمع: الياقات»<sup>٩</sup>. أما في الدلالة العلمية: «الكورندوم» نوع من أول أكسيد الألミニوم ( $\text{Al}_2\text{O}_3$ ) اللامائي شديد الصلابة، ويستخدم في الصقل<sup>١</sup>. ومن أسماء الياقوت أيضاً الجوهر والكريت والعَسْجَد.

#### الياقوت: تشكله، ماهيته

بين العلماء العرب أنّ أصل الأحجار مهما اختلفت صفاتها هو التراب والماء، وأنّ سبب تعدد أنواعها هو الزيادة والنقصان في تكوينها والعوامل الجوية المؤثرة فيها كالشمس والرياح. وأكدوا أن للحجارة أنواعاً عديدة، وألواناً مختلفة كالأحمر والأبيض والأصفر والأخضر، منها صافية ومنها كدرة، ومنها صلبة شديدة ومنها رخوة متكسرة، ومنها ما يذوب في النار ومنها ما لا يذوب، ومنها يتخلّس ومنها ما لا يتخلّس.

وموضوع تغير الألوان ضمن الحجر الواحد يكون على قدر ما أصابه من الحرارة الفاعلة المحدثة للألوان، فعلى قدر تسخينها الشيء وقبول الشيء لها تكون الألوان مختلفة.

نقل التيفاشي (ت ٥٦٥) ما ذكره بالينوس الحكيم (ت نحو ١٩٩م) عن تشكل الحجارة بشكل عام: «قال بالينوس في كتابه الملقب بسر الطبيعة في العلل والمعلولات أن الحجارة ضروب شتى، والألوان مختلفة منها صافية ومنها كدرة، ومنها صافية شديدة ومنها رخوة، ومنها ما يذوب في النار ومنها ما لا يذوب، ومنها ما يتخلّس ومنها ما لا يتخلّس، وأصلها كلها الذي نمت منه هو الماء والتراب بالزيادة فيها والنقصان، وبقدر المكان الذي تتوارى فيه،



### أماكن وجود الياقوت

أجمع النصوص على أن الياقوت في بلاد الهند في جزيرة سرنديب في جبل يسمى الراهون، فقد ذكر البيروني (ت ٤٤٠ هـ): «ومعدن الياقوت هو في جزيرة سرنديب في غب من بحر هركند، وفي الجبال التي تحاذيها على الساحل»<sup>١</sup>. وقال الكندي<sup>(٢)</sup>: «موقع الياقوت في سبان من جزيرة خلف سرنديب، وفيه جبل عظيم يسمى الراهون»<sup>(٣)</sup>، وتحدر منه الرياح الشافية والسيول الآتية بالياقوت، وتلك الجزيرة ستون فرسخاً في مثلاها، وما أحدره السيل من الياقوت خير مما يوجد في التراب والحمأة<sup>(٤)</sup>.

وقال التيفاشي: «الياقوت يؤتى به من معدن يقال

١- الكندي: يعقوب بن إسحق بن الصباح الكندي، أبو يوسف (١٨٥-٢٥٣ هـ)، فيلسوف العرب والإسلام في عصره، وأحد أبناء الملوك من كندة. اشتهر بالطب والفلسفة والموسيقا والهندسة والفلك. من كتبه: تحاويل السنين، اختيارات الأيام، وله رسائل في الجواهر والأحجار الكريمة. الزركلي خير الدين، الأعلام، ج ٨ / ص ١٩٥.

٢- الراهون: وهو جبل في الهند، الذي هبط فيه آدم عليه السلام من الجنة، والياقوت الأحمر يوجد على هذه الجبال، ويحده السيل إلى الحضيض. القزويني زكريا بن محمد بن محمود، آثار البلاد وأخبار العياد، ص ٤٣.

ذهب، وجميع غير الأجسام الذائبة إنما انعقدت وابتداة لتكون ياقوتاً، كما ابتداة الأجسام الذائبة كلها لتكون ذهباً، فعاقها عن الذهبية العوارض، وكذلك الأحجار إنما ابتداة في خلفتها لتكون ياقوتاً، فعاقها عن الياقوتية كثرة الرطوبة وقلتها وكثرة البيس وقلتها، فلم تكن ياقوتاً، وصارت حجارة حمراً وببيضاً أو خضراً أو صفراً أو غير ذلك من الألوان لا تنوب في النار، ويعق عليها الحديد فيسلخها، وفيها ما لا يسلخه الحديد، ووضعت عليها أسماء كثيرة خلاف الياقوت»<sup>(٥)</sup>.

وذكر القجاجي (ت ٦٨١ هـ): «قال بالينوس الحكيم: الياقوت حجر ذهبي المعنى، وذلك أن جميع الحجارة غير الأجسام الذائبة إنما انعقدت وابتداة لتكون ياقوتاً، كما ابتداة الأجسام الذائبة كلها لتكون ذهباً، فأبعدتها عن الذهبية العوارض، وكذلك الأحجار أبعدتها عن الياقوتية كثرة الرطوبة وقلتها، فلم تكن ياقوتاً وصارت حجارة حمراً وببيضاً وصفراً وخضراً وغير ذلك من الألوان، نفيساً وغير نفيس»<sup>(٦)</sup>. ذكر القلقشندي (ت ٨٢١ هـ): «قال بالينوس: وهو حجر ذهبي»<sup>(٧)</sup>.

الأحجار المظلمة، وذكر أن له معدناً بأرض مصر ببلاد الغيوم<sup>(٢)</sup>، وقد يوجد في رمال جزائر النيل من الصنف الأبيض منه، وفي جبل سرنديب<sup>(٤)</sup> يوجد جميع ألوان الياقوت، وعليه من قبل الملك حراس وخفرة، والأحمر من الياقوت أكثر ما يوجد في شرقى جبل سرنديب، وفي سيلان وكرمان<sup>(٥)</sup> معدن للياقوت الأصفر والأزرق، وتحت جبل البرق<sup>(٦)</sup> معدن للياقوت الأحمر».<sup>١٣</sup>

### طرق استخراج الياقوت

إن عملية الحصول على الياقوت لم تكن بالأمر السهل، وتتطلب كثيراً من الجهد والمعاناة، مع اللجوء إلى الدهاء والحيلة في أحيان كثيرة، وقد أجمعوا النصوص على طريقة استخراج الياقوت والحصول عليه، فهناك من توسيع في شرح الطريقة، وأخرون ذكروها باختصار، ونذكر أمثلة على ذلك:

قال التيفاشي: «وأخبرني من دخل جزيرة سرنديب من البحار أن أهل ذلك الموضع إذا لم تحدر السيلول والرياح حصى الياقوت في بعض السنين على ما جرت به العادة احتالوا لتحصيله بالحيلة التي نذكرها، وذلك أن الجبل الذي فيه الياقوت جبل شاهق صعب المسلك لا يمكن الوصول إلى أعلىاته، وفي أعلىاته سور كثيرة تعشش فيه، وتتخذ مساكنها به لخلوه من

<sup>٢</sup>- الغيوم: ناحية في مصر في منخفض من الأرض دون مستوى سطح النيل، وهي اليوم في مصر غربي وادي النيل، ومركزها مدينة الغيوم.

البغدادي ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي، معجم البلدان<sup>١٤</sup>، ٢/٤.

<sup>٤</sup>- سرنديب: هي الآن سيلان، وسيرانلانكا، وقد اشتهرت في العصور الإسلامية.

بكراً ما يرى في جبالها من حجارة كريمة. ياقوت، معجم البلدان<sup>١٥</sup>، ٢٠٥.

<sup>٥</sup>- كرمان: وهي ناحية مشهورة شرقها مكران وغربها فارس وشمالها خراسان وجنوبها بحر فارس. القزويني، آثار البلاد وأخبار العياد، ص٢٤٧.

<sup>٦</sup>- جبل البرق: وهو جبل الراهون سمي جبل البرق لأنَّه يرى على هذا الجبل كل ليلة مثل البرق من غير سحاب وغيره، ولا بد له كل يوم من مطر. القزويني، آثار البلاد وأخبار العياد، ص٤٣.

له سُحيران من جزيرة خلف جزيرة سرنديب نحو أربعين فرسخاً، والجزيرة نفسها تكون اثنين وستين فرسخاً في مثها، وفيها جبل عظيم يقال له جبل الراهون تحدُّر منه الرياح والسيول، فيلتقط الياقوت وهو حجر أرض ذلك الموضع وحصاه وما تجر سيلوه من جبل الراهون، ويقال إن الشمس إذا طلعت على ذلك الموضع أنبت منه شعاعات كثيرة لوقوع شعاع الشمس على حصى الياقوت، فيسمى ذلك برق الراهون، وهذا الجبل هو الذي أهبط عليه آدم صلوات الله عليه من الجنة وخرج إلى الأرض، فإذا انصب ذلك الحصى أصيبي، وظاهره مظلم يميل أكثره إلى السواد والغبرة كالحصى الموجود عندنا في هذه الألوان، فإذا استنشفت في الشمس شفَّ لونه أحمر كان أو أصفر أو سماوياً أو غير ذلك من ألوان الياقوت».<sup>٧</sup>

وذكر القبجاجي: «ويقال هذا الجبل هو الذي أهبط عليه آدم صلوات الله عليه من الجنة، ومنه خرج إلى الأرض».<sup>٨</sup>

وذكر ابن الأكفاني (ت ٧٤٩ هـ): «معدن الياقوت بجبل يسمى الراهون في جزيرة سرنديب، وفي سيلان ومكران، معدن الياقوت الأصفر والأزرق، وتحت جبلها البرق معدن الياقوت الأحمر».<sup>٩</sup>

وذكر القلقشندي: «وهو حصى يتكون بجزيرة خلف سرنديب من بلاد الهند بنحو أربعين فرسخاً، دورها نحو ستين فرسخاً في مثها، وفيها جبل عظيم يقال له جبل الراهون تحدُّر منه الرياح والسيول الياقوت فيلتقط، وهو الجبل الذي أهبط الله تعالى عليه آدم عليه السلام».<sup>١٠</sup>

وقال ابن الشماع الحلبي (ت ٩٣٦ هـ): «قال أرسطو طاليس: وهو يؤتى به من بلاد الهند من جبالها، وذكر أن حجر الياقوت ينتقل في سبعة ألوان في مدد كثيرة أولها الأبيض وأخرها الأخضر، ثم ينعكس جوهُره ويرجع إلى

ونذكر ابن الشماع الطبّي: «وقد اختلف في استخراجه: فقال قوم بالحفر، وقال قوم إنّه يذبح البقر ويسلخ وينزع ما في بطونها ويشرح شريحة واحدة وترمى في الوادي الذي فيه الجوهر، فيلصق بها ثم يطلق عليها النسور فتطلع به إلى أعلى الجبل، فيانقطع منه الجوهر».<sup>١٣</sup>

### أنواع الياقوت

للياقوت أربعة أنواع الأحمر والأصفر والأزرق والأبيض، وكل نوع ينقسم إلى ألوان تتقاضل فيما بينها بالشدة والضعف، وأفضلها شديدة الصبغ كثيرة المائة قوية الشعاع شديدة الشفافية، ويعُد الياقوت الأحمر أجودها والأبيض أرديّها.

ذكر التيفاشي: «أصول اليواقيت أربعة أنواع: أحمر وأصفر وأسمانجوني وأبيض، فالأحمر منه ينقسم إلى أربعة أقسام: الوردي وهو أحمر على لون الورد، وهو يتلاطم في شدة الصبغ إلى حد الوردية، ويقل صبغه إلى أن يقرب من البياض، ثم الخيري وهو أحمر مشرب وهو يتلاطم في قوة الصبغ وضفة إلى أن يقرب من البياض، ثم الأحمر وهو يكون كلون



الإنس، فيعمد أهل ذلك الموضع إلى حيوان يسلخون جلدّه، ويقطّعونه قطعاً كباراً، ويتركونه في سفح جبل الراهون، ويبعدون عنه وهم يرقبونه، فتأتي النسور فترفع ذلك اللحم، وتنزل به عند أوكرارها، فإذا وضعته على الأرض علق به حصى الياقوت ولصق فيه، ثم تأتي نسور أخرى فتجمّع على اللحم لتحفظه، فإذا أخذته بعضها ويطير به في الجبل، فيسقط منه الياقوت لتشله فياقطه الذين يرقبونه من الموضع الذي يسقط فيه، ويدرك أن في أسفل هذا الجبل غياضاً عظيمة وخنادق عميقّة وأشجاراً شاهقةً تسكن فيها حيّات عظام، فتبتلع الحياة منها الإنسان ورأس البقر وغيره من الحيوانات صحيحاً، فإذا ابتلعه عدت به إلى أصل شجرة، فاللتقت عليه، واشتدت، فيتكسر في بطنها ما تتبعه وتندق عظامه فينهض لها، فلأجل ذلك أيضاً لا يستطيع سلوك هذا الجبل ولا الوصول إلى ما فيه من عجائب الأحجار، والياقوت منه ما يوجد في هذه الجزيرة في الحما والوحول<sup>٧</sup>.

وذكر القبجاجي: «وقد يصادف تلك الحصبة عند التقاطها مظلمة الظاهر يميل أكثرها إلى السواد والغبرة كالحصى الموجودة عندنا في هذه الألوان، وإذا استشافت في الشمس أشف لونه أحمر قانياً أو أصفر أو سماوياً أو غير ذلك من ألوان الياقوت».<sup>٨</sup>

ويقول القلقشندي: «فإذا لم تحدِر السيل منه شيئاً عمداً أهل ذلك الموضع إلى حيوان، فذبّوه وسلخوا جلدّه وقطّعوه قطعاً كباراً وتركوه في سفح ذلك الجبل، فتختطفه نسور تأوي إلى ذلك الجبل، فتصعد باللحم إلى أعلىه فيلصق بها الياقوت، ثم تأخذه النسور وتنزل به إلى أسفل، فيسقط منه ما علق به من الياقوت، فإذا أخذ كان لونه مظلماً ثم يشف بملاءة الشمس، ويظهر لونه على أي لون كان».<sup>٩</sup>

الصّبغ الخالص، الحاصل من العصفر دون زردد، ومن الجوهريين من يفضل البهرمانى على الرّماني، والتفضيل إنما هو بشدة الصّبغ وكثرة المائة والشعاع، ومنهم من يقول هما شيء واحد، وإنما أهل العراق يقولون: بهرمانى وأهل خراسان يقولون: رّماني فالخلاف لفظي. وأما الياقوت الأصفر، فأعلاه ما قارب الجنّاري، وبعده المشمشي، وبعده الأُترجي وبعده التبني. وأما الأبيض: فإنه يحمل من سرديب ويكون رزيناً بارداً في الفم، وأجوده البلوري كثير الماء، وهو أقل قيمة من سائرها. وأما الأزرق: ويسمى الأكعب، فأعلاه الكحلي ثم النيلي، ثم اللازوردي، ثم السمائي<sup>٣</sup>.

أما القلقشندى فقال: «ثم هو على أربعة أضرب: الضرب الأول الأحمر ومنه البهرمان، ولونه كلون العصفر الشديد الحمرة الناصع في القوة الذي لا يشوب حمرته شائبة، ويسمى الرّماني لتشابهه حب الرّمان الرائق الحب، وهو أعلى أصناف الياقوت وأفضله وأغلاها ثمناً، ومنه الخيري: وهو شبيه بلون الخيري وهو المنتشر، ويتناقض في قوة الصبغ وضعفه حتى يقرب من البياض، ومنه الوردي، وهو كلون الورد، ويتناقض في شدة الصبغ وضعفه حتى يقرب من البياض، وأرداً لوانه الوردي الذي يضرب إلى البياض، والسمامي الذي يضرب إلى السّواد. الضرب الثاني الأصفر وأعلاه الجنّاري، وهو أشدّه صفرة، وأكثره شعاعاً ومائة، ودونه الخلوقى، وهو أقل صفرة منه، ودونه الرقيق وهو قليل الصفرة كثير الماء ساطع الشّعاع. وأرداً الأصفر ما نقص لونه ومال إلى البياض. الضرب الثالث الأبيض ومنه المهانى، وهو أشدّها وأكثرها ماءً وأقواها شعاعاً، ومنه الذكر وهو أثقل من

العصفر الشديد الحمرة، وهو أيضاً يتناقض في قوة الصبغ حتى إلى لون العصفر الناصع في القوة وإلىقرب من الوردية في الضعف، ثم البهرمانى، وهو الأحمر نقى الحمرة لا يشوبها شائبة، وهو يتناقض أيضاً في قوة الصبغ وضعفه، حتى ينتهي إلى لون العصفر الشديد الحمرة الناصعة في القوة، وإلى قريب من لون الورس في الضعف، والبهرمان اسم العصفر، وبه سمي هذا الصنف من الياقوت، وأنمن الياقوت الذي في لون الحمرة، وهو البهرمانى، وأنمن كل واحد من بقية أصنافه أشدّها صبغًا، وأرقها مستشفاً وأشدّها شعاعاً وأسلمها من العيوب، فأما الياقوت الأصفر فمنه الرقيق، وهو قليل الصفرة كثير الماء ساطع الشّعاع، والخلوقى وهو أشبّع صفرة من الرقيق، والجنّاري وهو أشبّع من الخلوقى وأشدّها شعاعاً وأكثرها ماءً، وهو أجود أصناف الياقوت الأصفر، والأسمانجوني، فمنه الأزرق اللازوردي والنيلي والكلحى، وهو أشبّع من النيلي ويسمى الزيتى، وأما الأبيض فمنه المهانى، وهو أشدّها بياضاً وأكثرها ماءً وأقواها شعاعاً وأصلها حبراً، وهو أردؤها، وثمنه أرخص أثمان جميع اليواقت كلها<sup>٤</sup>. وذكر ابن الأكفانى أربعة أصناف للباقيوت أيضاً وهي: الأحمر وهو أعلىها رتبة وأعلاها قيمة والأصفر والأزرق والأبيض، إذ قال: «للأحمر سبع مراتب: أعلىها الرّماني، ثم البهرمانى، ثم الأرجوانى، ثم اللحمى، ثم البنفسجى، ثم الجنّاري، ثم الوردى، فالرماني هو الشبيه بحب الرمان الغضّ الخالص الحمرة، الشديد الصبغ، الكثير الماء، ويؤخذ لونه بأن يقطّر على صفيحة فضة مجلاة قطرة دم قرمز، أعني من عرق ضارب، فلون تلك قطرة على تلك الصفيحة هو الرّماني، والبهرمانى يشبه بلون البهرمان، وهو

ماء اللحم الطري الذي لم يشبه ملح، ثم **البنفسجي** وهو الأكعب، والكهوبة أخرجه من خالص الحمرة، والأكعب يحمر عند الليل خيالاً لا حقيقة، فإذا أعيد إلى نور الشمس عاد كهيئته الأصلية، وشارك فيها كل وردة كهباء<sup>(٨)</sup> كحب النيل وأمثاله، والكهبة في الوجه والجلد من عوارض المخنوقين والمظلومين، والصفرة من لوازم الماروقني والخائفين، وهو لون البنفسج المعروف بالمانيني، ثم **الجلناري**<sup>(٩)</sup>، وهو الذي يشبه بعض صفرة، ثم **الوردي** وهو الذي يشوبه بياض وهو أنزل طبقات الأحمر»<sup>(١٠)</sup>.

#### بيان الجيد والرديء من اليواقيت:

ذكر البيروني: «جودة الياقوت في المشبع من اللون واستكمال الماء والرونق والصفاء والشعاع والبراءة من المعايب، فعلى هذا الأصل يتبع العلو في الغلاء واستيفاء الصفات»<sup>(١)</sup>.

أما التيفاشي فقال: «أجود الياقوت الأحمر البهرماني، والرماني، والوردي النير المشرق اللون الشفاف الذي ينفذ البصر بسرعة السالم من العيوب، وأرداً ألوان الياقوت الأحمر اللون الوردي الذي يضرب إلى البياض، والسمامي الذي يضرب إلى السواد، وأرداً الألوان الأزرق منه الذي يضرب إلى لون الرماد، ويسمى السنوري وكذلك الذي يسمى الزيتي، وأرداً ألوان الياقوت الأصفر ما بعض لونه يضرب إلى البياض، وأدنى أصناف جميعه في الجملة قبح الشكل والتغيير والطريق والنفور ويسمى السوس»<sup>(٢)</sup>.

واختصر ابن الأكفани بقوله: «أجود هذه الألوان كلها: ما تتوفر صبغه، وما فيه، وشعاعه»<sup>(٣)</sup>.

٨- الوردة الكهباء: هي زهر النيل الأزرق الضارب إلى الخضراء.

٩- الجلناري: نسبة إلى الجلنار، وهو شجرة تشبه الرمان، لونها إلى صفرة. ابن الأكفاني، نخب الذخائر، ص.<sup>٩</sup>

المهاني وأقل شعاعاً وأصلب حبراً، وهو أدنى أصناف الياقوت وأقلها ثمناً»<sup>(٤)</sup>.

وأكَد ابن الشماع أن أفضل أنواع الياقوت الأحمر وهو سبعة أنواع، وبين أن أعلىها رتبة الرمانى وأدنىها الوردى فقال: «أفضل ألوان الياقوت الأحمر، وأفضل الأحمر البهرماني الشديد الصبغ المشرق اللون الذي لا يشوبه سواد، وذلك لأن في الأحمر منه ما يضرب إلى السواد، والبهرمان هو الشديد الصبغ العظيم النور الذي ليس فيه شيء من السواد، وهو أعلى مرتبة وأغلى قيمة، وللأحمر سبع مراتب أعلىها الرمانى، وقال قوم البهرماني ثم الأرجوانى ثم اللحمى ثم البنفسجي ثم الجلناري ثم الوردى.

فالرماني هو الشبيه بحب الرمان الغض الخالص الحمرة الشديد الصبغ الكثير الماء، وصاحب سرندليب يستأثر به لنفسه، وما دونه للتجار. ثم البهرماني وهو الشبيه بلون البهرمان وهو الصبغ الخالص الحاصل في العصفر دون نزدج، ومن الجوهريين من يفضل البهرماني على الرمانى، والفضيل إنما هو بشدة الصبغ وكثرة المائية والشعاع، ومنهم من يقول: هما شيء واحد، وإنما أهل العراق يقولون كبهرمان، وأهل خراسان يقولون رمانى والخلاف لفظي. ثم الأرجوانى<sup>(٧)</sup> وهو أيضاً شديد الحمرة، وقيل: كان الأرجوانى لناس من قياصرة الروم، فكان محظوراً عن السرقة إلى زمن الإسكندر، فإنه اقتضى رأيه ألا يختص الملك بلباس يعرف به، ومنهم من يسمى الأرجوانى: الجمري، تشبيهاً له بالجمر المتقد، وصفه قوم بالجمري، فكان الجمري هو البنفسجي، وأماماً اللحمى فهو دون الأرجوانى في الحمرة يشبه

٧- الأرجوان: فارسي معرب وهو أشد حمرة، ويقال له القرمز.

البيروني، الجماهر في معرفة الجواهر، ص.<sup>٣٤</sup>

وربما وجد في تلك الخروق دود حيٌّ يتحرك، فإذا خرجت الدودة إلى الهواء ماتت، رأينا من رأى ذلك من الثقات».<sup>٧</sup>

بينما ابن الأكفاني ذكر (النَّفَث) فقال: «النَّفَث وهو كالصدع في الزجاجة إذا صدمت يمنع نفوذ الضياء والإشافاف، وهذا قد يكون أصلياً وقد يكون عارضاً».<sup>٨</sup>

وذكر ابن الشماع الحلبي: «ومن عيوب الياقوت اختلاف الصبغ في شبه البلقة، ومن عيوبه غمامه بيضاء صدفية تتصل ببعض سطوهه، فإن لم تكن غائرة ذهبت بالحك، وإذا خالط الحمرة لون غيرها تزول بالحمي بالنار بالتدريج، وتبقى الحمرة خالصة ولا يثبت على النار غيرها، ومتى زالت الحمرة بالحمي فليس بياقوت. وذكر الكندي: أن عيوبه الأصلية النمش، ولا حيلة لإزالتها إذا كثر وغاص وعمق، ومن عيوبه اختلاف الصبغ في الأجزاء حتى يكون في بعض أشبع، وفي بعض أضعف فيصير بذلك أبلق، ومن عيوبه أن الياقوت يحسن لونه النار، فإن تغير لونه بالنار فليس بياقوت، والله أعلم، والمعنى بالصواب».<sup>٩</sup>

#### خواص الياقوت الطبيعية:

من خواص الياقوت أنه صلب لا يخدشه إلا الألناس، وهو أشد الجواهر صقالاً وأكثرها ماءً وشعاعاً لا مثيل له، وهو أثقل الأحجار وزناً وأصبرها على النار، وإذا ذهبت حرمته بالنار فهو مغشوش، ويتم امتحان الياقوت بأن يُحک ببعض الأحجار فيخدشها دون أن يتأثر بها.

ذكر التيفاشي خواص الياقوت: «من خواص الياقوت أنه يقطع كل الحجارة شبيهاً بقطع الماس وليس يقطعه شيء غير الماس، ومن خواص الياقوت أنه لا ينجلب على خشب العُشر الذي ينجلب عليه كل

أما القلقشندي فقال: «وأجود الياقوت الأحمر البهرياني والرماني والوردي النير المشرق اللون الشفاف، الذي ينفذه البصر بسرعة».<sup>١٠</sup>

بينما ذكر ابن الشماع في اللون الأزرق والأخضر: «وأما الأزرق ويسمى الأكبب قيل: أجوده الطاووسى، ثم الأسمانجوني، ثم النيلي، ثم اللازوردي، ثم السمائي. وأماماً الأخضر فأجوده الزيتي ثم الفستقي، ثم ينحط لونه بالتدريج حتى يبلغ البياض، وقيمة لا تبعد عن قيمة الأكبب ومعدنه بالهند».<sup>١١</sup>

#### عيوب الياقوت:

تحدث العلماء العرب عن عيوب الياقوت وكيفية معالجتها، وكأنها مرض من الأمراض التي تصيب البدن، فذكر البيروني أربعة عيوب للياقوت وهي: النمش والحرمليات والرتم والنقب والغمامة الصدفية فقال: «وقد عدد الكندي العيوب الأصلية في الياقوت وهي: النمش في سنته ولا حيلة لإزالتها إذا كثرت وفشت وغاصت وعمقت، وخلط الحجارة، وتسمى الحرمليات، والحرمل هو الأبيض ويسمى بالفارسية كنجاده، والرتم وهو الوسخ فيه يشبه الطين، والنقب المانع عن الشفاف ونفوذ الضياء، وهو كالصدع في الزجاجة أو البلور إذا صودمت فانكسرت وتتميز حتى يخرج منها الماء، وهذا يكون طبيعياً في الأصل، ويكون عارضاً بعده. ومنها اختلاف الصبغ في الأجزاء التي يكون في بعض أشبع، وفي بعض أضعف، فيصير بذلك أبلق، ومنها غمامه صدفية بيضاء متصلة به من جانب ويسمى الأسین، فإن لم يكن غائراً ذهب بالحك وإلا فلا حيلة في الغائر».<sup>١٢</sup>

وذكر التيفاشي من عيوب الياقوت الشعرة والسوس فقال: «والشعرة تشقيق يُرى فيه، والسوس خروق توجد في باطنها يعلوها شيء من ترابية المعدن،



ونذكر القبجاجي: «ونذكر أرسسطاطاليس: إن الياقوت الأحمر إذا نفح في النار ازداد حُسناً وحمرة، وإذا كانت فيه نكتة جديدة الحمرة انبسطت في الحجر فسقته من تلك الحمرة، وإن كانت النكتة سوداء نقص سوادها وتبدل بحمرة عميقة، وأما غيرها من سائر ألوانه كالصفرة والأسمانجونية والسوداد فإنها تنساخ وتبقى حمراً أبيض أو تتكلس وتنتفت إن أفرطت عليها النار، والسوداد أقلها ثباتاً على النار، والصفرة أبعدها انسلاخاً، وإذا حُمِيَ الأحمر فذهبت حرمتة فهو مدلّس».<sup>٨</sup>

أما ابن الأكفاني فقال: «الياقوت أصلب الجوادر ولا يخدشه منها إلا الماس، ولا ينجلبي بخشب العُشْرِ الرطب، وإنما يسوّي بالسنباذج، ويجلب على صفيحة نحاس بالجزع المُكَاس والماء، وهو أشد الجوادر

شيء إلا الياقوت، فإنه لا ينجلب على شيء إلا على صفيحة نحاس كسر الجذع اليماني، ويحرق حتى يصير كالنور، ثم يسحق بالماء حتى يصير كأنه الغراء، ثم يجلب به على وجه الصفيحة النحاس حجر الياقوت، فينجلب حتى يصير أشد الجوهر صفاء، ومن خواصه الثقل فإنه أثقل المساوية لقدرته في العظم، ومن خواصه صبره على النار فإنه لا يتتكلس كما يتتكلس غيره من الحجارة المثمنة كالزمرد وغيره من الأحجار، ومن خواصه أنه يقبل البرودة بسرعة إذا خرج من النار وبخلاف غيره من سائر الأحجار، فأما أصباغ الياقوت فإنما يثبت منها على النار الحمرة فقط، وأما غيرها من ألوانه كالصفرة، والأسمانجونية، والسوداد فإنها تنساخ كلها بالنار، ويبقى حمراً أبيض أو تتكلس، وينتفت إن أفرطت عليه النار، والصفرة أبعدها انسلاخاً، والسوداد أقلها ثباتاً على النار، فأما الحمرة وحدها فإنها لا تنفك ولكن تزداد.

وقد ذكر أرسسطو في كتابه الأحجار أن الياقوت الأحمر إذا نفح عليه في النار ازداد حسناً وحمرة، وإذا كان فيه نكتة شديدة الحمرة، ونفح عليه في النار، انبسطت في الحجر فسقته من تلك الحمرة وحسناته، وإذا كان الحجر أحمر وحمي في النار فذهبت حرمتة فليس بياقوت، تلك أحد الأشباه أو هو مصنوع مدلّس، وقد رأيت بسوق الجوهرتين في القاهرة المعزية حماها الله تعالى حجارة تباع على أنها ياقوت مصبوغة أزرق وأصفر، وهي مصنوعة مدلّسة كان أصلها ياقوتاً أبيض، ومن خواصه أنه لا تفعل فيه المبارد والحديد، ولا يلتصق بشيء من جسمه من جميع ألوانه أحمره وأصفره وسماويه، فإن من خواصه قطع الحجارة المشففة غير الماس».<sup>٩</sup>

قلاً تمازجه. وللياقوت أشياء تقاربه وتحاكيه ولكن لا تبلغ مبلغه، وربما يشكل أمرها على كثير من الناس، فمنها المعدي ومنها المصنوع، فإذا أردت اختبار الياقوت فحركه على الحجر الذي يشبهه فإن كان ياقوتاً فإن الياقوت لا يعمل فيه، وإن كان مصنوعاً أثر فيه الياقوت أثراً بيّناً، والله أعلم. وامتحانه أن يُحَكَّ به ما يشبهه من الأحجار، فإنه يجرحها بأسرها ولا يؤثر هي فيه».<sup>١٣</sup>.

### خواص الياقوت الطبية:

تُعد الأحجار الكريمة بالإضافة إلى جمالها ورونقها ذات فوائد طبية كبيرة ذكرها دارسو الأحجار والأطباء والصيادلة في مؤلفاتهم، وقد استخدمت في علاج كثير من الأمراض التي تصيب الجسم.

ذكر التيفاشي: «من خواصه ما ذكره أرسسطو، وذلك أنه من تقلد بحجر أو تختتم به من أجناس اليواقيت التي وصفناه، وكان في بلد وقع فيها الطاعون منعه أن يصيبه ما أصاب أهل ذلك البلد من الطاعون، ونبأ في أعين الناس، وسهل عليه قضاء الحوائج، وتيسرت له من أسباب المعاش أمور صعبة، ومن خواصه تقوية قلب لابسه وتشجيعه والهيبة له في قلوب الناس وإجلاله، ومن خواصه أنه ينفع من الخفاف والوسواس بالتعليق له، ومن خواصه أن الصاعقة لا تقع على من يتختتم به أو علق عليه، ومن خواصه أنه ينفع من نزف الدم، وينفع من جمود الدم إذا علق، ومن خواصه ما أخبرني به جوهري شريف معروف بالخبرة والذكاء في هذا الفن دخل إلى الهند ومارس كثيراً من علم الأحجار أن أهل الهند يقولون: إن من كان معه حجر ياقوت جذب نفوساً قويةً من طبعها إلى طبعه وقوته بخلاف إذا لم يكن معه ذلك الحجر على شرط أن يفعل ذلك على جهة الخبرة

صقاً وأكثرها ماءً، وشعاعه في الليل في ضوء الشمع أحمر، وشعاع البلخش ونحوه أبيض».<sup>١٤</sup>

وذكر القلقشندي: «ومن خواص الياقوت أنه يقطع كلَّ الحجارة كما يقطعها الماس، وليس يقطعه هو على أي لون كان غير الماس، وأنه أثقل من سائر الأحجار المساوية له في المقدار، وأنه يصبر على النار فلا يتكلّس بها كما يتكلّس غيره من الحجارة النفيسة، وإذا خرج من النار برد بسرعة حتى إنَّ الإنسان يضعه في فيه عقب إخراجه من النار فلا يتتأثر به، إلا أن للونه الأحمر منه كالصفرة وغيرها يتحول إلى البياض، أمَّا الحمرة فإنها تقوى بالنار، بل إذا كان في الفص نُكْتَةٌ حمراء فإنها تتَّسع بالنار وتنبسِط في الحجر بخلاف النكتة السوداء فيه، فإنها تنقص بالنار فما ذهبت حمرته بالنار فليس بياقوت، بل ياقوت أبيض مصبوغ، أو حجر يشبه الياقوت، ومن خواصه أنه ليس بشيء من الأحجار المُشَفَّة شعاعٌ مثله».<sup>١٥</sup>

وذكر ابن الشمام الحلبي: «ومن خواص الياقوت أنَّ جميع الأحجار والجواهر تُجلِّى على المسن، والمسن لا يجلِّى على الياقوت، وإنما مسنُه الذي يجلِّى به من الخشب، ومن خاصية الياقوت أنَّ المبرد لا يؤثر فيه شيئاً كما يؤثر في سائر الأحجار، وهو أثقل الأحجار وزناً وأصبرها على النار متى أُقى فيها وله برد في الفم ليس لغيره. وفي الياقوت ما يكون على غاية من الحسن والنقاء وفيه ما يكون من جوهره مثل الملح وأشياء تذهب بحسنه فتفتت تلك الموضع وتتجلى لتحسين، وليس أحد أحذق من أهل سرندليب بهذا المعنى. وفي الياقوت ما يوجد في القطعة منه ما يخالف لونها إِمَّا زرقة في صفرة أو في حمرة، وبالهند إِمَّا قليلاً وإِمَّا كثيراً، وأمَّا الألوان فمختلفة، فإذا كانت قطعة الياقوت على هذا الحال من اختلاف الألوان الكثيرة

ير في منامه أحلاماً رديئة، وذكر أرسطو أن مزاج سائر اليواقiqit حار يابس، وإذا علق على شيء من أي أصنافه كان على إنسان أكساه مهابة في أعين الناس، وسهل عليه قضاء حوائجه.

وقال ابن سينا<sup>(١١)</sup>: «إن خاصيته في التفريح وتنمية القلب ومقاومة السموم عظيمة، وشهد جمع من القدماء أنه إذا أمسك في الفم فرح القلب».

وقال الغافقي<sup>(١٢)</sup> وغيره: «إنه ينفع نفث الدم<sup>(١٣)</sup>، ويمنع جموده تعليقاً». وقال ابن زهر<sup>(١٤)</sup>: «إن شرب سحيقه ينفع الجذام<sup>(١٥)</sup>، وإن التختم به يمنع حدوث الصرع»<sup>(١٦)</sup>.

وقال ابن وحشية<sup>(١٧)</sup>: «من علق عليه الياقوت الأبيض اتسع رزقه وتصرف في المعاش، ويفرح قلبه

١١- ابن سينا: هو الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي(ت ٤٢٨ هـ)، موسوعي برع في الطب والرياضيات والفلك وغيرها من العلوم.

١٢- الغافقي: هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن أحمد بن السيد الغافقي الأندرسي. وكان أعرف أهل زمانه بقوى الأدوية المفردة ومنافعها وخواصها، ت ٥٦٠ هـ. ابن أبي أصيبيعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ١٥٠٠، ص ٥٠٠.

١٣- يكون من أحد خمسة مواضع: إما من الفم والرئة ونواحيه، وإما أن ينزل من الرأس، وإما من علقة ابتلت، وإما من قبل المريء أو المعدة أو الكبد، وإما من الحاجب والرئتين ونواحيه، وسبب هذا الأخير قرحة أو فتح عرق.

١٤- ابن زهر: هو عبد الملك بن زهر بن عبد الملك الإيادي الإشبيلي، طبيب وصف بجودة استقصائه في طبقات الأطباء، في الأدوية المفردة والمركبة، ت ٥٥٧ هـ.

١٥- الجذام: هو استحكام داء السوداء على البدن، وعلامة بدايته بحة الصوت ونخة فيه، وتأكل أطراف الأنف وبده الأصابع من اللحم والحزاز الخبيث.

١٦- الصرع: أن يخرب الإنسان ويفقد العقل، ويلتوى على نفسه فنون الالتواء، وربما أزيد أو بال أو أحدث ثم يفيق ويرجع إلى حاله.

١٧- ابن وحشية: هو أحمد بن علي بن وحشية، عالم بالفلاحة والكميات، اشتهر بكتابه (الفلاحة) ولهم مؤلفات في الطلسات، ت ٢٩٦ هـ. التدّيم، كتاب الفهرست، ١٦١٦ / ٤٢٣.

والامتحان، بل يكون ذلك بغير تفقد له ولا تعمد، ومن خواص الأصفر منه أن يمنع الاحتلام، وللياقوت الخالص أشباء تقارب الألوان هذه اليواقiqit التي قدمنا ذكرها غير أنها ليس لها نضارة الألوان الأصلية ولا خصوصيتها»<sup>٧</sup>.

وقد ذكر ابن الشمام الحلبي خواص الياقوت الطبية مستعرضاً أقوال الأطباء في هذا المجال مثل ابن سينا والغافقي وابن زهر وابن وحشية، وفي مطلع كلامه ذكر قول الرسول(ص) في فضل الياقوت، وكذلك قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حيث قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا كان يوم القيمة ينصب لي منبر من ياقوت أحمر، وتحشر فاطمة على ناقة من لؤلؤة بيضاء. وقال الحسن عليه السلام: يا بني تختم بالياقوت والعقيق فإنه ميمون مبارك، وكلما نظر الرجل إليه زاد وجهه نوراً، والصلاه به سبعون صلاه. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: التختم بالياقوت أمان من الفقر، وقيل كان لهارون عليه السلام قميص فيه اثنا عشر نوعاً من الجوهر، وكان يلبسه إذا أراد الدخول إلى بيت المقدس».

وقيل إن الخاتم الذي كان لسليمان عليه السلام ياقوت كله، وسئل عليه الصلاة والسلام عن البيت المعمور فقيل: إنه من ياقوت أحمر، وقيل: إن العرش من ياقوت والكرسي من لؤلؤة بيضاء.

وقال أرسسططاليس: من تختم ووقع في بلد فيه الطاعون<sup>(١٠)</sup> لم يصبه ما أصاب الناس، ومن تختم بالأحمر منه شجع قلبه، ووجل في أعين الناس، وسهلت عليه أموره، ونفذ أمره في كل ما يحاوله ولم

١٠- الطاعون: مرض قتال لاستحالة مادته إلى جوهر سميّ، يُفسد العضو ويغيّر لون ما يليه، وربما رشح دماً وحديداً، ويعرض في أكثر الحالات في الأعضاء الضعيفة مثل الآباء والأربطة وخلف الأذن.

والقيء<sup>(٢٣)</sup> الحادث من ضعف المعدة، والصغرى منه إذا سحقت ناعماً، واتخذت منه كحلاً مع المرجان، نفع أوجاع العين»<sup>١٣</sup>.

#### قيمة الياقوت:

استُخدم الدينار والدرهم في تقدير قيمة الياقوت، ومن الأوزان ذكر العلماء العرب الدرهم والمثقال والقيراط والطسوج، وقد أجمعوا على أنَّ قيمة الجواهر ليس لها قانون ثابت على حال، بل تتغير باختلاف الأمكنة ومضي الأزمنة، وتكون الشهوات بحسب الأزمنة وانحطاطها إلى هوئ الرؤساء فيها.

ذكر التيفاشي: «اعلم أن جميع أثمان الأحجار وقيمتها تختلف بحسب أمرین: أحدهما في ذلك الحجر، والأخر في الأسباب الخارجة عنه، فاما الذي في ذاته فأمران: أحدهما جودة الحجر ورداهته، والثانی كبره وصغره، فأما الأسباب الخارجة عنه: فمنها نفاق السوق وقوة الشهوة، ومنها اختلاف البقاع في البعد والقرب من معادن الحجر. ونحن نضع قيمة الأحجار التي تذكر في هذا الكتاب بحسب اعتبار سوقها في موضعين بغداد ومصر إذا كانا بالوسط الذي منهسائر الأطراف إلى واحد، فالحجر الجيد الخالص الكامل الصفات في نوعه يختلف بحسب كبره وصغره فقط، فكلما عظم جرم الحجر تضاعفت قيمته، وكلما صغرت نقصت حسب ما بينته آنفاً، فالياقوت الأحمر الخامس البهرماني قيمته الوسطى المتعارفة ببغداد ولا تزيد بمصر إلا زيادة متقاربة وهي على ما أصف: **الحجر الذي زنته نصف درهم<sup>(٤)</sup>** قيمته ستة

٢٣- القيء: ما يخرج من المعدة عن طريق الفم، وينتج عن حركة من المعدة.

٢٤- درهم: وهي وحدة نقد فضية كان العرب والمسلمون يتعاملون بها ووحدة للوزن أيضاً. وقد اختلفت المصادر قليلاً في تقدير درهم الوزن إلا أن المصادر تتنص أن درهم الوزن يساوي ٣,٢٠٧٣٦٢٥ غرامات. فاخوري محمود، خواص صلاح الدين، موسوعة وحدات القياس العربية والإسلامية ١٧.

ويحسن ظنه ويجلو بصره، وينفع من ألم القلب إذا علق على الصدر، والعين إذا حك بماء الورد، وقطر في الأذن والعين التي بها قرحة أو بثرة<sup>(١٨)</sup>، وينفع من الخوانيق<sup>(١٩)</sup> إذا أمسكه الإنسان تحت لسانه، ويمنع الطمث الشديد إذا جعل تحت اللسان عند عوز الماء، ويمنع من الفوّاق<sup>(٢٠)</sup> والخفقان<sup>(٢١)</sup> إذا حك وسقي، ويمنع من السموم القاتلة جداً، وطبع الياقوت كلها الخير والشر، ومن خواصه أنه يمنع الاستيحاش والخوف الشديد وحديث النفس والفرز الكائن من المرة السوداء، ومع ذلك فإنه يصفي الماء، ويمنع من السموم القاتلة، وينفع أصحاب السل وقرحة الرئة وحميات الدق وقرح المثانة والكلى وأوجاع الصدر، وينفع كلام البصر والقروه به، ويحفظ صحة العين ويجلـي جلاء معتدلاً.

وإن سعـط به صاحب الانتـشارـ الحادـثـ منـ السـقطـةـ والـضـربـةـ، وـينـفعـ منـ السـهرـ إـذـاـ سـعـطـ بـهـ مـعـ لـبـنـ أـوـ دـهـنـ، وـيـقـويـ الدـمـاغـ وـالـحـوـاسـ، وـينـفعـ منـ قـرـوحـ الأـذـنـ إـذـاـ اـخـذـ مـنـ الـأـشـيـافـ وـقـطـرـ فـيـهـ، وـينـفعـ مـنـ حدـوثـ سـوـءـ المـزـاجـ وـمـنـ الـخـوـانـيقـ.

وـينـفعـ وجـعـ الـكـبـدـ الـحـادـثـ مـنـ سـوـءـ المـزـاجـ الـحـارـ وـمـنـ الـبـرـقـانـ<sup>(٢٢)</sup> الـحـادـثـ مـنـ الـبـرـانـ، وـينـفعـ الغـثـيانـ

١٨- بثرة Pimple: البشرُ خُرُاجٌ صغيرٌ، وغالباً يكون إشارات إلى علٰ باطنية.

١٩- ورم حار يعرض في الحلق من الداخل، وهو مرض مخوف خطير، وأكثر خطره إلى اليوم الرابع أو الخامس، لأنَّه أكثر ما يقتل دون خمسة أيام.

٢٠- الفوّاق Hiccup: الريح التي تخرج من المعدة وهو حركة تحصل في فم المعدة مركبة من تشنج انقباضي ثم تعدد انبساطي.

٢١- الخفقان Palpitation: هو الاختثار؛ والمراد به عند الأطباء اضطراب القلب.

٢٢- اليرقان Jaundice: هو انتشار الخلط الصفراوي على سطح البدن وظهوره على الجلد، ويقال أرقان بالهمزة.

كان بين يديها تأكل فيه رماناً زماناً، وكان معه ملعة من الياقوت الأصفر، فباعهما فكان سبب غناه عمره كله»<sup>٧</sup>.

ونذكر القبجاجي: «اعلم أن جميع أثمان اليواقت وغیرها، وقيمتها تختلف بحسب أمرین: أحدهما في ذات الحجر، والآخر في الأسباب الخارجة عنه. فأما الذي في ذاته فأمران: أحدهما جودة الحجر ورداءته، والثاني كبره وصغره. وأما الأسباب الخارجة عنها فهي: نفاق السوق ووقوع الغرض. ومنها البقاء فيقرب والبعد من معدن الحجر»<sup>٨</sup>.

ونذكر القلقشندی: «وقيمة الأحمر الخالص على ما جرى عليه العُرف بمصر والعراق أن الحجر إذا كان زنته نصف درهم كانت قيمته ستة مثاقيل من الذهب الخالص، والحجر الذي زنته درهم قيمته ستة عشر ديناراً، والحجر الذي زنته مثقال قيمته بدينارين القيراط، والحجر الذي زنته مثقال وثلث قيمته ثلاثة دنانير القيراط إلى ثلاثة ونصف، ويزيد ذلك بحسب زيادة لونه ومايئته وكبر جرمته حتى ربما بلغ ما زنته مثقال من جيده مئة مثقال من الذهب إذا كان به رماناً نهايةً في الصبغ والمائة والشعاع، قد نقص منه بالحك كثير من جرمته، وقيمة الأصفر منه زنة كل درهم بدينارين، وقيمة الأزرق والماهاني كل درهم بأربعة دنانير، وقيمة الأبيض على النصف من الأصفر، ويختلف ذلك كله بالزيادة والنقص في الصبغ والمائة مع القرب من المعدن والبعد عنه، وقد ذكر ابن الطوير في ترتيب مملكة الفاطميين أنه كان عندهم حجر ياقوت أحمر في صورة هلال زنته أحد عشر مثقالاً يعرف بالحافر، يجعل على جبين الخليفة بين عينيه مع الدرة المتقدمة الذكر عند رکوبه»<sup>٩</sup>.

أما ابن الشمام فقال: «وذكر القدماء: أن قيمة

مثاقيل<sup>(١٠)</sup> من الذهب الخالص تكون زنة قيراط<sup>(٢٦)</sup> منه بعشرة دراهم من الفضة النقرة الخالصة لها من الذهب العين الخالص نصف وربع مثقال.

الحجر الذي زنته درهم قيمته ستة عشر ديناراً زنة كل قيراط منه بدينارين. الحجر الذي زنته مثقال قيمته بدينارين ونصف للقيراط. الحجر الذي زنته مثقال وثلث قيمته ثلاثة دنانير للقيراط. الحجر الذي زنته مثقالان قيمته ما بين أربعة دنانير القيراط إلى ثلاثة ونصف على قدر لونه وزيادة مائته، ويزيد وزنه بحسب زيادة لونه ومايئته وكبر جرمته وصغره، فربما بلغ ما زنته مثقال من جيده مئة مثقال من الذهب إذا كان به رمانياً في الصبغ والمائة والشعاع مصوحاً قد نقص منه بالصيغة والحل والعمل والجلا كثير من جرمته. فأما الأزرق الذي منه فقيمتها واحدة قيمة كل درهم منها أربعة دنانير. وأما الأصفر فقيمة كل زنة درهم منه دينارين، وأما الأبيض فقيمتها على النصف من ثمن الأصفر، ويختلف ذلك بالزيادة والنقصان في الصبغ والمائة كما ذكرناه آنفاً، إلا أن اختلافه في ذلك راجع إلى الأصل الذي بيناه. وقرأت في بعض كتب التواريخ أن سبب نكبة هشام بن عبد الملك خالد بن عبد بن يشكر أنه رفع إليه أنه اشتري حجر ياقوت أحمر يقبض عليه باليد، فيفضل عن القبضة من جهة الكف بستين ألف دينار، وطلب منه فأنكراه وكتم الحجر، وكتمه من بعض خطاياه. وذكر ابن بختيشو أن مصداقه جعفر البرمكي وهبته جاماً

٢٥- مثقال: وحدة للكيل كان الرب يتعاملون بها. وهو يساوي ٤,٥٤٧٩٥٨ غرامات. فاخوري محمود، خواص صلاح الدين، موسوعة وحدات القياس العربية والإسلامية، ص ٢٣٩.

٢٦- قيراط: قد تكون وحدة للطول أو المساحة أو لللون أو للكيل اتفقت المصادر الطبية على أن الدرخمي تعادل ١٨ قيراطاً. الدرخمي هو المثقال، ويعادل ٤,٥٤٧٩٥٨ غرامات.

للتركيب على الخواتم على مقدارها، ويعيب الخرز من الياقوت الدقة والرقّة».

وفي معرض حديثه ذكر ابن الشمام قصة الحاكم مع ملك الروم وهي قصة مشوقة فقال: «ونقلت من كتاب سيرة الحاكم الخليفة<sup>(٢٨)</sup>، أنه كان بينه وبين ملك الروم موادعة ومصادقة وتهادٍ أعجزه الحاكم فيها عن المكافآت، فطلب من ملك الروم هدية تكون غريبة لها وقع، فاتفق أن له رجلاً رومياً له علم وخبر بالكمياء والجواهر، فسیره إليه وظن أنه من أفضل الهدايا. وذكر له من فضله وأكثر، فلما حضر بأرض مصر وقفه على ما بيده من الكتب، وأمر بإكرامه وإنزاله إلى أن كملت له سنة، فلما رأى الرجل قلة احتفاله به كتب إلى الملك: إنك أرسلتني لمن لم يعرف لي قدرًا، وسألته العود إليه، فكتب إليه كتاباً هذا معناه، إن كان بالآخر غنى عن أرسلناته إليه فنحن أحوج الناس إليه، فلما وقف الحاكم على كتابه قصد مجلسه بأنواع الجواهر، وجعل منه حجارة كبيرة في كوانين، وجعلها بين يديه يوهم الرومي أنها نار ليتحسن بها خبرته وأمر بإحضاره فحضر، فقيل له تقدم فلم ينزل إلى أن صار بين يديه، فقال من حضر إياك والنار.

فقال بالروميه: ماهي بنار هذه حجارة ياقوت أحمر، فعرف الحاكم علمه، فقال تأمل هذه اليواقية وانظر أفضلها، فأجال طرفه يميناً وشمالاً، ومدّ يده إلى فص أخضر، وقال يا أمير المؤمنين هذا أفضلها وعند الملوك مثلها كثير، وما أظن أن لها ثانياً، وما يقدر أحد أن يعرف لها قيمة، فقال: وما قدر هذا؟ قال: إنه ياقوت أخضر لا يظهر المعدن إلا في الوف السنين، وهو مجھول لقلة الظفر به، فاستحسن منه ذلك وعرف مقداره»<sup>١٣</sup>.

<sup>٢٨</sup> وهو الحاكم بأمر الله الفاطمي، تولى الحكم بمصر سنة ٤٦٥ هـ.

المثال الفائق من الياقوت الأحمر ثلاثة آلاف دينار، وأما الدولة العباسية فإن الغالب من قيمته أن الجيد منه إذا كان وزنه طسوج يساوي خمسة دنانير وصنعه عشرين ديناراً وسدس مثقال ثلاثون ديناراً، وثلث مثقال مئة وعشرين ديناراً، ونصف مثقال أربعين ديناراً. والمثال بالف دينار، ومثقال ونصف بالف دينار هذا ما تقرر في أيام المؤمن مع كثرة الجوادر في ذلك الزمان، وأطبيه ثمانمائة دينار والله أعلم.

والمثال من البهرماني بثمانمائة دينار، ومن الأرجواني بخمسين دينار، ومن الجناري بمئتي دينار، ومن اللحمي بمئة دينار، والبنفسجي يقاربه والوردي دون ذلك.

وكان في خزانة الأمير يمين الدولة محمود<sup>(٢٧)</sup> ياقوتة شكلها شكل حبة العنبر، وكان للمقتدر فص يسمى ورقة الآس؛ لأنّه كان على شكلها وزنه مثقالين إلا شعيرتين بستين ألف درهم، وأما في هذا الزمان فإن قيمة الياقوت وسائر الجوادر زادت كثيراً.

وأما الياقوت الأصفر فأعلاه ما قارب الجناري وبعده المشمشي وبعده الأترجي، وبعده التبني، وبلغت قيمة الأصفر الجيد منه المثال مئة دينار.

وأما الأزرق ويسمى الأكبب فأعلاه الكحل، ثم النيلي، ثم اللازوري، ثم السماوي، وكانت قيمة الجيد من الأزرق عشرة دنانير المثال وما زاد فيزداد قيمته بأضعاف ذلك.

وأما الأبيض فإنه يحمل من سرديب، ويكون رزناً بارداً في الفم، وأجوده البلوري الكثير الماء، وهو أقل قيمة من سائرهما، وقيمة قطع الياقوت إذا صلحت

<sup>٢٧</sup> هو محمود بن سُبْكِين الغزنوي، تولى السلطنة في بلاد السنديون سنة ٣٨٩ هـ حتى ٤٢١ هـ، البيروني، الجماهر في معرفة الجوادر،

- الرؤساء، مخطوط نسخة إلكترونية مكتبة قطر الرقمية. ص ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦.
- ٨- الصباغ، وائل، مخطوط كنز التجار في معرفة الأحجار للقجافي تحقيق ودراسة، جامعة حلب، معهد التراث العلمي العربي، ٢٠٠٨ م. ص ٨٦، ٨٧، ٨٩، ٩٥.
- ٩- القلقشندي، أبو العباس أحمد، صبح الأعشى، مطبعة الأمير بالقاهرة، ١٣٣١هـ / ١٩١٣م، ص ٩٦ و ٩٧ و ٩٨ و ٩٩.
- ١٠- الزركلي، خير الدين، الأعلام، ط ١٥، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢م. ج ٨، ص ١٩٥.
- ١١- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د.ت. ص ٤٣.
- ١٢- البغدادي، ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي، معجم البلدان، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.
- ١٣- أسمري، مرسيل، كتاب سر الأسرار في معرفة الجواهر والأحجار لابن الشماع الحلبي تحقيق ودراسة، جامعة حلب، معهد التراث العلمي العربي، ٢٠١٦م، ص ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٩١.
- ١٤- حميدان، زهير، أعلام الحضارة العربية الإسلامية، دمشق، إشبيلية للدراسات والنشر والتوزيع، د.ط. ١٩٩٥م.
- ١٥- ابن أبي أصيبيع، أبو العباس أحمد، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق نزار رضا، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٥م.
- ١٦- الوراق، أبو الفرج محمد بن إسحق النديم، كتاب الفهرست، تحقيق: رضا تجدد، د.ت.
- ١٧- فاخوري، محمود، خواص صلاح الدين، موسوعة وحدات القياس العربية والإسلامية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ٢٠٠٢م.

## خاتمة

لاحظنا مما سبق غنى تراثنا العربي والإسلامي بالنصوص التي تناولت ماهية الياقوت وخصائصه، وأماكن وجوده، وفوائده الطبية، وقيمه في البلاد، وما ذكرته في هذا البحث ما هو إلا غيض من فيض، وتكمّن أهمية هذه النصوص أن معظمها ما زال مخطوطاً لم ينل حقه من التحقيق حتى الآن.

## المصادر والمراجع

- ١- البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد (ت ٤٤هـ)، الجماهر في معرفة الجواهر، عالم الكتب، القاهرة. ص ٢٣، ٤٤، ١١٣، ١٢٥.
- ٢- A Society of Gentlemen in Scotland. Encyclopedia Britanica. William Bemton. LONDON. 1768.p559.
- ٣- ابن الأكفاني، محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنباري، نخب الذخائر في أحوال الجواهر، تحقيق أنساتس الكرملي، بيروت، ١٩٣٩م. ص ٢، ٣، ٤، ٧.
- ٤- الفيروزآبادي مجذ الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ)، القاموس المحيط، تحقيق: بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط ٨، ٢٠٠٥م. ص ٩، ١٠.
- ٥- ابن منظور، لسان العرب، تقديم عبد الله العلالي، إعداد يوسف خياط ونديم مرعشلي، دار لسان العرب، بيروت، د.ت. ٢/١٠٩.
- ٦- مجموعة من المؤلفين، معجم الكيمياء، المنظمة العربية للعلوم والثقافة والفنون، المكتب الدائم للتنسيق والتعریف في الوطن العربي بالرباط (المملكة المغربية)، ١٩٧١م. ص ٣٨.
- ٧- التيفاشي، أحمد بن يوسف شهاب الدين، الأحجار الملكية التي توجد في خزائن الملوك وذخائر

# العربية والأكادية

## بِرَدَانِ مِنْ مَاءٍ وَاحِدٍ

\* د. عيد سعيد مرعي

تتصف اللغة العربية بأنها أحدث لغة من لغات المشرق العربي القديم المعروفة باللغات السامية، وأصغرهن عمرًا، فأقدم نص مكتوب بالعربية يرقى تاريخه إلى عام ٢٢٨ م، وهو نص شاهدة قبر امرئ القيس ملك الحيرة الذي عُثر عليه في بلدة النمارة في حوران. لكنها الأكثر محافظة على الأصول اللغوية القديمة كعلامات الإعراب والتنوين وأوزان الأفعال وأدوات التعريف وغيرها مما يظهر خاصية في اللغة الأكادية «ليشانوم أَكَادِيَّوْم» lišanum Akkaditum، أقدم لغات المشرق العربي القديم وأغنائها بالمفردات، وأقدم الأدلة على وجودها هي أسماء الكثير من ملوك وحكام المدن السومرية في عصر السلالات السومرية الباكرة (نحو ٣٠٠٠ - ٢٣٥٠ ق.م.). فملوك مدينة إريدو Eridu (موقعها الآن معروف باسم أبو شهرین في جنوبی العراق)، وهم أول ملوك حكموا قبل «الطفوان» (فيضان مدمّر لنهر دجلة والفرات)، بحسب قائمة الملوك السومرية، كانوا يحملون أسماءً أكادية (أوليم، ألاجار). كذلك معظم ملوك مدينة كيش (بابوم، كالبيوم، قالوموم، زوقاقيب)، وغيرها من المدن السومرية الأخرى. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على قدم وجود الأكاديين في بلاد الرافدين، واحتلالهم بالسومريين وغيرهم من الجماعات البشرية التي كانت موجودة هناك منذ أقدم العصور. وربما هذا يشير إلى أن الأكادية كانت معروفة في بلاد الرافدين حتى قبل ابتكار الكتابة المسماوية في نهاية الألف الرابع قبل الميلاد. وترد أسماءً أعلام أكادية في نصوص سومرية اكتشفت في مدينة أور (يرقى تاريخها إلى نحو ٢٦٥٧ ق.م)، وفي أرشيف مدينة شورو وباك (تاريخه نحو ٢٦٠٠ ق.م)، وفي أرشيف تل أبو صلابيخ السومري. كما تظهر كلمات أكادية في نصوص سومرية قديمة أخرى. واكتشفت نصوص مسمارية مكتوبة باللغة الأكادية في موقع تل البيدر (نبادا Nabada القديمة) في مثلث الخبرور القريب من الحسكة يرقى تاريخها إلى القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد. وهي نصوص إدارية تسجل مَوَادَّ وسلعًا كانت توزع على أشخاص يعملون في المدينة التي اكتشف فيها قصر مؤلف من ثلاثة أجنحة، يعود تاريخه إلى ما بين ٢٤٠٠ - ٢٥٠٠ ق.م. بلغ عدد النصوص المكتشفة مئتين وستة عشر نصاً تُعدُّ أقدم وثائق مكتوبة مكتشفة في منطقة الجزيرة السورية. إن اكتشاف نصوص أكادية في هذه المنطقة يدل على أن منطقة انتشار اللغة الأكادية لم تكن محصورة في جنوبى بلاد الرافدين، وربما إلى مناطق أبعد من ذلك.

\* أستاذ في قسم التاريخ في جامعة دمشق، وعضو مجلس الآثار الأعلى.



جميع البلاد الواقعة بين البحر الأعلى (البحر المتوسط) والبحر الأدنى (الخليج العربي). وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن اللغة الأكادية كانت مستخدمة في زمن هذا الملك في بلاد سومر. وربما كان هذا الملك ينحدر من أصول أكادية بدليل أن والده كان يحمل اسمًا أكاديًّا (يوبيو).

دخلت اللغة الأكادية مرحلة جديدة من التطور والانتشار مع قيام الإمبراطورية الأكادية التي ضمت كل بلاد الرافين وشمالى سوريا وبلاد عيلام وأجزاء واسعة من هضبة الأناضول خلال الزمن الممتد من نحو ٢٣٥٠ إلى نحو ٢١٥٩ ق. م، وتواتى على عرشهما ملوك عظام من أمثال شاروكين المؤسس وولديه ريموش ومانيشتوسو، وحفيدته نارام سين الذى أوصل

يبدأ ظهور نصوص أكادية كاملة بدءاً من نحو ٢٥٠٠ ق. م مكتوبة بهذه اللغة أو اللسان الذي سمي بهذا الاسم نسبة إلى مدينة أكاد (موقعها غير معروف الآن) التي اتخذها شاروكين الأكادي عاصمة لملكه التي أسسها نحو ٢٣٥٠ ق. م والتي سميت نسبة إلى هذه المدينة أيضاً.

وكانت اللغة الأكادية قد بلغت درجة كبيرة من الأهمية حتى قبل تأسيس الملكة الأكادية، فملك السومري لو غال زاغيزي (٢٣٧٥ - ٢٣٥٠ ق.م) ملك مدينة أومما Umma الذي وحد جميع المدن السومورية في دولة واحدة في أواخر عصر السلالات السومورية الباكر، أمر ببنching نص له باللغة الأكادية على تمثاله ادعى فيه أن الإله إنليل كبير الآلهة السومورية أعطاه

المختلفة مع سقوط أكاد في العام ٢١٥٩ ق.م على أيدي الغوتين، وقيام دول وممالك جديدة، ومع دخول جماعات بشرية جديدة إلى بلاد الرافدين. فالغوتيون وهم جماعات بشرية متواحشة جاءت من المناطق الجبلية (جبل زاغروس) الواقعة شرق بلاد الرافدين، وأسقطت الدولة الأكادية، واحتلت العاصمة أكاد، استخدم ملوكها اللغة الأكادية في تدوين كتاباتهم، وأطلقوا على أنفسهم الألقاب الملكية الأكادية. والسبب في ذلك هو أن هذه الجماعات كانت بدائية لا تعرف الكتابة ولغتها غير مدونة. واحتلت اللغة الأكادية مكانة معتبرة في عصر مملكة أور الثالثة السومرية (٢١١١ - ٢٠٠٤ ق.م) الذي سادت فيه اللغة السومرية كلغة للحكم والإدارة والأدب، وحمل ثلاثة من ملوك هذه المملكة أسماءً أكادية (أمار سين، وشو سين، وإبّي سين).

كما ساد استخدام اللغة الأكادية في الممالك الأمورية التي نشأت في بلاد الرافدين وسوريا في النصف الأول من ألف الثاني قبل الميلاد، كالمملكة البابلية الأولى في وسط بلاد الرافدين، ومملكة إشنونا في وادي نهر دياري، ومملكة ماري في منطقة الفرات الأوسط، والمملكة الآشورية القديمة في شمالي بلاد الرافدين، ومملكة يمحاض (عاصمتها حلب) في شمالي سوريا، ومملكة قطنة (كان مركزها تل المشرفه الآن الواقع شمال شرقي حمص وسط سوريا) ومملكة حاصر (تل القدح شمالي فلسطين). ويمكن أن يكون السبب في ذلك أن لغة هذه الجماعات البدوية التي جاءت من بادية الشام، وهي الأمورية، كانت غير مكتوبة، وتشبه اللغة الأكادية في قواعدها ومفرداتها إلى حد كبير، لذلك لم يجد الحكام والملوك الأموريون غضاضة في استخدام اللغة الأكادية ذات التقاليد الكتابية العربية

الإمبراطورية إلى أقصى اتساع لها. وبالتالي كانت اللغة الأكادية اللغة الرسمية فيها، وكتب بها آلاف النصوص الرسمية وغير الرسمية التي عُثر على أعداد منها في المدن والمناطق التي خضعت للدولة الأكادية.

لكن للأسف لم يتمكن علماء الآثار حتى الآن من الكشف عن موقع مدينة أكاد العاصمة التي كان محفوظاً في أرشيفاتها الملكية والإدارية والدينية الكثير من النصوص المدونة باللغة الأكادية، ويشكل عدم العثور عليها نقلاً كبيراً في معلومات الباحثين عن تاريخ أكاد ولغتها وحضارتها. إن المعلومات الموجودة الآن عن الأكadians ودولتهم وحضارتهم ولغتهم مبنية على كتاباتهم وآثارهم المكتشفة خارج منطقة أكاد، سواء داخل بلاد الرافدين أم خارجها. ومما يجب ذكره، وخلافاً للآراء المتداولة بين الباحثين والقائلة إن شاروكين أسس مدينة أكاد، واتخذها عاصمة لدولته، فإن هذه المدينة كانت معروفة قبل تأسيس المملكة الأكادية بنحو جيل من الزمن على الأقل. فأقدم ذكر لها يرد في كتابة لأول ملك من سلالة أوروك الثانية السومرية المدعو إنشاكوشانا الذي سمى إحدى سنوات حكمه باحتلاله مدن أكاد وكيش ونبيور وخماري، وسيطرته على كل بلاد سومر. وتنذكر قائمة الملوك السومرية أنه حكم ستين عاماً (القرن ٢٥ قبل الميلاد).

يتضح من ذلك أن مدينة أكاد كانت مهمة و موجودة قبل شاروكين لدرجة أن ملك أوروك المذكور يفتخرا باحتلالها. وربما قام شاروكين بتوسيعها و تقويتها أسوارها لتليق بمركزها الجديد كعاصمة للدولة الوليدة.

وبخلاف المألوف والمفترض لم يتوقف استخدام اللغة الأكادية وانتشارها في مناطق الشرق القديم

نينوى، وتضم وثائق في مختلف فروع المعرفة (الطب والصيدلة والرياضيات والحساب والهندسة والفالك والتاريخ والجغرافيا والدين وغيرها، كُتبت باللغتين الأكادية والسومنية).

بدأ استخدام اللغة الأكادية بالتراجع والانحسار بعد سقوط بابل بيد الفرس الأخمينيين (في العام ٥٣٩ ق. م) الذين امتدت إمبراطوريتهم من مصر وأسيا الصغرى في الغرب إلى شبه الجزيرة الهندية في الشرق، واستخدمو اللغة الآرامية لغة رسمية في القسم الغربي من إمبراطوريتهم، أي في بلاد الراشدين وسوريا ومصر. والسبب في ذلك هو استخدام خط أبجدي سهل في كتابة اللغة الآرامية بعكس اللغة الأكادية التي حافظت على استخدام الكتابة المسماوية المعقدة المؤلفة من عدد كبير من الرموز الصعبة، وانتشار الآراميين بأعداد كبيرة في مناطق الشرق القديم، وقربة لغتهم للغة الأكادية بشكل كبير لدرجة أن من بقي من سكان بلاد الراشدين القدماء لم يجدوا مشكلة في استخدام اللغة الآرامية في حياتهم اليومية ومعاملاتهم التجارية وغيرها. وهذا ما حدث أيضاً مع لهجات اللغة الآرامية في القرن السابع الميلادي، التي تراجعت أمام اللغة العربية نتيجة الفتوحات العربية الإسلامية، وانتقال أعداد كبيرة من القبائل العربية للاستيطان في مناطق الشام والعراق ومصر وغيرها من مناطق الشرق العربي.

بقيت اللغة الأكادية مستخدمة وإن على نطاق ضيق في المجالين الديني والفلكي في بلاد الراشدين حتى نهاية الألف الأول قبل الميلاد، ويعود تاريخ آخر نص أكادي تم العثور عليه إلى العام ٧٦ م.

بدأ الاهتمام بدراسة اللغة الأكادية منذ منتصف القرن التاسع عشر بعد اكتشاف مكتبة العاھل

في مراسلاتهم وكتاباتهم الملكية وقوانينهم. وأبرز مثال على ذلك قانون حمورابي ملك بابل المشهور (١٧٩٢ - ١٧٥٠ ق. م) ومحفوظات مملكة ماري الملكية (النصف الأول من القرن الثامن عشر قبل الميلاد). واستمر استخدام اللغة الأكادية في بلاد بابل في العصر الكاشي (١٥٩٥ - ١١٧٠ ق. م) الذي اتصف بسيطرة حكام أجانب على السلطة في تلك المنطقة. فقد دخلت بلاد بابل في بداية القرن السادس عشر قبل الميلاد قبائل الكاشيين (كاشو بالأكادية) الهنود أوروبية، قادمة من المناطق الجبلية الشرقية، واستولت على الحكم بعد انسحاب الحثيين من بابل، وهم الذين أسقطوا السلالة البابلية الأولى التي كانت تحكم بابل آنذاك (في العام ١٥٩٥ ق. م).

وأصبحت اللغة الأكادية لغةً عالمية Lingua Franca في النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد، وأبرز مثال على ذلك رسائل تل العمارنة El-Amarna Letters التي أرسلها ملوك ممالك الشرق القديم المختلفة إلى فرعوني مصر ومنحوتب الثالث ومنحوتب الرابع (أخناتون) في القرن الرابع عشر قبل الميلاد، التي كُتبت باللغة الأكادية والكتابة المسماوية، وعُثر عليها حديثاً في موقع تل العمارنة في وسط مصر بالقرب من مدينة أسيوط. كما دُون فيها كثيرٌ من الوثائق والمعاهدات الحثية والسورية القديمة.

واستمر استخدام اللغة الأكادية في بلاد الراشدين في الألف الأول قبل الميلاد من قبل الآشوريين والكلديين (البابليين الجدد)، أي في الإمبراطورية الآشورية الحديثة والإمبراطورية البابلية الحديثة، وكتب بها آلاف الوثائق والحواليات الملكية، وأبرز مثال على ذلك مكتبة آشوربانipiال التي عُثر عليها في العاصمة

انقسمت اللهجة الأكادية القديمة في بداية الألف الثاني قبل الميلاد إلى لهجتين رئيسيتين هما اللهجة البابلية التي سادت في بلاد بابل «مات بابيليم» (الجزء الجنوبي من بلاد الرافدين، الذي سُمي بهذا الاسم نسبة إلى مدينة بابل (باب إليم = بوابة الإله)، واللهجة الآشورية التي سادت في بلاد آشور «مات آشور» (الجزء الشمالي من بلاد الرافدين) الذي سُمي بهذا الاسم نسبة إلى مدينة آشور.

وقد انقسمت كل لهجة من هاتين اللهجتين مع مرور الزمن إلى لهجات فرعية متعددة نذكرها فيما يأتي بحسب تسلسلها الزمني:

## ٢ - اللهجة البابلية القديمة: (نحو ٢٠٠٠ - ١٦٠٠ ق.م).

سادت هذه اللهجة في بلاد بابل في عصر المأمورى الذى تميز بهجرة الكثير من القبائل البدوية للأمورى إلى بلاد الرافدين وسوريا قادمة من بادىة الشام منطقة انتشار هذه القبائل منذ أقدم العصور، واستيلائها على الحكم هناك نتيجة ضعف تلك المناطق وانقسامها إلى ممالك صغيرة بعد سقوط مملكة أور الثالثة. فأسسَتْ ممالك جديدة في مدن إسين (إشان البحريات الآن)، ولارسا (تل السنكرة الآن)، وبابل، وماري (تل الحريمي الآن)، وأشور (قلعة الشرقاط الآن)، وإشنونا (تل أسمير الآن). ولم يمض زمن طويل حتى توحدت هذه الممالك في دولة مركبة واحدة شملت كل بلاد الرافدين، وذلك على يد حمورابى السادس ملوك الأسرة البابلية الأولى.

تأثرت اللهجة البابلية القديمة بلغة الحكام المأمورين، وهي اللغة الأمورية، التي لم تُستخدم في التدوين والكتابة، على الرغم من سيادة المأمورين سياسياً وعسكرياً على بلاد الرافدين. ويبدو أن

الآشوري آشور بانيبال (٦٦٨ - ٦٢٧ ق.م) وفك رموز الكتابة المسماوية بنجاح من قبل عدد من الباحثين الأوروبيين من أمثال الألماني جورج فريديريش غروتيفيند في العام ١٨٠٢، والبريطاني هنرى كريسويك رولينسون (والإيرلندي إدوارد هنكرز، والفرنسي جول أوبر) في العام ١٨٥٧. وظهرت مع الوقت دراسات كثيرة عنها وبلغات أجنبية متعددة، ألمانية وفرنسية وإنكليزية وغيرها، وعرفت خلال تاريخها الطويل مراحل تطورية كثيرة أدت إلى ظهور لهجات متعددة لها، سنتحدث عنها فيما يأتي باختصار:

### ١ - اللهجة الأكادية القديمة:

بدأ استخدامها في زمن ما غير معروف بدقة في بدايات الألف الثالث قبل الميلاد، أو ربما قبل ذلك، واستمر حتى سقوط مملكة أور الثالثة في نهاية الألف الثالث قبل الميلاد. وتمثل هذه اللهجة أسماء الأعلام الأكادية الواردة بكثرة في النصوص السومرية، وبعض الكتابات الملكية الأكادية التي خلفها ملوك الإمبراطورية الأكادية كشاروكين ونارام سين، أو غيرهما من الملوك والحكام. وتتصف النصوص والكتابات التي دونت بهذه اللهجة بوجود كلمات ومصطلحات سومرية كثيرة فيها نتيجة الاحتكاك الذي كان يحصل بين السومريين والأكاديين كونهما يسكنان في منطقتين متجاورتين، بلاد سومر (مات شوميريم) في أقصى الجنوب الراfdi المطل على الخليج العربي، وبلاد أكاد (مات أكاد) إلى الشمال منها حيث توجد العاصمة أكاد وما حولها من مناطق ومدن سكنها الأكاديون. وكانت العلاقات بين الفريقين تتصرف غالباً بالسلمية، إذ لا نسمع أخباراً عن صراعات عرقية أو دينية أو غيرها.

اللهجة أعمال أدبية رائعة تعود إلى عصورٍ أقدم مثل ملحمة جلجميش، وأسطورة أتراخاسيس (أسطورة بابلية عن الطوفان)، وقصة أيوب البابلي (بالأكادية لأمجدن رب الحكمة)، والكثير من النصوص الفلكية والطبية وقوائم معجمية تتضمن مفردات كاشية ومقابلاتها الأكادية وبعض القطع الأدبية كحوار العبد مع سيده. يُضاف إلى ذلك عدد كبير من النصوص المنقوشة على أحجار الحدود (أحجار الكودورو Kudurru) التي تبين حدود الأراضي الزراعية، والوثائق التي يرقى تاريخ معظمها إلى الفترة المتدة من منتصف القرن الرابع عشر إلى نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد. طرأ بعض التغييرات على هذه اللهجة نتيجة استخدامها في عصرٍ حكم فيه بلاد بابل حكامٌ غرباء عن المنطقة هم الكاشيون الذين ينتسبون إلى مجموعة الشعوب الهندوأوروبية، ودخلوا بلاد بابل قادمين من المناطق الجبلية الشرقية في وقت سقطت فيه بابل بيد الحثيين الذين قدموا إليها من هضبة الأناضول، لكنهم اضطروا إلى الانسحاب منها بعد نشوب اضطرابات في موطنهم تاركين فراغاً سياسياً كبيراً شغله الكاشيون الذين لم يتخلوا في حياة السكان الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، حتى إنهم لم يجبروا السكان المحليين على استخدام لغتهم الكاشية، وبقيت اللغة الأكادية بلهجتها البابلية الوسطى هي السائدة. وقد طرأ عليها تغيير في نهاية العصر الكashi تمثل بسقوط النهايات الإعربية والتمييز من أواخر الكلمات.

#### ٤ - اللهجة البابلية الحديثة: (نحو ١٠٠٠ -

٦٢٥ ق.م):

وهي لهجة تأثرت كثيراً باللغة الآرامية من جراء انتشار الآراميين في سوريا وببلاد الرافدين خلال

السبب في ذلك هو التشابه الكبير بين اللغتين الأكادية والأمورية، وتأصل وتجذر استخدام اللغة الأكادية في بلاد الرافدين، وعدم وجود تقاليد وقواعد كتابية خاصة باللغة الأمورية، التي يبدو أنها بقيت لغة المخاطبة اليومية بين السكان.

يُعدُّ قانون حمورابي وقانون مملكة إشنونا وبعض الرسائل والوثائق الاقتصادية والدينية، والأعمال الأدبية المختلفة (مثل أسطورة خلق الكون «إنوما إليش» عندما في العُلى) من أفضل شواهد هذه اللهجة. ونتيجة لكثرة نصوص ووثائق العصر البابلي القديم الذي سادت فيه اللهجة البابلية القديمة، وانتشارها في عدد من المناطق والمدن الراfibية، يمكن تمييز عدد من اللهجات المحلية التي تفرعت من هذه اللهجة وسادت في مناطق معينة. فهناك اللهجة ماري التي قامت في منطقة الفرات الأوسط (تل الحريري بالقرب من بلدة البوكمال الحالية القريبية من الحدود السورية العراقية)، والتي نعرفها جيداً من نصوص المحفوظات الملكية التي يرقى تاريخ معظمها إلى النصف الأول من القرن الثامن عشر قبل الميلاد. ويبلغ عدد تلك النصوص المكتوبة على ألواح طينية نحو خمسة وعشرين ألف نص كشفت عنها في شباط ١٩٣٥ ببعثة أثرية فرنسية برئاسة أندريه بارو كانت قد بدأت بالتنقيب في موقع تل الحريري في العام ١٩٣٢ .

### ٣ - اللهجة البابلية الوسطى (نحو ١٦٠٠ - ١٠٠٠ ق.م):

هي اللهجة التي سادت في بلاد بابل من بداية العصر الكashi (بداية القرن السادس عشر قبل الميلاد) إلى نهاية ألف الثاني قبل الميلاد، وأهم مصادرها رسائل ووثائق وكتابات ملكية ونصوص أدبية جاء بعضها من بلاد آشور. كما نُسخت بهذه

## ٦- اللهجة الآشورية القديمة: (١٩٥٠ - ١٧٥٠ ق.م)

عرف القسم الشمالي من بلاد الرافدين، أي بلاد آشور، استخدام اللغة الأكادية منذ ألف الثالث قبل الميلاد، وتفرعت عنها ثلاثة لهجات تتطابق تقريباً مع تقسيم التاريخ الآشوري إلى عصور قديمة ووسطى وحديثة.

سادت اللهجة الآشورية القديمة في العصر الآشوري القديم في بلاد آشور؛ إذ اُثرَ على بعض الكتابات الملكية والنصوص ذات الطبيعة الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية. كما سادت في المناطق التي وصل إليها التجار الآشوريون في هضبة الأناضول، فقد أسسوا الكثير من المستوطنات التجارية هناك، وأشهرها مستوطنة «كاروم كانيش» (موقعها الآن كول تبى «تل الرماد» في كيادوكيا وسط هضبة الأناضول شمال شرقى قيصرية).

وقد اُثر علماء الآثار في موقع «كاروم كانيش» على أكثر من خمسة وعشرين ألفاً من الألواح المسماوية المكتوبة باللهجة الآشورية القديمة التي كانت مستخدمة في المملكة الآشورية القديمة في بداية ألف الثاني قبل الميلاد. هناك عدد كبير منها مشوّى، وبعضها موجود ضمن مخلفات طينية مختومة بأختام أسطوانية. إن معظم النصوص المكتشفة تؤلف محفوظات لعدد من التجار الآشوريين الذين كانوا يتاجرون ما بين آشور والأناضول (عدهم بين ١٥ - ٢٠ تاجراً). لذلك فإن هذه المحفوظات تتحدث عن قضايا اقتصادية بالدرجة الأولى.

ومن الطبيعي أن تكون هناك بعض الاختلافات بين اللهجة النصوص المكتشفة في الأناضول واللهجة النصوص المكتشفة في بلاد آشور نتيجة احتلال التجار الآشوريين مع سكان الأناضول الذين

الألف الأول قبل الميلاد وكون لغتهم استخدمت كتابة أبجدية أسهل من الكتابة المسماوية. وكتب بها رسائل وآداب كثيرة حاكت بشكل واضح اللهجة البابلية القديمة مع الاستمرار بحذف التمييم والنهايات الإعرابية من أواخر الكلمات. كما كتب بهذه اللهجة أيضاً جزء كبير من الأدب الآشوري الحديث، وبعض الحوليات الملكية الآشورية، ولا سيما كتابات ملوك ساللة شاروكيين الثاني ملك آشور (٧٢٢ - ٧٠٥ ق.م). وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على التمازج الثقافي بين اللهجات اللغات في بلاد الرافدين.

## ٥- اللهجة البابلية المتأخرة: (٦٢٥ - ٦٢٥ ق.م)

وهي لهجة بلاد بابل في العصر البابلي الحديث (الكلدي) (٦٢٥ - ٥٣٩ ق.م) والعصر الفارسي- الأخميني (٥٣٩ - ٣٣٢ ق.م) والعصر السلوقي والفرشتي. وهي مزيج من اللغتين الأكادية والأرامية التي ترسخ استخدامها في بلاد الرافدين، واستخدامها الكتاب والعلماء فقط، بينما تكلمت الطبقات الشعبية اللغة الأرامية. وتمثل هذه اللهجة بعض الكتابات الملكية (كتابات نبوخذ نصر الثاني ونابوناينيد آخر ملوك المملكة البابلية الحديثة) وبعض المؤلفات الأدبية، وبعض الوثائق المسماوية المكتشفة في تل الشيخ حمد (دور كتليمو)، التي يحمل بعضها ملاحظات باللغة الأرامية، وجملة من النصوص الفلكية (نحو ألف نص) من العصر الهلنستي (عصر الإسكندر المقدوني والعصر السلوقي). ويعود تاريخ آخر نص أكادي مكتوب بالخط المسماوي إلى العام ٧٦ م، وهو نص فلكي بابلي يتنبأ بحركة الكواكب كتب في العصر الفرشتي في مدينة أوروك.

وازدهارها، فقد امتدت من وادي النيل في الغرب إلى الهضبة الإيرانية في الشرق، ومن هضبة الأناضول في الشمال إلى الأطراف الشمالية لشبه الجزيرة العربية في الجنوب. وتمثل هذه اللهجة المراسلات والحواليات الملكية الكثيرة، والوثائق الاقتصادية والقانونية والأدبية، ولا سيما تلك التي تضمها مكتبة آشوربانيبال (القرن السابع قبل الميلاد). ويظهر فيها التأثير الآرامي بشكل واضح معبراً بذلك عن اتساع الوجود الآرامي في بلاد آشور وببلاد بابل وسوريا.

توجد بالإضافة إلى هذه اللهجات لهجات محلية متعددة سادت في مناطق محددة داخل بلاد الرافدين وفي المناطق المجاورة لها، وهي في الواقع لهجات بابلية وسطى تأثرت بلهجات أو لغات المناطق التي نشأت فيها نذكرها فيما يأتي باختصار:

#### أـ. لهجة مدينة نوزي:

استخدمت هذه اللهجة في مدينة «نوزي» (موقعها الآن يورغان تبه جنوب غربي كركوك في شمالي العراق) التي كانت ثاني أهم مدينة في مملكة حوري. ميتاني التي نشأت في شمالي بلاد الرافدين في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد، وامتدت سيطرتها لتصل إلى شمالي سوريا. وكانت عاصمتها مدينة «واشوكانى» التي لم يعرف موقعها حتى الآن (ربما تل الفخرية بالقرب من الحسكة). عثرت بعثة تنقيب أميريكية في نوزي ما بين ١٩٢٥ - ١٩٣٣ على أكثر من خمسة آلاف نص مكتوب باللهجة البابلية الوسطى المتأثرة باللغة الحورية التي كانت سائدة في هذه المنطقة التي كانت غالبية سكانها حورية في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد. نشير هنا إلى أن اللغة الحورية لغة غير معربة، ولا تربطها أية علاقة مع أي لغة من لغات الشرق الأدنى القديم، ولا أي لغة حديثة.

استخدموا اللغات غريبة عن الأكادية كاللغة الحثية ولغة الخاتيين سكان الأناضول القدماء .

#### ٧ـ. اللهجة الآشورية الوسطى: (١٥٠٠ - ١٠٠٠ ق.م)

سادت في بلاد آشور في النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد، وتمثلها قوانين العصر الآشوري الوسيط التي عثرت عليها جمعية الشرق الألمانية خلال حفرياتها في قلعة الشرقاط (موقع مدينة آشور) ما بين ١٩١٨ - ١٩٠٣ م، وبعض الوثائق والكتابات الملكية، والنصوص الأدبية التي تظهر فيها تأثيرات بابلية، وبعض رسائل العمارنة التي أرسلها «آشور أوباليط الأول ملك المملكة الآشورية الوسطى (١٣٥٣ - ١٣١٨ ق.م) إلى الفرعون المصري أمنحوتب الرابع (أختتون) (الرسالتان رقم ١٥ و ١٦)». كما اكتشف في موقع تل الشيخ حمد (مدينة دور كتليمو القديمة) الواقع على الضفة الشرقية لجري نهر الخابور على بعد نحو سبعين كيلومتراً شمال شرقي دير الزور، على أرشيف يتألف من خمسة وخمسين لوحاً مسمارياً باللهجة الآشورية الوسطى، يعود إلى عهد الملكين الآشوريين شلمنصر الأول وتوكلتي نينورتا الأول، اللذين حكموا بلاد آشور في القرن الثالث عشر قبل الميلاد.

يرقى تاريخ القوانين الآشورية الوسطى إلى زمن الملك تيكلاس بيليصر الأول (١١١٥ - ١٠٧٦ ق.م)، وتناول بالدرجة الأولى قضايا حقوق المرأة، كالزواج، والأسرة، والزنبي، والسرقة، والحجاب، والإجهاض وغيرها.

#### ٨ـ. اللهجة الآشورية الحديثة: (٦٠٠ - ١٠٠٠ ق.م)

سادت في بلاد آشور في العصر الآشوري الحديث الذي يمثل ذروة قوة الآشوريين وتوسيع دولتهم

عدها نحو ثلاثة آلاف لوح تتحدث عن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والدينية والسياسية في مملكة أوجاريت وهي في أوج ازدهارها (١٤٠٠ - ١٢٠٠ ق. م). هذا إلى جانب معاهدين أبرمها ملكان من أوجاريت مع ملkin حثين، الأولى بين الملك نيقمادو الثاني Neqmadu II. و شوبيلوليموا الأول Shupiluliuma I.، والثانية بين نيقميما Murshili II. و مورشيلي الثاني Neqmepa. تظهر في هذه النصوص تأثيرات لغة أوجاريت المحلية التي كانت اللغة المحكية في مدينة أوجاريت وما جاورها. واستخدام اللهجة البابلية الوسطى هنا ما هو إلا لأنها أصبحت لغة عالمية في الألف الثاني قبل الميلاد.

وهناك نصوص أخرى كُتبت باللهجة البابلية الوسطى عُثر عليها في موقع سوريا أخرى كإيمار (مسكنة الآن)، وإكلاتي (تل منبقة شمال مدينة الثورة على نهر الفرات الآن)، وقطنة (تل المشرفة شمال شرقي حمص الآن).

#### د- لهجة مراسلات تل العمارنة:

وتمثلها مجموعة رسائل عُثر عليها في العام ١٨٨٧ في موقع تل العمارنة (بالقرب من مدينة أسيوط وسط مصر) موقع مدينة أختيت آتون عاصمة الفرعون المصري أمنحوتب الرابع (١٣٦٤ - ١٣٤٧ ق. م) الذي دعا إلى عبادة إله واحد هو «آتون» إله الشمس، وأطلق على نفسه لقب أخناتون، أي المفید لآتون). كان عددها عند اكتشافها ستمائة رسالة، بقي منها حتى الآن ثلاثة وثلاثون وثمانون رسالة أرسلها ملوك ممالك آشور وبابل وخاتي وحوري- ميتاني، وقبرص، وحكام ممالك المدن السورية (أوجاريت وأمورو، وجبيل، وبيروت، وصيدا، وصور، وعكا، وعسقلان، وأورشليم، ومجیدو، وحاصور، وغزة، ونوكاشي،

#### ب- لهجة مدينة ألاخ:

هي تلك اللهجة التي استُخدمت في مدينة ألاخ (موقعها الآن تل عطشانة بالقرب من مصب نهر العاصي في البحر المتوسط في منطقة لواء إسكندرية المحتل من تركيا). نقبت هنا بعثة أثرية بريطانية بقيادة ليونارد ووللي قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها، فكشفت عن أربع عشرة طبقة أثرية يعود أقدمها إلى منتصف الألف الرابع قبل الميلاد، وعن بقايا قصور ومعابد تعود إلى القرن الثامن عشر قبل الميلاد، وعن مجموعة من النصوص المسماوية الأكادية التي كُتبت بلهجتين، النصوص الأقدم باللهجة البابلية القديمة (في الطبقة السابعة) التي تؤرخ ب نهاية القرن الثامن عشر والسابع عشر قبل الميلاد عندما كانت المدينة تتبع مملكة يمحاض وعاصمتها حلب، والنصوص الأحدث باللهجة البابلية الوسطى (في الطبقة الرابعة) التي يعود تاريخها إلى النصف الثاني من القرن الخامس عشر قبل الميلاد عندما شكلت المدينة عاصمة لملكة تابعة لمملكة حوري ميتاني تدعى «موكيش». وتضم المجموعة الأحدث نصوصاً إدارية واقتصادية ورسائل ومعاهدات وقوائم معجمية، ونقشاً مؤلفاً من مئة وأربعة سطور على تمثال إدريمي ملك المدينة (١٥٠٠ - ١٤٧٠ ق. م) يتحدث عن نسب الملك وأعماله الكثيرة داخل مملكته وخارجها، ومن ثم يُعد أقدم سيرة ذاتية معروفة في تاريخ الشرق الأدنى القديم. تظهر في هذه السيرة وفي النصوص العائدية لزمنها خصائص لغوية محلية، بالإضافة إلى ورود كثير من المفردات وأسماء العلم الحوري، لأن مدينة ألاخ ومنطقتها كانت تتبع آنذاك مملكة حوري- ميتاني.

#### ج- لهجة مملكة أوجاريت:

وتمثلها مجموعة من النصوص المسماوية البالغ

لكن الفرق الوحيد بين الأكادية وغيرها من لغات المشرق العربي القديم بما فيها العربية يكمن في الكتابة أو الخط الذي كُتب به اللغة الأكادية، ألا وهو الخط المسماوي الذي يدون السواكن والصوائت، ومن ثم يمكن معرفة اللفظ الصحيح للكلمة، وذلك بخلاف الخطوط الأخرى التي استُخدمت لكتابات لغات المشرق العربي القديم الأخرى، وهي خطوط أبجدية ساكنة تحمل معها إمكانية أكثر من قراءة الكلمة الواحدة. وهكذا نجد أن دراسة اللغة الأكادية مفيدة جداً وضرورية لدراسة نحو اللغة العربية وصرفها وألفاظها ومفرداتها وظواهرها اللغوية المختلفة.

### أوجه التطابق بين الأكادية والعربية:

ومن المفيد هنا ذكر بعض أوجه التطابق بين الأكادية والعربية، فالاسم على سبيل المثال بالأكادية يُرفع بالواو (التي تحولت بالعربية إلى الضمة)، ويُنصب بالألف (التي تحولت بالعربية إلى الفتحة)، ويُجر بالياء (التي تحولت بالعربية إلى الكسرة)، مثل: مار: ابن، ف تكون ماروم في حالة الرفع، ومارام في حالة النصب، وماريم في حالة الجر، علمًا أن الميم في آخر الكلمة تشبه التنوين في العربية.

تحولت حروف الواو والألف والياء في العربية إلى ضمة وفتحة وكسرة.

والصفة تتبع الموصوف في جميع حالات الإعراب في الأكادية تماماً كما هو الحال في اللغة العربية.

وتتطابق تقريباً معظم الضمائر الشخصية المنفصلة: أنا، أناكوا: أنا، أنت: أنت، أنت: أنت، شو: هو، شي، هي، نينو: نحن، أتونو: أنتم، أتينا أنتن، شونو: هم، شيئاً: هن. وكذلك الحال مع الأعداد التي تختلف المعدود من ثلاثة إلى عشرة في اللغتين. الأعداد من واحد إلى عشرة في الحالة المطلقة (حالة التذكير):

ونياً، وتونيب، وقطنة، وقادش، ودمشق، وغيرها) إلى الفرعونين المصريين منحوتب الثالث وابنه منحوتب الرابع (أختاون)، تتناول العلاقات بين هذه المالك والمدن من جهة والإمبراطورية المصرية الحديثة من جهة أخرى. وهناك عشر رسائل فقط أرسلت من مصر. يعود تاريخ هذه الرسائل إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد.

وقد كُتبت كلها (إلا خمساً منها، واحدة باللغة الحورية لغة مملكة حوري ميتاني ورقمها 24، وتألف من نحو خمسين سطر، سميت رسالة ميتاني لأهميتها في فهم نواحي كثيرة في اللغة الحورية، واثنتين باللغة الحثية التي تعد أقدم لغة هندو أوروبية معروفة أرقامها 31، 32، واثنتين باللهجة الآشورية الوسطى أرقامها 15 و 16) باللهجة البابلية الوسطى التي تظهر فيها تأثيرات اللهجات الكنعانية التي كانت سائدة في سوريا في الألف الثاني قبل الميلاد، هذا وما هو معروف عن «الكنعانية القديمة» يقتصر على المفردات والمظاهر اللغوية الكنعانية الموجودة في رسائل العمارنة. كما استخدم كتاب الرسائل أحياناً بعض المفردات الإدارية والعسكرية المصرية القديمة، التي يبدو أنها كانت معروفة في مدنهم ومناطقهم.

ولكن على الرغم من تعدد اللهجات الأكادية فإن الاختلافات فيما بينها طفيفة هي أقل بكثير من الاختلافات الموجودة الآن بين لهجات اللغة العربية، ويعود معظمها إلى الاحتكاك بعناصر لغوية أجنبية. هذا مع العلم أن اللغة الأكادية عموماً تشبه إلى حد كبير لغات المشرق العربي القديم الأخرى، ولا سيما العربية، سواء من حيث القواعد، أم التصارييف اللغوية، أم المفردات أم غيرها من النواحي الإعرابية.

**عدانو** (adānu(m). adānu(m) : موعد،  
أجل. (عِدَّانٌ iddān بالآرامية والسريانية،  
وبالأوجاريتية «عدن»). CAD 1. A.I. 97; AHw 10 b; Aistleitner. 95.  
(مشتقة من المصدر .(AHw 1454 b  
wadū(m) يُعرف، يعلم، يحدد بالعربية:

«عدن. عَدَنَ فَلَانُ بِالْمَكَانِ يَعْدُنُ وَيَعْدُنَ عَدَنًا وَعُدُونًا»  
أقام. قال الأزهري: من جعل عَدَنَ فَعْلَانًا فهو من العَدَنِ  
والعَدَادِ، ومن جعله فَعْلَانًا فهو من عَدَنَ، قال والأقرب  
عندِي أنه من العَدَنِ، لأنَّه جَعَلَ بمعنى الوقت. والعَدَانِ  
بفتح العين، سبع سنين، يُقال مكتثًا في علاء السفر  
عَدَانِين، وهو أربع عشرة سنة، الواحد عَدَانٌ، وهو  
سبعين سنين». لسان العرب [ع دن].

حتى الآن تستخدم الكلمة «عَدَانِ» في المناطق الريفية  
السورية للإشارة إلى مدة زمنية ومواسم زراعية  
محددة.

**أجْرُو** (agurru(m): آجْرٌ، قرميد. اللَّبَنُ الْمَحْرَقُ  
المعد للبناء. (بالآرامية «أجْرُورا»). CAD 1. A. I. 160; AHw 17 b))  
«الْأَجْرُ: طبيخ الطين، الواحدة بالهاء، أَجْرَةُ وَأَجْرَةُ  
وَأَجْرَةً» لسان العرب [ء اج ر].

**أَخَزو** (ahazu(m): يأخذ، يتزوج، يتعلم.  
(بلغات المشرق العربي القديم الأخرى «أخذ، أخذ»). CAD 1. A. I. 173; AHw 18 b; Aistleitner.)

بالعربية : 13-14; Sabaic Dictionary, 3)  
«أَخَذَ . أَخَذَهُ: خَلَفُ الْعَطَاءِ، وَهُوَ أَيْضًا  
التَّنَاوِلُ. أَخَذَ الشَّيْءَ أَخَذُهُ أَخَذَهُ: تَنَاوَلْتُهُ». لسان  
العرب [ء خ ذ]. ونقول في العامية «أخذ، أخذ فلان  
فلانة»، بمعنى «تزوجها»».

**أَخْوَزَاتُو** (ahuzzatu(m): زواج. (مشتقة من

إشتينوم واحد، شينان: اثنان، شلاشوم: ثلاث،  
إربوم: أربع، خَمْشُوم: خمس، شِيشُوم: ست، شيبوم:  
سبع، سمانوم: ثمان، تيشوم: تسعة، إشروم: عشر.  
وتطابق ضمائر الملكية المتصلة في حالة الرفع في  
العربية والأكادية، كالتالي:

**بِيلِي**: سيدِي، كلمة بيل (بعـل) مع ياء الملكية  
للمتكلم المفرد.

**بِيلِكَا**: سيدُكَ، كلمة بيل (بعـل) مع ضمير «كا»  
للمخاطب المفرد المذكر.

**بِيلِكِ**: سيدُكِ، كلمة بيل (بعـل) مع ضمير «كي»  
للمخاطب المفرد المؤنث.

**بِيلِشُو**: سيدُهُ، كلمة بيل (بعـل) مع ضمير «شو»  
للغائب المفرد المذكر.

**بِيلِشا**: سيدُهَا، كلمة بيل (بعـل) مع ضمير «شا»  
للغائب المفرد المؤنث.

**بِيلِنِي**: سيدُنَا، كلمة بيل (بعـل) مع ضمير «ني»  
للمتكلم الجمع.

**بِيلِكونُو**: سيدُكُمْ، كلمة بيل (بعـل) مع الضمير  
«كونو» للمخاطب الجمع المذكر.

**بِيلِكِينَا**: سيدُكُنْ، كلمة بيل (بعـل) مع الضمير  
«كينا» للمخاطب الجمع المؤنث.

**بِيلِشُونُو**: سيدُهُمْ، كلمة بيل (بعـل) مع الضمير  
«شونونو» للغائب الجمع المذكر.

**بِيلِشِينَا**: سيدُهُنْ، كلمة بيل (بعـل) مع الضمير  
«شينا» للغائب الجمع المؤنث.

ونورد فيما يأتي مجموعة من الكلمات الأكادية  
وما يماثلها بالعربية:

(نورد الكلمة في حالة الرفع مع التمييم وهي في  
حالة المصدر، تماماً كما هو الأمر في المعجمات الأكادية  
المعروفـة):

على شجر آخر. وهذه التسمية الشائعة والمغلوطة في الشام هي قديمة. ذكرها عبد اللطيف البغدادي في «الإفادة والاعتبار». فالإجاص في اللغة هو بالإنكليزية plum tree أي ما يُسمى البرقوق في مصر. ويُسمى الخوخ غلطاً في الشام. وكلمة كمثرى سريانية النجار. وهي في مصر تطلق على هذا الشجر. وهو الصحيح. شجر مثمر مشهور من الفصيلة الوردية فيه ضروب زراعية. ومن أنواع الكمثرى نوع بري تسميه العامة نجاص بري وهو الكمثرى البرية أو السورية *pyrus syriacus* ينبع في بعض جبال الشام».

**أرجَّمنُو** argamannu: أرجوان. (بالآرامية والعربية «أرجوان»، وبالعبرية «أرجمان»، CAD 1, A, II, 253; )؛ (بالإنجليزية «أرجمن»). AHw 67 a

«الْأَرْجُوَان»: شجر من الفصيلة القرنية له زهر شديد الحمرة حسن المنظر وليس له رائحة. والأرجوان: الصبغ الأحمر، والثوب المصبوج فيه يقال له أحمر أرجواني قان. (المعجم الوسيط، ص ١٣). قدِيمَاً اشتَهَرَ الفينيقيون بصناعة الأنسجة المصبوجة باللون الأحمر الأرجواني. وكان الصباغ يُستخرج من حيوان بحري صغير يدعى الموريكس Murex. ونظراً لغلاء الأقمشة المصبوجة باللون الأحمر الأرجواني كان ارتداؤها مقتصرًا على الملوك والأغنياء، واستمر ذلك حتى العصر الروماني. وانتقل إلى كبار رجال الكنيسة الذين ميزوا أنفسهم من غيرهم بارتداء الألبسة المصنوعة من النسيج المصبوج بالأرجوان. واستمر الأمر حتى العصور الحديثة؛ إذ أصبح فرش السجاد الحمراء عند استقبال ملوك ورؤساء الدول تقليدًا».

AHw 23 a; CAD 1, A, I, 217)). آخر: يأخذ). آلو alu(m) ( مدينة، بلدة. بالأوچاريتنية والفينيقية: «أهل»: خيمة، مسكن، وبالعربية والعربية الجنوبية «أهل»: عائلة، وبالعبرية «أوهيل»، وبالآرامية «أوهولا»). Aistleitner, S. 9 (بالعربية: «الأهل». أهل الرجل وأهل الدار والجمع أهلون وأهال وأهلاط وأهلاط. وأآل الرجل: أهله. وأآل الله وأآل رسوله: أولياؤه، أصلها أهل ثم أبدلت الهاء همزة فصارت في التقدير أآل، فلما توالت الهمزتان أبدلت الهاء الثانية أفالاً كما قالوا آدم وآخر». لسان العرب [ء هـ].

**أمشالي**، **أمشاليتم**، **أمشات** amšali, amšalitam, amšat (إميشن)، وبالعربية «أمس»). CAD 1, A, II, 79 (بالعربة: «أمس». أمس: من ظروف الزمان، مبني على الكسر إلا أن ينکأ أو يعرَّف، وربما يُبني على الفتح، والنسبة إليه إمسى، على غير قياس». لسان العرب [ء م س].

**أنجاشو** angašu(m) (إجاص). AHw 51 (بالعربة: a; CAD 1, A, II, 117 «أجص. الإِجَاصُ والإِنْجَاصُ: من الفاكهة. ويروى: الإنجاص. قال الجوهري: الإِجَاصُ دخيل لأن الجيم والصاد لا يجتمعان في كلمة واحدة من كلام العرب، والواحدة إِجَاصَة. قال يعقوب: ولا تقل إنجاص، قال ابن بري: وقد حكى محمد بن جعفر القرذاز إِجَاصَة وإنجاصصة وقال هما لغتان». لسان العرب [ء ج ص]. نقرأ في معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، ص ٥٣١، ما يأتي:

pear «*pyrus communis*»: إنجاص في الشام وهي عامية من إجاص الصحيفة والدالة لغويًا

ومن الحكايات الطريفة أن الحاج بن يوسف الثقفي حبس رجلاً مظلوماً، فكتب إليه رقعة قال فيها: قد مضى من بؤسنا أيام، ومن نعيمك أيام، والموعد يوم القيمة، والسجن جهنم، والحاكم لا يحتاج إلى بيضة، وكتب في آخرها:

### يُستقطع التلذذ عن أنس

### أداموه وينقطع النعيم

إلى دِيَانِ يَوْمِ الدِّينِ نَمْضِي

وَعِنْدَ اللَّهِ تَجْتَمِعُ الْخُصُومُ

**ديانو، دانو** (diānu(m), dânu(m)) يقضي، يحكم. (مشتركة بين جميع لغات المشرق العربي القديم). CAD 3, D, 100; AHw 167 (b; Aistleitner, 79–80).

**ديانوتو** (dayanuto(m) قضاء. CAD 3, D, 33; AHw 151 a)

**دينو** (dînu(m) حكم، قضية، قرار. CAD 3, D, 150 (171 b). وفي الدين الإسلامي مصطلح يوم الدين الذي يعني يوم الآخرة والحساب. **غَدَادُو** (gadādu(m) قَدَّ، قَطَّعَ. (قدَّ في لغات المشرق العربي القديم الأخرى).

AHw 273 a. بالعربية: «القدُّ: القطع المستأصل والشق طولاً، والانقاد: الانشقاق. والقدُّ: قطع الجلد وشق الثوب ونحو ذلك».

**جدو** (gadu(m) جَدِي. (بالأوجاريتية «جدي»، وبالآرامية والعبرية «جدي»، وبالسريانية «جَدِيَا»). AHw 273 a; CAD 5, G, 9; Aistleitner, 64) بالعربية: «جداً. الجَدَا، مقصورٌ: المطر العام. وغيثٌ جَدَاً: لا يُعرفُ أقصاه. والجَدِيُّ: الذكر من أولاد المعز، والجمع أَجْدِ وَجِدَاءُ، ولا تُقْلِّ الجَدَادِيَا، ولا الجَدِيُّ، بكسر الجيم». لسان العرب [ج د ي].

**أسو** (asû(m) الآسي، الطبيب. (كلمة مستعارة من السومرية LU.A.ZU: الرجل المعالج بالماء)، (بالآرامية «أسيَا»، وبالتدمرية «آسي»، وبالعربية «آس»، وبالعبرية «أسَا»). CAD 1, A, II, 344; AHw 76 b (A). بالعربية: «أسَا: الأَسَا، مفتوح مقصور: المداواة والعلاج، وهو الحزن أيضاً. وأسَا الجرح أَسْوَاً وأَسَاً: دواه. والإساءة ممدود مكسور: الدواء بعينه، وإن شئت كان جمعاً للآسي، وهو المعالج». لسان العرب [ء س ي].

قال الحطيئة يهجو الزبرقان:  
لما بدا في منكم غَيْبُ أَنْفُسُكُمْ  
ولم يكن لجرياحي فيكم آسي

ويقول أبو الطيب المتنبي في مدح بدر بن عمار:  
يطاً الثرى مُتَرَفِّقاً من تيهه  
فكانه آس يجسُّ علياً

**أساتو** (asâtu(m) طبيبة. (مؤنث أسو، بالسومرية MUNUS.A.ZU: المعالجة بالماء). CAD 1, A, II, 344; AHw 73 b ()).

**ديانو** (dayyānu(m), diyānu(m) قاضٍ. مؤنثها «ديانتو» (dayāntu(m)). AHw 151 a. CAD 3, D, 28 ()).

«دين. الديَان» هو القاضي والحاكم والسايس والقهار والحاسب (من أسماء الله تعالى). وسئل بعض السلف عن عليٍّ كرم الله وجهه فقال: كان دِيَانَ هذه الأمة بعد نبيها، أي قاضيها». والديَان: الله عز وجل. **والديَان**: القَهَّارُ، وقيل: الحكم والقاضي، وهو فَعَالٌ من دَانَ الناسَ أي قَهَرَهُمْ على الطاعة. يُقالُ: دِنْتُهُمْ فَدَانُوا، أي قَهَرَهُمْ فأطاعُوا. ومنه شعر الأعشى الحرماني يخاطب رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «يَا سَيِّدَ النَّاسِ وَدِيَانَ الْعَرَبِ». لسان العرب [دِيَن].

**جَشْرُو** (CAD, 5, G, p. 55; AHw 283 a) : gašāru(m) جَسَرَ، تجاسر. (بالعربىة: «جَسَرَ يَجْسُرُ جُسُورًا وَجَسَارَةً» ماضى ونَفَذَ. وجَسَرَ على كذا يَجْسُرُ جَسَارَةً وَتَجَاسِرَ عَلَيْهِ: أَقْدَمَ. والجسور: المقادم. ورَجُلُ جَسَرٌ وَجَسُورٌ: ماضٌ شجاعٌ، والأنثى جَسَرَةٌ وَجَسُورٌ وَجَسُورَةٌ. ورَجُلٌ جَسَرٌ: جَسِيمٌ جَسُورٌ شُجَاعٌ». لسان العرب [ج س ر]. CAD, 5, G, p. 56; AHw 283b).

**جَشْرُو** (CAD, 5, G, p. 58; AHw 283 b) : gašru(m) قوى، جسور. (بالعربىة: «جَشْرُوٰتُو» جسارة، قوة. CAD, 5, G, p. 58; AHw 283 b).

**جَحْصُو** (IM, CAD, 5, G, p. 54; AHw 282 b) : gaššu(m) حصن، جبصين، مادة كلسية بيضاء للطلاء. (بالعربىة والأرامية «جَصّ»). CAD, 5, G, p. 54; AHw 282 b).

بالإشارتين المسماريتين السومريتين بـBABBAR: الطين الأبيض. بالعربىة: «جَصْ». الجَصُّ والجَصُّ: معروف، الذي يُطلَى به، وهو مغرب. قال ابن دريد: هو الجَصُّ ولم يقل الجَصُّ، وليس الجَصُّ بعربي وهو من كلام العجم، ولغة أهل الحجاز في الجص: القص». لسان العرب [ج ص ص].

**جزارو** (AHw 282, CAD) : gazaru(m) جزر. (بالأرامية جزر وبالعربىة: «جَزَر»: ضد المَدَّ وهو رجوع الماء إلى خلف. والجزيرة القطعة من الأرض. وجَزَرَ الشيء يَجْزُرُه ويَجْزِرُه جَزْرًا: قطعه. والجزَرُ: نَحْرُ الْجَزَارِ الْجَزُورِ، وجزر الناقة يَجْزُرُها بالضم جَزْرًا: نحرها وقطعها. والجزور الناقة المجزورة. والجزَارُ والجزَّارُ: الذي يجزر الجزور، وحرفته الجِزَارَة، والمُجْزُرُ بكسر الزاي موضع الجزر». لسان العرب [ج ز ر].

**جَنُو، جَنَّتو** (gannu,gannatu(m) حديقة. (يبدو أنها كلمة مستعارة من اللغة الآرامية). (بالأوجاريtie والعربىة «جَن»، وبالسريانية «جَنِّيَا»، وبالعربىة الجنوبية والحبشية «جَنَّت»، وبالعربىة «جَنَّة»، جمعها جَنَان وجنات). AHw 280 b; CAD 5 G, 41; Aistleitner, 67; Sabaic Dictionary, 50).

«جَنَّ الشيء يَجْنُه جَنًا»: ستراه. والجَنَّة: الحديقة ذات الشجر والنخل، وجمعها جَنَان، وفيها تخصيص، ويقال للنخل وغيرها. وقال أبو علي في التذكرة: لا تكون الجنة في كلام العرب إلا وفيها نخل وعنبر، فإن لم يكن فيها ذلك، وكانت ذات شجرٍ فهي حديقة وليس بجنة. والجنة هي دار النعيم في الآخرة من الاجتنان، وهو الستُّر لتكاثف أشجارها وتظليلها بالتفاف أغصانها». لسان العرب [ج ن ن].

**جَبْنُو** (m) : gapnu غصن. بالأوجاريtie («جَفَن»، وبالعربىة «جفن» و«جفنة»). AHw 281 a).

كان أحد رُسل الإله بعل يدعى «جفن»: عنبر، كرمة. بالعربىة الجَفْنُ: غطاء العين من أعلى وأسفل، جمعها أَجْفَنْ وأَجْفَانْ وجفون وغَمْدُ السيف ويُكْسَرُ وأصل الْكَرْمُ أو قضبانه أو ضربٌ من العنب وشجر طيب الريح. القاموس المحيط [ج ف ن]. بالعربىة: الجَفَنَةُ ضربٌ من العنب والكرم، وقيل الأصل من أصول الْكَرْمُ، وقيل قضيبٌ من قضبانها، وقيل ورقة، والجمع من ذلك جِفْنٌ. لسان العرب [ج ف ن].

ونذكر في هذا المجال شعر جبران خليل جبران (قصيدة أعطني الناي وغنّ):

هل جلست العصر مثلي بين جفنت العنب  
والعناقيد تدللت كثريات الذهب

**إكارو** ikkaru(m): فلاح. (كلمة مستعارة من السومرية LU.EN GAR: رجل المحراث، ويبدو أنها تعود إلى الشعوب التي سكنت جنوب بلاد الرافدين قبل السومريين، (بالعبرية «إكار»، وبالسريانية «أكارا»، وبالعربة «أكار»). AHw 368 a; CAD 7, I, 49.

«الأكر: الأكّرة بالضم: الحفرة في الأرض يجتمع فيها الماء فـيُعرف صافياً. وأكر يـأكـر أـكـراً، وـتـأـكـرـ أـكـراً: حـفـرـ أـكـراً. والأـكـرـ الحـفـرـ فيـ الـأـرـضـ وـاحـدـتـهاـ أـكـراـةـ. والأـكـارـ: الـحـرـاثـ وـالـزـرـاعـ». لسان العرب [ء ك ر].

**إيلو** ilu(m): إله. (مشتركة في جميع لغات المشرق العربي القديم).

CAD 7, I, 91; Aistleitner, 17–19; AHw 373 b; 5). Sabaic Dictionary

نقرأ في لسان العرب [ء ل ه]:

«إله: الله عز وجل وكل ما اتخذ من دونه معبوداً إله عند متخذه والجمع آلهة. وروى المنذري عن أبي الهيثم أنه سأله عن اشتقاق اسم الله تعالى في اللغة فقال: كان حقه إله، أدخلت ألف اللام تعريفاً فقيل إلـاهـ، ثم حذفت العرب الهمزة استثنالـاـ لها، فلما تركوا الهمزة حولوا كسرتها في اللام التي هي لام التعريف، وذهبـتـ الـهـمـزـةـ أـصـلاـ فـقـالـواـ إـلـاهـ، فـحـرـكـواـ لـامـ التـعـرـيفـ التـيـ لاـ تـكـونـ إـلـاـ سـاـكـنـةـ، ثـمـ التـقـىـ لـامـ مـتـحـرـكـتـانـ فـأـدـغـمـوـاـ الـأـوـلـىـ فـيـ الثـانـيـةـ، فـقـالـواـ اللهـ». «وـإـيلـ: من أـسـمـاءـ اللهـ عـزـ وـجـلـ، عـبرـانـيـ أوـ سـرـيـانـيـ».

**مو، ماء** mû, mā, ī(m): ماء، صيغة الجمع، لا مفرد منه. (مشتركة بين جميع لغات المشرق العربي القديم).

CAD 10, M, II, .(.) 149; AHw 664 a; Aistleitner, 183)

**جلدو** gildu(m): جلد. (بالآرامية والعبرية «جلد»). CAD 5, G, 71; AHw 288 a; «الجلد»: المـسـكـ منـ جـمـيعـ الـحـيـوانـ، وـالـجـمـعـ أـجـلـادـ وـجـلـودـ». لسان العرب [ج ل د].

**جيشرو** gišru(m): جسر. (كلمة مستعارة من السومرية GIŠ.RU: وتعني الأخشاب التي كانت توضع على ضفتي النهر لتسهيل العبور، بالأaramية والعبرية «جيـشـراـ»). CAD 5, G, 107; AHw 293 b)) «وبـالـعـربـةـ الجـسـرـ وـالـجـسـرـ: لـفـتـانـ، وـهـوـ الـقـنـطـرـةـ وـنـحـوـهـ مـاـ يـعـبـرـ عـلـيـهـ، وـالـجـمـعـ الـقـلـيلـ أـجـسـرـ، وـالـكـثـيرـ جـسـوـرـ». لسان العرب [ج س ر].

ومما تجدر الإشارة إليه أن كلمة «جيـشـ» GIŠ السومرية التي يقابلها بالأكادية «إصـومـ» isum التي تعني الخشب، الشجرة، كانت تكتب قبل أسماء الأشجار والأخشاب والأشياء المصنوعة من الخشب، كأدـاةـ تعـرـيفـ. ثـمـ قـرـيـةـ فيـ غـوـطـةـ دـمـشـقـ الشـرـقـيـةـ اسمـهاـ «جـسـرـينـ»، وـهـيـ جـمـعـ مـذـكـرـ بالـآـرـامـيـةـ، وـعـلـامـتـهـ إـضـافـةـ الـيـاءـ وـالـنـونـ إـلـىـ الـمـفـرـدـ «جيـشـراـ».

**إـيـجلـاتـو** idiglatu: نهر دجلة. كان الاسم السومري الأصلي Idigna أو Idigna الذي يعني «الماء المتـدـقـ»، وبناءً عليه، يمكن أن يفسـرـ دـجـلـةـ علىـ أنهـ «الـنـهـرـ السـرـيعـ» مقابل جـارـهـ نـهـرـ الفـراتـ الـهـادـيـ. وتـقولـ الأسـطـوـرـةـ السـوـمـرـيـةـ إنـ إـلـهـ إـنـكيـ Enki إـلـهـ الـحـكـمـةـ وـالـمـاءـ العـذـبـ هوـ الـذـيـ خـلـقـ دـجـلـةـ وـمـلـأـ بـالـمـاءـ المتـدـقـ».

**إـدو** idu(m): يـدـ، ذـرـاعـ، جـانـبـ، قـوـةـ. (بلغـاتـ المـشـرقـ الـعـربـيـ الـقـدـيمـ الـأـخـرـيـ «يـدـ»)،

وبـالـحـبـشـيـةـ «إـدـ»). CAD 7, I–I, 10; Aistleitner, S. 123–124 J.

بالـعـربـيـةـ: «يـدـيـ. الـيـدـ: الـكـفـ، وـقـالـ أـبـوـ إـسـحـقـ: الـيـدـ منـ أـطـرـافـ الـأـصـابـعـ إـلـىـ الـكـفـ، وـهـيـ أـنـثـيـ مـحـذـوـفـةـ الـلـامـ». لـسـانـ الـعـربـ [يـ دـيـ].

الخليل عن الرُّمَانِ إِذَا سُمِّيَ بِهِ فَقَالَ لَا أَصْرِفُهُ فِي الْعِرْفِ،  
وَأَحْمَلُهُ عَلَى الْأَكْثَرِ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ مَعْنَى يُعْرَفُ بِهِ، أَيْ لَا  
يُدْرِى مَنْ أَيْ شَيْءٍ اشْتَقَافُهُ، فَيَحْمِلُهُ عَلَى الْأَكْثَرِ، وَالْأَكْثَرُ  
زِيَادَةُ الْأَلْفِ وَالنُّونِ». لسان العرب [رم ن].

#### مصادر البحث:

1- The Assyrian Dictionary of the Oriental Institute of the University of Chicago.

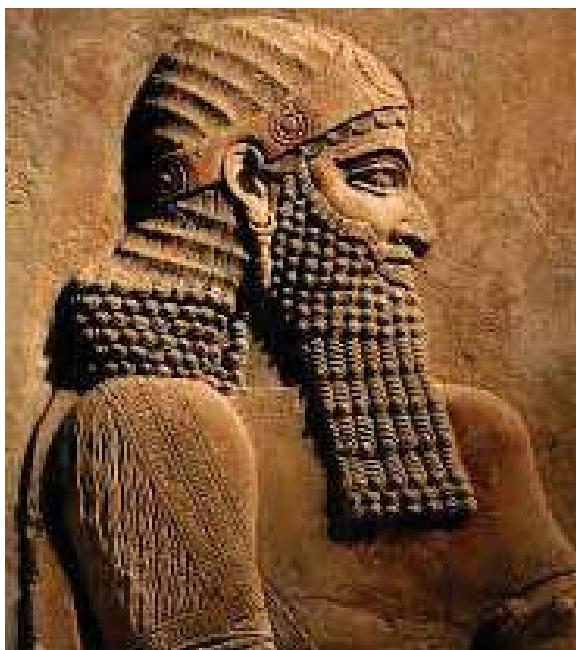
Chicago-Glückstadt 1956 ff. (C AD)

2- Von Soden, W., Grundriss der Akkadischen Grammatik, Rom 1952.

3- Von Soden, W., Akkadisches Handwörterbuch, 3 Bände, Wiesbaden 1965-1981. (AHw).

4- عيد مرعي، اللسان الأكادي، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق ٢٠١٢.

5- لسان العرب لابن منظور، طبعة جديدة محققة ومشكولة شكلاً كاملاً ومذيلة بفهارس مفصلة، إصدار دار المعارف بالقاهرة.



بالعربية: «موه: الماء والماء: معروف. ابن سيدة: وحکى بعضهم اسقني ماً، مقصور، على أن سيبويه قد نفى أن يكون اسم على حرفين: أحدهما التنوين، وهمزه ماء منقلبة عن هاء بدلة ضرورة تصاريفه، على ما ذكره الآن من جمعه وتصغيره، فإن تصغير مويء، وجمع الماء أمواه ومية. وأصل الماء ماه والواحدة ماهة ومية. قال الجوهرى: الماء الهمزة فيه بدلة في الهاء، جمعه أمواه في القلة ومية في الكثرة والجمع ماء كثير، تصغيره مويء، مثل جمل وأجمال وجمال، والذاهب منه الهاء، لأن تصغيره مويء، وإذا أنتبه قلت ماء مثل ماء». لسان العرب [م و ه].

**مُخُو** (muhhu(m): مخ، الجزء العلوي من الرأس. (مشتركة بين جميع لغات المشرق العربي CAD 10, M. II, 172; (إلا الحبشية). AHw 667 b; Aistleitner, 181).

بالعربية: «مخ. المخ: نقى العظام. والمخ: الدماغ». لسان العرب [م خ خ].

**نونو** (nūnu(m): سمك. (CAD 11, N. II,).

336. AHw 803 b; بالعربية: «نون. النُّونُ: الْحُوتُ، والجمع أَنْوَانُ وَنِينَانُ، وأصله نُونان قُلْبِتِ الواوِ ياءً لِكَسْرَةِ النُّونِ». لسان العرب [ن و ن].

**نورمو** (لورمو، نورمانو) lurmu(m), nurmanu(m) مستعارة

من السوميرية (بلغات سورية القديمة رُمَان). وكانت هناك أنواع منه: نُورمو مَتْقُو: رمان حلو، نُورمو دِيشبو: رمان عسلى، نُورمو طابو: رمان طيب (AHw 564 b, 804 b; CAD 11, N. I, 345). بالعربية: «رمان. الرُّمَانُ: حَمْلُ شَجَرَةٍ مَعْرُوفَةٍ مِنَ الْفَوَاكِهِ، وَاحْدَتُهُ رُمَانٌ. الجوهرى: قال سيبويه: سألهُ، يعني

# رحلة الكتابة العربية

## بين الحميرية والسريانية

محمد عدنان الجوهرجي\*

**الكتاب ظاهرة إنسانية قديمة العهد. لجأ الناس إليها منذ أن عرفت البشرية. وهي نتاج شعوب، متحضرات، مستقرة دعت حياة البشر إليها، لأنها من جملة الصنائع المدنية.**

**والخط: نقل الأفكار من عالم العقل إلى عالم مادي كالحجر، والورق، وغيره. وكلمات الخط، والكتابة، والتحرير، والرقم، والسطر. لها مدلول واحد.**

يقول العالمة رينان: إن اختراع أحرف الهجاء هو أهم اختراع للذهن البشري:

ولقد مررت الكتابة بأطوار خمسة:

١ - مرحلة الصورة. ٢ - مرحلة الرمز. ٣ - مرحلة الصوت. ٤ - مرحلة المقطع. ٥ - المرحلة الهجائية.

ليعجب كل العجب من قلة المصادر العلمية وأضحملالها. فهي مثبتة في كتب شتى بأسطر قليلة معتمدة على روایات إخبارية، وأشعار أقرب للخرافات والأساطير منها للحقيقة العلمية المنطقية.

حتى إذا ما التجأ الباحث العربي عن لغة أمه، وكتابتها إلى المصادر الأوروبيّة الغربيّة، أضاعته تلك المصادر في المصطلحات، والجدالات التوراتية، اليهودية، والنزاعات الاستعمارية. فخرج منها بخفي حنين تائهاً في صحاري التزييف للحقيقة العلمية، والمعروفة التاريخية المستوردة.

يقول المستشرق إسرائيل ولفستون في كتابه «تاريخ اللغات السامية»: (المترجم للعربية ط دار القلم بيروت ص ٥) «هناك أغراض دينية أو استعمارية تحمل الأمم الأوروبيّة الراقية على الجد في معرفة لغات وتاريخ الأمم السامية القديمة، والوقوف على آثارها في تكوين المدينة العامة».

وفيها ابتداع الإنسان المساميير العمودية، والمائلة والأفقية. والخطوط التي يستند بعضها إلى بعض كالعمد مثل «الخط المسماوي، والخط المسند الحميري السبيئي، المعيني، وتشكل من الحروف المجردة الكلمات من حرف، وحرفين وثلاثة أحرف إلخ..».

ولما كان العرب الجنوبيون من شبه الجزيرة العربية الذين مزقتهم الكوارث، بتهدم السدود، قد انتشروا في شمال الجزيرة، وببلاد الشام، وتفرقوا أيدي سباً (انظر الشكل ١)، وهم أصحاب حضارة ولغة وكتابة = حملوا مع أمتعتهم أبجديتهم ونشروها مع فتوحاتهم إلى أنحاء العالم، فتعلم اليونان من الأبجدية الفينيقية حروف الهجاء وكتبوا بها، ونشروها في أصقاع العالم الغربي.

إن الباحث العربي عن جذور كتابة لغة أمه العربية

\* باحث في التراث العربي وشأن المخطوطات.

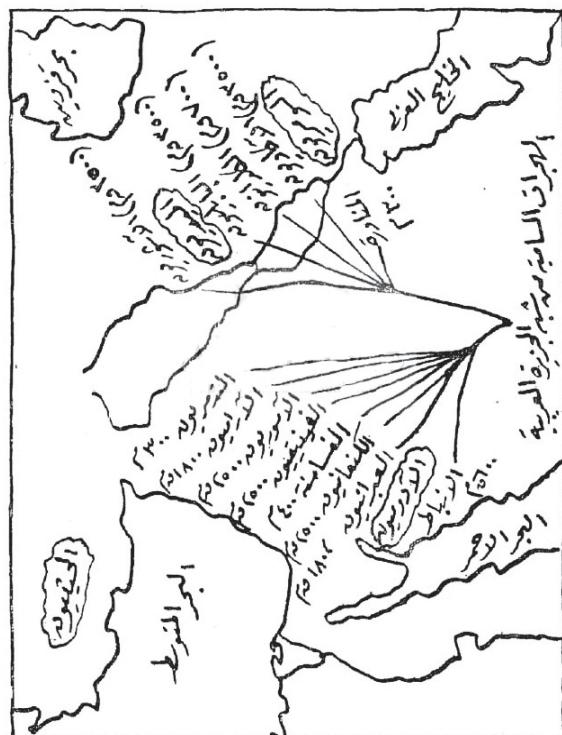
ولقد جعل علماء اللغات السامية «اليهود التوراتيون»؛ موطن الشعوب السامية البلاط الأرمنية (قرب كردستان)، ومنهم من جعلها في أرض بابل المهد الأصلي حسب ما جاء في التوراة.

وجعلوا اللغة المصرية، والحبشية سامية، لأن المصريين فيهم «الهيكسوس»، وهم عرب، وأبعدوا الكنعانيين إلى حام (إفريقيا)، وحاولوا جهدهم تقسيم العرب مدرسيًا إلى غرب أو شمال الجزيرة منفصلين عن عرب الجنوب، رغم أن أسماء البلاد والألهة الصفوية، والتدمرية، والنبطية وغيرها مطابق تماماً لأسماء بلاد جنوب الجزيرة العربية، وألهتهم. ونسبوا لأنفسهم الأبجدية السريانية (أبجد هوز الخ)، وجعلوها أبجديتهم وقد تعلموها بعد لغتهم الكنعانية من الكلدان الآراميين السريان الشرقيين. علموا بها صبيانهم يوم عودتهم من السبي البابلي الذي استمر / ٥٠ / عاماً.

كما ادعى علماء اللغات السامية اليهود التوراتيون أن اليهود علموا الحبشة الكتابة، وعلمت الحبشة الحميريّن. فجذور حرف المسند الحميري تعود إلى الكتابة العبرانية.

ولم يكتف هؤلاء المُزيفون لحقائق التاريخ التي تُكتشف آثارها يوماً بعد يوم، وتدل على فضائحهم وكذبهم، بل ادعوا أنَّ قلمَ الجزمَ المشتقَ منَ الحميريِّ أوَ السريانيِّ قَلْمَهم، وعلمُوا الخطَّ الكوفيَّ للعرب الشماليين الحجازيين كِتابَ الْوَحْيِ. معَ أَنَّ قلمَ الجزمَ ثَبَتَ أَنَّهُ قَصْبَةَ بَرِيتَ، ثُمَّ جَزَّمَتْ، أَيْ قَطَّرَ رَأْسَهَا وَقَطَّعَهَا، فَهُوَ أَدَاءٌ لِلكِتابَةِ يَكْتُبُ بِهِ الْمَسْنَدُ وَالسَّرِيَانِيُّ وَالْعَبْرَانِيُّ الْجَافُ وَالْكَوْفِيُّ، وَيُصْلَحُ لِلْكِتابَاتِ الْجَافَةِ الْمُقْطَعَةِ، وَهُوَ مِنْ صُنْعِ فَرْدٍ، بَيْنَمَا الْأَبْجِيدِيَّةُ مِنْ صُنْعِ أَمَّةٍ أَوْ شَعْبٍ أَوْ قَبْيَةٍ، كَالْقَلْمَ الحميريِّ وَأَبْجِيدِيَّةِ الْحَلَّيَانِيِّ وَالْثَّمُودِيِّ وَالصَّفُوَيِّ وَالسَّرِيَانِيِّ وَالْمَسْنَدِيِّ وَالْأَبْجِيدِيَّةِ وَالْأَبْجِيدِيَّةِ وَغَيْرِهِ (انظر الشكل ٢).

أما المصادر العربية التي تكلمت على الخط في متونها المؤلفات القديمة، وأهمها كتاب «تاريخ الرسل والملوك» للطبرى (ت ٣٢٠ هـ)، و«الوزراء والكتاب» للجهشىيارى (ت ٣٣١ هـ)، «والاشتقاق» لابن دريد (ت ٣٢١ هـ) وكتابه الآخر «الجمهرة»، و«الفهرست» للنديم (ت ٣٨٥ هـ)، وكتب أبي عمرو الدانى (ت



وفي الصفحة التاسعة من (تاريخ اللغات السامية) يقول إسرائيل ولفستون: «إن أول من استعمل اصطلاح كلمة (اللغات السامية) هو العالمة شلوتسر (Schlozer) في أبحاثه عام (١٧٨١) م، وقد استخلص هذه التسمية من جدول خاص بأنساب (نوح)؛ الوارد في التوراة (سام، حام، يافث)، وهذا الجدول لا يذكر الكنعانيين بين أبناء سام». ولكن العالمة بروكلمان يقول: «إن بني إسرائيل هم الذين أقصوا الكنعانيين عن جدول (سام) لأسباب سياسية، دينية مع أنهم يعلمون حق العلم أن بينهم وبين الكنعانيين من الصلات العنصرية، واللغوية المتينة».

أما «رينان» المشهور ببغضه الشديد للشرقين، وتعصبه الفاضح لعنصره، ولقوميته، فيرى أن من صفات الساميين الصعب، والفشل في كُلِّ شيء. ويتحذَّ عقيدة التوحيد عندهم دليلاً على ضعف خيالهم في عدم تعدد كثرة الألهة، ويقول: إنه لم يظهر للساميين أي تفوق حربي، مخالفًا حقائق المعلومات التاريخية التي تشير إلى فتوحات بابل، وآشور، وهانى بعل الفينيقي، والعرب المسلمين.

المستشرق «ليتمان» بحث في نقش أم الجمال الأول والثاني، وحدد مكانه في اللّجا قرب صَلْخد في كتابه (Arabic Inscription)، وترجمه للإنكليزية والعبرية، و«إسرائيل ولفنستون» في كتابه «تاريخ اللغات السامية»، وبروكلمان في كتابه «فقه اللغات السامية»، وكروهمان في كتابه «أوراق البردي»، وديرينجر (Diringer) في كتابه (Writing The Rise of) The Alphabet، ونبيلة عبود في كتابها (North Arabic Script)، وغيرهم.

إن الحرف الأبجدي العربي الشمالي الحجازي، حرف أهل مكة، والمدينة حرف «القرآن الكريم» هو الشغل الشاغل للباحثين في جميع أنحاء المعمورة لانتشاره مع الإسلام في كل الأصقاع. ولقد وصفوا العرب في جاهليتهم بأنهم بدو، **أُمّيون**، لا يقرؤون، ولا يكتبون. وهذا الادعاء مخالف للواقع التاريخي؛ إذ إن هذه النظرية واهية لا تستند إلى حقائق علمية. فالعرب في جاهليتهم كانوا يقرؤون، ويكتبون، والغالب على أكثرهم الأمية. فلقد دخل الإسلام مكة كما يذكر البلاذري وفي قريش سبعة عشر رجلاً كلامهم يكتب، وعدّ أسماءهم؛ يقول ابن عباس: **الأُمّيون هم العرب كلهم من كتب منهم**، ومن لم يكتب؛ لأنهم لم يكونوا أهل كتاب. وليس للفظة **الأمية** صلة بال**الأمية** التي تعني الجهل بالقراءة، والكتابة. فلقد كانت هناك مدارس لتعليم الصبيان في مكة، والمدينة، والطائف، ودومة الجندي، وغيرها من مدن العرب **علم فيها المسيحيون، واليهود** ومن المعلمين العرب، وكتب أهل المدينة ومكة وهم تجار بين اليمن والشام عقودهم ومواثيقهم التجارية والمدنية، بالكتابة العربية. وكُتِبَت المعلقات المسماة بالمذهبات بالكتابة العربية، وعلقت على جدران الكعبة. كما **علق ميثاق قريش في مقاطعة أهل النبي الكريم وأصحابه المسلمين، وأكلت الميثاق «الأرضة»** كلمة (باسمك اللهم) في الأعلى.

وكان النبي تسعه عشر كاتباً منهم الخفاء الراشدون  
و«معاوية بن أبي سفيان»، وكانت زوجة النبي «حفصة بنت  
عمر بن الخطاب»؛ تجيد الكتابة، تعلمتها من «الشفاء بنت عبد  
الله العدوية»، كما كانت الكاتنة «فاطمة بنت مُرّ»، وغير ها. ولقد

(٤٤ هـ) : المقنع، والنقط، والمحكم في نقط المصحف، وابن منظور (ت ٧١١ هـ) في موسوعته «لسان العرب»، والزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ) في موسوعته (تاج العروس)، والقلقشني (ت ٨٢١ هـ) في موسوعته «صبح الأعشى»، وكتاب «الإكيليل» للهمداني (ت ٣٣٤ هـ)، وله أيضاً «صفة جزيرة العرب»، وكتاب «أحمد بن علي بن وحشية الكلداني النبطي» كان حياً / ٢٩١ هـ، واسم كتابه «سوق المستهام لتعريف الرموز والأقلام»، ومنهم من سماه (رد السهام لتعريف الرموز والأقلام)؛ وقد ترجم هذا الكتاب إلى الإنكليزية في عهد العلامة شامبليون، وساعدته في حل رموز «حجر رشيد» ومعرفة اللغة الهيروغلوفية المصرية، وغيرها من الكتب.

**أما المراجع العربية الحديثة فأفهمها ما يأتي:**

كتاب «رسم الخط على رسم الخط» للشيخ ظاهر الجزائري (ت ١٩٢٠ م)، و«المفصل في تاريخ العرب» لجواد علي، و«تاريخ الخط العربي» للشيخ طاهر الكردي المكي، و«المخطوط العربي» للأستاذ صلاح الدين المنجد، و«الكتابة العربية الخطية» لفوزي سالم عفيفي، ولبرصوم إغناطيوس أفرام الأول كتاب في السريانية «اللؤل المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية»، والمطران يوسف داود إقليميس له «الملمة الشهية في نحو اللغة السريانية»، ورسالة القصارى في حل ثلاث مسائل تاريخية، وإغناطيوس يعقوب الثالث له «البراهين الحسية على تعارض العربية والسريانية»، ومحمد علي مادون في كتابه «خط الجزم ابن الخط المسند»، وطه الرواوى «النبيط أصلهم ودولتهم»، وسهيلة الجبورى «أصل الخط العربي حتى نهاية العصر الأموي»، و«فن الخط لأكمـل الدين إحسـان أوغـلي وغـيرـهـمـ». أما علماء الغرب للغات السامية (وهـنا المصـطلـح تورـاتـيـ) مـزـيفـ، إذـ هوـ الـلغـاتـ العـرـبـيةـ) لـلهـجـراتـ العـرـبـيةـ منـ الجـزـيرـةـ العـرـبـيةـ، فـمنـ أـهـمـ كـتـبـهـ كـتابـ المـسـتـشـرقـ أوـيـتـنـكـ (Euting)ـ، وـالـعـلـامـةـ الخطـ النـبـطـيـ (Nabatashen Chriften)، وـالـعـلـامـةـ رـيـنـهـ دـيـسـوـ: (الـعـرـبـ فـيـ سـورـيـةـ قـبـلـ الإـسـلـامـ)، وـهـوـ مـتـرـجـمـ للـعـرـبـيةـ، وـالـمـسـتـشـرقـ (Lidzbarski)ـ، وـكـذـلـكـ فـيـ كـتـابـهـ (Hond Buch dr Nords mitshen)، وـكـذـلـكـ

الشكل رقم (٢)

إسماعيل من الأنبياء. ثم ذكروا أن حمير بن سبأ هو أول من خط القلم. وهذه الرواية لا مصدر علمياً لها.

٢- وتزعم رواية أخرى ضعيفة المنطق أنَّ جماعةً أهللروا يوم الظلة هم أجد، هوز، حطي، كلمن، سفعص، قرشت، نزلوا عند عدنان بن أدد، فاستعربوا، وأنَّ هناك أحرفًا ليست من أسمائهم، وهي: الضاد، والثاء، والخاء، والذال، والظاء، والغين «خذ، ضطع» حقوقها بأسمائهم، وسموها الرَّوادف. ومن المعروف أنَّ هذه الأسماء سُريانية كلَّدانية شرقية تعلمها اليهود أثناء سبي بابل الذي مكثوا فيه خمسينَ عاماً، وعلموها أولادهم. وهم يزعمون أنَّهم أهْدِوا هَا و علمه هَا العَربَ.

٣- أما الرواية العربية الثالثة فتزعم أن أصل الخط العربي هو خط الجزم، وهو (ابن المسند)، وقد انتقل الخط الحميري من اليمن إلى «المناذرة» في الحيرة وهم أنسباء التباعية. ومن الحيرة تلقَّهُ أهل الطائف، وقريبش في مكة، وأهل المدينة. وقد اعتمد هذه النظرية المؤرخ الكبير (عبد الرحمن بن خلدون) (ت ٨٠٨ هـ) في مقدمته. كما تبني هذه النظرية حديثاً الأستاذ «محمد علـى مـاـهـون»، في مؤلفه القائم

استكتب «عبد الرحمن بن عوف» رجال نصرانياً لكتابة المصحف الشريف بستين درهماً «المصاحف للسجستانى» ص ١٣٣.

وَقَامَتْ لِجْنَةُ الْكِتَابَةِ (مَصْحَفُ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ) وَنُسْخَهُ،  
وَأَرْسَلَتْهَا إِلَى الْأَمْصَارِ، وَعَلَى رَأْسِ هَذِهِ الْلِجْنَةِ الصَّحَابِيِّ  
الْعَالَمُ بِخُطُوطِ الْعَرَبِ «زَيْدُ بْنُ ثَابِتِ الْأَنْصَارِيِّ» (انْظُرْ الشَّكْل  
٣)؛ وَفَدَى النَّبِيُّ أَسْرَى بَدْرَ مِنَ الْمَشْرِكِينَ بِتَعْلِيمِ كُلِّ أَسْرِيرِ  
لِعَشْرَةِ مِنْ صَبَّيَانِ الْمَدِينَةِ الْكِتَابَةِ. وَكَشَفَتْ النَّقُوشُ الْأَثْرِيَّةُ فِي  
أَمِ الْجَمَالِ، وَحَرَانَ، وَجَبَلَ أَسَيِّسَ، وَغَيْرِهَا عَنْ نَقُوشٍ قَدِيمَةٍ  
عَرَبَيَّةٍ كَتَبَتْ قَبْلَ الْإِسْلَامِ.

يقول الأستاذ سايدس فيليبي:

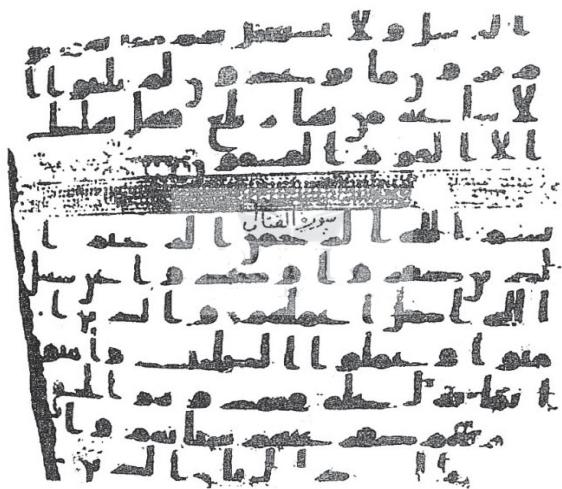
«كيف يمكن أن يكون العرب أمة من الأميين مع أنه لا يمكن أن يدعى مدعٌ، وله سند من عقل، ومنطق، أن الحروف المكتوبة العربية الجنوبية قد تكون الحروف الأصلية التي نسبت عليها الهجائية الفتنقة».

## الروايات العربية في أصل الحرف العربي

الشمالي الحجازي

١- النظرية الدينية: تعدد الخط العربي «حرف كتابة القرآن الكريم» توقفياً من الله علّمه لآدم، أو إدريس، أو

الشكل رقم (٣)



فأصبحت قلماً ومذبراً، ثم قط رأسها وجُزمَ وقطعَ، فأصبحت قلماً صالحًا لكتابٍ وإملاء المساحات المربعة (انظر الشكل رقم ٤).

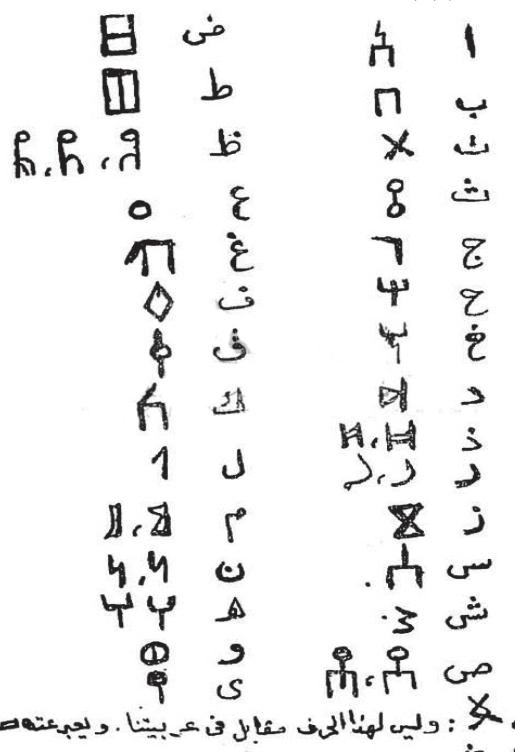
٤- أما الرواية التي رواها «البلاذري»، وهو من كبار المؤرخين العرب الم الموضوعين، صاحب كتابي «أنساب الأشراف» و «فتاح البلدان»، فالقارئ لها يظنهما عند سماعها أنها ضربٌ من الخيال، إذ ورد أن ثلاثة نفر من طيئ اجتمعوا «بِبَقَّةً» موضع قرب الحيرة عن يمين «هيت»، وهم «مَرَامِر بْنُ مُرَّةً» و «أَسْلَمَ بْنَ سِدْوَةً»، و «عَامِرُ بْنُ جُدْرَةً»، فوضعوا الحروف لكتابه العربية الشمالية الحجازية، وقادوا هجاء الحروف العربية الشمالية على هجاء السُّريانيَّة. فتعلمتها منهم قومٌ من الأنبار، ثم تعلمَهُ أهل الحيرة من الأنبار وعلموه أهل المدينة، ومكة، والطائف، وغيرها (انظر الشكل رقم ٥). ولقد سألت الباحثة سهيلة الجبوري مؤلفة كتاب «أصل الخط العربي وتطوره حتى نهاية العصر الأموي» مطران السُّريان «مارزكَ عيواص» عن معنى هذه الأسماء، فأجاب أنها محرفة عن السُّريانيَّة، وصوابها: «مَرَامِر بْنُ مُرَّةً» هو «مارامي بْنُ مَاي»، ومعناها بالسُّريانيَّة «شيخ شيخ العلم». أما «أَسْلَمَ بْنَ سِدْرَةً» فصوابها في السُّريانيَّة «شليما برسدا»، أي العلم الخطاط. «عَامِرُ بْنُ جُدْرَةً» صوابها بالسُّريانيَّة «عمرايا بْر جدرا» أي الحاذق الماهر. واستخدام البلاذري لكلمة «قس» صحيح؛ لأنَّ العرب الشماليين

المسمى «خط الجزم ابن الخط المسند» دار طлас ١٩٨٩ = وأن خط المسند هو أساس خط الجزم العربي، والخط المسند الحميري اعتبراه التهذيب والتشذيب والتصنيف والرتوق والتطور، وتحول إلى أبجدية عربية شمالية حجازية هي «أبجدية الجزم»، وأن الخط المسند يكتب من اليمين إلى الشمال، ومن الشمال إلى اليمين، وأن الأحرف المقاطعة في خط المسند قد بدأت تتصل في خط (حضر) اليمنية الأصل، وأن حذف الألف من وسط الكلام «الرحمن» موجود في الإملاء الحميري، وأن فعل الأمر في بداية الكلمة يتحول إلى (حرف)، وأن حرف الضاد العربي، والراء هما من المسند. إن هذه النظرية لم يعتمدتها علماء اللغات؛ لأن نظرة واحدة إلى الأحرف العربية الشمالية الحجازية، والأحرف الحميرية المكتوبة بخط المسند تُري بينهما بوناً شاسعاً في الفصل، والوصل، والشكل. ولم يجد الباحثون المستكشرون للآثار لوائح تبين تطور هذه الحروف وتحولها إلى أحرف عربية شمالية حجازية كما نلاحظها في الحروف النبطية المتأخرة، والحراف التدمرية والسرّيانية مع أنَّ هناك حروفاً وجذوراً حميرية لأصل السُّريانية، والعربية ولبعض حروفها «حرف الراء، حروف الرواوف وتطورها، حرف الباء»، مما يدل على أن الحروف العربية المنتشرة في شمال الجزيرة العربية وببلاد الشام كلها ذات جذور واحدة. أما قلم الجزم فهو أداة للكتابة وليس قلم شعب أو أمّة نتاجها أبجدية قلم الجزم. فهو شبيه بقلم الثلث الذي اشتق من الطومار ومن قلم الثلثين، فالطومار عرضه (٢٤) شعرة برذون، والثلثين عرض رأسه (١٦) شعرة، والثلث (٨) سورات.

ولقد ذكرت هذه الرواية أن قلم الجزم اشتق من المسند  
الحميري أو من السطرنجيلي السرياني. فقلم الجزم تكتب  
فيه الكوفية العربية (مصحف عثمان بن عفان) والعبرية  
الجافة، والخط السرياني السطرنجيلي، ويصلح لكتابة  
خط المسند المتقطع كالعمد المسند بعضها إلى بعض، فهذه  
الخطوط خطوط معقليّة تكتب ضمن مربعات تتنااسب مع  
رأس قلم أداة قلم الجزم، وهو القصبة التي يُربّط ورثبت،

الشكل رقم (٥)

جدول الخطوط السريانية		الخطوط السريانية		الخطوط الحميرية		الخطوط المعاصرة		الخطوط المعاصرة	
الحروف السريانية	الحروف الحميرية	الحروف المعاصرة	الحروف المعاصرة	الحروف المعاصرة	الحروف المعاصرة	الحروف المعاصرة	الحروف المعاصرة	الحروف المعاصرة	الحروف المعاصرة
أ	أ	أ	أ	أ	أ	أ	أ	أ	أ
ب	ب	ب	ب	ب	ب	ب	ب	ب	ب
ث	ث	ث	ث	ث	ث	ث	ث	ث	ث
ج	ج	ج	ج	ج	ج	ج	ج	ج	ج
خ	خ	خ	خ	خ	خ	خ	خ	خ	خ
د	د	د	د	د	د	د	د	د	د
ذ	ذ	ذ	ذ	ذ	ذ	ذ	ذ	ذ	ذ
ز	ز	ز	ز	ز	ز	ز	ز	ز	ز
س	س	س	س	س	س	س	س	س	س
ش	ش	ش	ش	ش	ش	ش	ش	ش	ش
ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن
م	م	م	م	م	م	م	م	م	م
هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ
وـ	وـ	وـ	وـ	وـ	وـ	وـ	وـ	وـ	وـ
يـ	يـ	يـ	يـ	يـ	يـ	يـ	يـ	يـ	يـ
فـ	فـ	فـ	فـ	فـ	فـ	فـ	فـ	فـ	فـ
غـ	غـ	غـ	غـ	غـ	غـ	غـ	غـ	غـ	غـ
عـ	عـ	عـ	عـ	عـ	عـ	عـ	عـ	عـ	عـ
ظـ	ظـ	ظـ	ظـ	ظـ	ظـ	ظـ	ظـ	ظـ	ظـ
طـ	طـ	طـ	طـ	طـ	طـ	طـ	طـ	طـ	طـ
ضـ	ضـ	ضـ	ضـ	ضـ	ضـ	ضـ	ضـ	ضـ	ضـ
صـ	صـ	صـ	صـ	صـ	صـ	صـ	صـ	صـ	صـ
ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ



وليه لهذا المحرف مقابل في عربيتنا. ولنعمته

ولا تجحدوا نعماء بشر عليكم  
فقد كان ميمون النقيبة أزهرا  
أتاكم بخط الجزم حتى حفظتم  
من المال ما قد كان شتى مبعثرا  
 فأجريتكم الأقلام عوداً وبذلة  
وضاهيتم كتاب كسرى وقيصرا  
وأغننيتم عن مسند الحمى  
ومما زبرت في الصحف أقفال حميما  
إن هذه النظرية جعلت الكتابة من عمل فرد هدفه التنقل  
لنشر الكتابة وتعليمها للناس في بلاد شمال الجزيرة العربية.  
والكتابة كانت متطوراً من عمل شعوب وإنتاج تفاعلاً بعضها  
مع بعض. لا من عمل فرد واحد. وهذا مصدق لقوله تعالى:  
﴿إِلَيْأَفَ قُرِيشٌ إِلَيْأَفَهُمْ رَحْلَةُ الشَّتَاءِ وَالصَّيفِ﴾. فلقد أتى  
النبي وقريش مهيئةً لتكون دولة بزعامة «أبي سفيان»، ودخل  
المدينة والمجتمع المدني مهياًً لتكون دولة، وكان أهل المدينة  
يصنعون التاج «لعبد الله بن سلول» على الطريقة الفارسية.  
والكتابة العربية الشمالية وجدت كما ذكر في النقوش الأثرية

الحجازيين قلدوا الحروف النبطية، والتدميرية، ذات الأصل السرياني الآرامي والحوروف الصفوية، والثمودية، واللحيانية، ذات الأصل الحميري، السبئي، المعيني.

ثم طورووا هذه الحروف عند قيام دولتهم الأموية، وأبدعوا في اختراع الأقلام الفنية التشكيلية في العصر العباسى، والمملوكي، والعثمانى. حتى بلغت أكثر من (٨٠) قلماً. المتعارف عليهما الآن (ستة أقلام). وهذا ترف حضارى لم تبلغه أمم راقية مثل الأمة العربية في تعدد الأقلام والخطوط.  
٥- ولابن عباس نظرية مشابهة؛ فقد زعم أن بشر بن عبد الملك وهو أخوه «الأكيدر بن عبد الملك» صاحب «دومة الجندي»، تعلم الحروف والكتابة من «الأنبار»، وقدم بها إلى «دومة الجندي»، فعلمها لأناس فيها، ثم انتقل إلى المدينة، فعلمها لأناس هناك. ثم انتقل إلى مكة، فعلم بعض أهل قريش الكتابة، ومنهم «حرب بن أمية»، وأخوه «زياد بن أمية»، ثم ذهب إلى الطائف، وتتابع مسيرته في تعليم الكتابة. وهذا رجل من كندة من «دومة الجندي» يمُّن على قريش تعليم الكتابة، فيقول:

خناصر وقنسرين، و«نمارة» شرقي شهبا وجبل أسيس في الجنوب الشرقي من دمشق و«حران» غرب بُصري و«أم الجمال» جنوب غربي صلخد (انظر الشكل رقم ٧) ..

١- نقش أم الجمال الأول في جنوب حوران في منطقة غرب صلخد القريبة من السويدة مركز جبل العرب وتاريخه ٢٥٠ / ب.م، ونصه كما جاء عند إسرائيل ولفنتون: «هذا مذبح النار الذي صنع مغير بن عقرب بيت قرب أسد الإله في سنة سبع لهديانس قيصر»، وحروفه نبطية ولغته عربية.

٢- نقش «ربَد» جنوب حلب قرب قرية «خناصر» بالقرب من «قنسرين»، عند «مبخرة الجبول»؛ و«نقش إلى بروكسل عاصمة بلجيكا»، وكان موجوداً على كنسية «مارسركيس»، والنقوش (نبطي، سرياني، يوناني) لغته عربية، وكتابته نبطية تاريخه ٥١٢ / م، وحروفه النبطية قليلة، ونصه:

بنصر الإله شrho [بر = بن] مع منفو وهليا بر مرؤ القيس وسرحو بن يعدو وسترو وشريحو «سرحيو»، عدد حروفه ١٩ حرفًا نبطيًّا.

٣- نقش جبل أسيس: «بضم الأول»، وهو «مكان للماء» جنوب شرقي دمشق (١٠٥ كم) في منطقة «أبي الشامات» تسمى اليوم جبل (سيس)، وقد سكنه الصُّفويون، وسمّي تيمناً باسم حسن (أسيس) (فتح الأول) اليمني ليذكر

الشكل رقم (٦)



بين نهاية القرن الخامس الميلادي، ومطلع القرن السادس الميلادي. بعد أن أسقط «ترجان» الروماني بمساعدة الصُّفوين دولة الأنباط في نهاية القرن الأول الميلادي، وزالت هذه الدولة التي احتل ملكها «الحارث» النبطي دمشق، وقضى «ترجان الروماني» على عاصمتهم «البتراء» ومدينتهم العظمى «بُصري». حتى سار المثل عند العرب «ماذا بعد خراب بُصري؟»، وأرَّخ العرب النبطيون تاريخهم بعد خراب بُصري. **النقوش الأثرية العربية ونظريات علماء اللغات المستشرقين:**

إن أول عالم أوروبي أدرك العلاقة بين «الخط العربي الشمالي الحجازي» و«الخط النبطي السرياني» هو العالم «كلاير - Klehr» عام (١٧٢٤ م)، ثم تبعه «فولكه» (١٨٦٥ م)، و«أوتينك»، و«لدرزبارسكي»، و«دوبي»، و«هور»، و«دوماسفيسيكي»، و«ليتمان»، و«رينه ديسو» وغيرهم (انظر الشكل رقم ٦) ..

والأنباط قوم من العرب سكناوا اللجا في حوران، والصفا في جبل العرب، عاصمتهم «البتراء» وأكبر مدنهم «بُصري» و«صلخد»، وكانت دولتهم نحو ٦٠٠ ق.م. وكانوا يستتبطنون المياه من الآبار، ويستخرجون المياه من قعرها. واشتهرتْوا كأدلة للقوافل، وتأقلّهم وافتّاحهم على جيرانهم من الأمم المجاورة كالسريان، واليونان، والروماني، واستخدام كلماتهم في لغتهم. كما اشتهروا هم والصُّفوين جيرانهم بوقوفهم سداً منيعاً أمام التوسيع العربي وعدهم لليهود ومقاومتهم لهم. وقد حل محلهم في القرن الرابع بعد الميلاد الغساسنة الذين كان ولاّهم للروماني، ثم قضى عليهم العرب المسلمين. لقد بحث علماء الغرب في مطلع القرن الثامن عشر الميلادي، والتاسع عشر الميلادي في اليمن الحميرية والسبئية وفي المناطق اللحيانية والشموية، والصُّفوية، والنبطية. ونقلوا مئات الألواح المنقوشة إلى أوروبا، وأودعوها في متحفِّهم، وقاموا بدراستها وحلّ رموزها.

أما النقوش العربية النبطية، والنقوش العربية الشمالية الحجازية فقد وجدوا منها ستة نقوش: في (ربَد) قرب

الشكل رقم (٧)



بُصْرِيَّ)، (الموافق ٥٦٨ ب.م.) بعد مفسد خير بعم (بعام)، وحروفه عربية عددها (١٧) حرفًا عربيًّا، وقد كتب النص على باب كنسية باللغة العربية، واليونانية، وكتابته قريبة من كتابة مصحف «عثمان بن عفان» ورسمه. وقد أخطأات الباحثة سهيلة الجبوري في تعين موضع «حرَّان»، فأشارت إلى «حرَّان» شمال الجزيرة السورية، وحرَّان المراد في جبل العرب نظرًا للعدم زيارة للأماكن الأثرية ميدانيًّا (انظر الشكل رقم ١٠) ..

٦ - نقش أم الجمال الثاني: عثرت عليه جامعة «برنستن الأمريكية» عام (١٩٠٤ - ١٩٠٥ م)، ويرى «ليتمان» أن العرب المسيحيين هم الذين أنجزوا هذه الكتابة. وهو غير مؤرخ قدره العلماء (نحو القرن السادس الميلادي)، وحروفه أقرب إلى النبطية المتأخرة (انظر الشكل رقم ١١). وهو (خمسة أسطر ناقصة)، نصها: «غفراً لآلية بن عبيدة القلبي أعلىبني عمري كتبه عنه من (يقرؤه)»، عدد حروفه /١٤ / حرفًا عربيًّا، وهذه النقوش بمجموعها تنقص حرف الزاي والصاد.

وقد أضاف الأستاذ محمد علي مادون نصًا وجده في جبل «آرام» بالقرب من العقبة، وهو خليط من الحروف «الحميرية، والعربية، والتدميرية»، ولكن هذا النص لم يعتمد عليه علماء الآثار.

ولقد درس الباحثان: الأستاذ «أسامة ضياء النقشبendi» في مقالته في مجلة المورد العراقية المجلد (١٥) في العدد الخاص عن الخط العربي، والباحثة سهيلة الجبوري في

الصفويون أصولهم العربية الجنوبية، ومثل ذلك مسميات قُراهم بأسماء يمنية (تيماء، ودومة، ونجران، وغيرها). وقد عثرت بعثة ألمانية رافقها الأستاذ أبو الفرج العش (انظر مقالته في مجلة الحوليات السورية رقم المجلد ١٣) على نقوش أموية عربية، ونقوش خطية إسلامية، ونقش جبل أسيس نبطي الكتابة، عربيُّ اللغة، نصُّه:

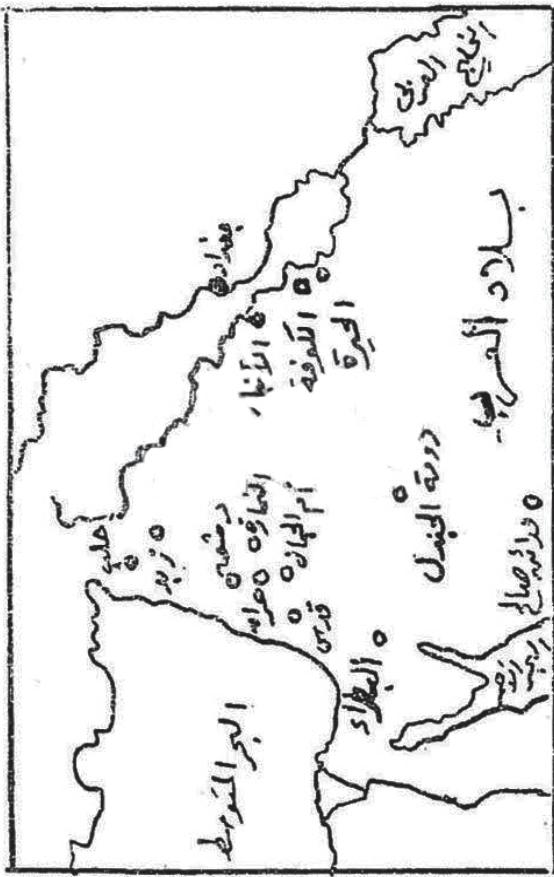
«أرسلني الحارث الملك علي سليمان سنة (٤٢٣) (من خراب بُصْرِيَّ) (٥٢٨) ب. م، وعدد حروفه غير المكررة / ١٥ / حرفًا نبطيًّا» (انظر الشكل رقم ٨) ..

٤ - نقش نمارة: وهي قرية «نمرة الحيسن» أو «نمرة آل القلعاني» تقع شرق قرية شهبا (٨ كم)، وتتبع ناحية «شقا» نمرة (٥) كم، وتطل على قرى وادي «اللوا»، وهذه القرى أسماؤها يمنية مثل تيما، ودومة، ونجران، وعتيل، وبريكة، ومردك «اسم لإله تدمري حميري إبيل مردك»، وحبران (فيها إله اللات العربي)، وهي قرى سكنها الصوفيون حتى جبل أسيس بالقرب من منطقة أبي الشامات. (وقد كان كاتب المقال مديرًا لمدرسة نمرة الريفية عام ١٩٥٥ م. وفيها كنيسة رومانية وأثار صوفية). وقد عثر المستشرق (رينه ديسو) مؤلف كتاب (العرب في سوريا قبل الإسلام) في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي في نمرة على شاهدة قبر «أمرئ القيس» أحد ملوك الحيرة، (وطن بعضهم أنه الشاعر الضليل أمرؤ القيس)، وتاريخ النقش سنة (٣٢٨ ب.م.)، وكتابته نبطية، ولغته عربية. «انظر محاضرات جويدي الجغرافية ٩٠». ولم تشر الباحثة «سهيلة الجبوري» لهذا النقش في كتابها، ونصه بالنبطية:

«كي نفس مر القيس بن عمر وملك العرب كله ذو أشرف التاج وملك الأسددين وزنار وملوكهم مدحجو عكدي وجا ... إلخ». وحروفه كثيرة نبطية، ولغته عربية (انظر الشكل رقم ٩).

٥ - نقش حرَّان: وهو نقش عربي مهمٌ كتب بلغة عربية، وجد بالقرب من غرب بُصْرِيَّ، و«صلخد» في منطقة اللجا، على باب كنيسة محفوظ في متحف السويداء، «استطاع قراءته طلابي في المعهد المتوسط للفنون التطبيقية»، ونصه: «أنا شرحيل بر ظلمو بنيت ذا المرطول سنة ٤٦٣ (من خراب

الشكل رقم (٩)



- ١٥ - السين والشين: (نبطي متاخر وفي القلم الارامي الخط العمودي أصبح أفقياً).

١٦ - حرف الراء وحرف الذال: أقرب للحميرية. وقد أجمع العلماء على أن حرف الراء حميري.

١٧ - حرف التاء: جديد كل الجدة، وهو يختلف عن التاء النبطية المتاخرة، وكالباء في النبطية القديمة.

١٨ - أما الصاد والزاي: فلا أثر لهما في النقوش، أضف إليها حروف الروايف (ثخذ ضطع)؛ فإنها من أبجديات تمت بالصلة إلى الحميرية.

من هذه الدراسة نرى:

١ - إن أغلب الحروف العربية الشمالية حافظت على أشكال القلم النبطي المتاخر إضافة إلى «حروف اللام ألف لا»، فهو نبطي لا مثيل له في كل الكتابات العربية، وقد ظهرت في نقش (زيد) المؤرخ / ٥١٢ / ب.م.

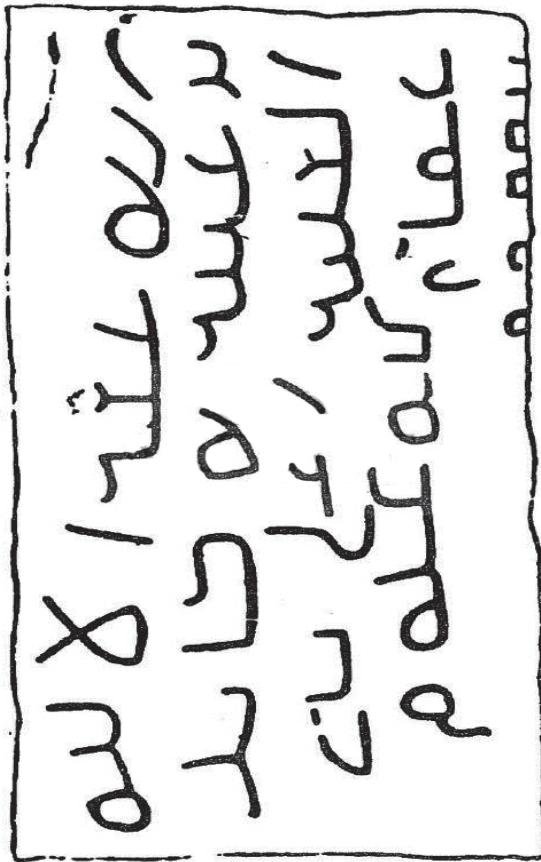
الشكل رقم (٨)

نقش أثري  
محفوظ في متحف الخط بدمشق

رسالة الماجستير (أصل الخط العربي وتطوره حتى نهاية العصر الأموي جامعة بغداد ١٩٧٧)، حروف هذه النقوش وم مقابلتها على حروف الأبجدية العربية الشمالية الحجازية والأمية المنقوشة في أوائل القرن الأول الهجري، فوجدا ما يأتى (انظر الشكل رقم ١٢):

- ١- حرف الألف: نبطي متأخر.
  - ٢- حرف الواو: نبطي عند السيدة سهيلة الجبوري (نبطي وتدمرى آرامي عند الأستاذ النقشبندى).
  - ٣- حرف الباء: من الآرامية القديمة النبطية (أسامة النقشبندى).
  - ٤- حرف الكاف: نبطي بأشكاله الثلاثة في أول الكلمة ووسطها وأخراها.
  - ٥- حرف الجيم: استمرار للآرامية والسطرنجيلية السريانية.
  - ٦- حرف الهاء: نبطي.
  - ٧- حرف الميم: نبطي متأخر.
  - ٨- حرف الحاء: تدمرى (عند النقشبندى) نبطي عند سهيلة الجبوري.
  - ٩- حرف العين: بأشكاله الثلاثة (نبطي).
  - ١٠- حرف الصاد: نبطي.
  - ١١- حرف الفاء والقاف: نبطيان.
  - ١٢- حرف اللام: شبيه بحرف اللام التدمرية وعكس اتجاه اللام الآرامية.
  - ١٣- حرف الدال: العربية شبيه بالدال الآرامي والدال النبطي.
  - ١٤- حرف الهاء: نبطية (وسريانية نبطية عربية عند النقشبندى).

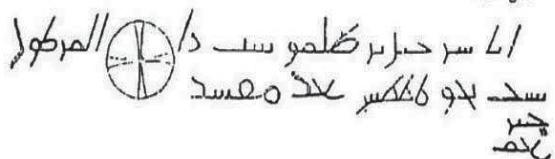
الشكل رقم (١١)



- استعملوه أولاً، وهو الذي يقال له الكوفي (في الجزم)، وهي شبيهة بصور الحروف السريانية غاية الشبه.
- بـ- من ترتيب الحروف العربية التي يقال فيها «أبجد هوز... إلخ»، وهو ترتيب الحروف السريانية نفسه.
- جـ- من القواعد العددية التي للحروف العربية في حساب «الجمل»، إذ هي كما يستعملها السوريون دون اختلاف.
- دـ- من أسماء أكثر الحروف: فإن الألف والجيم، وال DAL، وال زاي، والشين، والصاد، والفاء، والكاف، واللام، والميم، والنون، والهاء، والواو، كلها سريانية، ومن هذه الأسماء السريانية أربعة حروف رحّمها العرب بجزم حرف من أواخرها، وهي الجيم، وال DAL، والصاد، واللام بدل جدميل، و دالت، وصادي، ولامذ.
- هـ- يتبيّن من ذلك أن كل حرفين يلفظان من مخرج واحد لهما صورة واحدة في القلم العربي كما في السرياني (الباء والثاء)، تلات وثلاثين = ثلاثة وثلاثين (نهو تورا =

الشكل رقم (١٠)

نقش حمير



٢- إن جذور الكتابة العربية وحروفها تعود إلى (الجدة) اليمنية الحميرية السبئية المعينة، والكتابة العربية نتاج عن تفاعل أهل الحجاز تجاريًّا في منطقة (اللجا، والصفا)، إذ «النبطية السريانية الآرامية الكل丹ية»، «والصّفوية، والثّمودية، واللّحيانية»، الحميرية السبئية المعينة (رحلة الشتاء والصيف).

٣- لم يتسرّب للحرف العربي شيء من العبرانية، أو تتأثر الكتابة العربية بالعبرانية لوجود الحائط النبطي الصّفووي العربي المعادي للعراقيين ولحضارته حمير اليمنية المتفوقة على الحبشيّة اليهودية.

٤- أما الإعجم والتشكيل: فالخطأ النبطي حال منه، مما جعل لحروفه أكثر من لفظة. وكذلك التشكيل. فالإعجم والتشكيل موجود في المنطقة الكلDanية الشرقية، وليس في لغة المسيح السريانية الفلسطينية لغة أهل (معلولا، وبعددين، وبخعة). وقد قال العرب المسلمون الأميون التشكيل والتنقيط على السريانية الكلDanية.

٥- يقول مطران دمشق للسريان «يوسف داود إقليمس» في رسالته «القصاري في حل ثلاث مسائل تاريخية تتعلق ببلاد الشام» المطبوع سنة ١٨٨٧ م في المطبعة الأدبية بيروت ما يأتي:

ومن البراهين الساطعة التي يتّأكّد أن لغة أهل الشام كانت السريانية في القرون التابعة للمسيح أمر الكتابة: ذلك أنه من الأمر المعلوم لكل خبير أن العرب الشماليين لم يكونوا سابقاً يقرؤون ولا يكتبون لغتهم حتى تعلموا صناعة الكتابة في نحو القرن الخامس بعد الميلاد أو السادس بعد الميلاد وتعلموها من السريانية، ويتبّع ذلك بكل تأكيد: أـ- من صور الحروف العربية كما هي في القلم الذي

«الصلوة = الصلاة، الزكوة =  
الزكاة... إلخ».

ملاحظة: وهذه قاعدة  
حميرية في السبئية المعينة.  
كما أن الكتابة العربية  
الشمالية من اليمين إلى  
الشمال؛ لأن المطرقةَ باليد  
اليمين، والإزميل باليد الشمال  
عند النتش على الحجر في  
كتابة الأنطاب. أما الحميريون  
فيكتبون من اليمين إلى اليسار  
ومن اليسار إلى اليمين. مع  
خطوط قائمة حواجز بين  
الكلمات المفصولة حروفها كلها.

كما أن الإملاء، وتجوييد  
القرآن، والقراءات القرآنية كلها مستمدّة من الكتابة  
العربية لرأسم مصحف «عثمان بن عفان» الذي بُني على  
الهجاء السرياني وإملائه.

وخلاصة القول: إن العرب الشماليين الحجازيين،  
أخذوا حروفهم من جيرانهم العرب الحميريين، والعرب  
الأنباط والسريان، فقلدوا، وقايسوا على رسم الحروف،  
وتنقيتها، وتشكيلها، وإملائتها، وهجائها، وأبجديتها. ثم  
ما ليثوا في العصر الأموي أن طوروا حروفهم، وما إن دخل  
العصر العباسي حتى أبدعوا في الترف الحضاري، فسبقوا  
أمم الأرض بكثرة أقلامهم مزخرفين الكتابة، والحرف  
العربي بالفن التشكيلي الذي انتشر في أصقاع العالم، حتى  
قلدته أمم الغرب، فنقشت على ثيابها، وآثارها، وكنائسها.  
واليوم نرى فمن الخط العربي أصبح فناً عالمياً تعدد  
له الندوات، والدراسات، ويدرس في الجامعات، والمعاهد،  
وكلّما اتسعت الاكتشافات الأثرية، كثرت البحوث عن  
أصوله وجدوره.

الحرف	المعنى	الكتابات العربية في الإسلام (خط القرآن والسامرة بميدان)										الكتابات
		الكتابات في الميدان	البريات	شاعرية	المسنونات	الكتابات	الكتابات	الكتابات	الكتابات	الكتابات	الكتابات	
أ	أذكر	أ	أ	أ	أ	أ	أ	أ	أ	أ	أ	أ
ب	باء	ب	ب	ب	ب	ب	ب	ب	ب	ب	ب	ب
ج	جيم	ج	ج	ج	ج	ج	ج	ج	ج	ج	ج	ج
د	دال	د	د	د	د	د	د	د	د	د	د	د
هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ
وـ	وـ	وـ	وـ	وـ	وـ	وـ	وـ	وـ	وـ	وـ	وـ	وـ
ئـ	ئـ	ئـ	ئـ	ئـ	ئـ	ئـ	ئـ	ئـ	ئـ	ئـ	ئـ	ئـ
طـ	طـ	طـ	طـ	طـ	طـ	طـ	طـ	طـ	طـ	طـ	طـ	طـ
يـ	يـ	يـ	يـ	يـ	يـ	يـ	يـ	يـ	يـ	يـ	يـ	يـ
كـ	كـ	كـ	كـ	كـ	كـ	كـ	كـ	كـ	كـ	كـ	كـ	كـ
لـ	لـ	لـ	لـ	لـ	لـ	لـ	لـ	لـ	لـ	لـ	لـ	لـ
مـ	مـ	مـ	مـ	مـ	مـ	مـ	مـ	مـ	مـ	مـ	مـ	مـ
تـ	تـ	تـ	تـ	تـ	تـ	تـ	تـ	تـ	تـ	تـ	تـ	تـ
سـ	سـ	سـ	سـ	سـ	سـ	سـ	سـ	سـ	سـ	سـ	سـ	سـ
قـ	قـ	قـ	قـ	قـ	قـ	قـ	قـ	قـ	قـ	قـ	قـ	قـ
رـ	رـ	رـ	رـ	رـ	رـ	رـ	رـ	رـ	رـ	رـ	رـ	رـ
شـ	شـ	شـ	شـ	شـ	شـ	شـ	شـ	شـ	شـ	شـ	شـ	شـ
تـ	تـ	تـ	تـ	تـ	تـ	تـ	تـ	تـ	تـ	تـ	تـ	تـ
لـ	لـ	لـ	لـ	لـ	لـ	لـ	لـ	لـ	لـ	لـ	لـ	لـ

نهر ثورا)، وكذلك الدال والذال (اذكر = ادّكر) والصاد  
والصاد والطاء والظاء (ضنين = ظنين = ضيعة).  
وهذا ردّ على من زعم أنَّ للعربية قدِّماً أكثر من  
(٢٨) حرفاً ضاعت مع عدم الاستعمال أمثال «أنستاس  
الكرمي».

وـ والتنقيط لتمييز اللفظ الواحد هو أمر محدث. فللحرف  
في العربية خمس حالات (نقطتان فوق الحرف، نقطتان تحت  
الحرف، نقطة فوق الحرف، نقطة تحت الحرف، ثلاث نقاط  
فوق الحرف)، فالتنقيط والتشكيل «سرياني كلداني شرقي».  
مثال ذلك قراءة في القرآن **﴿فتبنوا﴾**.

زـ كل الحروف المفصولة في العربية أي الحرف الواحد  
مفصولاًً بما بعده هو كذلك في الحروف السريانية مفصول.  
فالألف والدال والراء والزاي والواو كلها مفصولة.

حـ من الأدلة القاطعة على أن الكتابة العربية في الأصل  
سريانية حذف الألف إذا جاءت حرف مدّ في حشو الكلام  
«الرحمن = الرحمن، الصالحت = الصالحة، ثلاثة =  
ثلاث، الخاسرون = الخسرون، الشاكرون = الشكرن»..

## إعادة تحقيق المخطوطات

# التحقيق الجديد لكتاب (الجني الداني في حروف المعاني) مثلاً

د. عبد الناصر إسماعيل عساف\*

من المظاهر الشائعة في تحقيق التراث العربي أن تجد المخطوطة الواحدة تحققَ تحقيقين فأكثرَ في زمن واحد، أو في زمنين متقاربين أو متبعدين. يكون ذلك أحياناً عن جهل المحقق بما صنعه غيره، وأحياناً عن علم ورغبة في إتقان التحقيق، وتصحيح ما يحتاج إلى تصحيح، واستدرك ما فات المحقق الأول من وجوه يتطلّبها المنهج العلمي الصحيح في تحقيق المخطوطات.

ولا شكَّ في أنَّ في إعادة تحقيق المخطوطات التي حُقِّقتْ إذا كان وراءها دواعٌ صحيحة، وأنجزتْ على الوجه الصحيح، وكان فيها تصحيح ما كان فيما سبق من أوهام وأخطاء، واستدرك ما يحتاج إلى استدراك، وخدمة النصَّ المحقق الخدمة المناسبة ضبطاً وتخريراً وتبييناً وفهرسة = فوائد مؤكدةً ترقى بالنصَّ التراثيَّ في سلم العناية درجات، وتعود على الباحثين والقراء بخدمات جليلة تيسّر لهم الوصول إلى مرادهم على وجهه، وتحقق لهم بعض ما يطلبونه ويريدونه.

وعلى أنَّ النظر فيما صدر ويصدر عن هذه الظاهرة من صور وأمثلة يدللنا على أنَّ بعض ذلك كان من الجودة والإتقان بمكان، وكان فيه من العلم والمنهج والأمانة ما لا شكَّ فيه؛ وأنَّ بعضه ربما كان من الطوام، وأنَّ في بعضه من استباحة جهود الآخرين، والاعتداء على صنيعهم، ما يُهلك الأمانة ويدين الفاعل؛ وأنَّ بعضه ربما كان صورة أخرى عما أنجزه الآخرون، لا تختلف إلا في التنضيد والورق وحرف الطباعة نوعاً وحجماً....  
ودراسة ذلك تفصيلاً وتبييناً وتمثيلاً تحتاج إلى مقالة مستقلة.

على ما أخلَّ به من ذلك، وخالف به المنهج الذي أعلنه وجرى عليه في الغالب، وما فاته من ذلك.

\* الجنى الداني في حروف المعاني:

يُعدُّ كتاب (الجني الداني في حروف المعاني) من كتب حروف المعاني (الأدوات) المُهمَّة والمفيدة في تاريخ العربية. وقد جمع فيه الحسنُ بن قاسم، المعروف

وقد رأيت في هذه الكلمة أنَّ اتناول التحقيق الجديد لكتاب (الجني الداني في حروف المعاني) للمرادي (ت ٧٤٩هـ)، مبيّناً أهمَّ ما اعتمد عليه المحقق في تحقيق النصَّ، ولا سيِّما ما نصَّ عليه وصرَّح به، ومنبهَا

\* عضو عامل في مجمع اللغة العربية بدمشق، ومدرس النحو والصرف في جامعة دمشق.

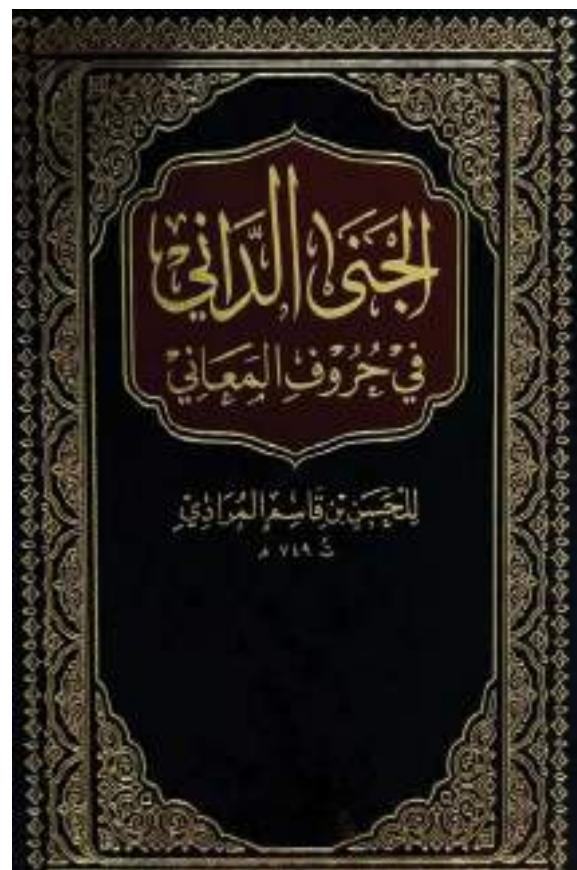
### \* تحقيق (الجني الداني):

كان أول تحقيق لهذا الكتاب ذلك التحقيق الذي نهض به الدكتور فخر الدين قباوة والأستاذ محمد نديم فاضل، وصدر عن المكتبة العربية بحلب سنة ١٩٧٣ هـ ١٢٩٣ م، ثم صدرت منه غير طبعة عن دور نشر أخرى. وهذا التحقيق هو المتداول بين الباحثين حتى يومنا هذا.

وقد اعتمد محققاه على أربع نسخ خطية: نسخة المكتبة الأحمدية في حلب ذات الرقم ٩٧٨، وقد اتخذها المحققان أصلًا لما امتازت به من وضوح ودقّة في الخطط والإعجماء، وقلة التصحيف والسقط، ونسخة الأسكوريال في إسبانيا ذات الرقم ٧٨ نحو، ونسخة دار الكتب المصرية بالقاهرة ذات الرقم ١٢٦٣، ونسخة المكتبة الظاهرية بدمشق ذات الرقم ٢٦١ نحو.

وكان منهجهما كما ذكرنا في مقدمة الكتاب<sup>(١)</sup> يقوم على اتخاذ نسخة الأحمدية أصلًا، وإثبات نصّها بعد معارضته بالنسخ الأخرى، مع إغفال الإشارة إلى التصحيفات الواضحة والخرومات التي في النسخ الأخرى؛ لكثرتها، ولأنّه لا غناء فيها؛ وضبط النصّ، وتفسير غريبه، وتخريج شواهده، والتعريف بكثير من أعلامه، ورد بعض الإحالات إلى مصادرها، وتخريج الأشعار دون تطويل، ولا سيما الشواهد التي طبعت دواوين أصحابها، مع الاستعانة بكتاب (مغني اللبيب) في تخريج الشواهد، والكتب التي نقلت عن (الجني الداني)، أو نقل عنها، أو شاركته في موضوعه لتحقيق النصّ وضبط عباراته وكلماته.

١- الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، تج: د. فخر الدين قباوة و أ. محمد نديم فاضل، ص ١٣-١٤ .



بابن أمّ قاسم المرادي، مئة وخمسة أحرف من حروف المعاني، ما بين متّفقٍ على أنه حرف، ومختلف فيه بين الاسمية والحرفيّة. وصنفها بحسب عدد أحرفها: الأحادي فالثنائي فالثلاثي فالرباعي فالخمساني؛ فكان لذلك في خمسة أبواب: الأولى لما كان من الحروف أحاديًّا، وفيه أربعة عشر حرفاً، والثانية للثنائي منها، وضمّ ثلاثة وثلاثين حرفاً، والثالث للثلاثي، وفيه ستة وأربعون حرفاً، والرابع للرباعي، وفيه تسعة عشر حرفاً، والخامس للخمساني، وضمّ ثلاثة أحرف. ورتّب الحروف في كل باب ترتيباً هجائياً (ألفبائيًّا). وقدّم المؤلّف بين يدي ذلك بمقدمة فيها خمسة فصول، جعل الأولى لحدّ الحرف، والثانية في تسمية الحرف، والثالث في جملة معانيه وأقسامه، والرابع لبيان عمله، والخامس في عدّة الحروف.

أن أفتطر منها أشياءً أسوقها شيئاً فشيئاً، لبيان ما فيها، والتنبيه على بعض ما ندّ عن الحقّ في تطبيقها، وما أخلّ به، وفاته. وكان من رأيي أنّ أعنى بذلك، وأنّبه عليه دون سواه، لما قاله الحقّ في مقدمة الطبعة الثانية من الكتاب [١ / ٥، ٦] من أنه «لم يتلقَ ملاحظات من القراء تستوجب التعديل، ولذلك أبقاء على حاله الأولى؛... وأنّه يشكر كلّ من وقف على خطأ أو ملاحظة، فأنبهه إلى صوابه وتقويمه، فالعمل البشري لا يخلو من الزلل».

وفيمما أسوقه هنا للحقّ من ملاحظٍ ونظراتٍ - وهي بعض ما بدا لي - على وجه النصح والإرشاد ومدى العون = ما يدعوه إلى التعديل إنما أراد الحقّ لهذا التحقيق في طبعة أخرى مزيداً من الإحسان والإتقان.

#### إقامة النصّ المحقّ وضبطه:

نصّ المحقّ [١ / ١٠، ٩٣] على حرصه على تقديم النصّ المحقّ مضبوطاً محرراً من السقط والتحريف والتصحيف، سليماً من الاضطراب. وكان مما أخذ به لذلك إثبات الصواب في المتن، وذكر الخلاف أو الخطأ في الحاشية، وأن يستدرك ما سقط من الأصل، وهو كما قال قليل في الكتاب، ويضعه بين حاضتين [...]، من غير أن ينبه عليه؛ تجنّباً لإثقال الحواشي بما يمكن الاستغناء عنه؛ وأن يثبت من فروق النسخ في الحواشي ما رأاه جديراً بالذكر، ويعرض عن الفروق البسيطة التي لا أثر لها؛ لأنّها تثقل الحواشي، ويملاها القارئ، ولا فائدة علمية من ذكرها.

ولو قيّض لك أن تختبر ذلك في النصّ المحقّ وحواشيه لوجدت ذلك ملتزماً في الغالب، وله أثر جيد في ذلك النصّ، بيد أنّ إنعام النظر وفحص النصّ بشيء من الدقة يدلّك على أنّ ثمة ما شذّ عن ذلك، وكان

وحقّقه بعد ذلك الدكتور طه محسن في العراق تحقيقاً لم ينته إلى من أمره إلا خبره.

ثمّ كان التحقيق الجديد الذي نهض به الأستاذ أحمد الأعرج<sup>(٢)</sup>، وهو في أصله رسالة جامعية نال بها الحقّ درجة الماجستير من كلية الآداب في جامعة دمشق. وقد اعتمد المحقّ فيه على ثلاث نسخ خطية: نسخة مصوّرة عن الأصل المحفوظ في مكتبة كليات سيلي أوك في برمنغهام إنكلترا، رقمها ١٥٣٣، وهي التي اتخذها المحقّ أصلاً لنفاستها وتمامها، ودقّتها وجودتها، وقربها من زمن المرادي، ونسخة المكتبة الأحمدية بحلب ذات الرقم ٩٧٨، ونسخة مصوّرة عن أصل محفوظ في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة رقمها ٢٦٥، إضافةً إلى المطبوع.

وكان من المسوّغات التي دفعت المحقّ إلى إعادة تحقيق هذا الكتاب ما ذكره في المقدمة [١ / ٨] من أنّ التحقيق الأول «افتقر إلى تخرير أقوال العلماء وأرائهم، وتخريج مسائل الكتاب من مظانّها، وهذا ممّاله أهميّة في معرفة مصادر الكتاب، كما افتقر إلى ربط الكتاب بنظائره من كتب حروف المعاني. وأعتذر للمحققين الكريمين بظهور كتب جديدة من المصادر التي اعتمدها المرادي في تأليفه، لم تكن متاحة في تلك الحقبة، ولا سيّما كتب مصادر مادته الأصلية، أمثال كتب ابن مالك وأبي حيّان؛ إذ إنّها لم تكن قد خرجت للنور».

وقد نبه المحقّ الأستاذ أحمد الأعرج في غير موضع على طريقة في تحقيق هذا الكتاب، التي رأيت

٢- الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، تج: أحمد الأعرج، دار ابن كثير - دمشق وبيروت، ط٢٠٢١، ٢٠٢١م. وقد رأيت توثيق النقول من هذا الكتاب في المتن بذكر الجزء والصفحة؛ لئلا تكثر الحواشي، فإذا لم يكن ذلك من قبيل النقل أخلّ عليه في الحواشي.

• ضُبِطَ الساكن الأول الملaci لساكن آخر يليه في  
كلمة أخرى بالسكون، مع أنْ حقه أن يُكسر، في غير  
موضع [١ / ٢٨٨، ٣٢٢، ١٣٨، ٢-٣٨٩، ٢٠١٦٥، ١٧٩]؛  
«زَيْدُ اللَّام»، و«خُصْتُ اللَّام»، و«أَيُّ الْأَسْدُ»،  
و«كَانَتْ أَسْمًا»، و«لَمْ يُسْمَعُ الْجَمْعُ»، و«بَلْ الْأَكْثَرُ». .  
• ضُبِطَ صفة «قد» في قول المرادي  
[١ / ٢٦٨]: «وَذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّهُ لَا بُدٌّ فِي ذَلِكَ مِنْ (قد)  
ظَاهِرَةً أَوْ مَقْدَرَةً». بالنصب، والمناسب كما لا يخفي  
الحرّ «ظَاهِرَةً أَوْ مَقْدَرَةً». .  
وقد تردد مثل ذلك [١ / ٢٩٥، ٢ / ١٧٩] في:  
«مَنْصُوبٌ بِ(أن) مضمِّنةً بَعْدَ الْوَاوِ»؛ و«مَعْ (أن) مَقْدَرَةً قَبْلَهُ». والمناسب فيهما «مضمِّنةً» و«مَقْدَرَةً بالكسير.

• ورد في الكلام على اللام الموطئة [١ / ٢٧٠]:  
«وَتُسَمَّى أَيْضًا: الْمُؤَذْنَةُ». .  
وضُبِطَ المفعول الثاني للفعل المبني للمجهول:  
«تُسَمَّى» – أعني: المؤذنة – بالضمّ خطأ صوابه  
النصب «المؤذنة».

• ورد في الكلام على تنوين العوض [١ / ٢٨١]:  
«وَهُوَ نُوعَانٌ: عَوْضٌ عَنْ مَضَافٍ إِلَيْهِ: إِمَّا جَمْلَةٌ، نَحْوُ  
يُوْمَئِذٌ، وَإِمَّا مَفْرَدٌ، نَحْوُ: كُلُّ...». .

ولعلّ الأولى في ضبط «جملة» و«مفرد» أن يكون  
بالكسير، على أنّ أَوْلَاهُما بدل من الكلمة «مضاف». .  
• ورد في الكلام على واو الشامية [١ / ٣٠٩]:  
«وَلِنَذَكُرُ ما قَبِيلٌ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ». . ورفع الفعل المضارع  
«نَذَكِرُ»، وهو مجزوم بلام الأمر، خطأ ظاهر.  
ومثل ذلك ما كان في قوله [٢ / ١٦١]: **فَلَيُقْتَصِرُ**  
على هذا القدر؛...».

• ورد في تحرير الاستثناء في قول النبي ﷺ:  
(وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ) [١ / ٣٦٦]: «وَأَمَّا

على خلافه، وكانت له آثار في النصّ تبدو للمتأمل  
الفاحص. وهذه شواهد على ذلك:  
• ضُبِطَ النصّ:

خرج ضُبِطُ الكلام في النصّ المحقق في مواضع  
غير كثيرة عن الصواب إلى الخطأ، وربما كان ذلك  
في بعض المواقع من قبيل خلاف الأولى. وهذه أمثلة  
دالة على ذلك:

• ضُبِطَتْ كلمة «صلاحية» في غير موضع  
[١ / ١٤٩، ٢ / ١٣٧] بتشدید الياء «صلاحية»،  
ومثله لم يُسمعُ عن العرب.

قال الزبيدي فيما استدركه<sup>(٣)</sup>: «صلاحية الشيء»،  
مُخْفَفَةً كطوابعه: مصدر صلح، وليس في كلامهم فعالیة  
مُشَدَّدة؛ كذا نقلوه».

ورد في الكلام على الفاء [١ / ١٨٨]: «وَمَعْ كُونِهِ فِي  
ذَلِكَ غَيْرُ مُحْتاجٍ إِلَى الْفَاءِ لَا يُمْتَنَعُ اقْتِرَانُهُ بِهَا...». .  
وضُبِطُ «غير» بالرفع غلطٌ؛ والصحيح «غَيْرٌ»؛ لأنَّه  
خبر المصدر «كون». وبناءُ الفعل «يمتنع» للمجهول،  
مع صحة بنائه للمعلوم، دون قرينة أو دليل، خلاف  
الأولى، وترك المشهور إلى خلافه.

ورد في الكلام على مجيء اللام بمعنى «عن»  
[١ / ٢٢٨]: «السَّابِعُ عَشَرُ: أَنْ تَكُونَ بِمَعْنَى (عَنْ).  
وَهِيَ الْلَّامُ الْجَارَةُ اسْمًا مَنْ غَابَ حَقِيقَةً أَوْ حُكْمًا، عَنْ  
قُولِ قَائِلٍ مَتَّعِلِّقٍ بِهِ، نَحْوُ: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ  
آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ) [الْأَحْقَافُ: ١١].  
أَيْ: عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا. وَقُولُ الشاعِر: ...». .

وضُبِطُ «قولُ الشاعِر» بضمّ اللام خطأً، والمناسب  
أن يُضْبِطَ بالكسير عطفاً على المضاف إليه المقدّر بعد  
«نَحْوٍ»، وليس على «نَحْوٍ». ثُمَّ إِنْ عَلَمَ الترقيم المناسبة  
قبل «وقول» هي الفاصلة (،)، لا النقطة كما ورد.

٣- ناج العروس، الزبيدي، مادة (صلح) ٦ .٥٥٠

- قال المرادي في كسر الهمزة بعد «حيث» [٢ / ٩٨]: «قلت: يُلْزَمُ مِنْ أَجَازَ إِضَافَةً (حيث) إِلَى الْمَفْرَدِ، وَهُوَ الْكَسَائِيُّ، أَنْ يُجِيزَ فَتْحَ (أَنَّ) بَعْدَهَا». وَضَبْطُ الْمُحَقَّقِ لِلْفَعْلِ «يُلْزَمُ» كَمَا ضَبَطَهُ، عَلَى أَنَّهُ مُضَارِعُ الْفَعْلِ «الْأَلْزَمُ»، خَلْفُ الْأُولَى، وَالْأُولَى الْمُنَاسِبَ هُنَّا: «يَلْزَمُ»، وَهُوَ مُضَارِعُ الْثَلَاثِيِّ «لَزِمٌ».

- ورد في الكلام على «بِلَهُ» [٢ / ١١٧]: «وَ(بِلَهُ) لَيْسَتْ مُشَتَّتَةً. وَذَهَبَ الْعَبْدِيُّ إِلَى أَنَّهَا مُشَتَّتَةً مِنَ الْبَلَهُ». وَضَبْطُ الْمُحَقَّقِ الْهَاءُ فِي «الْبَلَهُ» بِالسُّكُونِ لِنَسْوَةِ الْمَحَاجَةِ فِي مَحْلِهِ، وَالصَّوَابُ أَنْ يَكُونَ بِالْكَسْرِ.

- ورد فيما نقل المرادي من قول الزمخشري في الكلام على «ثُمَّ» [٢ / ١٢١-١٢٢]: «...الدَّلَالَةُ عَلَى مَبَيِّنِهَا فَضْلًا وَمِزِيَّةً...». وَضَبْطُ الْمُحَقَّقِ لِكَلْمَةِ «مِزِيَّةً» بِكَسْرِ الْمِيمِ غَرِيبٍ، وَالصَّحِيحُ بِالفَتْحِ، وَهِيَ عَلَى وَزْنِ «فَعِيلَةٍ».

- ورد في الكلام على زيادة «ما» بعد «رَبَّ» [٢ / ١٤٧]: «وَمِثَالُهَا غَيْرُ كَافَّةٍ قُولُ الشَّاعِرِ:...». وقد ضَبَطَ الْمُحَقَّقُ فِيهِ كَلْمَةَ «غَيْرٍ» بِالرَّفْعِ، وَهُوَ خَطَأُ صَوَابِهِ «غَيْرٍ» بِالنَّصْبِ عَلَى الْحَالِ.

- قال المرادي في كلامه على «على» [٢ / ١٦٤]: «وَقَدْ تَحَصَّلُ فِي (عَلَى) الْجَارَةِ - مِمَّا ذَكَرْتُهُ - أَقْوَالٌ، أَحْدُهَا:...». وَضَبْطُ الْمُحَقَّقِ لِلْفَعْلِ «تحَصَّلُ» كَمَا ضَبَطَهُ غَيْرُ مُنَاسِبٍ، وَالصَّحِيحُ مُنَاسِبٌ أَنَّهُ فَعَلَ ماضًّا: «تَحَصَّلَ». وَإِلَى ذَلِكَ يَبْدُوا أَنَّ وَضْعَ شَبَهِ الْجَمْلَةِ «مِمَّا ذَكَرْتُهُ» بَيْنَ مَعْرَضَتَيْنِ فِي غَيْرِ مَحْلِهِ، وَالْمُنَاسِبُ أَنْ تُحرَرَ مِنْهُمَا.

- ورد فيما نقله المرادي من قول الزمخشري في الكلام على «كَانَ» [٢ / ٢٦٣]: «وَالْفَصْلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَصْلِ أَنَّكَ هُنَّا بَانَ كَلَامَكَ عَلَى التَّشْبِيهِ، مِنْ أَوْلَى الْأَمْرِ، وَثُمَّ بَعْدَ مُضِيِّ صَدِرِهِ عَلَى الإِثْبَاتِ». وَضَبْطُ

الْحَدِيثِ فَقِيلٌ: الْإِسْتِثْنَاءُ فِيهِ لِلتَّبْرُكِ. وَقِيلٌ: هُوَ رَاجِعٌ إِلَى الْلُّحُوقِ بِهِمْ، عَلَى الْإِيمَانِ. وَقِيلٌ غَيْرُ هَذَا. وَفِي ضَبْطِ «غَيْرٍ» بِالْفَتْحِ بَعْدَ «قِيلٍ» فِيهِ مَا فِيهِ، وَالصَّوَابُ أَنْ يُضَبِّطَ بِالضَّمِّ «غَيْرٍ».

- ورد في الكلام على «أَنَّ» الْزَادَةَ [١ / ٣٧٥]: «وَأَمَّا الْقِيَاسُ فَلَأَنَّ حِرْفَ الْجَرِّ الْزَادِ مُثُلُّ غَيْرِ الْزَادِ فِي الْاِخْتِصَاصِ بِمَا عَمِلَ فِيهِ،...». وَضَبْطُ كَلْمَةِ «الْزَادِ» الْأُولَى بِالْجَرِّ خَطَأً، وَالصَّحِيحُ أَنَّهَا بِالنَّصْبِ صَفَةً لَاسْمِ «أَنَّ».

- ورد في الكلام على دَلَالَةِ «لَنْ» رَدًا عَلَى مَذَهَبِ الزَّمْخَشَرِيِّ [١ / ٤٣١]: «قَالَ ابْنُ عَصْفُورٍ: وَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ دَعْوَى لَا دَلِيلٌ عَلَيْهَا،...». وَتَنْوِينُ «دَعْوَى» لَا يَصِحُّ؛ لِأَنَّ الْكَلْمَةَ مُمْنَوَّعَةٌ مِنَ الْصِرَافِ.

- ضَبَطَتْ كَلْمَةُ «الصَّنْدُوقِ» فِي الْمَثَالِ: «أَخْدَتْ مِنَ الصَّنْدُوقِ» [١ / ٤٧٦] بِفَتْحِ الصَّادِ. وَهُوَ خَلَفُ الْأُولَى؛ وَالْمُنَاسِبُ أَنْ تُضَبِّطَ بِمَا لَا خَلَفَ فِيهِ، وَهُوَ الضَّمِّ: «الصَّنْدُوقُ»، وَأَلَّا يُلْجَأَ إِلَى الْفَتْحِ إِلَّا إِذَا كَانَ فِي نَسْخَةِ الْأَصْلِ دَلِيلٌ مُؤَكِّدٌ عَلَيْهَا، فَيُذَكَّرُ وَيُعَلَّلُ، وَيُبَيَّنُ مَا فِيهِ.

- ورد في الكلام على شروطِ عَمَلِ «مَا» النَّافِيَةَ [٢ / ١٠]: «فَلَوْ وَجَدْتَ (إِنْ) بَعْدَ (مَا) بَطَلَ عَمَلُهَا،...». وَضَبْطُ «وَجَدْتَ» بِالْبَنَاءِ لِلْمَعْلُومِ هُنَّا بِلَا دَلِيلٍ خَلَفُ الْأُولَى، وَالْأُولَى أَنْ يُبَيَّنَ لِلْمَجْهُولِ: «وَجَدْتُ».

- ورد في الكلام على بعضِ أَحْكَامِ «إِنَّ» [٢ / ٨٥]: «وَمِنْ أَحْكَامِهَا أَنَّهَا قَدْ تَتَصَلُّ بِهَا (مَا) الْزَادَةُ؛ فَيُبَطِّلُ عَمَلُهَا، وَيَلِيهَا الْجَمْلَتَانِ: الْأَسْمَيَّةُ وَالْفَعْلَيَّةُ، فَتَكُونُ (مَا) كَافَّةً لَهَا عَنِ الْعَمَلِ،...». وَضَبْطُ الْفَعْلِ «تَكُونُ» بَعْدَ الْفَاءِ بِالنَّصْبِ وَهُمُّ، وَالصَّوَابُ رَفْعَهُ «فَتَكُونُ» عَطْفًا عَلَى مَا قَبْلَهُ.

- ورد في الكلام على الهمزة التي يُنادى بها [١٤١]: «ولا يُنادى بها إلا القريب مسافةً وحُكماً، كقول امرئ القيس: [من الطويل] أَفَاطِمْ مهلاً بعْضَهذا التدلل».

والذى أراه أنَّ الواو في قوله: «مسَافَةً وْحُكْمًا» محرفةٌ من «أو»؛ لأنَّ المناسب للمقصود هنا هو «أو» لا حرف العطف الواو، لأنَّ الواو توهם بوجوب اجتماع الأمرين معاً: قرب المسافة والمكانة. وأراني في هذا أنظر إلى عبارة المصنف في التعبير عن النداء بـ«يا» و«هيا» [٢٠٠ / ٤٠]؛ وهي لنداء بعيد المسافة أو حُكْمًا، و«يُنادى بها البعيد مسافةً أو حُكْمًا»؛ فهى مؤيدٌ ومرجحٌ.

- ورد في بيان الموضع التي تعيّن فيها  
اسميّة الكاف عند بعض النحوين، وهي خمسة  
مواقع [١ / ٢٠٦]: «أَحَدُهُما أَنْ يقع مجنروراً بحرف  
الجِرْ...».

ولا يخفى ما في «أحدُهُمَا» من خطأً وتحريفٍ  
ارتكتبه يدُ المحقق عن غفلةٍ وسهو.

– ورد في الكلام على مجيء الكاف لمعنى التعليل  
١ / ٢٠٩: «ذكره الأخفش وغيره، وجعلوا منه قوله تعالى ﴿كما أرسلنا فيكم رسولاً﴾ [البقرة: ١٥١].  
قال الأخفش: أي: كما فعلت هذا فاذكروني. قال ابن مالك: وورودها للتعليق كثير. قوله تعالى ﴿واذكروه كما هداكم﴾ [البقرة: ١٩٨]. . . . .

وفي هذا النصّ تحريف توقف عند المحقق،  
ولم يقدر أمره تقديرًا صحيحاً، فقد علق على كلمة  
«كما» من قوله: «**كما فعلت**» بقوله في الحاشية: «في  
(ط): لما». ولو أنّم النظر لعرف أنّ الكلمة بالكاف  
تحريف، وأنّ الصواب «لما»؛ لأنّ المراد التعبير عن

الحق لـ «ثم» بضمّ الثاء غلط لا شكّ فيه، والصحيح  
«ثم» بالفتح؛ لأنّه اسم إشارة بمعنى هناك، وليس  
حرف عطف.

وَثُمَّ أَخْطَاءٌ فِي الْخُبْطِ وَلَدْتُهَا فِي تَقْدِيرِي  
الطباعة<sup>(٤)</sup>.

## • التصحيح والتحريف:

وَقَعَ فِي النَّصِّ الْمُحَقَّقِ شَيْءٌ يُسِيرُ مِنْ تَصْحِيفٍ أَوْ تَحْرِيفٍ، غَلَبَ عَنْهُ الْمُحَقَّقُ، وَلَمْ يُلْحِظْهُ، أَوْ تَوْقُّفٌ عِنْدَهُ وَلَمْ يَقْدِرْهُ التَّقْدِيرُ الْمُنْاسِبُ، وَلَمْ يَصْحِّهُ عَلَى وَجْهِهِ الصَّحِّيْحُ؛ أَوْ كَانَ ذَلِكَ مَمَّا نَسْجَتْهُ يَدُ الْمُحَقَّقِ نَفْسَهُ دُونَ أَنْ يَدْرِي.

وممّا وقفتُ عليه من ذلك:

- ورد في الفصل الأول من المقدمة الذي عُني بـ «الحروف» [١١٣]: «قال بعض النحوين: «لا يُحتاج في الحقيقة إلى حدّ الحرف؛ لأنَّه كَلْمَة مَحْصُورَةٌ». . . . . .

قلت: الوارد في «لأنَّه كَلْمَة» تحرير لـ «لأنَّه كَلْمٌ» كما تدلُّ على ذلك صورة الورقة الأولى من نسخة الأصل (ص) التي أوردها المحقق فيما أورده بعنوان «صور من المخطوطات» [١٠٢]، ويؤكِّد ذلك ويؤيِّد ما في الورقة الأولى من نسخة المكتبة الأحمدية (أ)، ونسخة الجامعية الإسلامية في المدينة المنورة (س)؛ ففيهما: «لأنَّ كَلْمَة». . . . . . والمعتمد في المطبوعة: «لأنَّه كَلْمٌ».

ومن هنا كان من الواجب أن تكون العبارة في المتن «لأنه كَلْمٌ» كما ورد في الأصل، و(ط)، مع التنبيه على ما ورد في النسختين الخطيتين الآخريين: «لأنَّ كَلْمَهُ». والمقصود من ذلك أن حروف المعاني معدودة، يمكن أن تُحصر بعد معين، فهي بذلك نهائية محدودة، فلا تحتاج إلى حد.

<sup>٤</sup>- انظر: الجنى الداني، المرادي، تلح: أحمد الأعرج، ١ / ٢٣٠، السطر ٣، و ٢ / ١٥٦، السطر ١٤.

قال الزبيدي<sup>(٥)</sup>: «والعنبرُ أبو حَيٌّ من تميم، هو العنبرُ بن عمرو بن تميم. ويقال فيهم: بِلْعَنْبَرِ، حَذَفُوا منه النُونَ تخفيفاً كَبْلَحَارِث في بنى الحارث، وهو كثيرٌ في كلامهم».».

فهل وردت الكلمة في الأصل، أو في النسختين المخطوطتين الآخريين، أو في إدحاهما «بالعنبر» بالألف خطأً، فتلافى المحقق ذلك وتبناه، أم أنه اجتهاد من المؤلف أفضى إلى منزلة التحريف؟.

– قال المرادي في التعليق على معاني «من» [١ / ٤٧٩]: «ولم يثبت أكثر النحوين لـ (من) جميع هذه المعاني. بل وتأولوا كثيراً من ذلك على التضمين، أو غيره..». وقد أثبت المحقق في المتن «بل و»، وعلق في الحاشية على «بل» بقوله: «سقطت من بقية النسخ».

وهذا فيه نظر؛ إذ لم يبين لنا المحقق: هل وردت «بل» والواو معاً في الأصل، أم أن ذلك كان عن ارتباك منه، عزم أول الأمر على ما كان في النسخ الأخرى «وتأنّوا» وحذف «بل»، ثم بدأ له بداء دعاه إلى إثبات «بل» كما في نسخة الأصل، فذكرها دون أن يحذف الواو من بعدها؟.

وعلى أن من واجب المحقق، لو ثبت أن الوارد في نسخة الأصل هو «بل و» باجتماع «بل» والواو، أن يتبّعه على هذه العبارة؛ وأن ذلك استعمال قديم نادر، ولعل المناسب أن تُخرج على أن الواو عاطفة عطفت ما بعدها على معطوف مقدر يدلّ عليه ما قبل «بل»، على تقدير: بل رفضوه وتأولوا....

– كان مما ذكره المرادي في اختلاف النحوين في معنى «رب» [٢ / ١٣٢]: «الثالث: أنها تكون للتقليل والتكثير، فهي من الأضداد. وإلى هذا ذهب الفارسي في كتاب (الحروف)..».

٥- تاج العروس، الزبيدي، (عنبر) / ١٣ / ١٤٩.

معنى التعليل الذي دلت عليه الكاف، وهو ما يكون بلام التعليل الذي في «لما».

ومن هنا كان المناسب أن تكون العبارة في النص «لَمَا فَعَلْتُ»، وأن يُعلق المحقق في الحاشية بأن الذي في النسخ الخطية «كما»، وال الصحيح «لَمَا» كما في «ط». ثم إن في عبارة «لَمَا فَعَلْتُ هَذَا فَاذْكُرُونِي» إشارة مجملة إلى ما في الآية التي انتزع منها الشاهد والأية التي بعدها، وهذا يتضمن أن يتبّعه المحقق على ذلك في الحاشية، وأن يذكر فيها الآية بتمامها، والأية التي بعدها، أعني: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْكُمْ يَأْتِلُ عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيَزْكِيرُكُمْ وَيَعْلَمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَةَ وَيَعْلَمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ - فَاذْكُرُونِي أَذْكُرُكُمْ وَاسْكُرُوا يَ وَلَا تَكْفُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥١-١٥٢].

وإلى ذلك يحسن التنبية هنا على أن المحقق أثبت في المتن كلمة «للتعليق»، وعلق عليها في الحاشية بقوله: «في الأصل: في التعليل..». وهذا معناه أن المحقق ترك عبارة الأصل، وأخذ بما ورد في النسخ الأخرى. وتغيير عبارة الأصل هنا ليس واجباً، لأنها تدلّ على المقصود بوضوح دون إخلال؛ فلا حاجة إلى تركها، وأن يؤتى بما في النسخ الأخرى، بل يكفي أن تذكرة عبارة الأصل في المتن، وأن يتبّعه في الحاشية على ما في النسخ الأخرى.

ثم إن علامة الترقيم المناسبة بين كلمة «كثير» و«قوله تعالى...» هي الفاصلة (،)، لا النقطة كما ذكر المحقق.

– ورد في الكلام على حركة اللام، ولغات بعض العرب فيها [١ / ٣٢٦]: «ولغة عُكْل وبالعنبر فتحها مع الفعل..». وكتابة «بالعنبر» كما وردت في النص بالألف تحريف، صوابه «بِلْعَنْبَرِ»، وكذلك وردت في نسخة المكتبة الأحمدية «أ» (٤١ / ١).

القليل أكثر. وبهذا لك أن تقول: إن الرأي الآخر هو رأي ثانٍ للفارابي لا ينقض رأيه الأول الذي عزى بالتحريف إلى أبي علي الفارسي.

على أن هذين الرأيين لم يردا في النص المطبوع (كتاب الحروف) لأبي نصر الفارابي<sup>(٨)</sup>. والظاهر أن المطبوع ليس تماماً، ولا نجد فيه أي كلمة عن «رب» ودلالتها واستعمالها.

- ورد فيما ذكره المرادي عن بعض النحوين من أن لام الابتداء والتوكيد تدخل على «سوف» دون السين [١٥١ / ٢]: «قال: لئلا يجتمع حرفان على حرف واحد، مفتوحان زائدان على الكلمة، ولشدة اتصال بعضها ببعض، واتصالهما بالكلمة، ربما أدى ذلك، في بعض الكلمات، إلى اجتماع أربع متحركات وأكثر، ....».

وفي «اتصال بعضها ببعض» إذا تأملت تحريف صوابه: «بعضهما ببعض»؛ لأن الضمير يعود على الحرفين، وهما مثنى، ويؤكّد ذلك المعطوف: «اتصالهما». ويبعدو أن هذا التحريف كان من متابعة الحق للنص في التحقيق الأول [ص ٤٥٩].

وإلى ذلك يحسن أن أنتبه على أن علامة الترقيم المناسبة للمقصود بعد «الكلمة» في «زائدان على الكلمة» هي النقطة (.)، لا الفاصلة كما ورد؛ لأن الكلام التالي مستأنف لا معطوف.

#### • استدراك السقط:

استدراك السقط الواقع في النص على وجهه بعض ما يُقْتَيمُ النص، ويصونه من النقص والخلل؛ ولذلك

<sup>٨</sup>- طبع هذا الكتاب طبعتين: كتاب الحروف، الفارابي، تج: محسن مهدي، دار المشرق - بيروت، ط ٢، ١٩٩٠م؛ وكتاب الحروف، الفارابي، عن أبي إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ٢٠٠٦م.

وقد علق المحقق ثمّة بقوله: «لم أقف على كتاب الفارسي هذا. وانظر ذلك في: التذليل ١١ / ٢٨٠، والارتفاع ٤ / ١٧٣٧ . . .».

والذي أراه أن في هذا النص في (الجني الداني) بطبعتيه القديمة والجديدة، وفي الكتابين اللذين أحال عليهما المحقق، تحريفاً، وأن «الفارسي» محرّف من «الفارابي». وممّا يؤيد هذا أن النص ورد في كتابي أبي حيان اللذين أحال عليهما المحقق بلفظ: «وذهب الفارسي في (كتاب الحروف) له إلى أنها تكون تقليلاً وتكتيراً». وفيه نص على أن الكتاب للعلم المذكور الذي نسب إليه هذا الرأي. وأبو علي الفارسي لم ينسب إليه أحدٌ ممن ترجمه البتة كتاباً اسمه (كتاب الحروف).

ثم إن هذا النص وردت النسبة فيه إلى الفارابي ظاهرةً صريحةً في كتاب (الفصول المفيدة) لصلاح الدين، خليل بن كيكلي الدمشقي العلائي (ت ٧٦٦هـ)؛ إذ قال<sup>(٩)</sup>: «وقال الفارابي في كتاب الحروف: إنها للتقليل للتكتير فجعلها مشتركة بينهما».

ولقائل أن يقول: إن هذا التقدير لا يثبت للنقد؛ لأن أبو حيان نسب إلى الفارابي في (كتاب الحروف) له رأياً آخر مختلفاً، إذ قال<sup>(١٠)</sup>: «وقال أبو نصر الفارابي في (كتاب الحروف) له: أكثر ما تكون للتقليل».

ولك أن تقول: إن هذين الرأيين ليسا متناقضين، ولك أن تجمع بينهما جمعاً يدفع ما قد يخيل للمعترض من تدافع وتنافس، بأن «رب» عند الفارابي في (كتاب الحروف) تدل على القليل والكثير، ودلالتها على

<sup>٦</sup>- الفصول المفيدة في الواو المزيدة، صلاح الدين العلائي، ص ٢٥٠.

<sup>٧</sup>- ارتفاع الضرب من لسان العرب، أبو حيان، ٤ / ١٧٣٨، وانظر: التذليل والتمكيل في شرح كتاب التسهيل، أبو حيان الأندلسي، ١١ / ٢٨٦.

بـ. بعض ما استدركَ، أو زيد، لم يحصره المحقق بين حاصلتين [...]، أو لم يُنْبِه على حدوده<sup>(١)</sup>.  
 جـ. بعض ما استدركَ مما يمكن الاستغناء عنه؛ لقيام الكلام في الأصل بنفسه تماماً دالاً على المقصود دون نقص أو خلل؛ فهو لذلك من قبيل الزيادة النافلة لا الاستدراك الواجب.

ومن هذا القبيل ما كان في هذه النصوص الثلاثة:  
 - «وقال ابن كيسان، والسيرافي: يجوز أن يكون

أن، و[يُجُوز] أن يكون كي.».

قال المحقق في الحاشية الثانية ثمة [١ / ٢٤٨] معلقاً على ما جعله بين حاصلتين: «هي في (ط) كذلك، وهو إصلاح من المحققين؛ جزاهما الله خيراً.».

ولاشك عندي في أنَّ كلمة «يجون» المحسورة في النصَّ بحاصلتين ليست مستدركاً واجباً يسد فراغاً خلقه سقطُ في الأصل أو في النسخ الأخرى، بل هي زيادة نافلة يمكن الاستغناء عنها، مع سلامة الكلام وسداد المعنى.

- «عبارة سيبويه فيها [قوله] (نعم عدة وتصديق). قال بعض النحوين: يعني أنها إن ...». قال المحقق في الحاشية الخامسة ثمة [٢ / ١٩٩] معلقاً على ما وضعه بين حاصلتين: «كذا في (ط)، وسقطت من بقية النسخ.».

ولو تأمل المحقق النص لأدرك أنَّ الكلمة المحسورة [قوله] أقرب إلى الحشو، وأنَّه يمكن الاستغناء عنها، وهي لذلك زيادة نافلة، والحكم عليها بأنَّها سقطت من بقية النسخ في غير محله.

١١- انظر مثلاً: المصدر نفسه: ١ / ٣٦٠، السطر ٤، الحاشية ٤ / ١، ٣٧٠، السطر ٤، الحاشية ٣، ٣١ / ٢، السطر ١٤، الحاشية ٦، ٣٥ / ٢، السطر ٧، الحاشية ٦، ٤٣ / ٢، السطرين ٥ و ٦، الحاشية ٥، ٢٠٥ / ٢، السطر ٤، الحاشية ٤، ٢٢٠ / ٢، السطر ٤، الحاشية ٤، ٢٤٠ / ٢، السطر ٣، الحاشية ٢، ٢٤٧ / ٢، السطر ٨، الحاشية ٢.

احتفل به المحقق في تحقيق نص (الجني الداني). بيد أنَّ النظر فيما قاله المحقق في ذلك، وما نهض به منه، في ضوء تطبيق ذلك في النصَّ وحواشيه، يقفنا على أشياء:

أـ. ما قاله في المقدمة، وردده في كلامه على عمله في التحقيق، من ترك التنبية على استدراك ما سقط من الأصل، ووضعه بين حاصلتين [...]، من غير أن يُنْبِه عليه؛ تجنباً لإثقال الحواشى بما يمكن الاستغناء عنه = ليس من المحكم الذي يطمئن إليه؛ لأنَّ بيان مصدر ما استدرك به السقط الذي في النصَّ من الواجب، ولا ينبغي إهماله، فمن تمام المنهج العلمي في التحقيق أن يذكر المحقق مصدر ذلك: هل كان من النسخ المخطوطة، أو من النسخة المطبوعة، أو من المصادر التي نقل منها المرادي أو اقتبس؟

والتعلل في ترك ذلك بتجنُّب إثقال الحواشى بما يُستغنَى عنه حجة في غير محلها؛ لأنَّ السقط ليس من الكثرة بمكان، بل هو كما نصَّ المحقق نفسه «قليل في الكتاب». ثم إنَّ المحقق قد أثقل الحواشى أحياناً بغير ذلك مما يمكن الاستغناء عنه؛ من نقل نصَّ من كلام بعض العلماء لا حاجة إليه، لا يشي به النصُّ ولا يدعو إليه<sup>(٩)</sup>، أو تزيد في تخرير بعض الشواهد.

وعلى أنَّ المحقق قد خالف عن ذلك في مواضع ليست قليلة، إذ نبه على المستدرك ومصدره، ولا سيما إذا كان من المطبوعة، أو من بعض المصادر التي نقل منها المرادي<sup>(١٠)</sup>.

٩- انظر مثلاً: الجنى الداني، المرادي، تج: أحمد الأعرج، ١ / ٤٢٠، الحاشية ٥ / ٢، ٢٨٧ / ٢، الحاشية ٤.

١٠- انظر مثلاً: المصدر السابق: ١ / ٢٢٢، الحاشية ٦، ٣٧٠ / ١، الحاشية ٣، ١١٦ / ٢، ١٢٩ / ٢، الحاشية ٧، ١٨٦ / ٢، الحاشية ٢، ١٩٣ / ٢، الحاشيتين ٦ و ٧، ٢٢٢ / ٢، الحاشية ٦، ٢٧١ / ٢، الحاشية ٦.

وهذه صورة النص بعد ترميمه، مع مراعاة محل الحاصلتين على وجهه بداية ونهاية: «وَجَعَلَ قَوْمًا مِّنْ ذَلِكَ قَوْلَهُ تَعَالَى 《رَدَفَ لَكُمْ》 [النَّمَل: ٧٢]، أَيْ: رَدِفُكُمْ؛ لَأَنَّ رَدَفَ بِمَعْنَى: [تَبَعَ]. وَأَوْلَهُ بَعْضُهُمْ عَلَى التَّضْمِينِ. وَفِي الْبَخَارِيِّ: رَدَفَ بِمَعْنَى] قَرْبَ».

هـ- جرى الحق على خلاف طريقته في استعمال الحصر بالحاصلتين [...] في قول المصنف [١ / ٢٥٩]: «كما ذكرنا في (الأقسام) - [يعني (لا أقسام بيوم القيامة)] [القيامة: ١] على قراءة ابن كثير - وذلك أنه لا يخلو من أن تكون لام قسم] أو ابتداء....».

هكذا أورد الحق النص، وعلق على ما ورد بين حاصلتين بقوله ثمة في الحاشية الخامسة: «سقط من «أ» و«س» الكلام الآتي: [...»، وساق الكلام المحصور والمفهوم من هذا التعليق أن هذا الكلام المحصور سقط من النسختين «أ» و«س»، لا من الأصل والمطبوعة. وهو في ذلك جاري على خلاف ما أعلنه من استعمال هاتين الحاصلتين في تعين ما سقط من الأصل، واستدرك من غيره. وهو خلاف الشائع المستعمل في باب التحقيق من استعمال هاتين الحاصلتين للدلالة على ما سقط من الأصل، أو من النص بنسخه المختلفة، واستدرك من غيرهما. وإلى ذلك كان المناسب للسياق أن يثبت الحق قراءة ابن كثير في ذلك النص المحصور بنصها أعني: (الأقسام بيوم القيامة).

#### • الفروق بين النسخ:

يبدو للناظر في تحقیق (الجن الدانی) أن الحق ربما أثبت في الحواشی أحياناً من الفروق بين النسخ ما لا كبير فائدة في ذكره وسرده، خلافاً لما نص عليه وأعلنه، ثم إلى ذلك إذا عارضت النص ببعض النسخ المخطوطة - وقد عارضت مواضع منه بالنسخة

- ورد في الكلام على شرط نصب الفعل المضارع بعد «حتى»: «وإذا كان الفعل حالاً، أو مؤولاً بالحال رفع... والمراد بالمؤول بالحال أن يكون الفعل قد وقع، فيقدر اتصافه بالدخول فيه، فيرفع لأنّه حال بالنسبة إلى تلك الحال».

وقد علق الحق في الحاشية الخامسة ثمة [٢ / ٢٥٠] على شبه الجملة «بالحال» التي لم يحصرها بحاصلتين بقوله: «كذا في (ط)، وسقطت من بقية النسخ. وهو موافق لتوضيح المقاصد / ١٢٥١».

والذي أراه أن «بالحال»، وإن كان الكلام بها أنساب وأبين، لا يتعين الحكم بأنّها سقطت من النسخ الأخرى التي خلت منها؛ وخلو النسخ منها من قبيل الإيجاز؛ لأنّ السياق وقرب ذكر هذه الكلمة مغن عن وجوب ذكرها.

دـ. لم يحكم الحق تحديد السقط في النص التالي [١ / ٢٣٨]: «وَجَعَلَ قَوْمًا مِّنْ ذَلِكَ قَوْلَهُ تَعَالَى 《رَدَفَ لَكُمْ》 [النَّمَل: ٧٢]، أَيْ: رَدِفُكُمْ؛ لَأَنَّ رَدَفَ بِمَعْنَى: تَبَعَ». وَأَوْلَهُ بَعْضُهُمْ عَلَى التَّضْمِينِ. وَفِي الْبَخَارِيِّ: رَدَفَ بِمَعْنَى قَرْبَ».

هكذا ورد النص، وقد وردت فيه الحاصرة الأولى دون الحاصرة الثانية؛ وترك الحق التنبية على السقط، والمصدر الذي اعتمد عليه في استدراكه، واكتفى بالتعليق على «ردف بمعنى: تبع». بقوله في الحاشية الثانية: «وفي الأصل: قرب».

ولو تدبّر الحق الأمر وقدر للكلام قدره لعرف أن مبدأ السقط الذي كان في النص هو ما بعد كلمة «بمعنى» الأولى، وأنّ منتهاه هو كلمة «بمعنى» الثانية، وأنّ السقط كان بانتقال النظر؛ وأنّ كلمة «قرب» في الأصل شرح للفعل «ردف» الساقط فيما سقط، لا للفعل المذكور كما قدر الحق، وجعله يعلق عليه بما في الحاشية الثانية.



فهرس الكتب الواردة في المتن [٢ / ٣٨٠] بلفظ: «شرح كتاب سيبويه» للصفار.

- ورد في الكلام على «ما» النافية غير العاملة [١٣ / ٢]: «واعترض بأنهم إنما جعلوها مخلصة للحال، إذا لم يوجد قرينة غيرها، تدل على غير ذلك». وقد فات الحق أن يلحظ أن كلمة «غير» التي وضع تحتها خط ليس في النسخة (أ)، والتبني على ذلك من الواجب الذي لم يستوعبه برصده.

- ورد في الكلام على «ما» المصدرية الوقتية [١٤-١٣ / ٢]: «هي التي تقدر بمصدر نائب عن ظرف الزمان، كقوله تعالى: (خالدين فيها ما دامت السموات والأرض) [هود: ١٠٨]..».

هذا النصُّ كان فيه في النسخة (أ) أمران لم يلحظهما الحق وينبه عليهما في باب الفروق: الأول: أن الفعل الذي في صلة «التي» ورد بلفظ: «تقدير». والثاني: أن عبارة «خالدين فيها» من الآية الكريمة لم ترد فيها.

- ورد في الكلام على «ما» الكافية [٢ / ١٦]: «وذكر ابن مالك أنها قد تکف الباء، وتحدث فيها معنى التقليل».

وقد فات الحق أن «قد» لم ترد في النسخة (أ)، وهو فرق من حق المنهج أن يرصده وينبه عليه. هذا، وربما كان رصد الحق لبعض الفروق أحياناً غير دقيق. ومن ذلك مثلاً ما ورد في الكلام على تأويل قول الشاعر: وما صاحب الحاجات إلا معدباً [٢ / ١٠]: «وأول قوله (إلا معدباً) على أن التقدير: إلا يُعذب معدباً. و(معدب) هنا مصدر بمعنى التعذيب». قال الحق يعلق على كلمة «معدب» في الحاشية الثالثة ثمة، وهو يبين الفروق: «وفي بقية النسخ: يُعذب».

(أ) التي بين يدي نسخة مصورة منها - تراه يترك جملة من الفروق التي ينبغي أن تلحظ وتذكرة، فكان الاستيعاب في ذلك والاستقراء ليس من همه وصنته. وهذه أمثلة دالة على ذلك مختارة من بعض ما عارضت فيه النص على نسخة الأحمدية (أ):

- ورد في الكلام على مجيء الكاف حرفيّة [١ / ٢٠٥]: «وزاد بعضهم فيما تعيّن فيه الحرفيّة أن تقع مع مجرورها صلة، كقول الشاعر:.... قال: تعيّن الحرفيّة في ذلك؛ لإجماعهم على استحسانه....». وقد فات الحق أن ينبيه على أن الوارد فيما تحته خط هنا في النسخة (أ) هو: مما ... ويعني ...

- ورد في الكلام على «ما» النافية في نحو: «ما زيد شيء أو بشيء إلا شيء لا يعبأ به» [٢ / ١٢]: «وفي الكتاب) للصفار جواز نصب الخبر، ورفع ما بعد (إلا) على البديل من الموضع. وهو وهم». وفي النسخة (أ): «كتاب الصفار»، وهو فرق لم يلحظه الحق، ولم ينبيه عليه.

ثم إن قول الحق ثمة في الحاشية السادسة تعليقاً على عبارة (الكتاب) للصفار: «لم أقف على شرحه». = معناه أن كتاب الصفار هذا هو شرح لكتاب، أي: كتاب سيبويه، وهو المشهور عن الصفار في ترجمته. ولذلك كان ينبغي أن ينبيه على أن المقصود هو كتاب الصفار في شرح الكتاب. ومثل هذا يدفع ظلال الإبهام التي تحيط بالقارئ، وهو يقرأ ذلك، دون أن يكون في السياق ما يبيّنه ويبيّنه.

ومثل ذلك يقال فيما ورد في الكلام على الفصل بين «أما» والفاء بالخبر [٢ / ٢٢١]: «وفي كتاب الصفار أن الفصل بينهما بالخبر قليل». ويفيد ذلك ويدعو إليه أن الحق ذكر هذا الكتاب في

تعديلها والاستغناء عنها بما في النسخ الأخرى داعٌ موجّب أو مرّجح، والكلام على ما كان في الأصل سائغٌ واضح.

- ورد في الكلام على «ما» الزائدة المؤكّدة [٢ / ١٦]: «نَحْوُ (فِيمَا رَحْمَةٌ مِّنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ) [آل عمران: ١٥٩]، و(عَمَّا قَلِيلٍ) [المؤمنون: ٤٠]، و﴿مِمَّا خَطِيئَتِهِمْ﴾ [نوح: ٢٥]،...».

وقد عُلِقَ المحقق على الشاهد الأخير هنا في الحاشية الثانية بقوله: «الصواب ما أثبتته في المتن؛ لأنَّ المرادي لم يرُدْ بها قراءةً. وما ورد في النسخ كلَّها «مِمَّا خطِيئَتِهِمْ»، وهذه قراءة أبي عمرو بن العلاء المازني البصري. انظرها:...» ثم ساق مصادر وروتها.

وهذا التعليق دليلٌ صريح على تعديل المحقق للنص دون موجبٍ أو مرّجح. ولعلَّ المناسب أن يحفظ للنص حرمتَه، مع زوال الداعي الصحيح للتغيير، وأن يثبت الشاهد القرآني المقصود في المتن كما ورد في النسخ، ومنها الأصل، بقراءة أبي عمرو، ما دام الشاهد فيها، وليس غائباً عنها؛ وأن يتبَّه على ذلك في الحاشية، ويخرج القراءة كما فعل، ويبين أنَّ ما من داعٍ واضح دعا المرادي إلى ما دعا به؛ وأن يذكر القراءة الأخرى: قراءة الجمهور (مِمَّا خطِيئَتِهِمْ) في الحاشية. ولست أرى داعياً صحيحاً إلى أن يصدر المحقق تعليقه بعبارة «الصواب...».

وإلى هذا، يحسن التنبية هنا على أنَّ المحقق لم يرصِّد الفروق بين النسخ في هذا النص كما يجب؛ لأنَّ الشاهد القرآني الأوَّل اقتصر في النسخة (أ) على موضع الشاهد، ولم ترد فيه البقية: (منَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ)، وكان من الواجب أن يرصُّد ذلك، وينبه عليه.

- ورد في الكلام على «بَلْهُ» [٢ / ١١٦]: «وعَدَهَا الكوفيون والبغداديون من أدوات الاستثناء، وأجازوا النصب بعدها على الاستثناء،...».

وهذا الكلام بعيدٌ عن الدقة؛ لأنَّ الثابت في نسخة الأحمدية (أ)، والمطبوعة: «مُعَذَّب». ثم إنَّ ضبط كلمة «مُعَذَّب» بضمَّة واحدة كما وقع في النص لا وجه له إلَّا السهو.

#### • تغيير عبارة الأصل:

كان المحقق أحياناً يلجأ في سبيل إقامة النص على الوجه الذي يقدِّره إلى تغيير ما في الأصل، والاستغناء عَمَّا فيه بما في بعض النسخ الخطية أو المطبوع، أو إلى زيادة شيء منها ليس في الأصل. وبعض ما كان من ذلك التغيير أو تلك الزيادة عند التحقق في بعض المواضع ليس من الحكم المتقن، فما من حاجة تدعوه إليه، أو مرّجح يرجّحه، بل ليس فيه انتفاء إلى ما يمكن أن يوصف بأنه الأولى والأحسن، والنَّصُّ يقوم بما كان في الأصل على وجهه دون خلل أو اضطراب. والأمثلة على ذلك ليست بقليلة. ومنها:

- ورد في الكلام على سماع التصرير بخبر «كان» المسبوق بلام الجحود [١ / ٢٥٢]: «ولكنَ التصرير به في غَايَةِ النُّدْرَةِ..».

وقد عُلِقَ المحقق على كلمة «النُّدْرَةِ» ثُمَّةً في الحاشية الثالثة بقوله: «في الأصل و(أ) (النُّدْرَةِ)». وهو تعليق يدلُّنا على أنه ترك عبارة الأصل، واستغنى عنها بما في بعض النسخ الأخرى. وهو عدولٌ لا موجب له، واستعمال «النُّدْرَةِ» بمعنى «النُّدْرَةِ» معروفة، وقد ورد في النص الذي حقَّه المحقق غير مرّة.

- ورد في الكلام على أقسام الواو غير العاملة، وإرجاعها إلى ثمانية أقسام [١ / ٢٩٦]: «الأول العاطفة، وهذا أصلُ أقسامها وأكثرها...».

وقد عُلِقَ المحقق في الحاشية الثانية ثُمَّةً على كلمة «وهذا» بقوله: «في الأصل: وهي..». وهذا التعليق يدلُّ على تعديل المحقق لعبارة الأصل، مع أنه ليس في

وهذا التعليق كما لا يخفى دالٌ على أنَّ المحقق اعتمد ما كان في المطبوع في هذه العبارة، واستغنى عمّا كان في الأصل والنسختين الخطيتين الآخرين، وهو مُشرِّعٌ بأنَّ المحقق يرى أنَّ اختلاف العبارة في الحالتين في ترتيب الكلام، وما كان فيهما من تقديم بعض وتأخير بعض مفض إلى اختلاف المؤدى والمقصود. وهذا إذا أراده المحقق ونواه واستشعره وهم مُحضر، فليس وراء ذلك الاختلاف في ترتيب الكلام، وتقديم بعضه، وتأخير بعض، اختلاف في الدلالة وبيان المقصود، بل المقصود في العبارتين واحد، وهما متطابقتان فيما وراءهما من مقصود ودلالة.

ولك أن تسرد في ذلك أيضاً أمثلة لما زيد على الأصل زيادةً غير لازمة، يمكن الاستغناء عنها، مع وضوح الكلام وسلامة العبارة. ومن أمثلة ذلك ما ورد في الكلام على محل ضمائر الفصل «هو وهي وهم» عند القائلين باسميتها [٢ / ٣٥]<sup>(١٢)</sup>: «وأختلف القائلون بأنها أسماء: هل لها محلٌ من الإعراب، أو ليس لها محلٌ؛ فذهب البصريون إلى أنها لا محل لها من الإعراب.....».

قال المحقق يعلق على ما وضعت تحته خطأً بقوله في الحاشية السادسة: «زيادة من (ط)».

ولو تأملت هذه الزيادة لوجتها مما يمكن الاستغناء عنه دون أن يختل الكلام؛ وما تعلنه صريحاً يدل عليه السياق دون إبهام أو التباس.

وإلى ذلك ربما كانت بعض الزيادة خطأً محضاً لا شك فيه، وراءه السهو والغفلة. من ذلك مثلاً ما ورد

١٣ - وإذا أحببت أن ترى أمثلة أخرى من هذا القبيل فلكل أن تنظر في: المصدر السابق، ١ / ٢٢٧، ٢٢٧، السطر ٥، و ١ / ٢٤٨، السطر ١، الحاشية ٢، و ٢ / ٢١٢، السطر ٤، الحاشية ٤، و ٢ / ١٩٩، السطر ٩، الحاشية ٥.

وقد علق المحقق في الحاشية الخامسة ثمة على ما كان في صدر النص بقوله: «كذا في (ط)، وفي بقية النسخ: وعد الكوفيون والبغداديون (بله) من ... فأجازوا».

هكذا علق المحقق، وتعليقه دليلٌ واضح على تغيير النص، وهو عند النظر تغيير غير ملزم؛ وليس فيه زيادة في المعنى وبيان المقصود وإحكام العبارة تزيد على ما تؤديه العبارة في الأصل والنسخ الأخرى.

- ورد في الكلام على «لولا» وارتفاع الاسم بعدها [٢ / ٢٩٧]: «وقد اتفق الطائفتان على أنَّ (لولا) مركبة من (لو) التي هي حرف امتاع لامتناع، و(لا) النافية، وكلٌ واحدة منها باقية على بابها،...».

وكان من أمر المحقق أن علق على ما وضعت تحته خطأً بقوله في الحاشية الثانية ثمة: «كذا في (ط)، وفي بقية النسخ: ومن».. وهو تعليق دالٌ كما لا يخفى على تغيير عبارة النص الواردة في النسخ الخطية جميعاً، ومنها الأصل. وهذا التغيير عند النظر غير ذي بال، والكلام دونه؛ أي: على ما كان في الأصل والنسختين الخطيتين الآخرين، كافٍ بنفسه دالٌ على المقصود، ليس فيه ما يدعو إلى تغييره. فلم التغيير إذن؟

- ورد في الكلام على «لكن» ومجيئها بين متنافيين بوجه ما [٢ / ٣١١]<sup>(١٢)</sup>: «... فإن كان ما قبلها نقضاً لما بعدها، نحو: قام زيد لكنَّ عمراً لم يقم، أو ...». وقد علق المحقق على العبارة الأولى التي وضعت تحتها خطأً في الحاشية السابعة ثمة بقوله: «كذا في (ط)، وفي بقية النسخ: فإنَّ كان ما بعدها نقضاً لما قبلها».

١٢ - ولك أن ترى أمثلة أخرى من تغيير عبارة الأصل في الجنى الداني، المرادي، تج: أحمد الأعرج، ٤٤١ / ١، السطر ٦، الحاشية ٣، و ٢ / ١٣٥، السطر ١، الحاشية ١، و ٢ / ١٤٨، السطر ١٤، الحاشية ٨، و ٢ / ١٧٧، السطر ١، الحاشية ١، و ٢ / ٢٢٩، السطر ٤، الحاشية ٤، و ٢ / ٢٥٤، السطر ١٤، الحاشية ٩.

- ورد في توجيه «عسى» إذا اتصل بها ضمير النصب في مثل «عسانِي، وعساك، وعساد» [٢ / ١٥٨]: «وفي ذلك ثلاثة مذاهب: ...» ثم ساق أربعة مذاهب: مذهب سيبويه، ومذهب المبرد، ومذهب الأخفش، ومذهب السيرافي.

ولاشك أن الواجب في ضوء المذاهب الأربع  
المذكورة أن تُصحح الكلمة التي وضعْت تحتها خطأً،  
وتكون «أربعة». وهذا ما لم يلحظه محقق (الجني  
الداني) الأستاذ الأعرج، ولا محققاه الأولان.

- ورد في الكلام على دخول مجرور «حتى» فيما قبلها أو خروجها [٢٤١]: «قال: وصَرَحَ بِهِ سيبويه بأنَّ ما بعدها داخلٌ فيما قبلها، ولا بدُّ. لكنَّه مثلَ بما هو بعضٌ».»

وقد علّق المحقق على شبه الجملة التي وضعت تحتها خطأً «بـه» بقوله في الحاشية السابعة: «سقطت من (أ) و(ط) .».«

ولو تلبّث المحقق و تخير الأحكام والأنساب لعرف  
أن ذلك إنما يكون بتعديل عبارة الأصل، بحذف «به»،  
واعتماد ما كان في النسختين (أ) و(ط)، وبذلك ينزع  
القلق الذي يطلّ برأسه من تلك الزيادة.

- ورد في الكلام على لحاق نون الوقاية بهذه الأسماء «قد» و«قط» و«لدن» و«بجل» وحذفها [١] / ٢٨٨ [١٤]: «أو بإضافة (قد)، و(قط)، و(لدن)، و(بجل). وكلها بمعنى (حسب). وحذفها من (بجل) أكثـر من اثباتها...».

وقد علّق المحقق ثمّة في الحاشية الثالثة على ما وضع تحته خطأً بقوله: «سقطت من (س) .». .

والنظر في ذلك في ضوء الضمير في «كلها» العائد إلى الأسماء المذكورة، ومنها (الدن)، يدلّنا على أنَّ

<sup>١٤</sup> - ذلك أن ترى مثلاً آخر في المصدر السابق، ١ / ٣٢٥.

في سياق الكلام على اسمية (على)، في قول المرادي  
[١٦٣ / ٢]: (ونذكرت ثمَّ ما يُخْرَجُ عليه و(وهنزي  
إليك) [مريم: ٢٥]. . . .).

وَمَا ترَاهُ هُنَّا مِنْ زِيَادَةِ الْوَاوِ قَبْلِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ  
خَطأً مُحْضٌ وَرَاءَهُ مَا وَرَاءَهُ . وَلَا يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ وَرَاءَهُ  
سَبِيقٌ قَلْمَ قَلْدَتِهِ فِيهِ الطِبَاعَةُ .

على أنّ ثمة مواضع كان من المناسب أو الواجب تعديل عبارة الأصل فيها، وأن يُستغنى عنها بعبارة النسخ الأخرى أو بعضها؛ لأنّ الكلام بها أنسُب وأحكُم وأضيَط. ومن أمثلة ذلك:

- ورد في الكلام على تاء القسم [١٧٥ / ١]:  
 «وحكى بعضهم أنّه قال: (تالرّحمن)، و(تحيّاتك).  
 وذلك شاذ». <sup>٢</sup>

وقد علّق المحقق على ما وضعت تحته خطأ في  
الحاشية ثمة بقوله: «في بقية النسخ: أنهم قالوا...».  
ولو قدر لك أن توازن بين عبارة الأصل التي  
اعتمدها المحقق وأثبتها في المتن، وبين عبارة النسخ  
الأخرى التي ذكرها في الحاشية، ليدالك أن العبارة  
التي في غير الأصل أسلم وأحکم. ومن هنا كان من  
الواجب فيرأيي تعديل عبارة المتن، بحيث تصبح:  
«وحكى بعضهم أنهم قالوا:....».

- ورد في الكلام على «لو» [٤١ / ٤٤]: **«وقال ابن مالك في (شرح الكافية): وزعم الزمخشري أنَّ بين (لو) و(أنَّ) (ثبتَ) مقدراً، قد يُوهم انفراده بذلك.»**  
وقد علق المحقق على ما وضعت تحته خطأ بقوله في الحاشية السادسة: **«في بقية النسخ: وقولاً...»**

وهذا التعليق عند التأمل يدل على أن المحقق لم يُصب فيما اعتمد؛ وأن جملة الخبر الفعلية: «قد يوهم انفراده بذلك» توجب أن يكون صدر النص اسمًا مبتدأ، وذلك هو كلامه «قول».

ومن أمثلة الضرب الثاني ما كان في قول المرادي بعدهما استوفى الكلام على الفاء بأقسامها جميعاً [٢٠١ / ١]: «وَخَامِسُهَا أَنْ تَكُونَ بِمَعْنَى (إِلَيْهِ). ذَكْرُه بعْضُ الْكَوْفَيْنِ، وَمَثَلُهُ بِقُولِّ بَعْضِهِمْ: هَذَا أَحْسَنُ النَّاسِ مَا بَيْنَ قَرْنَ فَقَدَمَ». أَيْ: إِلَى قَدَمٍ. وَأَجَازَ بعْضُهُمْ فِي قُولِهِ (بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلَ) أَنْ تَكُونَ الفاءُ بِمَعْنَى (إِلَيْهِ). وَهَذَا ضَعِيفٌ، وَالفاءُ فِي ذَلِكَ عَاطِفَةٌ. وَقَدْ نَظَمَتْ

أَقْسَامَ الفاءِ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ: [مِنَ الْوَافِرِ]  
مَعَانِي الفاءِ لَا تَعْدُو ثَلَاثَةَ فَعَاطِفَةً تَرْتَبُ بِاتِّصالِ  
.....»<sup>(١٦)</sup>.

فَقَدْ جَعَلَ الْمَحَقُّ الْكَلَامَ الَّذِي قَبْلَ الْأَبْيَاتِ الَّتِي نَظَمَهَا الْمَرَادِيُّ كَتْلَةً وَاحِدَةً، وَحَقُّهُ أَنْ يَكُونَ قَسْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ، وَأَنْ يَكُونَ بَعْدِ إِقْلَامَةِ عَلَامَاتِ التَّرْقِيمِ عَلَى وَجْهِهَا هَذَا:

«وَخَامِسُهَا أَنْ تَكُونَ بِمَعْنَى (إِلَيْهِ). ذَكْرُه بعْضُ الْكَوْفَيْنِ، وَمَثَلُهُ بِقُولِّ بَعْضِهِمْ: هَذَا أَحْسَنُ النَّاسِ مَا بَيْنَ قَرْنَ فَقَدَمَ؛ أَيْ: إِلَى قَدَمٍ. وَأَجَازَ بعْضُهُمْ فِي قُولِهِ (بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلَ) أَنْ تَكُونَ الفاءُ بِمَعْنَى (إِلَيْهِ).

وَهَذَا ضَعِيفٌ، وَالفاءُ فِي ذَلِكَ عَاطِفَةٌ.

وَقَدْ نَظَمَتْ أَقْسَامَ الفاءِ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ: [مِنَ الْوَافِرِ]

مَعَانِي الفاءِ لَا تَعْدُو ثَلَاثَةَ  
فَعَاطِفَةً تَرْتَبُ بِاتِّصالِ».

#### • عَلَامَاتُ التَّرْقِيمِ:

اسْتِعْمَالُ عَلَامَاتِ التَّرْقِيمِ - وَهِيَ عَلَامَاتٌ لَهَا وَظَائِفَهَا الْمُهِمَّةُ الْمُفِيدَةُ الدَّالِلَةُ عَلَى تَقْسِيمِ الْكَلَامِ، وَمَقَاصِدِ الْمُتَكَلِّمِ أَحْيَانًا - عَلَى وَجْهِهَا مَمَّا يَنْبَغِي أَنْ يَهْتَمَّ بِهِ الْمَحَقُّ فِي النَّصِّ الَّذِي يَحْقُقُهُ. وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ فِي الْغَالِبِ جَيِّدًا. لَكِنَّ التَّأْمُلَ يَدِلُّنَا عَلَى أَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَطْرُدْ،

١٦ - وَلَكَ أَنْ تَرَى أَمْثَلَةً أُخْرَى فِي هَذِهِ الْمَوَاضِعِ مِنَ الْمَصْدِرِ نَفْسِهِ، ٢٠٢، ٣١٩، ٤٧٦، ٢١٩، ١١٩ / ٢، ٩٩.

ذَكْرُ «وَكُلُّهَا» هُنَا لَيْسَ صَحِيحًا؛ لَأَنَّ (لَدُنْ) لَيْسَ بِمَعْنَى «حَسْبٍ»؛ وَلَذِكَ كَانَ الْوَاجِبُ حَذْفُهَا كَمَا وَرَدَ فِي النَّسْخَةِ (س)، وَيَكُونُ بِذَلِكَ مَا بَعْدَهَا تَفْسِيرًا لِلْكَلْمَةِ (بَجْل) هَكَذَا: «... وَ(بَجْل)، بِمَعْنَى (حَسْبٍ)». وَحَذْفُهَا مِنْ (بَجْل)...».

#### • تَقْسِيمُ النَّصِّ وَتَفْقِيرُهُ:

مِنْ وَجْهِهِ خَدْمَةُ النَّصِّ الْمَحَقُّ وَإِقَامَتِهِ تَقْسِيمٌ مَادَّتِهِ وَتَفْقِيرُهَا عَلَى وَجْهِهِ يَحْفَظُ لِلْكَلَامِ وَحْدَتِهِ وَتَمَاسِكِهِ فِي جَانِبِيِّ التَّرْكِيَّيِّ وَالْمَعْنَوِيِّ، وَيُصَوَّنُهُ مِنْ التَّفْكِكِ وَتَفْرِقَ مَادَّتِهِ. وَهَذَا هُوَ الْغَالِبُ عَلَى النَّصِّ الْمَحَقُّ، لَكِنَّ التَّأْمُلَ قَدْ يَدِلُّ عَلَى مَوَاضِعَ فُصْلِ فِيهَا مِنَ الْكَلَامِ مَا حَقَّهُ الْوَصْلُ، وَفُرِّقَتْ أَوْصَالُهُ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ، وَمَوَاضِعُ الْحِقَّ فِيهَا بَعْضُ الْكَلَامِ بِغَيْرِهِ، مَعَ أَنَّ حَقَّهُ أَنْ يَسْتَقْلُ وَيَنْفَصِلُ عَلَى حَدَّةٍ فِي مَقْطَعٍ أَوْ فَقْرَةٍ.

وَمِنْ أَمْثَلَةِ الضَّرِبِ الْأَوَّلِ مَا كَانَ فِي هَذِهِ النَّصِّ [٢ / ١٠٤ - ١٠٥]: «الْسَّادِسُ: بَعْدَ حَتِّي، نَحْوُ: عَرَفْتُ أَمْوَرَكَ حَتِّي أَنْكَ فَاضِلٌ. إِنْ جَعَلْتَ «حَتِّي» جَارِّاً أَوْ عَاطِفَةً فَتَحَتَ «أَنَّ». إِنْ جَعَلْتَ «حَتِّي» ابْتِدَائِيَّةً كَسْرَةً، كَوْلَهُمْ: مَرِضَ حَتِّي إِنَّهُ لَا يُرْجَى، بِالْكَسْرِ»<sup>(١٧)</sup>.

وَفِي هَذَا كَمَا لَا يَخْفَى فَصْلُ بَائِنَ بَيْنَ قَسْمَيْنِ مَتَعَاطِفِينِ مَتَنَاظِرِيْنِ، وَحَقُّ الْقَسْمِ الثَّانِي أَنْ يَلْحِقَ بِالْأَوَّلِ، وَأَنْ يُفْصَلْ بَيْنَهُمَا بِفَاصِلَةٍ، وَأَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ عَلَى وَجْهِهِ هَذَا:

«الْسَّادِسُ: بَعْدَ (حَتِّي)، نَحْوُ: عَرَفْتُ أَمْوَرَكَ حَتِّي أَنْكَ فَاضِلٌ. إِنْ جَعَلْتَ «حَتِّي» جَارِّاً أَوْ عَاطِفَةً فَتَحَتَ «أَنَّ»، وَإِنْ جَعَلْتَ «حَتِّي» ابْتِدَائِيَّةً كَسْرَةً، كَوْلَهُمْ: مَرِضَ حَتِّي إِنَّهُ لَا يُرْجَى، بِالْكَسْرِ».

١٥ - وَلَكَ أَنْ تَرَى مِنْ هَذِهِ الْقَبِيلَ مَا كَانَ فِي هَذِينِ الْمَوَاضِعِينِ: الْمَصْدِرُ نَفْسُهُ، ١ / ١٥٢، ١٥٣ وَ ٢ / ١٥٢.

— حيناً<sup>(٢٣)</sup>; ووضع علامتي الاعتراض حيناً في غير موضعهما دونما داع<sup>(٢٤)</sup>.

ومن وجوه الخل التي تراها ظاهرة في ذلك إدخال الواو العاطفة في العلامات الحاسرة للأمثلة، في قول المرادي [١ / ١٣٤]: «وتقع همزة التسوية بعد «سواء»، «وليت شعري»، «وما أبالي»، «وما أدرى»». ولـي أن أتبين هنا أيضاً على أن استعمال القوسين المزهرين ﴿﴾ لحصر النص القرآني وقراءاته في النص الحق قد يفضي إلى التداخل والالتباس. وبيان ذلك أنـ الحق نص على أنه وضع الآيات القرآنية بين قوسين مزهرين ﴿﴾، وهذا يؤذن بأنـ كلـ ما كان بين هذين القوسين في النص آية قرآنية بلا خلاف. بيد أنـ النظر في النصـ الحق يدلـنا على أنـ ثمة قراءات قرآنية مخالفة للنصـ القرآني بوجه من الوجه وُضـعت بين هذين القوسين<sup>(٢٥)</sup>، ومن ذلك [١ / ١٤٧] قراءة اليماني ﴿أذهب الله نورهم﴾ [البقرة: ١٧]، و[٢ / ٢٢٧] قراءة من قرأ ﴿ وإنـا أوـ إـيـاكم لـإـمـاـ علىـ هـدـىـ أوـ فيـ ضـلـالـ مـبـيـنـ﴾ [سبأ: ٢٤]، ومثلـه يوهم بعض القراء من الناشئة وسواهم بأنـ كلـ ما فيه من القرآن بلاشكـ. وما من شكـ أنـ في ذلك من التغيير أوـ الزيادة ما ليس من نصـ القرآن، أوـ من القراءات المتواترة. ولـذلك أرى أنـ تـحصر القراءات القرآنية التي فيها زيادة أوـ نقصـ أوـ تـغيير مـخالفـ للـنصـ القرآـني بـقراءـاته السـبعـ المتـواتـرةـ بـقوـسـينـ آخـرـينـ مـخـتـلـفـينـ عـمـاـ يـحـصـرـ بهـ النـصـ القرـآنـ وـقـراءـاتهـ السـبـعـ المتـواتـرةـ؛ لـدفعـ ذـلـكـ الـظـنـ، وـحـفـظـ النـصـ منـ الشـبـهـ وـالتـخلـيطـ.

٢٣ـ انظر: المصدر نفسه: ٢ / ١٥١، السطر ١١.

٢٤ـ انظر: المصدر نفسه: ٢ / ١٢١، السطر ١، ٢٨٧ / ٢، السطر ٣.

٢٥ـ وقد تراه يحصر القراءة بين قوسين ( )، أوـ بين علامتي تصيصـ. انـظر مـثـلاـ: المصدر نفسه: ١ / ٢٢١، ٣٦٠ / ١.

فقد وضـعتـ بعضـهاـ أحيـاناـ مكانـ بعضـ، فـكانـ فيـ ذلكـ منـ الإـخلـالـ ماـ هوـ واـضـحـ؛ وـتـركـ بعضـهاـ حيثـ يـجـبـ أنـ يكونـ.

وـإـذاـ قـدـرـ لكـ أـنـ تـقرأـ فيـ النـصـ المـحقـقـ رـأـيـتـ فـيهـ منـ القـبـيلـ الأولـ: وـضعـ بعضـ عـلامـاتـ التـرقـيمـ مـوضـعـ عـلامـاتـ أـخـرـىـ، أـنـ المـحقـقـ وـضعـ النـقطـةـ مـرارـاـ مـوضـعـ الفـاـصـلـةـ، أـوـ الفـاـصـلـةـ المـنـقـوـطـةـ بـيـنـ الـكـلـمـةـ الـتـيـ يـصـدـرـ بـهـ الشـاهـدـ أـوـ المـثالـ: «ـنـحـوـ» وـ«ـكـوـلـهـ» وـ«ـكـوـلـ الشـاعـرـ»، وـبـيـنـ مـاـ مـثـلـ أـوـ اـسـتـشـهـدـ لـهـ بـذـلـكـ<sup>(١٧)</sup>، وـحـصـرـ النـصـ المـنـقـوـطـةـ مـنـ كـلـامـ الـعـلـمـاءـ فيـ بـعـضـ الـمـوـاضـعـ وـتـعـيـنـ حدـودـ تـكـ النـصـوصـ مـمـاـ لـيـلـتـزـمـهـ المـحقـقـ بـقـوـسـينـ (...ـ)، لـأـ بـعـلامـتـيـ تـنـصـيـصـ «ـ...ـ»<sup>(١٨)</sup>، وـوضـعـ آـيـةـ قـرـآنـيـ بـيـنـ عـلامـتـيـ التـنـصـيـصـ حـيـناـ<sup>(١٩)</sup>، وـوضـعـ حـيـناـ النـقطـةـ قـبـلـ (ـأـيـ)ـ التـفـسـيرـيـةـ مـوضـعـ الفـاـصـلـةـ أـوـ الفـاـصـلـةـ المـنـقـوـطـةـ<sup>(٢٠)</sup>، وـوضـعـ النـقطـةـ مـرارـاـ مـوضـعـ النـقطـتـيـنـ، أـوـ الفـاـصـلـةـ، أـوـ الفـاـصـلـةـ المـنـقـوـطـةـ<sup>(٢١)</sup>، وـوضـعـ أـحـيـاناـ الفـاـصـلـةـ مـوضـعـ النـقطـةـ<sup>(٢٢)</sup>، وـوضـعـ النـقطـةـ مـوضـعـ عـلامـتـيـ الـاعـتـرـاضـ

١٧ـ منـ أمـثلـةـ ذـلـكـ ماـ تـرـاهـ فيـ: المصـدرـ نـفـسـهـ، ١ / ١٥٠، السـطـرـ ٤ـ، ١، ١٨٣ / ١، ١٨٥ / ٢، السـطـرـ ٦ـ، ١٨٩ / ١، الأـسـطـرـ ٥ـ وـ٦ـ وـ٩ـ، ٩١ / ٢ـ، الأـسـطـرـ ٤ـ وـ٩ـ وـ١٢ـ، ١١٣ / ٢ـ، السـطـرـ ٣ـ، ١٦٦ / ٢ـ، السـطـرـ ٣ـ، ٢٢٠ / ٢ـ، السـطـرـ ٦ـ.

١٨ـ انـظرـ مـثـلاـ فيـ المصـدرـ السـابـقـ: ١ / ٣٩١ـ، السـطـرـ ٦ـ وـ٨ـ، ٢ـ / ٧ـ وـ٦ـ، الأـسـطـرـ ٥ـ وـ٩ـ وـ٨ـ ...ـ.

١٩ـ انـظرـ المصـدرـ نـفـسـهـ: ٢ / ٢٨١ـ، السـطـرـ ٦ـ.

٢٠ـ انـظرـ مـثـلاـ فيـ المصـدرـ السـابـقـ: ٢ / ١٨ـ، السـطـرـ ٦ـ، ٢٢٠ / ٢ـ، السـطـرـ ٤ـ، السـطـرـ ٤ـ.

٢١ـ انـظرـ أمـثلـةـ عـلـىـ ذـلـكـ فيـ المصـدرـ نـفـسـهـ: ١ / ١١٨ـ، السـطـرـ ١ـ، ١٢٤ـ / ٥ـ، السـطـرـ ٢ـ، ١٤٥ـ / ١ـ، السـطـرـ ٨ـ، ١٥٩ـ / ١ـ، السـطـرـ ٦ـ، ١٦٠ـ / ٩ـ، السـطـرـ ٢ـ، ١١٣ـ / ٢ـ، السـطـرـ ١١ـ، ١٥٩ـ / ٢ـ، السـطـرـ ٩ـ، ١٦٠ـ / ٩ـ، السـطـرـ ٢ـ، ١٦٣ـ / ٣ـ، السـطـرـ ٢ـ، ٢٢٦ـ / ٢ـ، السـطـرـ ٩ـ.

٢٢ـ انـظرـ فيـ المصـدرـ نـفـسـهـ: ١ / ١٣٥ـ، السـطـرـ ٤ـ، ٤٠ـ / ٢ـ، السـطـرـ ٧ـ، ٢ / ١٦٥ـ، السـطـرـ ٢ـ وـ١٠ـ .

(؟) آخر الجملة الخبرية، أو أن يضع النص المنقول أو المثال المصنوع بين قوسين مزهرين ﴿﴾، أو أن يُحلَّ علامة التعجب (!) محلَّ الفاصلة (،)، وهكذا، ولا سيما مع ما تراه يتذبذب من الشابكة وموقع التواصل الاجتماعي ووسائله من عبث وتفنٍ في ذلك لا تحدُّ حدود.

#### \* تخرير الشواهد:

نصُّ المحقق [١٠ / ١٠] على حرصه على تخرير كلٌّ ما في النصِّ من الشواهد، وبينَ في كلامه على عمله في التحقيق [١ / ٩٣-٩٤] أنه خرج الآيات القرآنية، ووضعها بين قوسين مزهرين ﴿﴾، وجعل تخريجها في المتن بين حاضرتين [...]؛ وخرج القراءات القرآنية من مظانها من كتب القراءات، وعاد بها إلى كتب التفسير وأعaries القرآن والمصنفات النحوية، ما أمكنه ذلك، إتماماً للفائدة؛ وخرج الأحاديث الشريفة وأثار الصحابة الكرام من كتب الحديث والصحاح والمسانيد؛ وخرج الشواهد الشعرية، وعزماً ما لم يُنسَب منها إلى أصحابها، وأحال على ديوان الشاعر إن كان له ديوان مطبوع، وإنْ كان ذلك من المجموعات الشعرية وأمّات كتب النحو واللغة والأدب؛ وخرج أمثال العرب وأقوالهم من كتب الأمثال واللغة والأدب. وقد بذل المحقق في تحقيق ذلك جهداً طيباً، لكنه لم يُوفِ في ذلك على الغاية، ولم يبلغ حدّ الاطراد، وثمة مواضع لم يرقَ فيها صنيعُ المحقق إلى الإحكام؛ فكان في هذا وذاك مجال للنقد والتنبية والتعليق. وهذه أمثلة دالة على ذلك:

#### • تخرير الآيات القرآنية:

ثُمَّة شواهد قرآنية لا يتبيَّن الوجه المراد منها جلياً إلا بما قبلها أو بما بعدها؛ ولذلك كان من المناسب، وقد يكون ذلك واجباً، أن تذَكر تلك التتممة الدالة في

ومن الخلل في استعمال علامة الترقيم ما تراه في وضع النقطتين (:) في غير موضعهما في الكلام على إضافة «بينا إلى المفرد [١ / ٣١٩]: «وقد أضيفت إلى المفرد، في قول الشاعر: [من الكامل]

بيَّنا تعانقَه الكماَة وروغَه  
يُوماً أتَيَّحَ لَه جريءُ سلفُ  
في [رواية مَنْ جَرَّ وَقِيلَ: في [بيَّنا] أصلُها  
(بيَّنا)، فُحِذِفتِ الميمُ....».

ووضع النقطتين بعد «قيل» هنا غير صحيح، ووضعها المناسب أن تكون بعد كلمة «بيَّنا». وإلى ذلك، ينبغي أن تلحظ أنَّ المحقق لم يقسم الكلام هنا على وجهه، ولو لحظه وبدأ له فيه التقدير الصحيح لجعل «وقيل في [بيَّنا]: أصلُها...» في صدر فقرة جديدة مستقلة عمّا قبلها.

وترى من القبيل الآخر إهمالَ المحقق للنقطتين بعد لفظ القول، أو بعد (أي) التفسيرية في بعض المواقع<sup>(٢٦)</sup>، وإهمال علامة الاستفهام (?) في مواضع<sup>(٢٧)</sup>، وإشارة التعجب (!) في مواضع أخرى<sup>(٢٨)</sup>.

وإذا كان لك أن تقول: أما من مجال للترخيص والمسامحة في استعمال علامات الترقيم؟ قلتُ: إنَّ ذلك قد يقود بعض الناس إلى التلعُّب بعلامات الترقيم تلعباً يخرج بها إلى الفوضى، لأنَّه يضع علامة الاستفهام

٢٦- انظر مثلاً: المصدر نفسه: ١ / ١٧٨، السطر ١، السطر ٥، ٢٤٥ / ١، السطر ١٠، السطر ١١٤ / ٢، السطر ٧، السطر ٢٧٩ / ٢، ٥، السطر ٩، وفي النوع الثاني: ١ / ١١٨، السطر ١٠، ٢٢٠ / ٢، السطر ٤.

٢٧- انظر مثلاً: المصدر نفسه: ١ / ١٧٠، السطر ٤، السطر ٢، ٢٨٩ / ٢، السطر ٤.

٢٨- انظر مثلاً: المصدر نفسه: ١ / ١٥٩، السطر ٢، السطر ٢٢٥ / ٢، السطر ٢، السطر ٧.

وتصحّيحة، لكنَّ المحقّق غفل عنّه هنا كما غفل عنّه محقّقاً (الجن الداني) الأوّلان.

وإلى هذا وذاك يبدو أنَّ المناسب أن تكون علامَة الترقيم بعد الآية الأولى هي النقطة (.)، لا الفاصلة كما ورد، وأنبهت عليه بخطٍ دونها.

ولي أن أسوق مثلاً آخر ورد في الكلام على واو الجمع في لغة «أكلوني البراغيث»؛ إذ قال المرادي [١ / ٣١٣]: «وحمل بعضُهم على هذه اللغة قوله تعالى: ﴿ثُمَّ عُمُوا وصَمُوا كثِيرٌ مِّنْهُم﴾ [المائدة: ٧١]، ﴿وَأَسْرُوا النَّجُوى﴾ [الأنبياء: ٣]....».

ولا شكٌّ في أنَّ المقصود من الآية الثانية هنا لا يتضَّح إلَّا بتمام الآية، وهو: ﴿الذين ظلموا هُلْ هُدَىٰ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْكُم﴾. ولذلك كان من الواجب أن يسوق الحقُّ الشاهد بتمامه في الحاشية، أو أن يزيد ذلك بين [...]، وينبئ عليه.

#### • تحرير القراءات القرآنية:

لم يبلغ المحقّق درجة الإحكام في صنيعه في تحقيق القراءات القرآنية وتحريرها، في كلّ موضع وردت فيه. ومن الأمثلة الدالة على ذلك:

- أنَّه لم يكن يذكر أحياناً في المتن أو في الحاشية القراءة المقصودة التي يدلُّ عليها السياق على وجهها، أو يميّزها من سواها من القراءات؛ وكان يخالف ما ينبغي من كتابة الشاهد القرآني المبني على قراءة سبعية متواترة على الوجه الذي يوافق تلك القراءة رسمًا وضبطًا. فمن ذلك أنَّ قراءة حمزة ﴿وَلَا تَحْسِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُم﴾ [آل عمران: ١٧٨] - وهي بالخطاب - كتبها [٢٢١ / ٢٢١] بصيغة الغائب «يحسِّن».

وفي الكلام على «أن» المخفة من الثقلة وخبرها حين ورد قولُ المرادي [١ / ٣٧٠]: «ما لم يكن الفعلُ غير

الحاشية، والتبيّه على ما فيها، وربط ذلك بما في المتن والشاهد. وهذا شيء كان المحقّق في غفلة عنه.

ذكر المرادي فيما ذكرَ من أقسام الفاء الراجعة عند التحقيق إلى الأقسام الثلاثة المعروفة: العاطفة والجوابية الرابطة والزائدة = أن تكون للاستئناف، وذكر كلام بعضهم - وهو المالقي صاحب الرصف - في ذلك، ثم قال [١ / ٢٠١]: «وَجَعَلَ مِنْ ذَلِكَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاء﴾ [الرّوم: ٢٨]، وهذه إنما ترجع عند التحقيق للفاء العاطفة للجمل، لقصد الربط بينها...».

ثم قال: «ورابعُها أن تكون بمعنى (حتى)، ذكره بعضُهم، قال: كقوله تعالى: ﴿فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاء﴾ [الأنعام: ١٣٩]. وليس كما ذكرَ قبل هذه الفاءُ فاءُ العطف...».

وبَيْنَ المقصود من الفاء في هاتين الآيتين، وهو موضع الاستشهاد، على وجهه يتطلّب معرفةً ما قبله. ولذلك كان من الواجب أن يذكر المحقّق سباق ذلك في هاتين الآيتين في الحاشية؛ ليبدو للقارئ الأمر، ويظهر له التقدير المناسب، والحكم الصحيح. وهو ما غفل عنه المحقّق.

والشاهد الأوّل بما قبله هو: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكْتُ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءِ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاء﴾ [الروم: ٢٨]. ويَتَضَّحُ من السباق أنَّ الفاء المقصودة في هذه الآية الكريمة لعطف الجمل كما قال المرادي معقباً.

والشاهد الثاني بما قبله هو: ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةٌ فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاء﴾ [الأنعام: ١٣٩]. والظاهر من السباق أنَّ الفاء هنا ليست العاطفة كما ورد في تعقيب المرادي، بل هي الجوابية الرابطة. وهو ما كان ينبغي التعليق عليه

**أسباب السموات فأطّلِعَ** [غافر: ٣٦-٣٧] بلفظ الماضي «فاطّلَ».

وهذا عندي دون شك من قبيل السهو والغفلة في الطبعة الأولى من هذا التحقيق، لكنه في الطبعة الثانية منه ينبغي أن يكون له وصف آخر.

- أن يغفل المحقق عن عزو قراءة هنا، ويُخطئ في عزو قراءة أخرى هناك؛ فحيث وردت قراءة من قرأ **«كُلُّ وجهٍ هو مولٰيَهَا**» [البقرة: ١٤٨] تراه [٢٣٧ / ١] يُحيل على بعض مظان هذه القراءة في الحاشية الخامسة، دون أن يعزوها إلى من نسبت إليه. وهذه القراءة كما ذكر ابن عطية<sup>(٢٩)</sup> نكرها أبو عمرو الداني عن ابن عباس.

وحيث نص المرادي [٢ / ١٦٨] أن أبياً قرأ قوله تعالى: **«حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ**» [الأعراف: ١٠٥] بلفظ «بأن» محل «على أن» علق المحقق على قراءة أبي في الحاشية السادسة ثمة بقوله: «هذه قراءة السبعة إلا نافعاً كما في السبعة في القراءات...».

وهذا غريب! والظاهر أن هذه الحاشية حلّت في غير محلها، وتأخرت عن موضعها الصحيح؛ وهي لا تصح إلا إذا أريداً أن **«حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ**» قراءة السبعة إلا نافعاً الذي قرأ بالياء المشددة **«حَقِيقٌ عَلَيْ أَنْ لَا أَقُولَ**.

#### • تحرير الشواهد الشعرية والنشرية:

- يبدو تحرير بعض الشواهد بعيداً عن الإحكام والاستيعاب. فمن ذلك مثلاً ما كان في تحرير قول الشاعر: [من الكامل]

فكفى بنا فضلاً على منْ غيرُنا

**حُبُّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٌ إِيَّاَنَا**

<sup>(٢٩)</sup> المحرج الوجيز، ابن عطية، ٢ / ١٦، وانظر: مختصر شواهد ابن خالويه، ١٠.

متصرفاً أو دعاء، فلا يحتاج إلى فاصل، نحو: **«وَأَنْ لِيَسَ لِلنَّاسِ إِلَّا مَا سَعَى»** [النجم: ٣٩]، ونحو: **«وَالخَامِسَةُ أَنْ غَضَبَ اللَّهُ عَلَيْهَا**» [النور: ٩]. = ضبط الشاهد الثاني بهذه الصورة **«وَالخَامِسَةُ أَنْ غَضَبَ اللَّهُ عَلَيْهَا**»؛ وعلق في الحاشية الرابعة ثمة بقوله: «بتخفيف (أن) وبعدها فعل ماض، وهي قراءة نافع...»؛ ثم ساق بعض المصادر التي وردت فيها هذه القراءة من كتب القراءات.

وما من شك في أن نسبة هذه القراءة إلى نافع صحيحة، بيد أنها ليست وافية؛ لأن نافعاً قرأ كلمة «الخامسة» بالرفع لا بالنصب كما ورد في ضبط المحقق. ثم إن هذا الضبط الذي بينه المحقق في الحاشية، والذي نسيه منه كان ينبغي أن يكون في الشاهد في المتن؛ لأن المقصود والمراد في المتن، فلا يُعد عنه إلا بدليل.

وفي الكلام على مجيء (إن) حرف جواب بمعنى (نعم) قال المرادي [٢ / ٨٩]: «ذكر ذلك سبيوبيه والأخفش. وحمل المبرد على ذلك قراءة مَنْ قرأ **«إِنْ هَذِنِ لِسَاحِرَانِ**» [طه: ٦٣].».

وقد ضبط المحقق القراءة بتخفيف نون (إن) ورفع (هذان)، وهو ما جرت عليه قراءة حفص؛ وذكر ثمة في الحاشية الخامسة القراءات السبع التي وردت في «إن» و«هذان» من هذا الشاهد، وهي خمس قراءات، دون أن يبين القراءة المقصودة في المتن، وكل ذلك لا يفي بالغرض، وكان من الواجب أن يضبط نص القراءة المقصودة في المتن بتشدید نون (إن) ورفع (هذان)؛ ثم ينبع على القراءات التي وافقت ذلك أو خالفته في الحاشية.

ومن ذلك أن يكتب المحقق [٢ / ٢٧٦-٢٧٧] **الجواب في قراءة حفص: **«أَعْلَى أَبْلَغُ الأَسْبَابِ****

ثمانية عشر مصدراً ورد فيها هذا البيت، دون أن يلتفت إلى ما ورد في كلام المصنف من نسبة إلى العجاج، وهي نسبة تحتاج من المحقق إلى شيء من البحث والتحقيق للحكم على هذه النسبة إثباتاً أو دفعاً، وبيان ما وراء ذلك.

ومنه ما كان في تخریج قول الحسن البصري: «كأنك بالدنيا لم تكن، وكأنك بالأخرة لم تزل» الذي سبق [٢] في الكلام على مجيء «كأن» بمعنى التقریب على مذهب الكوفيين، والمعنى على تقریب زوال الدنيا، ووجود الآخرة؛ فقد اقتصر المحقق في ذلك على الإحالة على ثلاثة من كتب العربية التي ذكرت هذا الشاهد.

هذا مكان، وفيه تقصير. ولو بحث وزاد في البحث،  
لعرف أنّ في هذا الأثر اختلافاً في النسبة والرواية.  
قال السيوطي<sup>(٢٢)</sup>: «وقد أله الإمام جمال الدين  
بن هشام في إعراب هذا الحديث رسالة»، ثم ساقها،  
وفيها: «فأمّا قائله فاختَّ فيه على قولين: أحدهما:  
أنه صلى الله عليه وسلم، والثاني: أنه الحسن  
البصري، وقد خبر بهذا جماعة منهم الشيخ أبو عبد  
الله محمد بن عمرون الحلس في (شرح المفصل)، وأبو  
حيان في (شرح التسهيل) . . .».

وقال في كتابه (الدرر المنتشرة) <sup>(٢٣)</sup>: «Hadîth (أَكَانَ  
بِالدُّنْيَا وَلَمْ تَكُنْ، وَبِالآخِرَةِ وَلَمْ تَزُلْ) لم أقف عليه  
مرفوعاً، وأخرجه أبو نعيم عن عمر بن عبد العزيز».   
قلت: قال أبو نعيم <sup>(٢٤)</sup>: «حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدَ بْنَ حَيَّانَ،

٤٧٦ - عقود الزبجد على مُسند الإمام أحمد، السيوطي، ١ /

<sup>٣٣</sup> الدرر المنتشرة في الأحاديث المشتهرة، السيوطي، ص ١٦٤.

٣- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصفهاني،

.۲۷۳ / V

فقد ذكر في الحاشية الرابعة [١٦٨] أنّ هذا البيت نُسِبَ إلى حسّان بن ثابت، وإلى كعب بن مالك، وإلى عبد الله بن رواحة، وإلى غيرهم؛ ثمّ أحال إلى بعض المظاآن التي ورد فيها من كتب العربية، ولم يذكر ديوان أيٌّ من الشعراء الذين ذكرهم. وفي هذا إخلالٌ بما نصَّ عليه من الإحالة في توثيق الشواهد الشعرية على الديوان، إن كان للشاعر ديوان مطبوع. وقد كان من المناسب أن يبيّن المحقق للقارئ: هل خلت هذه الدواوين من هذا البيت؟.

وهذا دال على أن المحقق لم يبلغ الغاية في ذلك.  
وكان من الممكن أن يتبعه على ما قاله البغدادي في  
(خزانة الأدب)، وهو من المظان التي أحال عليها،  
قال (٣٠): وهذا البيت لكعب بن مالك شاعر رسول الله  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... وَنُسِّبَ إِلَى حَسَانَ بْنَ ثَابِتَ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَيْضًاً وَلَمْ يُوجَدْ فِي شِعْرِهِ. قَالَ ابْنُ هَشَامَ  
اللَّخْمِيُّ فِي شِرْحِ شَوَاهِدِ الْجَمْلِ: وَقَيْلٌ: هُوَ لَعِبْدُ اللَّهِ بْنِ  
رَوَاحَةَ الْأَنْصَارِيِّ، وَقَيْلٌ: لَبْشِيرُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ  
كَعْبٍ بْنِ مَالِكٍ. وَهُوَ مَعَ كُثْرَةٍ وَجُودَهُ فِي كُتُبِ النَّحْوِ لَمْ  
يُذَكَّرْ أَحَدٌ مَا قَبْلَهُ إِلَّا السُّبُوطِيُّ فِي شِرْحِ شَوَاهِدِ الْمَغْنِيِّ  
وَهُوَ:

نصروا نَبِيِّهِمْ بِنَصْرٍ وَلِيهِ

فَاللَّهُ عَزِيزٌ بِنَصْرِهِ سَمَانًا».

وقد ساقه بعض المحدثين مفرداً في (ديوان كعب بن

وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ الْجُنُونَ قَدْ فَرَأَاهُ شَهِيدٌ

نسمة المرادي [٢٨٣] إلى العجاج:

وقاتم الأعماق خاوي المخترقون

:«البيت لرؤبة في ديوانه ١٠،...»، ثم ساق

<sup>٣٠</sup> - خزانة الأدب، عبد القادر البغدادي، ٦ / ١٢٢.

<sup>٣١</sup> - ديوان كعب بن مالك الانصاري، ص ١٠٠.

بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، وكانت قريش والعرب تؤرخ بموته. قال المبرد<sup>(٣٦)</sup>: «وكان هشام بن المغيرة أَجَلَ قرشِي حَلْمًا وَجُودًا، وكانت قريش تؤرخ بموته، كما كانت تؤرخ بعام الفيل، وبملك فلان..».

وقد أفضى إهمال المحقق للتعریف بـ«هشام» هنا، وقد ورد في البيت وبيان معناه والتعليق عليه خمس مرات، إلى أن يزج بهشام الوارد هنا في فهرس الأعلام [٢ / ٣٧٧] في المكان الذي صنف فيه النحو الكوفي هشام بن معاوية الضرير، كأنه هو!.

وعزف المحقق [٢ / ٢٥٧] عن التعریف بـ«أبى الأصبع»، أو «ابن الإصبع» الذي ورد في قول بعض العرب: (اللهم اغفر لي، ولمن سمع، حاشى الشيطان وأبا الإصبع) بالنصب. ويروى: (وابن الأصبع)، وهو بالصاد المهملة والغين المعجمة.

على أن التعریف ينبغي أن يكون مفيداً وكافياً. ولذلك يبدو تعريف المحقق لـ«ابن ورقاء» في قول زهير:

إن ابنَ ورقاءَ لا تُخْشِي بُوادرُهُ لَكْنْ وقائِهِ في  
الْحَرْبِ تُنْتَظِرُ

إذ قال في الحاشية الخامسة: «ورقاء: اسْمُ رَجُلٍ». دون المأمول، والمقصود هو «ابن ورقاء» لا «ورقاء». وابن ورقاء هو ممدوح زهير في القصيدة التي منها هذا البيت: الحارث بن ورقاء الصيداوي.

#### \* ضبط الأعلام وترجمتها:

كان مما نصّ عليه المحقق في كلامه على عمله في تحقيق (الجني الداني) من قواعد التحقيق المتعارفة التي أخذ بها = ضبط الأعلام الواردة في الكتاب وترجمتها. وضبط الأعلام على وجهها حسن، وهو

٣٦ - الكامل في اللغة والأدب، المبرد، ٦٧٠.

ثنا إِسْحَاقُ بْنُ أَحْمَدَ، ثنا أَبُو زُرْعَةَ، ثنا حَامِدُ بْنُ يَحْيَى الْبَلْخِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ سُفيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ، يَقُولُ: «كَانَكَ بِالدُّنْيَا وَلَمْ تَكُنْ، وَكَانَكَ بِالآخِرَةِ وَلَمْ تَزُلْ، وَكَانَكَ بِآخِرِ مَنْ يَمُوتُ وَقَدْ مَاتَ».

- من متعلقات تحرير الشواهد الشعرية والنشرية وخدمتها بيان ما يحتاج فيها إلى شرح وتوضيح، والتتبّيء على اختلاف الروايات، وبيان موضع ذلك الاختلاف من المصادر. وهذا مالم يعلنه المحقق حين نصّ على عمله في التحقيق، لكنه أخذ ببعضه حين خرج كثيراً من الشواهد الشعرية، ولم يلتزم في كلّ موضع؛ إذ أهمله في مواضع، فغاب عن كلامه في تحرير بعض الشواهد الشعرية والنشرية، وربما كان ذلك في بعضها واجباً.

#### ومن الأمثلة الدالة على ذلك:

\* أن ترك المحقق شرح بعض ما يحتاج إلى شرح من الألفاظ والتركيب في بعض الشواهد<sup>(٣٥)</sup>. ومن ذلك قول حاتم الذي ذهب مذهب الأمثال [١ / ٤١]: «لو ذات سوار لطمني». الذي ساقه دون أن يبين المقصود بالتركيب الإضافي «ذات سوار». وهذا التركيب كناية عن الحرّة، أي: لو لطمني امرأة حرّة ذات حلبي.

ثمّ كان من المناسب أن يتبّه المحقق حيث خرج هذا المثل أن يتبّه على أن ثمة رواية أخرى فيه، وهي: «لو غير ذات سوار لطمني».

\* أنه لم يعرف بما ورد في بعض الشواهد من

أعلام، كـ«هشام» في قول الشاعر:  
**فَأَصْبَحَ بَطْنُ مَكَّةَ مُقْشَرًا**  
**كَانَ الْأَرْضَ لِيْسَ بِهَا هَشَامُ**  
مرّ به المحقق [٢ / ٢٦٥]، ولم يعبأ به. وهو هشام

٣٥ - انظر مثلاً: الجنى الداني، المرادي، ترجمة: أحمد الأعرج،

١ / ٢٠٠، السطر ٧، ٢٤٦ / ٢، السطر ١٠، ٢١٢ / ١، ١٠، السطر ١٥٣ |

بن ثور [٢/١٦٩]، وزياد الأعجم [٢/١٧١]، والجميـع الأـسدي [٢/٢٥٧]، وحاتـم الطـائـي [٢/٣٠٣].

• ثـمة أـعـلامـ من غـير أولـئـكـ الشـعـراءـ كـالـصـاحـابةـ وـالـعـلـمـاءـ وـالـقـرـاءـ وـسـوـاهـمـ لمـ يـلـفـتـ المـحـقـقـ إـلـىـ تـرـجـمـتـهـمـ، مـنـهـمـ: زـيدـ بـنـ ثـابـتـ [١/٤٨٣]ـ، وـطـلـحةـ [١/٣٥٧]ـ، وـأـبـوـ جـعـفرـ [١/٤٨٣]ـ، وـابـنـ أـصـبـغـ [٢/١٢]ـ، وـالـرـياـشـيـ [٢/٦٣]ـ، وـأـبـوـ أـمـيـةـ الـطـرسـوـسـيـ [٢/٢٥٩]ـ، وـعـبـدـ اللهـ بـنـ مـحـمـدـ الـبـاهـلـيـ [٢/٢٧١]ـ، وـالـطـوـالـ [٢/٢٧٦]ـ.

وـمـنـ الـمـنـاسـبـ هـنـاـ أـنـ أـبـبـهـ عـلـىـ أـنـ قـولـ المـحـقـقـ فـيـ الـحـاشـيـةـ حـينـ عـرـضـ لـهـ (أـبـوـ مـحـمـدـ الـقـاسـمـ بـنـ الـقـاسـمـ)ـ فـيـ سـيـاقـ الـكـلـامـ عـلـىـ «عـلـىـ» الـاـسـمـيـةـ [٢/١٦٦]ـ: «لـمـ أـقـفـ عـلـىـ تـرـجـمـتـهـ، وـيـبـدـوـ أـنـ أـنـدـلـسـيـ». وـقـدـ نـقـلـ أـبـوـ حـيـانـ فـيـ التـذـيـلـ [١/٢٢٩]ـ: عـنـ صـاحـبـ الـإـفـصـاحـ «وـقـدـ اـخـتـلـفـ أـشـيـاخـنـاـ إـذـاـ كـانـتـ اـسـمـاـ: أـمـعـرـبـةـ هـيـ أـمـ مـبـنـيـةـ؟ـ فـقـالـ أـبـوـ الـقـاسـمـ بـنـ الـقـاسـمـ: هـيـ مـبـنـيـةـ، وـالـأـلـفـ فـيـهـاـ كـالـأـلـفـ فـيـ «هـذـاـ»ـ وـ«مـاـ»ـ؛ـ بـدـلـيلـ «عـنـ»ـ إـذـاـ كـانـتـ اـسـمـاـ وـكـافـ التـشـبـيـهـ وـ«مـنـذـ»ـ وـ«مـذـ»ـ،ـ يـبـنـيـ كـلـ وـاحـدـ مـنـهـاـ لـتـضـمـنـهـ مـعـنـىـ الـحـرـفـ الـذـيـ يـكـونـهـ؛ـ لـأـنـهـمـ بـمـعـنـىـ وـاحـدـ».ـ وـانـظـرـ الـارـتـشـافـ [٤/١٧٣٤]ـ.ـ دـالـ علىـ أـنـ الـمـحـقـقـ بـحـثـ عـنـ تـرـجـمـةـ هـذـاـ الـعـلـمـ، وـبـذـلـ جـهـداـ فيـ ذـلـكـ،ـ بـيـدـ أـنـهـ لـمـ يـوـفـقـ إـلـىـ تـرـجـمـتـهـ.ـ وـلـوـ اـسـتـغـرـقـ فـيـ الـبـحـثـ وـالـمـرـاجـعـةـ لـعـرـفـ أـنـ هـذـاـ الـعـلـمـ هـوـ الـقـاسـمـ بـنـ الـقـاسـمـ بـنـ عـمـرـ بـنـ مـنـصـورـ الـوـاسـطـيـ الـنـحـوـيـ الـلـغـوـيـ،ـ أـبـوـ مـحـمـدـ [٥٥٠ـ ٦٢٦ـ هـ].ـ

قال السيوطي في ترجمته<sup>(٣٧)</sup>: «ولد سنة خمسين وخمسة، وكان أديباً فاضلاً، نحوياً لغوياً. قرأ النحو على مُصدق بن شبيب، واللغة على عميد الرؤساء هبة

<sup>٣٧</sup>- بغية الوعاة في طبقات اللغوين والنحاء، السيوطي، ٢٦٠-٢٦١. وانظر: الأعلام، الزركلي، ٥/١٨٠.

قطـعةـ مـنـ ضـبـطـ النـصـ الـمـحـقـقـ، وـمـثـلـهـ مـاـ يـقـتضـيـهـ الـمـنهـجـ الـعـلـمـيـ؛ـ وـرـبـماـ كـانـ ضـبـطـ بـعـضـ تـلـكـ الـأـعـلامـ وـاجـبـاـ لـمـ يـتـرـددـ فـيـ اـسـتـعـمالـهـاـ مـنـ الـخـطاـ فيـ ضـبـطـهـ وـالـنـطقـ بـهـ.

وـتـرـجـمـةـ الـأـعـلامـ عـلـىـ أـصـولـهـاـ مـفـيـدـةـ.ـ عـلـىـ أـنـ ذـلـكـ مـمـاـ يـخـتـالـ الـمـحـقـقـوـنـ فـيـ حـدـودـهـ وـمـقـدـارـهـ.ـ وـلـعـلـ الـمـنـاسـبـ أـنـ يـتـرـجـمـ الـعـلـمـ الـمـغـمـورـ غـيرـ الـمـشـهـرـ،ـ أـوـ مـنـ فـيـهـ إـشـكـالـ يـدـفـعـ التـعـرـيفـ بـهـ عـنـهـ ذـلـكـ إـشـكـالـ،ـ بـعـيـداـ عـنـ الـتـطـوـيلـ وـالـإـسـهـابـ.ـ وـدـفـعـ طـلـابـ الـمـاجـسـتـيرـ وـالـدـكـتوـرـاهـ فـيـ رـسـائـلـهـمـ إـلـىـ تـرـجـمـةـ الـأـعـلامـ فـيـ الـنـصـوصـ الـتـرـاثـيـةـ الـتـيـ يـحـقـقـوـنـهاـ غالـباـ مـاـ يـكـونـ وـرـاءـهـ ضـرـبـ مـنـ التـطـيـمـ وـالـتـدـريـبـ،ـ وـالـتـوجـيهـ إـلـىـ الـإـفـادـةـ مـنـ مـصـادـرـ الـأـعـلامـ وـالـتـرـجـمـةـ الـتـيـ تـشـتـمـلـ عـلـىـ فـوـائـدـ جـمـةـ.

فـهـلـ كـانـ حـالـ الـأـعـلامـ الـوـارـدـةـ فـيـ نـصـ (الـجـنـيـ الدـانـيـ)ـ الـذـيـ حـقـقـهـ الـأـسـتـاذـ أـحـمـدـ الـأـعـرـجـ كـمـاـ قـالـ ضـبـطـاـ وـتـرـجـمـةـ؟ـ

الـنـظـرـ فـيـ نـصـ الـمـحـقـقـ يـدـلـنـاـ عـلـىـ أـنـ ذـلـكـ لـمـ يـبـلـغـ حـدـ الـالـتـزـامـ الـمـطـرـدـ،ـ وـلـمـ يـصـلـ أـحـيـاناـ إـلـىـ حـدـ الـإـحـكـامـ.

وـهـذـهـ شـواـهـدـ تـدـلـ عـلـىـ ذـلـكـ:

- كـثـيرـ مـنـ الـشـعـراءـ الـذـينـ نـسـبـتـ إـلـيـهـمـ بـعـضـ الـشـوـاهـدـ الـشـعـرـيـةـ الـتـيـ وـرـدـتـ فـيـ نـصـ الـمـحـقـقـ كـانـواـ بـمـنـأـيـ عـنـ التـرـجـمـةـ،ـ وـلـوـ قـلـتـ:ـ إـنـ الـذـينـ حـرـمـواـ مـنـ أـلـئـكـ الـشـعـراءـ التـرـجـمـةـ أـكـثـرـ مـمـنـ تـرـجـمـ لـهـمـ الـمـحـقـقـ لـمـ بـالـغـتـ.ـ وـمـنـ أـلـئـكـ الـشـعـراءـ:ـ عـمـرـ بـنـ أـبـيـ رـبـيـعـةـ [١/٢٧١]ـ،ـ وـالـفـرـزـدقـ [١/٣٣٥]ـ،ـ وـقـتـيـلـةـ بـنـ النـضـرـ [١/٤٥٠]ـ،ـ وـطـرـفـةـ [٢/٣٠]ـ،ـ وـزـهـيرـ بـنـ أـبـيـ سـلـمـيـ [٢/٣٣]ـ،ـ وـبـنـ النـعـمـانـ [٢/٦٥]ـ،ـ وـالـجـحـافـ،ـ بـنـ حـكـيمـ [٢/١١٢]ـ،ـ وـجـحدـرـ بـنـ مـالـكـ [٢/١١٣]ـ،ـ وـالـأـخـطـلـ [٢/١١٣]ـ،ـ وـطـفـيلـ الـغـنـوـيـ [٢/١٢٥]ـ،ـ وـأـبـوـ دـوـادـ الـإـيـادـيـ [٢/١٤٧]ـ،ـ وـالـمـلـمـسـ [٢/١٦٤]ـ،ـ وـحـمـيدـ

المعاصرين في منع كثيرٍ من الأعلام الصرف ضللةً ووهماً.

وربما كان من سهو الحق ضبطُ نسبة النحوى عليّ بن عيسى «الرباعي» في بعض المواقع [١ / ٢٨٠، ٢٩٧ / ٢، ٢٩٧] بسكون الباء «الرباعي»، وقد ضبطه بالفتح في موضعين آخرين [١ / ٢٨٠، ٢٨٧ / ٢]. والصحيح بالفتح؛ نسبة إلى ربعة، والنسبة إليها «رباعي».

• وقع في ترجمة بعض الأعلام خلل؛ منه أنَّ المحقق ذكر في ترجمة الأعلم الشنتمري [١ / ١٩٥]: «ومن كتبه: ... وتحصيل عين الذهب، وفي شرح شواهد سيبويه، ...».

وقوله: «وفي شرح شواهد سيبويه» مصدرًا بالواو، ومبوكأ بالفاصة (،) دال على أنَّ هذا كتاب مستقل. والصحيح أنَّ هذه العبارة شارحة تابعة لما قبلها، تبيَّن موضوع كتاب «تحصيل عين الذهب». والصحيح في سرد ذلك: «وتحصيل عين الذهب: في شرح شواهد سيبويه».

ومنه أنَّ المحقق ذكر في كتب ابن برهان حين ترجمه [١ / ١٩٥] (اللمع). وهذا خطأ؛ لأنَّ كتاب «اللمع» لابن جنى، وقد شرحه ابن برهان في شرح مشهور مطبوع، والصحيح لذلك أن يكون اسم ذلك الكتاب من كتب ابن برهان هو «شرح اللمع».

#### تخرير النصوص والأقوال:

نص المحقق [١ / ٩٣-١٠٩] على حرصه على تخرير كل ما في النص من نصوص منقولة، وإرجاع حروف المعاني في أصلها إلى سيبويه وأصحاب حروف المعاني وجمهور النحويين، ذاكراً أقوالهم في حواشى التحقيق: عبارة سيبويه وعبارة أعلام النها وأصحاب حروف المعاني؛ وعلى اجتهاده في

الله بن أويوب، وسمع على جماعة، ثمَّ انتقل إلى حلب، فأقام بها يُفید النحو واللغة وفنون العلم إلى أن مات ليلاً الخميس ثامن ربيع الأول سنة سنت وعشرين وستمائة. وصنف: شرح اللمع، شرح التصريف الملوكى، شرح المقامات على حروف المعجم؛ شرح على ترتيبها، شرح ثالث، وغير ذلك. انتهى..».

• وقع في ضبط بنية بعض الأعلام أو في إعرابها شيء من خلل؛ فمن ذلك أنَّ «النَّخْر» والد الشاعرة «قتيلة» ضُبِطَت عينه بالفتح «النَّخْر» [١ / ٤٥٠]، والصحيح أنَّه بالسكون.

ومن ذلك أنَّ المحقق ضبط كلمة «مضاء» في اسم «ابن مضاء» [١ / ٢٠٣] بفتح الهمزة «مضاء»، كأنَّى به توهم أنَّه ممنوع من الصرف. وهذا خطأ؛ لأنَّ الكلمة مصروفة. وليس ذلك فيما يبدو من خطأ الطباعة؛ لوروده ثمة أيضًا على هذا الوجه في الحاشية الخامسة في ترجمة ابن مضاء.

ومن ذلك أنَّه منع «قُنْبَلًا» لقب محمد بن عبد الرحمن بن محمد المكي المخزومي بالولاء، الإمام في القراءة [١ / ٣١٤] من الصرف، إذ جرَّه بالفتحة في قول المصنف: «كقراءة قُنْبَلًا»، واقتصر في ضبطه في الحاشية على الضمة دون تنوين «قُنْبَلًا». وذلك منه خطأ في الموضعين، وحقه أن يُصرف فيهما.

ومن ذلك أنَّه جرَّ اسم الشاعر الجاهلي المعروف «طَرَفَةً» في الموضعين اللذين ورد فيهما: [٢ / ٣٠، ١١١] بالكسر؛ مع أنَّه ممنوع من الصرف للعلمية والتائيث، وحقه في ذينك الموضعين أن يُجرَّ بالفتحة.

ومن ذلك أنَّه كان يتنازعه الشك في إعراب «ثَلَب» و«قطَرَب» و«جَعْفَر»، يصرفها أحياناً، وهو الغالب، وهو الصحيح، ويمنعها الصرف تارةً [١ / ٤٧٠، ٤٨٣، ٢١٦، ١١٦، ٢]، وأنَّه يقلد استعمال بعض

وهذه أمثلة دالة على ذلك:

- ذكر المرادي في الكلام على موضع «أن» ومعموليهما بعد «لو» [٢ / ١٠١] أن مذهب سيبويه الرفع على الابتداء، والخبر محنوف. ونقل المحقق في الحاشية الخامسة ثمة قول سيبويه في الكتاب [٣ / ١٥٧]: «وسمعنا فصحاء العرب يقولون: لحقَّ أنه ذاهب، فيُضيغون، كأنه قال: ليقينَ أنه ذاهب، أي ليقينُ ذاك أمرُك. وليس في الكلام كلُّ العرب». ثم عقب عليه بقول ابن مالك في (شرح التسهيل) [٢ / ٤٠]: «ونظير جعلِ (أن) بعد (لو) مبتدأً مستغنِياً عن خبر،

ما حكاه سيبويه من قول بعض العرب:...».

والظاهر أنَّ المحقق لم يوفق فيما نقله؛ لأنَّ كلام سيبويه خالٍ من أي إشارة إلى المسألة المقصودة، وتنتظير ابن مالك لرفع «أن» ومعموليهما بعد «لو» على الابتداء المستغنِي عن الخبر = ليس فيه دلالة على مذهب سيبويه فيما بعد «لو»، ولو إشارة. فكيف يحتفل بذلك النصُّ، وينتصر له بانتظير ابن مالك، والحال ما رأيت؟!

وعلى أنه كان للمحقق أن يوثق مذهب سيبويه من كتابه، ويحيل عليه في مواضع أخرى<sup>(٢٨)</sup> يدلُّ كلامه فيها عليه.

- علق المرادي [١ / ١٧٢] على زيادة الباء في خبر الفعل الناسخ المنفي كقول الشنفرى: وإنْ مُدَّتْ الأيدي إلى الزاد لم أكنْ بأجلهم إذ أجيشعُ القومَ أَعْجَلْ

بقوله: «وظاهرُ كلامِ بعضِهم أنَّ هذا يجوزُ القياسُ عليه..».

وقد علق المحقق في الحاشية الأولى ثمة على لفظة «بعضِهم» بقوله: «قال ابن مالك في شرح التسهيل

. ٢٨- انظر: الكتاب، سيبويه، ١٢١، ١٥٨ / ٣

تخرير الآراء والمسائل النحوية لأعلام النهاة من أصولها، وتسمية من لم يسمَّ المرادي من أصحاب الأقوال التي لم يُسمَّ أصحابها، وتخرير تلك الأقوال من مصادرها، ما أمكنه ذلك؛ وعلى معارضته الكتاب بمصادره التي يعود إليها، والتزام الإحالة إليها، وهي مصنفات ابن مالك، ولا سيما (الكافية) وشرحها، و(التسهيل) وشرحه، ومصنفات أبي حيَان، ولا سيما (التذليل والتكميل)، واختصاره: (الارتشاف)، و(البحر المحيط).

هذا ما قاله، وسعى له سعيه؛ لكنَّ تدبُّرَ ذلك، واختبار بعض إجراءاته التطبيقية، ولا سيما في ضوء الحواشي والتعليقات، يدلُّ على جملة ملاحظات منها:  
 ١. ليس من واجب المحقق أن ينقل نصوص العلماء التي كان لها صلةٌ بما في المتن؛ فإذا ذُكرَ رأيُ أو قول لهذا العالم أو ذاك، وكان موافقاً لما في كتابه، فإنَّ الإحالة على موضع ذلك من كتابه المقصود، أو من كتبه، إن تعدد ذلك فيها، على وجه العزو والتوثيق كاف. أمَّا إذا كان كلامُ العالم المقصود في كتابه، أو الذي نقله عنه آخرون، مخالفًا لما في النصِّ المحقق، أو محتملاً له ولغيره، فحينئذ يمكن نقلُ ذلك الكلام تنبيهاً على ما فيه من احتمال أو مخالفة جزئية أو كليَّة. ولو كان ذلك واجباً أو مندوباً إليه في كلِّ موضع موضع للآنا الحواشي، ولغصت بالنقل من كلامِ العلماء.  
 ٢. حواشي التحقيق تدلُّ على أنَّ ذلك لم يبلغ حدَّ الحرص؛ لكثرَة ترك ذلك، وقلة الالتفات إليه في مواضع غير قليلة.

٣- بعض النصوص التي نقلها المحقق من كلام العلماء في الحواشي تأييداً لما كان في المتن كانت كما يدلُّ النظرُ منبَّهةً غيرَ ذات صلة بما أُريدَ في المتن نصَّاً أو إشارةً.



«ولا ينبغي أن تُعدَّ من حروف الزيادة كما لا تُعدَّ الباء واللام زائدة في قوله: بزيد ولزيد،...». وهذا النصّ كما لا يخفى واضح الدلالة على مراد ابن الحاجب، واضح الصلة بما ورد في المتن.

- ورد في الكلام على «بله» في نحو: «بله زيداً» [١١٦ / ٢]: «وقيل: هي اسم فعل بمعنى: نفي. وأنكر أبو علي الرفع بعدها، وذكر عن قطْرُب أنه رواه..».

وقد قرن المحقق هذا النص بالحاشية الرابعة التي قال فيها: «قال ابن عصفور في شرح الجمل ٢ / ٢٢٦: «وأمّا (بله) فإدخالها في باب الاستثناء فاسد؛ لأنك إذا قلت: قام القوم به زيداً، فإنما معناه عندنا: دع زيداً، ولا يتعرّض للإخبار عنه، وليس المعنى: إلا زيداً...».

وهذا النص الذي ساقه المحقق ليس له صلة البنة بالنص الوارد في المتن الذي ترتبط به الحاشية.

وعلى أن ثمة أشياء أخرى لم يُعنَ بها المحقق في هذا النص:

أ. لم يخرج القطعة المسوقَة فيه بلفظ: «قيل»، ولا سعى إلى معرفة قائله.

بـ. لم يرصد الفروق بين النسخ فيما كان في الكلمة «نفي». ولو رصد ذلك بعناية ودقة لعرف أن هذه الكلمة في المطبوع بلفظ: «بقي»، ولقيـد ذلك.

جـ. لم يسع إلى تحرير إنكار أبي علي الرفع فيما بعد «بله» من كتبه أو كتب من كان قريباً منه.

وإلى هذا تجد أحياناً في بعض الحواشـي نصوصاً منقولـة تخالف الوارد في المتن. وهو ما كان على المحقق أن يلحظه ويقف منه الموقف المناسب تعديلاً أو تبييناً وتتبئها. ومن ذلك:

- ذكر المرادي في ناصب المستثنـي ثمانية أقوال [٢ / ٢١١-٢١٢]، كان رابعها «أن الناصـب (أـستـثنـي) مضمراً بعد (إلا). حـكاـهـ السـيرـاـفـيـ عنـ المـبرـدـ وـالـزـجاجـ».

٣ / ٦٠: «أراد لم أكن عـجاـلاـ، ولم يـرـدـ: أـكـنـ أـكـثـرـهـمـ عـجلـةـ، لأنـ قـصـدـ ذـلـكـ يـسـتـلزمـ ثـبـوتـ العـجلـةـ غـيرـ الفـائـقةـ، وـلـيـسـ غـرـضـهـ إـلـاـ التـمـدـحـ بـنـفـيـ العـجلـةـ قـلـيلـهـاـ وـكـثـيرـهـاـ. وأـجازـ أـبـوـ العـبـاسـ مـحـمـدـ بـنـ يـزـيدـ اـسـتـعـمـالـ (أـفـعـلـ) مـؤـوـلـاـ بـمـاـ لـاـ تـفـضـيـلـ فـيـهـ قـيـاسـاـ. وـأـوـلـىـ أـنـ يـمـنـعـ فـيـهـ الـقـيـاسـ، وـيـقـتـصـرـ مـنـهـ عـلـىـ مـاـ سـمـعـ،...». وـانـظـرـ:...». فـأـيـنـ الـحـاشـيـةـ مـنـ المـتنـ؟!

الكلام في المتن جـارـ علىـ جـواـزـ الـقـيـاسـ عـلـىـ الـبـيـتـ المـذـكـورـ فيـ زـيـادـةـ الـبـاءـ فيـ خـبـرـ الـفـعـلـ النـاسـخـ عـلـىـ ظـاهـرـ كـلـامـ بـعـضـهـ؛ وـفـيـ كـلـامـ اـبـنـ مـالـكـ الـذـي نـقـلـهـ الـمـحـقـقـ فيـ الـحـاشـيـةـ النـصـ عـلـىـ إـجـازـةـ الـمـبـرـدـ اـسـتـعـمـالـ صـيـغـةـ (أـفـعـلـ) صـفـةـ خـالـيـةـ مـنـ التـفـضـيـلـ قـيـاسـاـ كـمـاـ وـرـدـ فيـ (أـعـجلـ) فيـ الـبـيـتـ الـذـيـ كـانـ بـعـنـيـ (عـجلـ)، وـهـوـ مـاـ تـعـقـبـهـ اـبـنـ مـالـكـ بـأـنـ الـاقـتصـارـ عـلـىـ السـمـاعـ، وـمـنـعـ الـقـيـاسـ، هـوـ الـأـوـلـىـ. فـأـيـنـ هـذـاـ مـنـ ذـاكـ؟!

- عـقـبـ الـمـرـادـيـ عـلـىـ التـمـثـيلـ لـزـيـادـةـ الـهـاءـ بـهـاءـ السـكـتـ [٢٩١ / ١]، فـقـالـ: «قلـتـ: أـمـاـ كـوـنـ هـاءـ السـكـتـ حـرـفـ مـعـنـيـ فـوـاضـحـ. وـقـدـ قـالـ اـبـنـ الحاجـبـ وـغـيرـهـ: إـنـ ذـكـرـهـاـ مـعـ الـحـرـوفـ الـزـوـائـدـ لـيـسـ بـجـيدـ. وـهـوـ كـمـاـ قـالـ. وـالـلـهـ أـعـلـمـ.».

وقد عـلـقـ الـمـحـقـقـ ثـمـةـ عـلـىـ مـقـاـلـةـ اـبـنـ الحاجـبـ فيـ الـحـاشـيـةـ الثـالـثـةـ بـقـوـلـهـ: «قالـ اـبـنـ الحاجـبـ فيـ الـأـمـالـيـ ٥٤٩ / ٢: «الـحـرـوفـ الـزـوـائـدـ جـيءـ بـهـاـ كـلـهـاـ لـمـعـنـيـ»...». وـالـذـيـ أـرـاهـ أـنـ هـذـاـ النـصـ لـيـسـ بـذـيـ صـلـةـ وـاـضـحـةـ بـمـاـ وـرـدـ فيـ المـتنـ، وـأـنـ الـوـصـولـ إـلـىـ مـاـ فـيـهـ يـحـتـاجـ إـلـىـ تـحـلـيلـ وـتـأـوـيلـ وـاستـنـبـاطـ رـبـماـ اـنـتـهـيـ فـيـ مـالـهـ إـلـىـ مـاـ أـرـيدـ فـيـ مـقـاـلـةـ اـبـنـ الحاجـبـ. وـقـدـ كـانـ مـنـ الـمـنـاسـبـ أـنـ يـلـجـأـ الـمـحـقـقـ إـلـىـ قـوـلـ اـبـنـ الحاجـبـ فـيـ شـرـحـ الـمـفـصـلـ (٣٩):

٣٩ـ الإـيـضـاحـ شـرـحـ الـمـفـصـلـ، اـبـنـ الحاجـبـ، ٢ / ٣٩٠.

إلى البصريين عامة، وفي الحاشية كانت نسبة ذلك فيما نقله المحقق من كلام ابن أبي الربيع في كتابه (البسيط في شرح الجمل) إلى أبي علي خاصة.

ومردد ذلك عند النظر والتحقيق إلى تخلط المحقق بين كتابين: (البسيط) لابن العلّج، و(البسيط في شرح الجمل) لابن أبي الربيع.

ونسبة كتاب (البسيط) هنا إلى ابن أبي الربيع، على أنه (البسيط في شرح الجمل)، وما تبع ذلك من الإحالة عليه، ونقل كلام ابن أبي الربيع في الحاشية توثيقاً وتوكيضاً؛ كل ذلك خطأ؛ لأنَّ كتاب (البسيط) الذي كان يفيد منه أبو حيَان ويدركه دون أن يعيَّن صاحبه في بعض كتبه، ومنها (التذليل والتكميل) و(الارشاف)، ومنهما كان يصدر تلامذة أبي حيَان وخالفوه فيما ينسبونه إلى كتاب (البسيط)، وينقلون = هو كما تبيَّن لبعض المحدثين<sup>(٤)</sup> لابن العلّج، أبي عبد الله ضياء الدين محمد بن علي الإشبيلي من علماء القرن السابع الهجري، لا لابن أبي الربيع.

وممَّا يؤكِّد ذلك هنا أنَّ المرادي كان إذا أراد ابن أبي الربيع صرَّح به وعيَّنه، وعلى ذلك جرى حيث كان في (الجني الداني)، وإذا أراد كتاب (البسيط) ذكره كما نقله من كلام أبي حيَان غير معين المؤلف.

ومن هنا لك أنْ تقطع بيقين أنَّ ما قاله المحقق في التعريف بكتاب (البسيط) حيث ورد أول مرَّة في (الجني الداني) [١٢ / ١٣١]، في الحاشية ثمة: «وهو كتاب البسيط في شرح الجمل للزجاجي، لابن أبي الربيع»؛ وما تبعه من إحالة على كتاب ابن أبي الربيع، ونقل كلامه منه = ليس بصحيح.

<sup>٤١</sup> انظر: ابن العلّج وكتابه البسيط، د. محمد حسن عواد، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، ع ٤٧، ١٩٩٤، م ١٩٥-٢٤٨. وقد صدر منه القسم الأول مما وُجد من المخطوط: من باب التوابع حتى نهاية باب البدل، درسه وحققه صالح بن حسين العايد، ١٤٤٢ - ٢٠٢١ م، عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - الرياض.

فما كان من المحقق إلَّا أنْ نقل في الحاشية ثمة ما قاله السيرافي في شرحه على الكتاب (٣ / ٦٠)، وهو «وكان أبو العباس المبرد والزجاج يذهبان إلى أنَّ المنسوب في الاستثناء ينتمي بتقدير: (استثنى)، ويجعلان (إلَّا) نائبةً عن (استثنى) وكأنَّه قال: أتاني القومُ استثنى زيداً...».

والموافنة بين ما كان في المتن وما نقله المحقق في الحاشية تدلُّ على أنَّ ثمة اختلافاً دقيقاً بينهما؛ فالذى في المتن أنَّ الناصب هو الفعل المضرور «استثنى» بعد «إلَّا»، والذي في الحاشية أنَّ الناصب هو الفعل المقدَّر «استثنى» الذي نابت عنه «إلَّا»؛ فكأنَّ المراد أنَّ الناصب هو فعل مقدَّر دلت عليه «إلَّا» وقامت مقامه. ولعلَّ هذا المراد من صنيع الزجاج في كتابه (معاني القرآن)، إذ لجأ في غير موضع إلى تقدير «إلَّا» بالفعل «استثنى»<sup>(٤٠)</sup>.

وذلك ما كان يجب أن يتبَّه المحقق عليه، لكنَّ غفل عنه.

- ختم المرادي الكلام على مذهب من ذهب من العلماء إلى وجوب وصف مجرور «رب» [٢ / ١٤٢] بقوله: «وذكر في (البسيط) أنَّ وجوب وصفها رأي البصريين».

وقد علق المحقق على ذلك في الحاشية الأولى ثمة بقوله: «قال ابن أبي الربيع في البسيط ٢ / ٨٦٤ - ٨٦٥: ...مخوض (رب) لا بدَّ أن يكون موصوفاً. نصَّ على ذلك أبو علي في الإيضاح وفي غيره...».

هذا ما كان. وتأمُّل النصَّ الذي نقله المحقق من كلام ابن أبي الربيع في ضوء ما في المتن دالٌّ على اختلاف ظاهر؛ ففي المتن كانت نسبة هذا الرأي (وجوب وصف مجرور «رب») فيما ذُكر في (البسيط)

<sup>٤٠</sup> انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ١، ١٦٤ / ٣٢٧، ٢٠٢١، ٤ / ٧٢، ٢٢٤.

فهل خدم هذا النصُّ المتن؟ وهل زاد على ما فيه زيادة ذات قيمة، أم هو التزييد بما يُنقل الحاشية، ولا يُهم؟.

- قال المرادي في كلامه على «لن» [٤٣١ / ١]: «حرف نفي ينصب الفعل المضارع ويخلصه للاستقبال...». فنَهَضَ المحقق يعلق على ذلك بحاشيتين؛ علق في الحاشية الرابعة على قوله: «حرف نفي»، وفي الحاشية الخامسة على نصب الفعل المضارع.

قال في أولى الحاشيتين: «قال سيبويه في الكتاب ١ / ١٣٥-١٣٦: «وإذا قلت: زيداً لم أضرب، أو زيداً لن أضرب، لم يكن فيه إِلَّا النصبُ... ولن أضرب نفي لقوله: سأَضْرِبُ...». وانظر التعليقة على الكتاب ١ / ١٣٢. وقال الزجاجي في حروف المعاني ٨: «تنفي المستقبل كقولك: لن يخرج زيد غداً».

وقال في الحاشية الأخرى: «قال الرماني في معاني الحروف ١٠٠: «و عملُها النصبُ في الفعل خاصةً، وهي لنفي المستقبل، نحو قولك: لن تقوم، فهذا جوابٌ من قال: ستقومُ».

فهل يلزم ممّا قاله المرادي، وهو مشهور لا يخفي على من له علم بالعربية، أن يحتفل به المحقق في هاتين الحاشيتين، وأن ينقل فيهما ثلاثة نصوص من كلام العلماء؛ إنّه تزييدٌ لا طائل وراءه، ولا حاجة إليه. على أنّي لن أخوض هنا في نسبة كتاب (معاني الحروف) إلى الرماني، أشيرُ إليه، ولا أفصلُ فيه.

٤. في (الجني الداني) آراءُ وأقوال للعلماء لم يخرجها المحقق من مصادرها، خلافاً لما نصّ عليه من تخرير الآراء والمسائل النحوية من أصولها؛ بل وثقّها من كتب المؤاخرين التي نقلها المرادي منها، ولا سيما كتب ابن مالك، وكتب أبي حيان. وقد كان من

وممّا يستوقف القارئ أن يجد المحقق حيث ورد في المتن [٢ / ٢٤٩]: «ذكره ابن هشام، وحکاه في (البسيط) عن بعضهم.» = يعلق في الحاشية الخامسة ثمة بقوله: «أي ابن هشام الخضراوي، انظر...». فهل يريد أن ينسب الكتاب إلى ابن هشام الخضراوي؟

لعل الصحيح أن يقال هنا: الظاهر أن الرقم الدال على الحاشية الخامسة (٥) نزل عن موضعه، وتأخر عن محله، وحقه أن يكون عند ابن هشام. وهذا الأمر؛ أي: تأخر الرقم الوارد في المتن الدال على حاشية معينة عن موضعه، مع أن حقه التقدم = قد تجده في مواضع أخرى (٤٢). وهو ما لم يلتفت إليه المحقق أو الطابع، ومثله لا ينبغي، ولا سيما في طبعة الثانية.

وإلى هذا وذاك تجد أحياناً فيما ينقل المحقق من نصوص العلماء في بعض الحواشى نصوصاً ليس لها قيمة ( مضافة ) تستحق الاحتفال بها، ولا فائدة زائدة؛ لأنّ ما فيها معروفة مشهور، لا يكاد يُجهَّل، وليس فيه زيادة على ما في المتن. وأنكر من أمثلة ذلك هذين المثالين:

- ورد في القسم الأول من أقسام «لما» الثلاثة [٢ / ٢٨٧]: «لما التي تجزم الفعل المضارع،...»، وهو ما عقب عليه المحقق بما لا فائدة فيه؛ لأنّه معروف مشهور.

قال في الحاشية الرابعة: «قال سيبويه في باب ما يعمل في الأفعال فيجزمهما: «وذلك (لم)، و(لما)، واللام التي في الأمر، وذلك قوله: ليفعَل، و(لا) في النهي،...» الكتاب ٣ / ٠٨».

٤٢ - انظر مثلاً: الجنى الداني، المرادي، ترجمة: أحمد الأعرج، ٤٦١ / ١، السطر ١١، والhashia ٥.

وقد أحال المحقق ثمة في الحاشية في توثيق قول النحاس على كتاب (التدليل والتكميل) و(توضيح المقاصد). وكان من الواجب أن يبحث عن ذلك في مصنفات النحاس، ولو فعل لوجد أنَّ قول النحاس في كتابه (إعراب القرآن) (٤٦).

- ذُكر ابن برهان العكّري في النص المحقق في ثلاثة مواضع [١ / ٣٨٣، ٢٠٩، ١٩٥] مقتربناً بقول أو تقدير أو رأي، أحال فيها المحقق على (شرح الكافية الشافية) و(شرح التسهيل). وكان من الواجب أن يبحث عن ذلك فيما كان بين أيدينا من كتبه. ولو فعل لعرف أنّ مصدر ذلك في الموضع الثلاثة هو كتاب (شرح اللمع) لابن برهان<sup>(٤٧)</sup>.

- خرج المحقق بعض مذاهب العلماء وأقوالهم في «إيّاك» وأخواته [٢٣١-٢٣٢] من مطانّها الأصول، وهذا هو المنشود، وغاب ذلك عن تخرّيج بعضها. ومن ذلك المذهب الثالث الذي ساقه المرادي بقوله: «الثالث: أنَّ (إيّا) اسمُ ظاهرٍ مبهمٍ، ولو واحِدٌ ضمائرٌ مجرورةٌ بإضافته إلَيْها. وهو مذهب الزجاج».).

فقد أحال المحقق في توثيقه إلى (الإنصاف) و(شرح التسهيل) للمرادي. وكان من الواجب أن يبحث عنه في كتب الزجاج، ولو فعل لوجد رأي الزجاج في كتابه (معاني القرآن وإعرابه)، ووجد في مطبوعته المداولية<sup>(٤٨)</sup>: «اسم مضمر»، وكلمة «مضمر» فيه تحتمل أن تكون مصححةً من «مظهر». والله تعالى أعلم.

- ولن أن تُعدَّ من ذلك ما كان في تخريج المحقق لما

<sup>٤</sup>- إعراب القرآن، النحاس، ٣ / ٢١٣. وانظر فيه أيضاً:

. ۲۶۰ / ۳

٤٧- انظر: (شرح اللمع) لابن برهان، ٢٤٣، ١٢٨، ٢٤٧ على الترتيب.

<sup>٤٨</sup>- معانی القرآن و إعرابه، الزجاج، ١ / ٤٨.

الواجب تحرير تلك الأقوال والأراء من كتب أولئك  
العلماء، إلا إذا تعذر ذلك. وهذه أمثلة من هذا القبيل:  
- خرج المحقق [١ / ١٧٠] مذهب أبي علي الفارسيي  
في منع زيادة الباء بعد «ما» التيمية من كتاب أبي  
حيان (التدليل والتمكيل).

والمناسب أن يخرج ذلك مما ورد فيه هذا الرأي من كتب الفارسيّ. وهذا الرأي في كتابه (الإيضاح). وإلى ذلك ينبغي أن ينبع على ما ورد في كلام أبي حيّان في تفسيره من أنَّ ذلك مذهب أبي علىٰ في أحد قوله<sup>(٤٣)</sup>.

- خرج المحقق [١ / ٢٤٢] ما قاله الزجاجي من أنَّ دخول لام الأمر على الفعل المضارع الذي للمخاطب لغة جيِّدة من كتب: (البحر المحيط) - على ما فيه من تحريف- و(الارتشاف) و(توضيح المقاصد) و(شرح التصريح).

وقد كان من المناسب أن يُخرج مما ورد فيه من كتب الزحّامٍ، وهو في كتابه (الحمل) (٤٤).

- ذكر المرادي [١] في أقسام «إن» مجيئها زائدة. قال: «ذهب إلى ذلك أبو عبيدة وابن قتيبة». وقد خرج المحقق في الحاشية الثالثة ثمةً مذهب ابن قتيبة من كتابه (تأویل مشکل القرآن)، ونقل بعض كلامه؛ لكنه لم يلتفت إلى قول أبي عبيدة. ولو نظر في كتابه (مجاز القرآن) لوجد أنه يذهب إلى ذلك في غير موضع منه<sup>(٤٥)</sup>.

- ورد في كلام المرادي على «مع» الساكنة العين  
 ١/[٤٦٨]: «واختلف في (مع) الساكنة العين، فقيل:  
 هي حرف جرٌّ، وزعم أبو جعفر النحاس أنَّ الإجماع  
 منعقد على حرفيتها إذا كانت ساكنة.».

<sup>٤٣</sup>- انظر: الإبصاح العضدي، أبو علي الفارسي، ص ١١٠.

<sup>٤</sup> - الجمل في النحو، الزجاجي، ص ٢٠٨.

<sup>٤٥</sup> - انظر: مجاز القرآن، أبو عبيدة، ١ / ١١، ٣٦، ٤١، ٩٠، ١٨٣.

.۲۰۳ / ۲، ۳۳۵، ۲۳۱

ومن أمثلة ذلك:

- أن المرادي نص [١ / ٣٣٧] على أن «الفصيح  
الّا يؤتى به (إذ) بعد (بينا) و(بينما)، والإتيان بها  
بعدهما عربي، خلافاً لمن أنكره..».

وقد نقل المحقق ثمة في الحاشية الثانية من كلام ابن مالك في (تسهيل الفوائد)، وکلام أبي حيّان في (الارتشاف) ما يؤيّد ذلك ويؤكّده. وقد كان أوجب من ذلك أن يبيّن للقارئ المراد من قوله «من أنكره». ولو بحث عن ذلك لعرف أنه الأصمعيُّ.

وذكر المرادي ثمة أنْ (إذ) تكون شرطية جازمة  
مقرونة بـ(ما)، ثم قال: «ولكونها ترکبُتْ مع (ما)  
عدّها بعضُهم في الحروف الرباعية». .

وقد أعرض المحقق عن التوقف عند «بعضهم» في هذا النص، والبحث عن المقصود منه؛ مع أنَّ من واجبه أن يتبيَّن ذلك وينبئ عليه. على أنَّ المرادي أعاد ذلك في الكلام على «إذما» بعبارة أخرى، إذ قال [٢٠٣ / ٢]: «إنما ذكرتها في الرباعيِّ وفacaً من عدُّها فيه، لكونها ترکبتْ مع (ما) فصارا كأنهما كلمة واحدة..».

ورد في الكلام على «لما» التي بمعنى «إلا» [٢٨٩ / ٢]: (و) (لما) التي بمعنى (إلا) حكاها الخليل وسيبويه والكسائي، وهي قليلة الدور في كلام العرب، فينبغي أن يقتصر فيها على التركيب الذي وقعت فيه. وزعم أبو القاسم الزجاجي أنه يجوز أن تقول: لم يأتني من القوم لـمـا أخوك، ولم أر من القوم لـمـا زيداً. يزيد: إلا أخوك، وإلا زيداً. قيل: وينبغي أن يُتوقف في إجازة ذلك، حتى يرد في كلام العرب ما يشهد بصحته..».

وقد ترك الحقّ من وجوه خدمة هذا النصّ تخرّيج حكاية الخليل وسيبوبيه، والتعليق المصدر بلفظ: «قا». وله بحث لعف في أنّ حكاية الخليل وسيبوبيه

ورد في الكلام على وصل «أن» المصدرية [١ / ٣٦٨]: «قيلَ: ويضعفُ وصلُها بالأمر لوجهين: أحدهما...». قال المحقق في الحاشية الثانية ثمة: «عزا ابن هشام هذا الرأي لأبي حيّان؛ قال في المغني ٤٤: «والخالفُ في ذلك أبو حيّان، زعمَ أنَّهَا لا توصلُ بِهِ وَأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ سُمِعَ مِنْ ذَلِكَ فَ(أن) فِيهِ تفسيرية، وَاسْتَدَلَ بدللين:...». ثم قال: «وإذا نظرنا في كتب أبي حيّان وجدناه يجعل (أن) مصدرية - في أحد وجهيها - قبل فعل الأمر؛...». ثم ساق مثلاً على ذلك من كلام أبي حيّان في كتابه (البحر المحيط).

قلتُ: رأيُ أبي حيان الواردُ في (الجني الداني) بتفصيله مصدرُه كتابه (التذليل والتكميل)<sup>(٤٩)</sup>، ومنه نقله بتصْرِفٍ. وعليه كان ينبغي أن يحيط المحققُ. وعلى أن تتبعَ كلامَ أبي حيان في كتابه (البحر المحيط) كما قال الأستاذ محمد عبد الخالق عصيمة - رحمة الله - يدلّ على أنه تحولَ عن رأيه هذا، ووافق الجمهور في وصل «أن» المصدرية بفعل الأمر<sup>(٥٠)</sup>. وهذا مما كان يجب أن يستحضره المحققُ أيضاً.

ثم إن في ضبط كلمة «ضمائِر» التي تحتها خط في النص بالتنوين خطأً ما كان ينبغي أن يخفى على المحقق، إلا أن يكون من خطأ الطباعة.

٥. ثُمَّةُ الْفَاظُ عَامَّةُ أَوْ مُبَهَّمَةُ وَرَدَتْ فِي سِيَاقِ نَسْبَةِ  
بعضِ الْأَقْوَالِ وَالآرَاءِ وَالتَّخْرِيجَاتِ أَوْ إِيرَادَهَا،  
نَحْوُ<sup>(١)</sup> «بَعْضُهُمْ، وَجَمَاعَةٌ مِّنْ أَصْحَابِهِ، وَجَمَاعَةٍ،  
وَذَكْرٌ غَيْرُهُ، وَغَيْرِهِمْ، وَقِيلٌ، وَمِنْ عَدْهَا، وَمِنْ أَنْكَرَهُ...»  
لَمْ يُعْنِيَ الْمُحْقَقُ أَحِيانًاً بِتَخْرِيجِهَا، أَوْ بِبَيَانِ الْمَقْصُودِ مِنْهَا.

<sup>٤٩</sup> - التذليل والتكميل، أبو حيان، ٣ / ١٤٨-١٤٩.

<sup>٥</sup>- انظر: دراسات لأسلوب القرآن، محمد عبد الخالق عضيمة،

١١ / ٤٢٨-٤٢٩، وتفصيل ذلك فيه في ١ / ٤٣٤-٤٣٥.

<sup>٥١</sup> انظر مثلاً: الجنى الداني، المرادي، ترجمة: أحمد الأعرج،

.۲۷۸، ۲۱۱، ۱۸۴، ۱۸۱، ۱۶۱، ۱۱۶/۲، ۴۱۶، ۳۳۵، ۱۹۸/۱

-، فصحح ما نسب إليه، وقال<sup>(٥٣)</sup>: «وَنُسِّبَ إِلَى الْمَبْرُدْ أَنَّهُ يَرَى وَجُوبَ توكيد المضارع بعد (إِمَّا)، والصحيح أَنَّهُ مَعَ الْجَمْهُورِ».».

ولذلك كان من الواجب أن يتبّه المحقق على ذلك، على وجه التحقيق، وأن يراعي الباحثون والمحققون إذا تناولوا ذلك وأبدوا القول ذلك.

ثم إنّ مذهب الزجاج ممّا يجب أن يخرج من مظانه، وهو في كتابه (معاني القرآن وإعرابه)<sup>(٥٤)</sup>.

والمناسب بعد ذلك أن تكون عالمة الترقيم التي بعد كلمة «مؤكداً» وكلمة «الضرورة» نقطة(.) لا فاصلة كما ورد؛ وأن يكون تعقيب المرادي المصدر بـ«قلت» في صدر فقرة مستقلة، لا تابعاً لما قبله.

- قال المرادي في الكلام على مجيء «إن» ظرفاً لما يستقبل من الزمان بمعنى «إذا» [١ / ٣٣٤ - ٣٣٥]: «ذهب إلى ذلك قومٌ - من المتأخرین - منهم ابن مالك، واستدلوا بقوله تعالى: (فسوف يعلمون) إِذَا الأَغْلَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ (غافر: ٧٠-٧١) وبآياتٍ أُخْرَ. وذهب أكثر المحققين إلى أن (إذ) لا تقع موقع (إذا)، ولا (إذا) موقع (إذ). وهو الذي صحّه المغاربة، وأجابوا عن هذه الآية ونحوها بأنّ الأمور المستقبلة لمّا كانت في إخبار الله - تعالى - مُتيقنة مقطوعاً بها عُبْرَ عنها بلفظ الماضي. وبهذا أجاب الزمخشري، وابن عطية، وغيرهما».».

وفي هذا كما ترى نسبة القول بمجيء «إذ» للاستقبال بمعنى «إذا» إلى قوم من المتأخرین، منهم ابن مالك. وفي هذه النسبة - إذا ما أريد بذلك قصرُ هذا الرأي على المتأخرین - نظرٌ، وهي تحتاج إلى تحقيق.

<sup>٥٣</sup> دراسات لأسلوب القرآن، ١: ٣٤٦. وانظر: المقتضب، المبرد، ٢/ ١٣-١٤. ومذهب سيبويه والجمهور أن التوكيد بعد «إما» جائز لا واجب.

<sup>٥٤</sup> معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ١، ١١٧، ٢، ٤٣٣.

لذلك ورد في كتاب سيبويه [٣ / ١٠٥]. قال: «وَسَأَلْتُ الْخَلِيلَ عَنْ قَوْلِهِمْ: أَقْسَمْتُ عَلَيْكِ إِلَّا فَعَلْتَ وَلَمَّا فَعَلْتَ، لَمْ جَازْ هَذَا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، وَإِنَّمَا أَقْسَمْتُ هَا هَنَا كَوْلُكَ: وَاللَّهُ؟...».

ومن ثمرة البحث أيضاً أن يعلم المحقق أن التعقيب المصدر بكلمة «قيل» قاله أبو حيّان في (التنييل والتمكيل)<sup>(٥٥)</sup>؛ وينبه عليه.

٦. من تمام تحرير أقوال العلماء وآرائهم أن يعني المحقق بالتحقق منها، ويتبين صحة نسبتها إليهم، ومطابقتها للوارد في مظانها من كتب أولئك العلماء، أو من نقل ذلك عنهم، ومعرفة درجة الدقة فيما كان من ذلك.

وبعض ما كان في النص المحقق من آراء وأقوال مما ذكره المرادي من هذا القبيل، يحتاج في ضوء كلام من نسبت إليهم تلك الآراء في مظانها، ولا سيما كتبهم، إلى مناقشة وتحقيق ومراجعة. وهو ما التفت إليه المحقق حيناً وتركه أحياناً. ولو فحص تلك الآراء والأقوال حيث يجب لعقب بما هو مناسب تقييداً أو ضبطاً وإحكاماً أو تفصيلاً واستدراكاً. ومن الأمثلة الدالة على ذلك:

- ورد في كلام المرادي على توكيد الفعل المضارع بإحدى نوني التوكيد بعد توكيد «إن» الشرطية بـ«ما» [١ / ٢٧٧]: «وَلَمْ يَجِدْ فِي الْقُرْآنِ بَعْدَ (إِمَّا) إِلَّا مُؤكَداً، وَذَهَبَ الْمَبْرُدُ وَالزَّجَاجُ إِلَى أَنْ توكيدَه بعده إِمَّا واجبٌ في غَيْرِ الضرورةِ، قلتُ: قد كثُرَ حذفُ النونِ بعده (إِمَّا) في الشِّعْرِ، وَأَمَّا فِي النُّثُرِ فَعَزِيزٌ...».

والذكور هنا عن المبرد على شهرته في كتب العربية تحقّقَ الأستاذ محمد عبد الخالق عُضيّمة - رحمه الله

<sup>٥٥</sup> التنييل والتمكيل، أبو حيّان، ٨ / ٣٧٨.

«غيرهما» معطوفاً على «الزمخشي وابن عطيّة» دون بحث أو تحقيق وتخرير، ولو كان ذلك لعرف أنّ من أولئك ابن فارس في كتابه (الصحابي)، وأبا عليّ في كتابه الحجّة، والمهدويّ في (التفصيل)، وابن الشجريّ في (الأمالي)<sup>(٥٦)</sup>.

- ذكر المرادي<sup>(١)</sup> [٢٣٦ / ١] مذهب بعضهم في زيادة «إذ» بعد «بينما» و«بينا»، فقال المحقق ثمة في الحاشية: «وهو أبو عبيدة. نصّ على ذلك أبو حيّان في الارتفاع

. ١٤٥ / ٣

والمناسب بعد أن نسب المحقق ذلك إلى أبي عبيدة أن يبحث في كتبه، ومنها (مجاز القرآن). والقول بزيادة «إذ» ثابت في (مجاز القرآن)، بيد أنه ليس في كلامه ما يدلّ على أنه كان يقول بذلك بعد «بينما» و«بينا». وكلام أبي حيّان بسياقه في (التنبيل والتكميل) مشعر بذلك أيضاً.

قال<sup>(٥٧)</sup>: «وأَمَّا مَنْ جَعَلَ «إِذْ» زَايْدَةً فَالْعَالَمُ فِي «بَيْنَمَا» و«بَيْنَا» الْعَالَمُ الْمُذَكُورُ بَعْدَ «إِذْ» الزَايْدَةِ، وَذَلِكَ وَاضْχَرَ وَإِلَى زِيَادَةِ «إِذْ» ذَهَبَ أَبُو عَبِيدَةَ، وَحَمَلَ عَلَيْهِ «إِذْ» فِي الْقُرْآنِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ [البقرة: ٣٤] حِيثُ وَقَعَ فِي أَوْلَ الْكَلَامِ».

- قال المرادي في كلامه على كون «ما» في «كما» حرفيّة كافية<sup>(٢)</sup> [١٧١-١٧٢ / ٢]: «وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ (ما) كافيةً فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنْكُم﴾ [البقرة: ١٥١]، وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَانْكَرُوهُ كَمَا هَدَاكُم) [البقرة: ١٩٨]. وَمِنْ جُوْزِ ذَلِكَ الْزَمَخْشِرِيِّ وَابْنُ عَطِيَّةِ وَضَعْفَهُ بَعْضُهُمْ، وَقَالَ: الْأَوْلَى فِي الْآيَتَيْنِ وَنَحْوُهُمَا أَنْ تَكُونَ (ما) مَصْدِرِيَّةٍ،...».

وقد أحال المحقق ثمة في توثيق قول

<sup>٥٦</sup> انظر: جهود ابن عطيّة الأندلسّي النحوية والصرفية، ص ١٢٠، الحاشية<sup>٩</sup>.

<sup>٥٧</sup> التنبيل والتكميل، أبو حيّان، ٧ / ٣٠٠.

«وَآيَةُ ذَلِكَ أَنَّ السِّيَوْطِيَّ مُثْلَانِكَرْ بِوَنَمَا قَصْرٌ أَنَّ جَمَاعَةً كَثِيرَةً، وَمِنْهَا أَبْنَ مَالِكَ، تَرَى خَرُوجَ «إِذْ» عَنِ الْمُخْسِيِّ إِلَى الْاسْتِقْبَالِ، وَأَنَّ الْأَسْتَاذَ مُحَمَّدَ عَبْدَ الْخَالِقِ عُضْيَمَةَ قَدْ دَرَسَ الْمَسْأَلَةَ، وَانتَهَى إِلَى أَنَّ ذَلِكَ الْمَقَالَةَ رَأَيُ جَمَاعَةً كَثِيرَةً، فِيهَا الْمُتَقْدِمُ وَالْمُتَأَخَّرُ، ذَكَرَ مِنَ الْأَوَّلِينَ أَبْنَ هَشَامَ صَاحِبَ السَّيِّرَةِ وَالشَّعَالِيِّ وَغَيْرَهُمَا، وَمِنَ الْآخَرِينَ أَبْنَ مَالِكَ وَالْعَكْبَرِيِّ وَالرَّضِيِّ وَغَيْرَهُمْ»<sup>(٥٨)</sup>. وَإِلَى ذَلِكَ كَانَ مِنْ تَعْلِيقِ الْمُحَقَّقِ ثمةً فِي الْحَاشِيَةِ السَّادِسَةَ [٢٣٤ / ١] عَلَى «بَيَّانَاتٍ أُخْرَى» أَنْ قَالَ: «كَقُولُهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَجْمِعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أَجْبَتُمْ قَالُوا لَا عَلِمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَامُ الْغَيْوَبِ﴾ [الْمَائِدَةَ: ١١٠-١١١]. ثُمَّ قَالَ: فَ(إِذْ) هَذِهِ بَدْلٌ مِنْ (يَوْمَ يَجْمِعُ)، (وَيَوْمَ يَجْمِعُ) مُسْتَقْبِلُ الْمَعْنَى؛ فَيَتَعَيَّنُ كُونُ الْمَبْدَلِ مِنْهُ مِثْلَهُ فِي الْاسْتِقْبَالِ». شَرَحُ التَّسْهِيلِ [٢١٢ / ٢].

وَفِي هَذِهِ الْحَاشِيَةِ سَقْطُ مَوْضِعِ الشَّاهِدِ، وَهُوَ فِي الْآيَةِ: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى﴾ [الْمَائِدَةَ: ١١٠].

ثُمَّ إِنَّ الْكَلَامَ فِي الْمُتَنَّ جَرِيَ بِضَمِيرِ الْجَمْعِ كَمَا يَدْلِيُ بِهِ الْسَّيَاقُ «وَاسْتَدْلُوا»، فِي حِينَ أَدَارَ الْمُحَقَّقُ الْحَاشِيَةَ بِضَمِيرِ الْمَفْرَدِ، مُقْتَصِراً عَلَى أَبْنَ مَالِكَ. وَلَذِكَ كَانَ يَحْسَنُ أَنْ يَصْدِرُ الْحَاشِيَةَ دَقَّةً وَتَوْضِيحاً بِعَبَارَةِ: «قَالَ أَبْنُ مَالِكَ: كَقُولُهُ...».

وَمِمَّا جَاءَ فِي النَّصِّ عَلَى غَيْرِ وَجْهِهِ عَلَامَةُ الْاعْتِرَاضِ بَيْنَ الصَّفَةِ وَالْمَوْصُوفِ: «قَوْمٌ - مِنَ الْمُتَأَخَّرِينَ - مِنْهُمْ أَبْنُ مَالِكَ». وَالْمَنَسِّبُ تَرْكُهَا، عَلَى أَنْ يَكُونَ بَعْدَ كَلِمَةِ «الْمُتَأَخَّرِينَ» فَاَسْتَدَلَّ (،) .

وَإِلَى ذَلِكَ كَلَّهُ تَرَكَ الْمُحَقَّقُ مَا وَرَدَ فِي النَّصِّ بِلَفْظِ

<sup>٥٥</sup> جهود ابن عطيّة الأندلسّي النحوية والصرفية، إعداد عبد الناصر إسماعيل عساف، رسالة دكتوراه، ص ١٢٢. وانظر الإحالات في الحواشى ثمة.

ويتحقق على وجهه؛ فذلك بعض ما يجب على الحقّ.  
ثمّ إلى ذلك كان على الحقّ أن يوثقَ رأي العلماء  
الذين عينهم المراديُّ من مظانها، وألا يغفل عن ذلك،  
وينصرف عنه كما كان. ولو نهض بذلك لوجد آراءهم  
في كتبهم المشهورة<sup>(٦٠)</sup>.

وقد يبدو الافتقار إلى التحقيق حيناً في عنو الحقّ  
لبعض الآراء التي لم يعيّن المراديُّ أصحابها؛ لما كان في  
صنع الحقّ في ذلك من إطلاق لا يوافق الواقع، صدر  
فيه عن ملاحظة عامة لم ترصِّ الجزئيات والتفاصيل،  
وغفلت عن التقرّي والتتبع.

ومن ذلك مثلاً ما كان في تحرير بعض ما كان في  
الكلام على تصرّف «إذ»، ووقعها مفعولاً به.  
قال المراديُّ [١ / ٢٣٤-٢٣٣]: «أجزاء الأخفش  
والزجاج - وتبعهما كثير من العربين - أن تقع  
مفعولاً به، وذكروا ذلك في آيات كثيرة، كقوله تعالى:  
**﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ﴾** [الأفال: ٢٦]، فـ«إذ» في  
هذه الآية ونحوها مفعولٌ به. ومن لم ير ذلك جعل  
المفعول محنوفاً، وـ«إذ» ظرف عامله في ذلك المحنوف.  
والتقدير: واذكروا نعمة الله عليكم إذ، أو: واذكروا  
حالكم إذ، ونحو ذلك.».

وقد عزا الحقّ في الحاشية ثمة [١ / ٣٢٤] جعل  
المفعول في الآية المذكورة ونحوها محنوفاً، على أنّ  
ـ«إذ» ظرفٌ يعمل فيه المحنوف، على تقدير: واذكروا  
نعمَّة الله عليكم إذ، أو: اذكروا حالكم إذ، ونحو ذلك  
ـ إلى ابن عطية، وأحال على تفسيره (المرّوجيز)  
٥١٦ / ٢.

وهذا معناه أنّ رأي ابن عطية أنّ «إذ» لا تقع مفعولاً.

٦٠- انظر: معاني القرآن، للفراء، ١، ٨٩-٩٠، ٢٨٢، ٩٠-٩٩؛ ومعاني القرآن، للأخفش، ٣٤٣، ومجاز القرآن، لأبي عبيدة، ١، ٢٨٢، ٦٠-٦٠٥.

ابن عطية إلى تفسيره (المرّوجيز) ١ / ٢٧١،  
٢٧٥ إـحالـة الموقـن بـثـبـوت ذـلـك فيـ كـلامـ اـبـنـ عـطـيـةـ حيثـ  
أـحالـ، وـأـنهـ مـبـنـيـ عـلـىـ إـجاـزـةـ ذـلـكـ. لـكـ النـظـرـ فيـ كـلامـ  
ابـنـ عـطـيـةـ حيثـ وـرـدـ هـاتـانـ الـآـيـاتـ لـيـسـ فـيـهـ مـاـ يـشـعـرـ  
بـشـيـءـ مـنـ ذـلـكـ. وـمـنـ هـنـاكـ أـنـ تـقـولـ: مـاـ نـسـبـهـ الـمـرـادـيـ  
هـنـاـ إـلـىـ اـبـنـ عـطـيـةـ لـيـسـ لـهـ أـثـرـ فيـ تـفـسـيرـ اـبـنـ عـطـيـةـ الـبـتـةـ.  
وـقـدـ بـدـاـ لـيـ (٦١ـ)ـ أـنـ مـصـدـرـ مـاـ تـسـبـ هـنـاـ إـلـىـ اـبـنـ عـطـيـةـ  
هـوـ تـفـسـيرـ أـبـيـ حـيـانـ (الـبـحـرـ الـمـحـيطـ)ـ؛ـ وـأـنـ هـذـهـ النـسـبـةـ  
لـيـسـ لـهـ دـلـيـلـ أـوـ مـؤـيـدـ مـنـ كـلامـ اـبـنـ عـطـيـةـ،ـ فـكـأنـهـاـ  
مـنـ سـهـوـ أـبـيـ حـيـانـ الـذـيـ تـابـعـهـ عـلـيـهـ بـعـضـ تـلـامـذـتـهـ  
ـكـالـمـرـادـيـ وـالـسـمـينـ الـحـلـبـيـ وـابـنـ هـشـامـ.

- ذكر المراديُّ في أقسام «إلا» أن تكون بمعنى  
الواو. قال [٢ / ٢١٤]: «وهذا قسمٌ فنادِ الجمهورُ،  
وأثبتتهُ الفراءُ والأخفشُ وأبو عبيدةَ معاشرُ بنُ المثنى،  
وجعلوا من ذلك قوله: **﴿لَئِلَّا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حَجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾** [البقرة: ١٥٠،...].  
ـ وفيما عزا المراديُّ هنا وغيره إلى الفراء من إثبات  
ـ«إلا»ـ بـعـنـ الـوـاـوـ إـطـلـاقـ؛ـ لـأـنـ الـفـرـاءـ خـلـافـاـ لـلـآـخـرـينـ،ـ  
ـوـتـبـعـهـ الـطـبـرـيـ،ـ اـشـتـرـطـ فـيـ «إـلاـ»ـ الـتـيـ بـعـنـ الـوـاـوـ  
ـأـنـ يـتـقـدـمـهـاـ اـسـتـثـنـاءـ فـتـعـطـفـ الـاـسـتـثـنـاءـ التـالـيـ عـلـيـهـ.  
ـ بـلـ يـظـهـرـ أـيـضاـ مـنـ بـعـضـ كـلـامـهـاـ نـفـيـ أـنـ تـكـوـنـ  
ـ«إـلاـ»ـ مـجـرـدـ بـعـنـ الـوـاـوـ،ـ وـأـنـ إـفـادـةـ عـبـارـتـهـاـ التـيـ  
ـلـمـ تـسـبـقـ باـسـتـثـنـاءـ إـفـادـةـ الـوـاـوـ مـنـ حـيـثـ كـانـتـ «إـلاـ»ـ  
ـبـعـنـ «ـسـوـىـ»ـ،ـ لـأـنـ حـيـثـ نـزـلـتـ «ـإـلاـ»ـ مـنـزـلـةـ الـوـاـوـ؛ـ  
ـوـإـذـ كـانـتـ «ـسـوـىـ»ـ فـيـ مـوـضـعـ «ـإـلاـ»ـ صـلـحتـ لـعـنـ  
ـالـوـاـوـ».ـ (٦٢ـ).

ـ ولـهـذـاـ كـانـ عـلـىـ الـمـحـقـقـ أـنـ يـرـاجـعـ رـأـيـ الـفـرـاءـ فـيـ كـتـابـهـ

ـ ٥٨ـ انظر: جهود ابن عطية الأندلسية النحوية والصرفية،  
ـ صـ ٩٩-٩٠،ـ ٦٠٥-٦٠٦ـ.ـ وـفـيـ الـحـوـاشـيـ ثـمـةـ الـإـحـالـاتـ الـمـنـاسـبـةـ.

ـ ٥٩ـ المصـدرـ السـابـقـ،ـ صـ ١٤٩ـ.ـ وـانـظـرـ الـإـحـالـاتـ الـمـقـصـودـةـ فيـ  
ـ تـوـثـيقـ رـأـيـ الـفـرـاءـ وـالـطـبـرـيـ فـيـ الـحـوـاشـيـ ثـمـةـ.

على خلاف ما نُقل عن اللحیانی من أنَّ کلمة «النِّیفُ» لا تكون إلَّا بعد العقد. والظاهر أنَّ القدماء استعملوا هذه الكلمة قبل العقد كما استعملوها بعده.

ثم إنَّ المحقق علق على ذلك لبيان صاحب الرأي بقوله في الحاشية: «صاحب الرأي هو المالقي؛ إذ ذكر أنَّ جملة الحروف خمسة وتسعين حرفًا. رصف المباني». ٩٩

وهذا التعليق لا يناسب دلالة کلمة «النِّیفُ»، فهي تدلُّ في المعتمد من أقوال العلماء على ما بين الواحد والثلاثة. والخمسة يُقال فيها: «بُضُّعُ» لا «نِیفُ». فإذا كان مرادُ المرادي بقوله «بعضُهم» المالقي حقاً كان في استعماله للنِّیفُ هنا مخالفةً للمعتمد من أقوال العلماء. على أنَّ هذا قد يبعث على السؤال: هل كان العدد في النسخة التي اعتمد عليها المرادي من كتاب المالقي (رصف المباني) أقلَّ من ذلك، فيكون موافقاً لعبارة «نِیفاً وتسعين»، أم أنَّ المقصود عالم آخر غيرُ المالقي؟ حتى إذا بدا لي بدأء، ونظرت في النسخة (أ) والمطبوعة (ط) =انتهيت إلى أنَّ الصحيح هو: «ترتقى بها عدَّةُ الحروف على المئة» بمعنى: تزيد على المائة، وتتجاوزها. ولذلك كان في «إلى» الذي أثبتَه المحقق تحريفٌ أخرج دلالة الكلمة عن المعهود في استعمالها، فضلاً عما غفل عنه هنا من بيان الفرق الذي بين النسخ.

ثم لو كان الأمرُ كما أورده المحققُ لكان في قوله: «ترتقى بها عدَّةُ الحروف إلى المائة» مخالفةً للعدد الذي ساقه منَ الحروف، لأنَّ تلك الحروف أزيدُ من مئة؛ فقد بلغتْ مئةً وخمسةً أحرف.

- ورد في الكلام على واو الثمانية، والأيات التي قيلَ فيها بذلك في القرآن الكريم [١ / ٣٠٩]: «وذهبَ المحققون إلى أنَّ الواوَ في ذلك إمَّا عاطفةً

وفي هذا في ضوء تقريرِ کلام ابن عطية في محرره إطلاق لا يطابق الواقع؛ لأنَّ کلام ابن عطية في مواضع كثيرة تربو على ثلاثين موضعًا بذلك على أنه كان يوقع «إذ» أحياناً مفعولاً به أو بدلًا منه<sup>(٦١)</sup>.

ثم إلى ذلك كان من واجب المحقق أن يوثق إجازة الأخفش والزجاج من كتبهما، ولو نهض لواجبه لوجد شيئاً من ذلك في كتابيهما في (معانی القرآن)<sup>(٦٢)</sup>.

#### \* بعضُ ما أهمل تحقیقه والتعليق عليه من النص:

من مهمَّة المحقق أن يبيَّن ما يحتاج من النص المحقق إلى تبيين، يشرح ما فيه من ألفاظ وتركيب ومصطلحات ابتعدت قليلاً أو كثيراً عن الوضوح أو الألفة، ويفصِّلُ ما أجمل، ويُعرِّف بما لا ليس معروفاً مشهراً، ويعقب بما يوضح بعض العبارات والأحكام التي خالطها ما يدعو إلى التوقف والسؤال. وكل ذلك ينبغي أن يكون بقدر، وبحسبه، دون تكليف أو مبالغة. وقد ترك المحقق هنا بعض ما يحتاج إلى تحقیق أو تعليق فيما كان في النص المحقق (الجني الدانی) في کلام المرادي، أو ما نقله من کلام الآخرين، على حاله، فترك بذلك بعض ما يجب أو ينبغي.

وهذه أمثلة دالة على ذلك:

- ورد في الفصل الخامس من فصول المقدمة في الكلام على عدَّة حروف المعانی [١ / ١٢٧]: «وذكر بعضُهم نِیفاً وتسعين حرفًا. وقد وقفتُ على كلماتٍ أَخَرَ مختَلَّةً في حرفتيها، ترتفقى بها عدَّةُ الحروف إلى المائة».

أ - قول المؤلف: «نِیفاً وتسعين» الذي جرى فيه

٦١- انظر: جهود ابن عطية الأندلسي النحوية والصرفية، ص ١١٧-١١٩.

٦٢- انظر: معانی القرآن، الأخفش، الزجاج، ٢٦٤، ٢٧٧، ٣٣٥-٣٣٥.

٦٣- ومعانی القرآن وإعرابه، الزجاج، ١، ٤٠٠.

المرادی عن بسط القول فيها، أو التنبیه على احتمال بعضها لوجه آخر ترك بيانها وتفصیلها، والإشارة العامة إلى ما في بعضها من أقوال أخرى طوى ذكرها. وقد كان من واجب الحق أن يقول بيـان ما كان من ذلك بإيجاز، وأن يوثق القول فيها، لكنه أعرض عن طائفة من ذلك، وأهملها، فكانت نسياً منسياً<sup>(٦٤)</sup>.

- كان المرادی أحياناً يعقب على بعض الأقوال والآراء بالعبارة المجملة: «وفيـه نظر»، دون أن يـبین عـمـا وراءـها، ويفـصلـ القـولـ فيهاـ<sup>(٦٥)</sup>. ومـثـلـ ذـلـكـ يـنـبـغـيـ أنـ يـنـوـبـ فيـهـ المـحـقـقـ عنـ المـصـنـفـ ماـ أـمـكـنـ، فـيـبـينـ المـقصـودـ عنـ اـجـتـهـادـ مـقـبـولـ، أوـ مـعـتـمـداـ عـلـىـ ماـ وـرـدـ فـيـ كـتـبـ الـعـرـبـيـةـ فـيـ مـثـلـ ذـلـكـ، عـنـ تـنـاـولـ تـكـ المـسـأـلـةـ الـمـعـيـنـةـ؛ فـإـذـاـ وـصـلـ إـلـىـ جـوـاـبـ اـتـكـ عـلـيـهـ فـيـ بـيـانـ ذـلـكـ؛ وـإـلـاـ تـوـقـفـ عـنـ الـقـطـعـ، وـاعـتـذـرـ.

ومن ذلك ما ورد في كلام المرادی على حرف الألف؛ إذ ساق لها عشرة أقسام، ثم ساق عشرة أقسام أخرى قال فيها: «لا يـنـبـغـيـ أنـ يـعـدـ منـهاـ شـيـءـ فـيـ حـرـوفـ الـمـعـانـيـ». ثم قال [١ / ٢٢١]: «وفيـ بعضـ الـأـقـاسـمـ الـمـتـقـدـمـةـ قـبـلـ هـذـهـ نـظـرـ».

وقد كان من واجب الحق أن يـعلـقـ علىـ ذـلـكـ بـمـاـ يـمـكـنـ، أوـ يـعـتـنـرـ اـعـتـذـارـاـ يـدـلـ عـلـىـ أـنـهـ لمـ يـغـفـلـ عـنـ ذـلـكـ. وـرـبـمـاـ كانـ وـرـاءـ ذـلـكـ النـظـرـ أـنـ بـعـضـ الـأـقـاسـمـ الـمـتـقـدـمـةـ قـائـمـ عـلـىـ الـبـدـلـ مـنـ غـيرـهـ، وـلـيـسـ أـصـلـاـ فـيـ ذاتـهـ. وـمـنـ ذـلـكـ الـأـلـفـ تكونـ بـدـلـاـ مـنـ نـونـ التـوكـيدـ الـخـفـيـةـ، أـوـ مـنـ تـنـوـيـنـ النـصـبـ.

- من واجب الحق إذا نقل المؤلف من كتاب معين سـمـاـهـ أـنـ يـخـرـجـ المـحـقـقـ ذـلـكـ النـقـلـ مـنـهـ، وـيـحـيلـ عـلـيـهـ،

٦٤- انظر مثلاً: الجنى الداني، المرادي، تـحـ: أـحـمـدـ الـأـعـرجـ، ٤٧٦، ٤٧٧، ٢، ٢١٣ / ١

٦٥- انظر مثلاً: المصدر السابق، ٢، ٢٨٤، ٢٨٥ .

وـإـمـاـ وـأـوـ الـحـالـ، وـلـمـ يـثـبـتوـاـ وـأـوـ الثـمـانـيـةـ. وـأـنـكـ الـفـارـسـيـ وـأـوـ الثـمـانـيـةـ لـمـ ذـكـرـهـ اـبـنـ خـالـوـيـهـ فـيـ بـابـ الـمـناـظـرـ..».

وـعبـارـةـ «ـفـيـ بـابـ الـمـناـظـرـ»ـ مـمـاـ يـسـتـوـقـفـ الـقـارـئـ وـيـدـعـوهـ إـلـىـ التـلـبـيثـ؛ـ وـلـذـلـكـ كـانـ عـلـىـ الـمـحـقـقـ أـنـ يـبـيـنـ الـمـرـادـ مـنـ ذـلـكـ،ـ وـهـوـ (٦٣)ـ أـنـ اـبـنـ خـالـوـيـهـ نـاظـرـ أـبـاـ عـلـيـ الـفـارـسـيـ فـيـ مـعـنـىـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ: ﴿ـهـتـىـ إـذـاـ جـاؤـهـاـ وـفـتـحـتـ أـبـوـأـبـهـاـ وـقـالـ لـهـمـ خـزـنـتـهـاـ سـلـامـ عـلـيـكـمـ طـبـتـمـ فـادـخـلـوـهـاـ خـالـدـيـنـ﴾ـ [ـالـزـمـرـ: ٧٣ـ]ـ،ـ فـذـهـبـ اـبـنـ خـالـوـيـهـ إـلـىـ أـنـ الـوـاـوـ فـيـهـ وـأـوـ الثـمـانـيـةـ،ـ وـأـنـكـ ذـلـكـ أـبـوـ عـلـيـ.

- وـرـدـ فـيـ الـكـلـامـ عـلـىـ لـامـ الـمـسـتـغـاثـ بـهـ [ـ٢٣٣ـ / ١ـ]ـ:ـ «ـفـإـذـاـ قـلـتـ:ـ يـاـ لـيـ،ـ اـحـتـمـلـ أـنـ يـكـونـ مـسـتـغـاثـاـ بـهـ،ـ وـمـسـتـغـاثـاـ مـنـ أـجـلـهـ.ـ وـقـدـ أـجـازـ اـبـنـ جـنـيـ الـوـجـهـيـنـ،ـ فـيـ قـوـلـ أـبـيـ الطـيـبـ:ـ [ـمـنـ الـطـوـيـلـ]ـ

فـيـ شـوـقـ مـاـ أـبـقـيـ وـيـاـ لـيـ مـنـ النـوـيـ وـقـالـ اـبـنـ عـصـفـورـ:ـ الصـحـيـحـ عـنـدـيـ أـنـ (ـيـاـ لـيـ)ـ حـيـثـ وـقـعـ مـسـتـغـاثـ مـنـ أـجـلـهـ؛ـ لـأـنـهـ لـوـ جـعـلـ مـسـتـغـاثـاـ بـهـ لـكـانـ الـتـقـدـيرـ:ـ يـاـ أـدـعـوـ لـيـ،ـ وـذـلـكـ غـيـرـ جـائـزـ فـيـ غـيـرـ (ـظـنـنـتـ)ـ وـمـاـ حـمـلـ عـلـيـهـ..ـ»ـ

وـالـقـوـلـ:ـ «ـغـيـرـ جـائـزـ فـيـ غـيـرـ (ـظـنـنـتـ)ـ وـمـاـ حـمـلـ عـلـيـهـ..ـ»ـ يـحـتـاجـ إـلـىـ تـبـيـنـ مـوـجـزـ،ـ مـعـ رـبـطـهـ بـمـاـ قـبـلـهـ.ـ وـالـمـقـصـودـ أـنـ (ـظـنـ)ـ وـأـخـواـتـهـ؛ـ أـيـ:ـ أـفـعـالـ الـقـلـوبـ،ـ يـجـوزـ أـنـ يـكـونـ الـفـاعـلـ وـالـمـفـعـولـ فـيـهـ وـاحـدـاـ،ـ كـأنـ تـقـوـلـ:ـ ظـنـنـتـنـيـ،ـ أـرـانـيـ،ـ...ـ،ـ وـلـمـ يـأـتـ ذـلـكـ عـنـ الـعـرـبـ فـيـ غـيـرـ إـلـاـ مـاـ شـذـ.ـ وـمـنـ ثـمـ لـاـ يـجـوزـ فـيـ رـأـيـ اـبـنـ عـصـفـورـ أـنـ يـكـونـ مـجـرـورـ لـامـ الـاستـغـاثـةـ مـسـتـغـاثـاـ بـهـ وـمـسـتـغـاثـاـ مـنـ أـجـلـهـ،ـ حـمـلـاـ عـلـىـ ذـلـكـ وـقـيـاسـاـ.

- وـرـدـ فـيـ بـعـضـ الـمـوـاضـعـ مـنـ نـصـ (ـالـجـنـىـ الدـانـيـ)ـ الـنـصـ عـلـىـ تـأـوـيـلـ بـعـضـ الـشـوـاهـدـ عـلـىـ أـوـجـهـ أـعـرـضـ

٦٣- انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ٨ / ٢٨٧ - ٢٨٨ .

الوهم، ويحفظ من اللبس، ويعُرِّف القارئ بحقيقة كل منها. من ذلك مثلاً « فعل المفعول، و فعل الفاعل» اللذان وردما في الكلام على لام الأمر [٢٤١ / ١]، ولم يلتفت إليهما الحق بالتنبيه والتوضيح. والمراد بهما الفعل المبني للمجهول، والفعل المبني للمعلوم.

ومنه مصطلح «الكوفيين» [١ / ٢٤٣] الوارد في عزو قراءة **﴿ثمَ لِيَقْطُعُ﴾** [الحج: ١٥] بسكون اللام بعد **﴿ثُمَّ﴾**. والمقصود منه إذا ورد في سياق القراءات القرآنية حاله هنا القراءة الثلاثة: عاصم وحمزة والكسائي.

وقد كان من غفلة الحق عن بيانه أن سرد هذا الموضع في فهرس القراءات القرآنية تارة [٢ / ٣٤١]، وفي فهرس المذاهب النحوية تارة أخرى [٢ / ٣٦٥]!

ومن ذلك مصطلح «المغاربة» الذي تردد في غير موضع، وأريد به جماعة من النحويين الذي يُنسبون إلى المغرب والأندلس، وكان لهم اتجاه نحو في بعض المسائل والفروع، يكاد يكون مذهبًا على حدة.

ومن تلك المصطلحات «الخلاف» و«المخالف»، و«التقاء الساكنين على غير حد»<sup>(٦٧)</sup>.

- من الكلمات التي أهل الحق تبيينها، فلم يشرحها «الحروف المعجمة» التي وردت فيما نقله المرادي [١ / ٣٢٣] من قول أبي عبيد: «قال أبو عبيد: الألف عند العرب ألفان: ألف مهومزة، وهي الهمزة. وإنما جعلت صورتها ألفاً لأنها لا تقوم بنفسها. إلا تراها تنقلب في الرفع واواً، وفي الفتح ألفاً، وفي الكسر ياءً. والألف الأخرى هي التي تكون مع اللام في الحروف المعجمة، وهي ساكنة. لا ألف في الكلام غير هاتين..».

لقد كان من مهمة الحق هنا أن يبين المراد من

إذا كان مطبوعاً متداولاً، أو مخطوطاً يمكن الوصول إليه؛ فإذا تعذر ذلك، أو كان مفقوداً، عرف به التعريف المناسب، وبين حاله. وهذا ما سعى المحقق هنا له سعيه، بيد أن غفل عنه في غير موضع<sup>(٦٨)</sup>، وزل في التعريف عنه حيناً.

فمن الأول مثلاً ما كان حيث ورد الكلام على اسمية «إلى». قال المرادي [١ / ٤٠١]: «قال الشيخ أبو حيان: وفيه نظر، لأن مثل هذا التركيب قد وجد في (إلى)...، ولا نعلم أحداً قال باسمية (إلى). قلت: قال ابن عصفور في (شرح أبيات الإيضاح): حكى أبو بكر الأنباري أن (إلى) تستعمل اسمًا، يقال: انصرفت من إليك، كما يقال: غدوت من عليك».

وقد غفل الحق في خدمة هذا النص عن أربعة أشياء:

أ. التعريف بكتاب ابن عصفور (شرح أبيات الإيضاح)، وبين حاله: هل هو مخطوط أم مفقود؟.

ب. ترجمة أبي بكر الأنباري.

ج. بيان معنى «إلى» فيما حکاه الأنباري: «انصرفت من إليك». وكأنني أرى فيه معنى «جهة»؛ أي: انصرفت من جهةك.

د. تقسيم الكلام على وجهه، وفصل المقطع المصدر بـ «قلت» عما قبله، بحيث يكون مقطعاً مستقلاً.

ثم من المناسب إلى ذلك التنبيه على أن الضمير في «قلت» يعود على المرادي، والتعليق له.

ومن الثاني ما بينته من قبل في الكلام على كتاب (البسيط) لابن العلّج، وتخليط الحق بينه وبين كتاب ابن أبي الربيع (البسيط في شرح الجمل).

- وردت في النص الحق بعض المصطلحات التي يحتاج القارئ في معرفتها إلى تبيين الحق؛ ليدفع

٦٧- انظر المصدر نفسه: ٢٩٤ / ٢، ٢٩٥ / ٢، ٢٦٢ / ٢.

٦٨- انظر مثلاً: المصدر نفسه: ١٣٨ / ٢، السطر ٨.

مفتاحُ جِيدٍ يمْكِنُ القارئُ والباحثُ منَ الاهتداءِ إِلَى  
بغيتهما العلمية، ومرادهما من النصِّ المحققِ عَلَى وَجْهِ  
الْقُطْعَ وَالْيَقِينِ، أَوْ أَقْرَبَ إِلَى ذَلِكَ، بَعِيدًاً عَنِ الْحَزَرِ  
وَالظُّنُونِ وَالتَّقْدِيرِ، وَمَا قَدْ يَقُولُ إِلَيْهِ ذَلِكَ مِنْ ارْتِبَاكِ  
وَضِياعِ جَهْدِ وَوقْتِهِ.

وقد كان من ذلك هنا أن صنع المحقق «للنحْص المحقّق»  
- كما نصّ في كلامه على عمله في التحقيق [١ / ٩٥]-  
- الفهرس الفنّي الشاملة التي تُيسّر الرجوع إلى  
أبواب الشرح [كذا] وفصوله وشواهده وأعلامه،  
تتميّماً للفائدة، وهي فهرس شواهد القرآن الكريم،  
وقراءاته، والحديث الشريف، وأقوال الصحابة،  
والآمثال، والأشعار، والأعلام..».

هذا من نصّ عليه الحقّ، ذكر أكثر الفهارس التي  
ذيل بها النص الحقّ لخدمته، ونسبي منها فهرس  
المذاهب النحوية، وفهرس القبائل ولغات العرب،  
وفهرس الكتب التي ذُكِرت في المتن.

ولست هنا في مقام الكلام على ما كان في تلك الفهارس التي أعدّها المحقق فهرساً فهرساً، لكنني أحببت أن أنبئ على أشياء تدلّ على ما وراءها.

أ- أهمل الحق من شواهد النص التي فهرسها  
قسمًاً ذا حظّ وافر، وهو أقوال العرب، التي ترکها،  
فكانـت - ما خلا مثين نصب لهما فهرساً مستقلاً  
برأسه - نسيـاً منسـياً.

بـ- بنى المحقق فهرس القراءات [٢٤١-٣٤٢] / على غير المعهود، إذ سرد القراءات بحسب القراء: قراءة أبّي = ١ / ٢٤٢، قراءة أنس = ١ / ٢٤٢، قراءة الشوادّ = ١ / ٤٢٨، في بعض السلف = ١ / ٥٠ . وبذلك شتّت القراءة الواحدة وفرقها بين قرائتها في غير موضع من ذلك الفهرس؛ ولم يبيّن حال تلك القراءة، ولا في أي آية، ولا في أي سورة من القرآن

ذلك؛ لأنَّ القارئ قد يظنُّ أنَّ الحروف المعجمة هنا هي  
الحروف المنقوطة (ب، ت، ث، ...)، التي هي خلاف  
الحروف المهملة غير المنقوطة (ح، د، ر، س، ...).  
والظاهر أنَّ «الحروف المعجمة» هنا هي صور  
الحروف الكتابية الدالة على حروف الهجاء، وفيها  
تُكتب الهمزة (أ)، وتقتربن الألف مع اللام (لا).

ومن هنا كان تبيين ذلك مفيداً، ومن الواجب الذي يتحمّله المحقق.

ومن تلك الكلمات ما كان في النص الذي نقله المرادي [١٢١] من كلام الزمخشري الذي وقع فيه أن حواءً خلقت من «قصيري» آدم. وكلمة «قصيري» من الكلمات غير المعروفة، وهي لذلك تحتاج إلى من يبين معناها، وقد كان ذلك واجب المحقق، لكنه لم يلتقط إليه البنة. ولو فعل لأفاد، ولعرف القارئ أن «القصيري» أعلى الأضلاع، وأسفلها، وهو ما قصيريان.<sup>(٦٨)</sup>

\* الفهارس الفنية للنص المحقق:

من وجوه الخدمة التي باتت قطعةً ملزمةً لتحقيق النّصّ التراثيّ تلك الفهارسُ الفنيةِ التي يُنذّيل بها النّصُ المحقّق. وتلك الفهارس منها فهارس عامّةٍ تصلح لكلّ نصّ، وفهارس خاصّةٍ بحسب كلّ نصّ، تملّيه طبيعة النّصّ وموضوعه وما دّته وشواهده. ولذلك تبدو لك بعض الفهارس تتفاوت في قيمتها وأهميّتها بين نصّ وآخر.

و تلك الفهارس التي يصطنعها هذا المحقق أو ذاك  
ليست زخرفًا تزيّن به خاتمة الكتاب، أو وسيلة ينفع  
بها في الكتاب، ليثقل وزنه ويكبر حجمه؛ بل هي إذا  
أعدت على أصولها بطريقة علمية منهجية صحيحة،  
و جمع لها صانعها شرطى الإحکام والاستيعاب

٦٨- المجمع الوسيط، (قصر) ٧٣٩، وانظر: تاج العروس،  
الزبيدي، (قصر) ٤٣٠ / ١٣ - ٤٣١.

= ٣٧١ / ٢)، ومرة أخرى بلفظ (الأخفش / أبو الحسن = ٣٧٢ / ٢)، وأن يكون في المكان الثاني بعض المواضع الواردة في المكان الأول؛ وأن تسرد مواضع ورود الربعي في مكانين: الأول بلفظ (الربعي = ٣٧٣ / ٢) والثاني بلفظ (علي بن عيسى الربعي = ٣٧٤ / ٢).

ومن ذلك أيضاً أن يذكر في مواضع ورود (أبو الحسن عبد الوارث) [٣٧١ / ٢] موضعان: (١ / ٣٢٦، ٣٩٢) مع أنه لم يرد في النص المحقق إلا مرة واحدة [٣٢٦ / ١، ٣٩٢ / ١]، أما الموضع الأول [٣٢٦ / ١] من النص فقد ورد فيه (أبو الحسن)، والمقصود به الأخفش، ولا علاقة له بالبُتة بأبي الحسن عبد الوارث!.

- من وجود الخلل في فهرس الكتب الواردة في المتن أن يذكر المحقق ورود كتاب ابن السعيد الذي بدأ به الفهرس: (إصلاح الخلل) في موضعين (١ / ٨٢، ١٧ / ٨٢)، مع أن الموضع الأول ورد فيه قول ابن السيد فقط دون تصريح باسم الكتاب.

ومنه أن يرد فيه [٢ / ٣٨٠] (شرح كتاب سيبويه للصفار = ١٢ / ٢). والمناسب لما ورد في المتن أن يذكر الكتاب بلفظ (كتاب الصفار) كما ورد في النص، وأن توضع بعد ذلك العبارة الشارحة المبينة (شرح كتاب سيبويه). ثم إن هذا الكتاب ورد في موضعين فات المحقق الموضع الثاني منهما [٢ / ٢٢١].

ومنه أن يذكر [٢ / ٣٨٠] كتاب (العين) منسوباً إلى الخليل، مع أن الوارد في النص مرتين في موضع واحد [٢ / ١٣٢] (صاحب العين). وهذه العبارة تشعر بأن قائلها لم ينته إلى يقين في نسبة هذا الكتاب إلى الخليل، وأن الشك يساوره في ذلك. ومثل هذا يتعدد في كتب التراث إشارة إلى التوقف في نسبة هذا الكتاب إلى الخليل، أو إلى الشك والارتياط.

كانت. وكل ذلك فيه ما فيه. والمناسب أن تسرد القراءات في هذا الفهرس بحسب الآية التي وقعت فيها من القرآن، وبحسب ترتيب السورة التي فيها. وأن تُعين تلك القراءة بوضوح وجلاء، ويُذكَر من قرأ بها، ويُذكَر الموضع الذي وردت فيه تلك القراءة في الكتاب. ومن شديد الاضطراب في هذا الفهرس أن ترى المحقق يذكر القراءة التي لم يُعِين قارئها في النص [٣٤٢ / ٢] تارة بلفظ «قرأ»، وتارة ثانية بلفظ «قراءة»، وتارة أخرى بلفظ «قراءة من قرأ».

ج - كانت بعض الفهارس التي نظرت فيها، واختبارتها في ضوء مادتها من النص المحقق، وترتيب مادتها فيها، بعيدة من الإحكام والاستيعاب، فيها من الاضطراب ما تشهد عليه الشواهد.

وهذه أمثلة دالة على ذلك:

- كان مما ورد في فهرس المذاهب النحوية [٣٦٥ / ٢] أن خالف المحقق ما كان في سائر الفهارس؛ إذ قسم ذلك قسمين بحسب المجلد، سرد مواضع ورود تلك المذاهب: البصريين فالبغداديين فالковيين فالغاربة في المجلد الأول على حدة، ثم انتقل إلى مواضع ورودها في المجلد الثاني.

- من أمثلة الخلل في الترتيب ما كان في فهرس القبائل ولغات العرب [٢ / ٣٦٧] إذ انتقل المحقق من ذكر أزد شنوة إلى هذيل فاليمين، فأسد، فبكر،...

وهكذا. وحق هذيل واليمين أن يؤخرا إلى آخر الفهرس.

- من أمثلة الخلل الواردة في ترتيب الأعلام في فهرس الأعلام أن يبدأ الفهرس [٢ / ٣٦٩] بباب خالويه، فطرفة، فقطرب، ثم ينتقل إلى ابن أبي الربيع، وابن أبي العافية.

ومن شواهد الاضطراب فيه أن تسرد مواضع ورود الأخفش في مكانين: مرة بلفظ (أبو الحسن

- ٢٠٠٥ م. - البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط٢، ١٩٩٠ م.
- بغية الوعاء في طبقات اللغويين والنحاة، السيوطي، تحرير: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية - صيدا.
- تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، تحرير: مجموعة من المحققين، ط الكويت، ١٩٦٥ - ٢٠٠١ م.
- التذليل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، أبو حيان الأندلسي، تحرير: د. حسن هنداوي، [ج١٥-١٦] ط١، دار القلم - دمشق، ١٩٩٧ - ٢٠٠٢ م، [ج٦-١٨] دار كنوز إشبيليا - الرياض، ٢٠٠٥ وما بعد.
- الجمل في النحو، الزجاجي، تحرير: د. علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٩٨٥.
- الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، تحرير: د. فخر الدين قباوة وأ. محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٩٩٢ م.
- الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، تحرير: أحمد الأعرج، دار ابن كثير - دمشق وبيروت، ط٢، ٢٠٢١ م.
- جهود ابن عطية الأندلسي النحوية والصرفية، إعداد عبد الناصر إسماعيل عساف، رسالة دكتوراه، جامعة دمشق، كلية الآداب، ١٩٩٦ م.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصبهاني، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٩ هـ.
- خزانة الأدب، عبد القادر البغدادي، تحرير: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط٤، ١٩٩٧ م.
- دراسات لأسلوب القرآن، محمد عبد الخالق

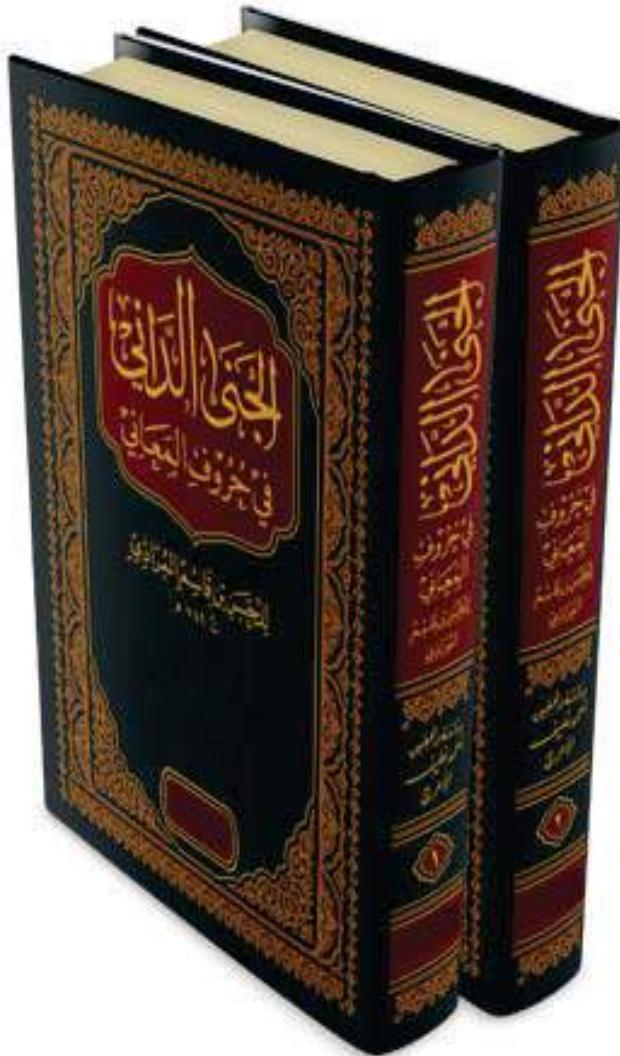
ومن هنا كان من المناسب موافقةً للنص أن يذكر الحقّ اسم (الخليل) بين [...]، إشعاراً بأن ذلك غير وارد في النص.

هذه جملة مما أحببت أن أبيّنه للقارئ، وأنبه الحقّ عليه، فلعلّ فيها خيراً. وعلى أن ذلك لن يسلبني النسبة في الحكم والنظر. ولو غفلت عن ذلك لبخست الحقّ حقّه؛ لأنّ هذا التحقيق على ما قلته وما طويته جيدٌ، أو أقرب إلى الجودة. وهذه الكلمة تدلّنا على أنّ إعادة التحقيق مسؤولية وأمانة ينبغي أن يكون القائم بها على قدرها اجتهاداً وتحقيقاً، وأنّ إعادة الطباعة ينبغي أن تستند إلى مزيد من الفحص والمراجعة؛ وأنّ صنيع البشر مظنة النقص، فلا ينبغي أن يُزكّى تزكية مطلقةً.

#### \* المصادر والمراجع:

- ابن العلج وكتابه البسيط، د. محمد حسن عواد، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، ع٤٧، ١٩٩٤ م.
- ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان، تحرير: د. رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط١، ١٩٩٨ م.
- إعراب القرآن، النحاس، تحرير: د. زهير غازى زاهد، عالم الكتب ومكتبة النهضة - بيروت، ط٣، ١٩٨٨ م.
- الأعلام، الزركلي، دار العلم للملايين - بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢ م.
- الإيضاح العضدي، أبو علي الفارسي، تحرير: د. حسن فرهود، مطبعة دار التأليف - القاهرة، ط١، ١٩٦٩ م.
- الإيضاح في شرح المفصل، ابن الحاجب، تحرير: د. إبراهيم عبد الله، دار سعد الدين - دمشق، ط١، ١٩٩٧ م.

- عالم الكتب - بيروت، ط١، ١٩٨٥ م.
- معاني القرآن، الفراء، تح: محمد علي النجار
- وأحمد يوسف نجاتي وعبد الفتاح شلبي، عالم الكتب
- بيروت، ط١، ١٩٨٠.
- معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، تح: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت، ط١، ١٩٨٨ م.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في القاهرة، دار الشروق الدولية ، ط٤، ٢٠٠٤ م.
- المقتضب، المبرد، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب - بيروت.



- عضيمة، دار الحديث - القاهرة.
- الدرر المنتشرة في الأحاديث المشتهرة، السيوطي، تح: د. محمد لطفي الصباغ، جامعة الملك سعود - الرياض.
- ديوان كعب بن مالك الأنصاري، تحقيق وشرح مجید طراد، دار صادر - بيروت، ط١، ١٩٩٧ م.
- شرح اللمع، ابن برهان، تح: د. فائز فارس، الكويت، ط١، ١٩٨٤ م.
- عقود الزبرجد على مُسند الإمام أحمد، السيوطي، تح: د. سلمان القضاة، دار الجيل - بيروت، ١٩٩٤ م.
- الفصول المفيدة في الواو المزيدة، صلاح الدين العلائي، تح: د. حسن موسى الشاعر، دار البشير - عمان، ط١، ١٩٩٠ م.
- الكامل، المبرد، تح: د. محمد الدالي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط٣، ١٩٩٧ م.
- الكتاب، سيبويه، تح: محمد عبد السلام هارون، عالم الكتب - بيروت.
- كتاب الحروف، الفارابي، تح: محسن مهدي، دار المشرق - بيروت، ط٢، ١٩٩٠ م.
- كتاب الحروف، الفارابي، عُنِي به إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ٢٠٠٦ م.
- مجاز القرآن، أبو عبيدة، تح: د. محمد فؤاد سزكين، دار الفكر ومكتبة الخانجي - القاهرة، ط٢، ١٩٧٠ م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تح: المجالس العلمية بفاس ومكناس وتارودانت، المغرب، ١٩٧٥ - ١٩٩١ م.
- مختصر في شواذ القرآن، ابن خالويه، نشر برحسنراسر، المطبعة الرحمانية - مصر، ١٩٣٤.
- معاني القرآن، الأخفش، تح: د. عبد الأمير الورد،

# نظارات في تحقيق كتاب «المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها»

لابن جنٰي (٣٩٢ هـ)

د. مهند سمير بيازيد\*

## مقدمة

تمثّل القراءات القرآنية على اختلاف أنواعها مصدراً رئيساً من مصادر الاحتجاج في اللغة وعلومها، وأقرَّ بمكانتها النحويون واللغويون إقراراً نظريّاً، لكننا لا نجد لهذا عند التعقيب أثراً كبيراً عندهم، فقعّدوا قواعدهم دون أن يولوها العناية التي تستحقها، ثم حكموا قواعدهم فيها، فألف ابن جنٰي كتاب «المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها» للاحتجاج للقراءات الشواذ بالأدلة السمعائية والقياسية؛ لبيان مكانتها التي أغفلها النحويون.

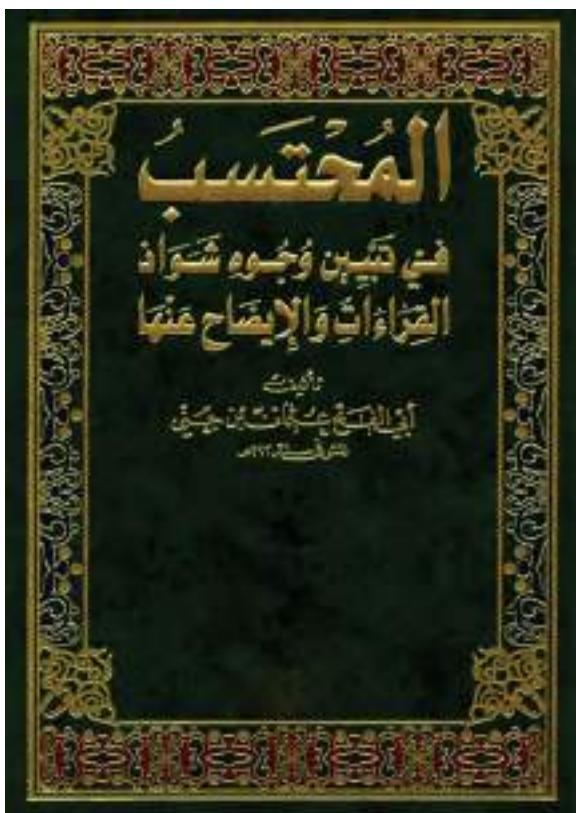
يجز القياس عليه ... وما ذكرتُه من الاحتجاج بالقراءة الشاذة لا أعلم فيه خلافاً بين النحوة<sup>(١)</sup>.  
وأجمع العلماء على أن كلام الله في القرآن الكريم هو أعلى نص بلغة العرب، وهو الغاية في البلاغة والفصاحة، فجعلوه مدار استشهادهم في كتبهم، ولا نعلم أحداً منهم خالف في ذلك، لا فرق في ذلك بين متواتره وشاذه<sup>(٢)</sup>.

وجرى في احتجاجه بالقرآن وقراءاته على اختلاف أنواعها، على ما أطبق الناس عليه، قال السيوطي: «أمّما القرآن، فكلُّ ما وردَ أنَّه قُرئَ به جاز الاحتجاجُ به في العربية، سواء كان متواتراً أم آحاداً أم شاذًا، وقد أطبق الناسُ على الاحتجاج بالقراءات الشاذة في العربية إذا لم تختلف قياساً معروفاً، ولو خالفته يُحتجُ بها في مثل ذلك الحرف بعينه، وإن لم

١- الإصلاح في شرح الاقتراح، ٦٧، ٦٨.

٢- خزانة الأدب، ١/٩.

\* باحث في شؤون التراث العربي.



الكتب المصنفة في توجيه القراءات الشواد، وأثنى عليه أنه «من أحسنها»<sup>(٥)</sup>، وذكر أن «توجيه القراءات الشاذة أقوى في الصناعة من توجيه المشهورة، ومن أحسن ما وضع فيه كتاب (المحتسب) لأبي الفتح»<sup>(٦)</sup>. وتأتي أهميته أيضاً في أنَّ ابن جني أودع فيه خلاصة علمه، وحصلية معارفه، وواسع تجربته؛ إذ أله في العقد الأخير من عمره، فجاء تطبيقاً لمعارفه كلها، ووضع فيه القراءات الشاذة في موضعها اللائق بها بين أدلة الاحتجاج السمعائية، وبواًها المكان الذي تستحق في الاحتجاج اللغوي.

وصرَّح في مقدمته أنَّ أستاذه الفارسيي (ت ٣٧٧ هـ) همَّ بتأليف كتاب في الاحتجاج للشواد التي ضمَّنَها ابن مجاهد كتابه الذي وضعه لذكر الشواد، لكن الشواغل

وأيدَ سعيد الأفغاني النظرة الإيجابية إلى القراءات الصحيحة، وأهمية احتكام النحاة إليها؛ لأنَّ هذا «أَعْوَدُ عَلَى النَّحْوِ الْخَيْرِ»<sup>(٢)</sup>، ورأى أنَّ قراءات القرآن جميعها حجة في العربية متواترها وأحادادها وشاذتها، وأنَّ «أَكْبَرَ عَيْبٍ يُوجَّهُ إِلَى النَّحَاةِ عَدْمُ اسْتِيعَابِهِمْ إِيَّاهَا، وَإِضَاعَتِهِمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَنَحْوِهِمْ مِئَاتَ مِنَ الشَّوَادِ الْمُحْتَاجِ بِهَا، وَلَوْ فَعَلُوا لِكَانَتْ قَوَاعِدُهُمْ أَشَدَّ إِحْكَاماً»<sup>(٤)</sup>، وهذا ما طبَّقه ابن جني في نهاية القرن الرابع الهجري، وألف من أجله كتاب «المحتسب في تبيين وجوه شواد القراءات والإيضاح عنها».

وتأتي أهمية هذا الكتاب أيضاً في أنَّه أول كتاب انتهى إلينا في هذا الفن في القرون الستة الأولى أفرده مؤلفه للاحتجاج للقراءات الشاذة ملتمساً لها وجوهاً من العربية، معتمداً على السمع والقياس والعلة، فوجَّهها نحوياً وصرفياً ولغوياً ودلالياً، محاولاً وضعها في المنزلة اللاائقة بها بين أصول النحو السمعائية، فاحتاج لها، ودافع عنها، وقدَّم بعضها على القراءات المتواترة، ورجَّحها عليها، وأورد وجوهاً قوية لما وصفه غيره بالشذوذ أو الضعف أو الإنكار أو الرد، مستندًا إلى القرآن وقراءاته متواترة وشاذة، والحديث النبوى، والشعر، ولغات العرب، وأقوالهم وأمثالهم، واستند أيضاً إلى القياس، والعلة، والسياق القرآنى العام والخاص، كما ارتكز على الثقة بالرواية، وعلى ظواهر صوتية كالوقف وغيره، لتأكيد قوَّة هذه القراءات التي دفعها كثيرٌ من النحاة قبله، ولم يعتدوا بها في إحكام القواعد النحوية، بل حكموا قواعدهم في القراءات الصحيحة المروية عن الأئمة الثقات، فرددوا وغلَّطوا وخطَّئوا. وعدَ الزركشي «المحتسب» من بين

٥- البرهان في علوم القرآن ١ / ٣٣٩.

٦- المصدر السالف ١ / ٣٤١.

٣- في أصول النحو ٢٢.

٤- المرجع السالف ٤٥.

المخطوطات في بعض الموضع، وقد تهياً لي أن أقف على أربع نسخ خطية<sup>(٨)</sup>، كان معمولٍ عليها، وهي:  
 - نسخة دار الكتب المصرية، رمزها (صل):  
 محفوظة في دار الكتب المصرية في القاهرة برقم ٧٨ (قراءات)، وعنوانها «المحتسب في تبيين وجوه شواد القراءات والإيضاح عنها»، تامة، وبلغت تصحيحاً ومقابلة، ومضبوطة ضبطاً شبه تام، وتتألف من (١٦٩) ورقة جيدة قديمة، بمقاييس (٣٨×٢٦ سم)، ومسطرتها ما يقارب (٢٦) سطراً، وعدد كلمات كل سطر نحو (١٧) كلمة، نُسخت سنة (٥٢٨هـ) بخط مغربي، وكتب الناسخ أسماء السور، ولفظ «ومن ذلك» عند بداية توجيه كل قراءة شاذة، بالسواد بقلم غليظ، ولم تخلُ من تحريف وتصحيف وسقط في مواضع يسيرة جدًا. وهي نسخة جليلة، تستمد قيمتها العلمية من سندتها المتصل بالمؤلف كما أسلفت.



الورقة الأولى من نسخة دار الكتب المصرية (صل)

<sup>٨</sup>- انظر: الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط، ١٨١-١٨٢، واستدراكات على تاريخ التراث العربي ١٢٦-١٣٨، وفهرس دار الكتب المصرية ١/٢٦.

صرفته عنه، فألف ابن جني كتاب «المحتسب» في هذا الفن؛ لتقديم عمل أراده أستاذه، ولللاحتجاج للشواد والدفاع عنها، وجعل كتابه مبنياً على كتاب ابن مجاهد في الشواد.

أخرج ناشرو كتاب «المحتسب» - علي النجدي ناصف وعبد الحليم النجار وعبد الفتاح شلبي - عن مخطوطتين في دار الكتب المصرية؛ كتبت أولاهما سنة ٥٢٨هـ بخطٌ مغربيٌّ واتخذت أصلاً، وأما الثانية فكتبت سنة ١٣٣٥هـ، وأغلب الظن أنها نُسخت عن الأولى، ورمز لها في مطبوعتهم بـ(ك). والواضح من دراسة سند النسخة التي اتخذت أصلاً أنها نسخة جليلة<sup>(٧)</sup>، وكان الأولى بمحققي الكتاب أن يُبيّنوا صفتها وقيمتها العلمية.

وتبلغ المأخذ على النسخة المطبوعة حدّاً يصعب معه استيعاب موادٍ واحدةً واحدةً، وهي ترجع عامَة إلى واحد من هذه الأمور:

- المأخذ على النسخ المعتمدة.
- المأخذ على المنهج المتبع.
- المأخذ على المصادر والمراجع المعتمدة.
- المأخذ على صناعة الفهارس.
- التقسيم في ضبط النص، أو ضبطه ضبطاً مُخلاً.
- إهمال تحرير ما يتطلب التحرير، أو تحريره من غير مظانٍ.

الأخطاء المطبعية التي وقعت في غير موضع. وسائل تصر في مقالتي هذه على المأخذ المتعلقة بنسخ النص؛ منها ما نُسخ خطأ، ومنها يصوبها ما جاء في غير النسخة الأصل، مرفقاً نماذج من صور

<sup>٧</sup>- فصل القول في ذلك الأستاذ أحمد راتب النفاخ في مقالة نشرها في مجمع اللغة العربية بدمشق مج ٤، ٥٧٩ / ٤ - ٧٦٣.

منها بالحركات إلا قليلاً، وتتألف من (١٨٠) ورقة، مسطرتها ما يقارب (٢٧) سطراً، وعدد كلمات كل سطر نحو (١٩) كلمة، وكتب الناسخ أسماء السور، ولفظ «ومن ذلك» عند بداية توجيه كل قراءة شاذة بلون أحمر، ولم تخلُ من تحريف وتصحيف وسقط في مواضع غير قليلة منها، ونسخ على الورقة الأولى سنداً إقراءً، كتبه مقرئه في الثامن والعشرين من رمضان سنة خمسينية للهجرة.



### الورقة الأولى من نسخة راغب باشا (ب)

- نسخة مكتبة مغنايسيا، رمزها (س):

محفوظة في مكتبة مغنايسيا في تركيا برقم (٤٥٣٦)، وعنوانها «المحتسب في شرح القراءات الشواد»، تامة، وبلغت مقابلاً وتصحيناً، وغير منقوطة في أغلبها، ولم يضبط شيء منها بالحركات إلا قليلاً، وهي تتتألف من (١٤٦) ورقة، مسطرتها ما يقارب (٢٨) سطراً، وعدد كلمات كل سطر نحو (١٨) كلمة، ولم تخلُ من السقط في مواضع يسيرة جداً، وهي نسخة جليلة، تستمد قيمتها العلمية من سندتها المتصل بالمؤلف، وناسخها عبد الله بن عيسى بن عبد الله المرادي المالكي من الأئمة المتقنيين أوائل عشر ربيع الأول سنة (٥٧٧ هـ).

- نسخة كوبيريلي، رمزها (ك):

محفوظة في مكتبة كوبيريلي في إسطانبول في تركيا برقم (٢٩٠ قراءات)، وعنوانها «المحتسب»، تامة، وبلغت مقابلاً وتصحيناً، ومطبوعة ضبطاً شبه تام، وتتألف من (٣٦٦) ورقة، بمقاييس (١١ × ٢٢,٥)، ومسطرتها ما يقارب (٢١) سطراً، وعدد كلمات كل سطر نحو (٧) كلمات، نسخت في القرن الخامس بخطٌّ مشرقيٌّ مقروءٌ، وفي هامشها لحقٌّ بخط كاتبها استدراكاً لما سها عنه في خلال كتابته في مواضع عدّة، ولم تخلُ من تحريف وتصحيف وسقط في مواضع غير قليلة منها، والراجح أن يكون ناسخها علي بن عبيد الله السمسمي (٤١٥ هـ) تلميذ ابن جني؛ إذ سندها غير مقروء بشكل واضح، غير أنه يتقطع مع نسخة مكتبة مغنايسيا. ونسخة كوبيريلي هذه هي التي كانت بحوزة الأستاذ أحمد راتب النفاخ، وليس نسخة راغب باشا كما ذكر في مقالته.



### الورقة الأولى من نسخة كوبيريلي (ك)

- نسخة مكتبة راغب باشا، رمزها (ب):

محفوظة في مكتبة راغب باشا في إسطانبول في تركيا برقم (١٣)، وعنوانها «المحتسب»، تامة، غير أنه وقع نقص في (٢٠) ورقة، والغالب أنه استكملاً من نسخة كوبيريلي، وبلغت مقابلاً وتصحيناً، ولم يضبط شيء

برأنيكينا ولما بعثنا رسالات انقطعت ما مرت أسلحتكم لمنها لمن ما دفعها  
علمكم دناراً واستوقيعه على الصحف الحكومية لدرجه من عذر انفلاتنا واستوقيع  
أموال الدارواه بغيرنا ما بلطتنا الى يحيى بن العلاء الالمي وسبع كل حمدنا واعمل

(نسخة دار الكتب المصرية/صل)

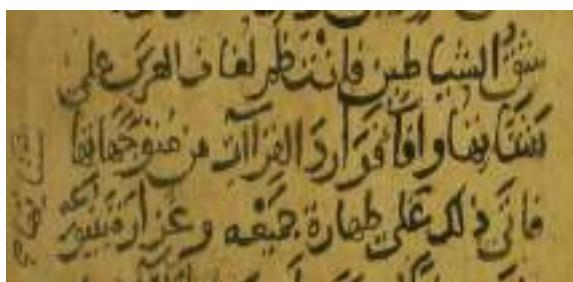
- جاء في المطبوع ١/٣١: «وَجَعَلْتَ عُنْوانَ  
تصديقه، الْبَاعِثَ عَلَى سُلُوكِ طَرِيقِهِ، مَا أَوْدَعْتَهُ مِنْ  
إعْجَازٍ كَلِمَةً الَّذِي كَدَّ بِمَهْلَهِ شَدَّ الْمُجَدِّينَ».  
قلت: الأقوام للسياق ما في بقية النُّسخ، وهو  
«المُجَارِيْنَ».

- جاء في المطبوع ١ / ٣١: «... واستولى بأوله علم آخر غاية الناطقينَ».

قالت: هي في (صل): «على آخر غاي» بالجمع، ورسمت بالياء مردودةً إلى الخلف هكذا (عائـة).

- جاء في المطبوع ١ / ٣٢: «فانتظمَ لغاتِ العربِ على مثناتها ... وارد القراءاتِ من متوجّهاتها». وُعلقَ في الحاشية: «بمكان النقط في الأصل طمس لم نتبينه، وبمكانها في (ك) بياض».

قلت: الصواب «شتاتها»، وتمام العبارة «وأفاء فوارد»، وهذا في بقية النسخ. ومعنى «أفاء» «أَرْحَمَ».



(نسخہ کویریلی / ک)

- جاء في المطبوع ١ / ٣٢: «... قرأ بكتير منه من جاذب ابن مجاهد عنان القول فيه، وما كان عليه، ورآده إليه ...».



الورقة الأولى من نسخة مغنيسيا (س)

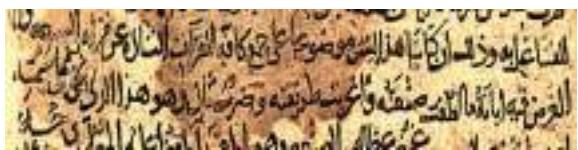
**أمثلة على وجوهٍ منَ الخلل في مطبوعة المحتسب:**

- جاء في المطبوع ١ / ٣١: «وَأَنْ تُحْسِنَ عَوْنَانَا وَتَسْدِيدَنَا عَلَى مَا أَجْمَعْنَا فِيهِ الْقُرْبَةَ إِلَيْكَ فِي أَمْلَنَا بِهِ لُطْفَ الْمَسْعَةِ فِيمَا يُدْنِي مِنْكَ». قلت: الصواب ما في (ك) و(ب): «الْقُرْبَةَ إِلَيْكَ وَأَمْلَنَا بِهِ لُطْفَ»، وهو أقرب معنى.

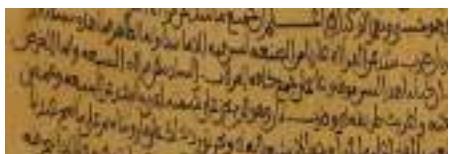
• جاء في المطبوع ١/٣١: "... واستُوفِيَ ما في الصُّحْفِ المحفوظة لديك من عدد أنافاسنا، واستُوئنفتُ أحوال الدَّار الآخرة بنا، فاقْلُبْنَا إلَى كنْزِ جَنَّتِكَ الَّتِي لم تخلق إلَّا لِنَ وَسِعَ ظُلُّ رحْمَتِكِ ...". وَعُلِقَ عَلَى كَلْمَةِ (كنز) في الحاشية أنها في (ك): (ظل).

قلت: هي في (صل) أيضاً (ظل)، ونسخها الناشرون خطأ، ويقوّي ذلك ما رُسم تحت الحرف الأخير، وهي علامه تشبه رقم (٨)، وتدل على ضبط الحرف المشدد المكسور<sup>(٤)</sup>، ولا حرف مشدد في (كنز). إضافة إلى أن كلمة (تلخق) نُسخت أيضاً خطأ، وهي (تلخّقها).

<sup>٥٥</sup>- انظر: تحقيق النصوص ونشرها.



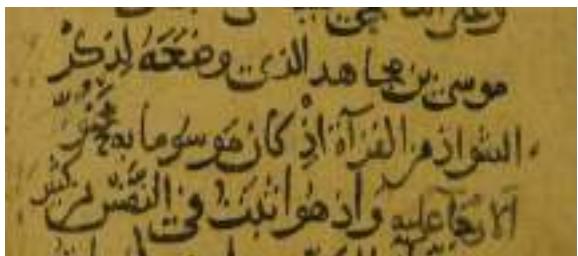
(نسخة راغب باشا/ب)



(نسخة مغنىسيا/س)

- جاء في المطبوع ١ / ٣٥: «... الذي وضعه لذكر الشواد من القراءة، إذ كان مرسوماً به، محنّوا الأرجاء عليه».

قلت: محضر الصواب «مرسوماً»، وهو في بقية النسخ.



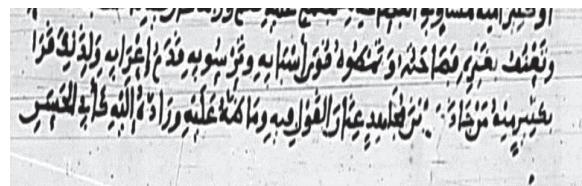
(نسخة كوبيريلي/ك)

- جاء في المطبوع ١ / ٣٩: «وأصل تصور الجمل في هذا المعنى أن تكون منفصلاً قائمة ببرؤوسها، وقد قرأها هنا كيف تصورت شديدة».
- قلت: «قرأها» تحريف، وهي في (صل) «تراها»، ولا معنى للقراءة هنا.

- جاء في المطبوع ١ / ٣٩: «وفي صدر هذه الجملة حرف التنبيه، وهو يكاد يفصلها عن لام التعريف بعض الانفصال، وهمما مع ذلك كالمتلاقيتين المعتقبتين مع حجزه بينهما وإعراضه على كل واحد منها».

قلت: الأشبه بالصواب «كمتلاقيتين المعتقبتين»،

قلت: هي في (صل) «وماظه عليه»؛ أي: خاصمه وشاقه وناظمه. وهو صواب العبارة، ويعزز ذلك ما رسم فوق حرف الظاء، وهي عالمة تشبه رقم (٧)، وتدل على ضبط الحرف المشدد المفتوح (١٠)، ولا حرف مشدد في (كنه).



(نسخة دار الكتب المصرية/صل)

- جاء في المطبوع ١ / ٣٢: «... أو تسويغاً للعدول عما أقرته الثقات عنهم».

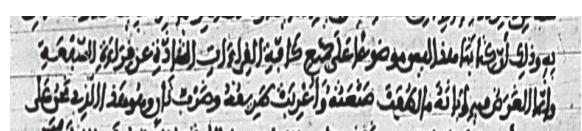
قلت: «أقرته» نسخت خطأ، وهي في (صل) «أثرته»، وهو الصواب.



(نسخة دار الكتب المصرية/صل)

- جاء في المطبوع ١ / ٣٥: «وذلك أن كتابنا هذا ليس موضوعاً على جميع كافة القراءات الشاذة عن قراءة السبعة، وإنما الغرض منه إبانة ما لطفَ صفتُه...».

قلت: الصواب «جُمِعَ كافَةً»، وهو في بقية النسخ.  
و«منه» و«صفته» نسختا خطأ وهما في (صل) «فيه» و«صنعته».



(نسخة دار الكتب المصرية/صل)

١٠- انظر: تحقيق النصوص ونشرها .٥٥

أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ السَّمَاوَاتِ رِزْقًا مُّبِينًا لِّكُلِّ أُنْشَاءٍ  
السَّمَاءُ كَوْثَرٌ فَإِذَا نَزَّلْنَا مِنْهَا مِنْ كُلِّ حَاجَةٍ جِئْنَا فَيَقُولُونَ مُعْجِزٌ  
لَا يَمْهُدُوا لَهُ الْفَوْزُ إِذَا هُوَ طَرِيقٌ إِذَا دَرَّى لَهُنَّا كُلُّ مَا يَتَوَسَّطُونَ  
أَرْجِيَّهُمُ الْمُؤْمِنُونَ بِمَا أَنْهَا كُلُّ مَا يَتَوَسَّطُونَ مَوْلَانُهُمْ  
أَرْجِيَّهُمُ الْمُؤْمِنُونَ بِمَا أَنْهَا كُلُّ مَا يَتَوَسَّطُونَ مَوْلَانُهُمْ

### (نسخة راغب باشا/ب)

لِلْمُؤْمِنِينَ مُلْكُ الْأَرْضِ وَهُوَ عَلَيْهِ بِحُكْمِ الْعِزَّةِ الْمُتَكَبِّرُونَ  
أَرْجِيَّهُمُ الْمُؤْمِنُونَ بِمَا أَنْهَا كُلُّ مَا يَتَوَسَّطُونَ مَوْلَانُهُمْ  
أَرْجِيَّهُمُ الْمُؤْمِنُونَ بِمَا أَنْهَا كُلُّ مَا يَتَوَسَّطُونَ مَوْلَانُهُمْ

### (نسخة مغنيسيا/س)

- جاء في المطبوع ١ / ٤١: «الصِّراطُ الَّذِي قد شاعتْ اسْتِقْامَتُهُ، وَتُعْوَلِّمَتْ فِي ذَلِكَ حَالُهُ وَطَرِيقَتُهُ، فَإِنَّ قَلِيلًا هَذَا مِنْكَ لَنَا زَاكَ عَنْدَنَا». قلت: «هذا منك» تحريف، ومحض الصواب «هدايتك»، وهو في (س).

لِلْمُؤْمِنِينَ مُلْكُ الْأَرْضِ وَهُوَ عَلَيْهِ بِحُكْمِ الْعِزَّةِ الْمُتَكَبِّرُونَ  
أَرْجِيَّهُمُ الْمُؤْمِنُونَ بِمَا أَنْهَا كُلُّ مَا يَتَوَسَّطُونَ مَوْلَانُهُمْ

### (نسخة مغنيسيا/س)

- جاء في المطبوع ١ / ٤١: «وَإِلَى مَا تَأْمُرُ بِهِ وَتَنْهَى  
فِيهِ صَائِرُونَ». قلت: محض الصواب «تنهى عنه»، وهو في (ك) و(ب).

- جاء في المطبوع ١ / ٤٣: «وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ:  
﴿أَنْعَمْتُ عَلَيْهِم﴾ [الفاتحة ١ / ٧] ذَكَرَ أَبُو بَكْرَ أَحْمَدَ  
بْنُ مُوسَى أَنَّ فِيهَا سَبْعَ قَرَاءَاتٍ: عَلَيْهِمُ وَعَلَيْهِمُ». قلت: تمام العبارات وبيانها «عَلَيْهِمُ» [بضم الهاء وإشباع الواو] و«عَلَيْهِمُ» كما في (ك) و(ب).

- جاء في المطبوع ١ / ٤٩: «وَإِذَا جَازَ اسْتِمْرَارُ  
الْبَدْلِ فِي نَحْوِ: (عَيْدٍ) وَ(أَعْيَادٍ)، وَإِجْرَاؤُهُ مُجْرَى  
(قَيْلٍ) وَ(أَقْيَالٍ)». قلت: محض الصواب في بقية النسخ، وهو «وإجراؤه

مُجْرَى (قَيْلٍ) وَ(أَقْيَالٍ)؛ ليتحقق اللفظان زنةً.

وهو في (س). «إعراضه» تحريف، وهي في (صل): «اعترافه».

ذَكَرَهُ الْمُتَكَبِّرُونَ فِي الْأَرْضِ وَهُوَ عَلَيْهِ بِحُكْمِ الْعِزَّةِ الْمُتَكَبِّرُونَ  
وَلِلْمُؤْمِنِينَ مُلْكُ الْأَرْضِ وَهُوَ عَلَيْهِ بِحُكْمِ الْعِزَّةِ الْمُتَكَبِّرُونَ  
أَرْجِيَّهُمُ الْمُؤْمِنُونَ بِمَا أَنْهَا كُلُّ مَا يَتَوَسَّطُونَ مَوْلَانُهُمْ

### (نسخة مغنيسيا/س)

- جاء في المطبوع ١ / ٣٩: «ذَكَرَنَا فِي كِتَابِنَا الْمَوْسُومِ  
بِ(سَرِّ صَنَاعَةِ الْإِعْرَابِ) مَا تَحْتَلُهُ (إِيَّاهُ) مِنَ الْمُثُلِّ،  
هُلْ هِيَ (فَعَلَ) أَوْ (فَعَيْلَ) أَوْ (فَعُوْلَ) أَوْ (إِفَعَلَ) أَوْ  
(فَعَلَلَ) أَمِنْ: (آءَةٌ) ...». قلت: في الكلام سَقْطٌ، رَمْهُ مِنْ بَقِيَّةِ النُّسْخِ، وَهُوَ:  
.. أو (فَعَلَلَ) [أو (فَعُلَى)]؟ وَمَنْ أَيِّ لَفْظُ هِيَ] أَمِنْ: (آءَةٌ) ...».

- جاء في المطبوع ١ / ٤٠ - ٤١: «وَإِذَا جَازَ أَنْ  
تُخَفَّفَ الْحُرُوفُ التَّقَالُ مَعَ كُوْنَهَا صَحَاحًا وَخَفَافًا:  
فَتَخْفِيفُ الْضَّعِيفِ التَّقْيِيلُ أَحْرَى وَأَوْلَى، فَمَنْ ذَلِكَ  
قَوْلُهُمْ فِي (رَبُّ رَجُل): (رَبُّ رَجُل)، وَفِي (أَرُّ): (أَرُّ،  
وَفِي (أَيِّ): (أَيِّ) ...».

- قلت: الأشباه بالصواب «فتخفيف التضييف» وهو  
في (ك). و «أَرُّ» تحريف، وثُمَّة سقط في (صل)  
أَغْفَلَ الأَسْتَادُ النَّفَاخَ الإِشَارَةَ إِلَيْهِ<sup>(١١)</sup>، وَتَكَمَّلَ الْعَبَارَةُ  
وَصَوَابُهَا: «قَوْلُهُمْ فِي (رَبُّ رَجُل)، [وَفِي (إِنَّ): (إِنَّ)،  
وَفِي (أَنَّ): (أَنَّ) ...]، وَهَذَا فِي (ب) وَ(س)».

وَخَفَافًا فَتَخْفِيفُ الْضَّعِيفِ التَّقْيِيلُ أَحْرَى  
وَأَوْلَى مِنْ ذَلِكَ فَتَخْفِيفُ رَبُّ رَجُلٍ

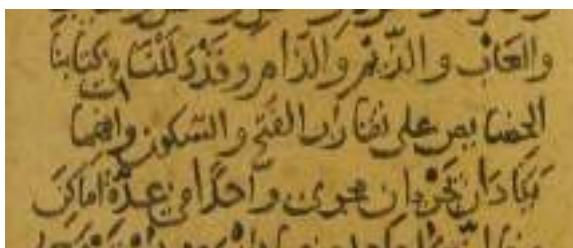
### (نسخة كوبوري/ك)

١١ انظر: مقالته مج ٤٢، ٧٦٨ / ٤.

جاء في المطبوع ١ / ٥٣: «لأنه قال: عَدَى (رضيَتْ)  
بِ (علَى)، كما يُعدَى نقِيضها وهي (سخَطَتْ) بها». قلت: نُسخت «نقِيضها» خطأ، وهي في (صل)  
«نقِيضتها». وصواب العبارة «كما تُعدَى نقِيضتها»  
من (ك) و(س)، ويشهد لذلك تأنيث الضمير العائد  
عليها.

● جاء في المطبوع ١ / ٥٣: «ومن ذلك قال ابن دريد  
عن أبي حاتم عن الأصممي». قلت: «قال [ابن مجاهد عن] ابن دريد»، وما زدته  
من بقية النُّسخ، وهو محضر الصواب.

● جاء في المطبوع ١ / ٥٤: «وقد دلَّنا في كتابنا  
(الخصائص) على تقاؤد الفتح والسكون، ولأنَّهما  
يكادان يجريان مجرَّاً واحداً في عدَّة أماكن». قلت: الصواب «تقارُب الفتح والسكون» وهو في  
(ك)، ولا معنى للتقاؤد هنا. و«وأنَّهما يكادان» من  
بقية النُّسخ، وهو أقوَم.



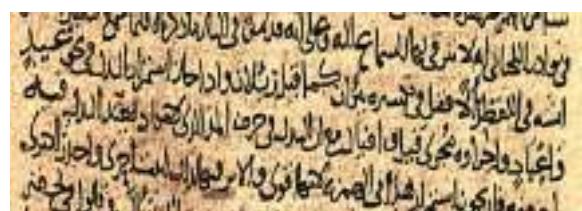
(نسخة كوبيريلي/ك)

● جاء في المطبوع ١ / ٥٤: «وإنما كان المتعدي  
أكثر من غيره من قَبْل أنَّ الفعل قد يكون حديثاً عن  
المفعول به، نحو: (ضرَبَ زَيْدٌ)، كما يكون حديثاً عن  
الفاعل، نحو: (قامَ زَيْدٌ). فكما لا بدَّ للفعل من الفاعل،  
فلذلك كثُر المتعدي».

قلت: صواب العبارة وتمامها «فكمَا لا بدَّ للفعل  
من الفاعل [لا بدَّ له من المفعول]، فلذلك كثُر المتعدي»،  
وهذه الزيادة في (ك).



(نسخة كوبيريلي/ك)



(نسخة راغب باشا/ب)

● جاء في المطبوع ١ / ٤٩: «فَإِنْ يَجُوزَ اسْتِمْرَارُ  
هذا في الهمزة لأنَّها أقوى، فَالْأَمْرُ لِذَلِكَ فِيهَا أَثْبَتُ  
وأَحْرَى وأَجْدَرُ».

قلت: نُسخت «فالأمر» خطأ، وهي في (صل) وبقية  
النُّسخ «فالأنَّ لِذَلِكَ».

● جاء في المطبوع ١ / ٥٢: «فَكثِيرًا ما يُجْرَى  
أحدهما مُجْرَى صاحبه، فَيُعَدَّ في الاستعمال به إِلَيْهِ،  
وَيُحْتَذَى في تَصْرُفِه حَذَوْ صاحِبِه». قلت: تمام العبارة وصوابها ما في (س)، وهو:  
يُحْتَذَى [بَه] في».

● جاء في المطبوع ١ / ٥٢: «لا تقول: (رَفَثْتُ إِلَى  
المرأة)، وإنما تقول: (رَفَثْتُ بِهَا وَمَعَهَا)، لِمَا كَانَ  
(الرَّفَثُ) بِمَعْنَى الإِفْضَاءِ عَدِيًّا بِ(إِلَى)». قلت: هُنَا سقط، رَمَّهُ: «ومعها، [لَكَنَّ] لِمَا كَانَ  
(الرَّفَثُ)\*\*، وهذه الزيادة في (ب) و(س) والخصائص  
٢ / ٣٠٨، ويعززها ما جاء في المطبوع ١ / ٥١: «وأَنْتَ إِنَّمَا  
تَقُولُ: (هَلْ لَكَ فِي كَذَا؟)، لَكَنَّه لَمَّا دَخَلْهُ مَعْنَى: أَجْدِبُكَ إِلَى  
كَذَا، وأَدْعُوكَ إِلَيْهِ قَالَ: (هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى؟)».

**مَوْلَانَةِ مَهَارَسَةِ**  
بِرَوْجَهُ حَلَّاهَنَدَادِ وَبِصَرِ ضَاحِتِ الْجَلَلَةِ وَالْأَنْجَهُ اَوْجَزَ تَكْفِهَ عَلَى يَادِهِ لِيَطَّاً لَعْدَهُ  
رَشَّهَا مَاعِرِفَهُ وَمَوْذَكَهُ بِرَاهَهُ عَالِمَ الْحَمَدَرَهُ وَعَيْزَرَ تَوْهَمَ حَقِيقَهُ مِنْ فَالَّذِي الْعَيْنَ

(نسخة دار الكتب المصرية/صل)

- جاء في المطبوع ١ / ٢٢٥: «وذلك أنه إنما احتياج إلى تأنيث الفعل عند تأنيث فاعله؛ لأنَّ الفعلَ انطبع بالفاعل حتَّى، اكتسَى لفظه من تأنيثه».

قلت: نسخت «انطبع» خطأ، وصوابها «انصبغ». أصلُهُ تَنْصَبَجْرِي لِفَعْلِ صَوَابِهَا وَسُوءِهَا مُخْوازِنَةً مَعَ مَاعِلِهِمَا وَثَارِيَةً لِلَّذِي مُنْدَدْهُ أَسْعَى مِنْ  
حَلَقَهُ لِلَّذِي مُنْدَدْهُ وَذَلِكَ لِمَا اخْتَيَرَ الْإِنْبَثُ الْعَلِيُّ عَذَنَ بَيْتُ مَاعِلِهِ لِلَّعْلَى لِصَبَغَهُ

فـَلِكِيلٌ حـَدِيثاً عـَنِ الْمُفْعـَلِ بـِعـَهـُ لـِحـُضـَرـِ زـَرـَدـَ  
كـَمـَا يـَكـُونـَ حـَدـِيثـَأـَعـَلـَ لـِغـَالـِ فـَقـَارـَزـِ زـَرـَدـَ كـَمـَا  
لـَأـَدـَدـَ لـِغـَالـِ فـَاعـَلـَ لـَأـَدـَدـَهـُ مـِنـِ الـِّمـُفـَعـَلـِ إـِلـَذـَكـَرـَ  
كـَمـَا لـَعـَدـَتـَكـَرـَ لـَأـَدـَدـَهـُ ذـَكـَرـَ سـَبـِيـَّلـَ إـِلـَيـَّنـِ الـِّغـَالـِ

(نسخة كوبيريلي / ك)

- جاء في المطبوع ١ / ٥٥: «وَإِنَّمَا كَانَ الضُّمُّ أَقْوَى؛ لَا تَنْهَا وَأُو جَمْعٌ، فَأَرَادُوا الْفَرْقَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ وَأَوْ (أُو) وَ(لُوْ)... كَمَا كَسَرَ أَبُو السَّمَّالِ وَغَيْرُهُ مِنَ الْعَرَبِ وَأَوْ الْجَمْعِ تَشْبِيهًا لَهَا بَوَأْ (لُوْ).»

قلت: صواب العبارة وتمامها «تشبيهًا لها بواً [أو] و[لو]»، وهذه الزيادة من (ب) و(ك)، وما يعززها أنَّ ابن جني ذكر قبل سطرين الحرفين.

- جاء في المطبوع ١ / ١٤٨ : «أَسْكَنَ الْهَمْزَةَ تِشْبِيهِ لَهَا بِالْأَلْفِ مِنْ حِيثُ تِسَاوَتِنَا فِي الْجَهْرِ، وَفِي الرِّيَادَةِ، وَفِي الْبَدْلِ، وَفِي الْحِرْفِ، وَفِي قُرْبِ الْمَخْرَجِ، وَفِي الْخَفَاءِ». قلت: «الْحِرْفُ» تحرِيفٌ، صوابه الحذف.

٤٣) وَرِئَاتٍ وَبَصَرٍ وَسُمْعًا وَفُؤُودًا وَمَا يَعْتَدُ مُغْرِبٌ بِعِصْمَةٍ دَاهِيًّا لِلْمَوْرِقَةِ فَيُقْبَلُ حَفْنَهُ الْبَثَّةُ مَارِيلَتُ اسْكَنَ الْمَوْرِقَةِ تَشْبِهُ مَالَ إِلَيْهِ لَمْ يَجِدْ مَوْصِبَتُ شَنَادِيرَةِ الْمَسْرُورَةِ الْإِزْرَادَةِ وَدَالِبَلَرَةِ الْمَذَرْبَ وَفَرْبَ الْمَجَنَّ وَالْمَنَّا وَفَوْلَانَةِ الْمَعْنَى وَفَرْسَبَتُ أَصْنَعَةَ وَدَارَنَادَهُ دَعْمَهُ مَلَلَهُ وَمَوْرَدَ لَكَ

(نسخة كوبن لم / ك)

- جاء في المطبوع ١ / ٣١٥: «فَإِنَّ فِيهِ مَعْنَى لِيُسْ فِيهَا، وَهُوَ تَبْيَّنُهُ مَعْنَى الْأَسْمَيَّةِ الْمُضْمِرِ الْمَتَّصِلِ الَّذِي شَعَّ بِالْفَعَالِ، فَمَا حَدَّهُ وَصَارَ كَحْزَءٍ مِنْهُ». قد

قلت: الأشبه بالصواب هو «شعب الفعل» من (ك) و(ب).

- جاء في المطبوع ١ / ٣٣٤: «وَلَا يَضِيقُ عَمًا يُحْتَاجُ  
مِنْ مُثْلِهِ إِلَيْهِ لِلسَّمَاعِ وَالْفَكَاهَةِ، لَكِنَّهُ عَلَى اعْتِدَالٍ،  
وَكَمَا يُسْتَحْسِنُ وَيُسْتَعْذِبُ مِنَ الْتَّقَالِ».

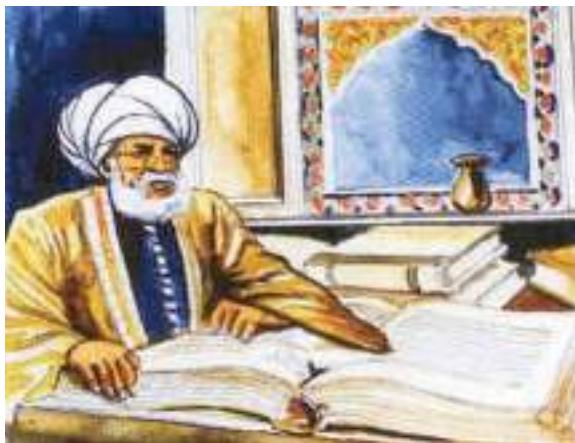
(نسخة دار الكتب المصرية/صل)

- جاء في المطبوع ١ / ٢٠٨ : «وإذا نصبَ أو جرَّ، عَطْفَهُ عَلَى مَا قَبْلَهُ، فصَارَ لَحْقًا وَتَنْعِيًّا».

قلت: نُسخت «تبعاً» خطأ، ولا معنى لها هنا،  
والصواب «صارَ لحْقاً ونِيَفاً»؛ والنِّيَفُ الزائد على  
غیره، ويقوّي ذلك ما رُسم تحت حرف الـياء، وهي  
علامة تشبه رقم (٨)، وتدل على ضبط الحرف المشدد  
المكسور<sup>(١٢)</sup>، ولا حرف مشدداً في «تبعاً».

<sup>٥٥</sup>- انظر: تحقيق النصوص ونشرها.

- عبد القادر البغدادي (١٠٩٣هـ)، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٤، ١٩٩٧م.
- ٦- الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جنّي (٣٩٢هـ)، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، المكتبة العلمية، مصر.
- ٧- الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط، علوم القرآن مخطوطات القراءات، مؤسسة آل البيت، عمّان-الأردن، ط٢، ١٩٩٤م.
- ٨- فهرس دار الكتب المصرية، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٤م.
- ٩- في أصول النحو، سعيد الأفغاني، مطبعة جامعة دمشق، ١٩٩٤.
- ١٠- المحتسب في تبيين وجوه شواد القراءات والإيضاح عنها (١)، أحمد راتب النفاخ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد ٤٢، الجزء ٤.
- ١١- المحتسب في تبيين وجوه شواد القراءات والإيضاح عنها، حقّق الجزء الأول من علي النجدي ناصف، وعبد الحليم النجار، وعبد الفتاح شلبي، والثاني على النجدي، وعبد الفتاح شلبي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٤م.
- للبحث صلة.



قلت: الصواب الذي لا مراء فيه ما في بقية النسخ، وهو «يُستَعْذِبُ من المقال». إنن: «المحتسب» لم يحقق تحقيقاً علمياً، ولم يُعن ناشروه - على ما بذلوه من جهد - بتحقيق المسائل النحوية والصرفية واللغوية وتوثيقها من مظانها، وهي بحاجة إلى عمق نظر. ولم يُعنوا أيضاً بتوثيق القراءات القرآنية إلا في مواضع قليلة. ثم إن التحرير كثُرَ في النص جرأ العجلة وعدم التمهل والتدقيق في نسخ النص وفهمه ووعيه، حتى قال الأستاذ أحمد راتب النفاخ في سياق بيانه واستدراكه مواضع على ناشري الكتاب: «وما أظنني - بعد - إلى غلو إذا ما رغبت إلى القائمين بالكتاب أن يعيدوا معارضته بالأصل ثانية، وأن يستعينوا على استكمال تحقيقه بأصول أخرى»<sup>(١٣)</sup>. وعسى أن تظهر للكتاب نشرة علمية محققة تُميّط ما وقع في نصه هذا من أذى.

#### المصادر والمراجع

- ١- استدراكات على تاريخ التراث العربي، قسم القراءات، إعداد د. حكمت بشير ياسين، تقديم بكر بن عبد الله أبو زيد، دار ابن الجوزي، السعودية، ط١، ١٤٢٢هـ.
- ٢- الإصلاح في شرح الاقتراح، د. محمود فجال، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٨٩م.
- ٣- البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين الزركشي (٧٩٤هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، ط١، ١٩٥٧م.
- ٤- تحقيق النصوص ونشرها، عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٧، ١٩٨٩م.
- ٥- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تأليف

١٣- انظر: مقالة الأستاذ النفاخ مج ٤٣، ٢٨١.

# اليمني في أخبار دولة الملك يمین الدولة أبي القاسم محمد بن ناصر الدولة أبي منصور سُبْكُتَكِينَ

لمؤلفه: أبي نصر محمد بن عبد الجبار العتبى المتوفى ٤٢٧ هـ / ١٣٥١ م<sup>(١)</sup>

د. ناهد محمود حسين<sup>(\*)</sup>

من تأمل في سير الماضين من الأقوام، حتى مع تقارب الشهور والأيام، ذاق ثمرة ما غرسوه على تطاول الدهور والأعوام، وعلّم علل الأحوال وفوانئها، وحيل الرجال ومكائد़ها، وعرف مبادئ الأمور ومصائرها، وقاس عليه أشباهها وظواهرها، وعمل بانفع ما جنى به من الفهم والعلم، فقد خلَّ لنا الماضون كماً كبيراً من كتب التاريخ التي وقفت على حوادث الزمان على مر الأيام، ليحفظوا لنا تراثنا الغزير، فالأحداث التاريخية والتطورات السياسية والحضارية التي شهدتها بلاد المشرق الإسلامي، قد دفعت كثيراً من الباحثين إلى تدوين هذه الأحداث، لأهميتها التاريخية، ولا سيما أن هذه البلاد شهدت حركة تأليف واسعة في كل الميادين العلمية، وقد كان للتدوين التاريخي نصيب وافر من هذه الحركة، إذ شعر المؤرخ أن المسؤولية قد وقعت على عاتقه في حفظ تاريخ هذه الأمة وتدوينه على وفق منهج منظم ودقيق، بدلاً من أن تبقى مجرد حكايات وقصص ملأى بالأساطير، ولهذا ظهر كثير من المؤلفات التاريخية التي عُنيت بدراسة تاريخ هذه البلاد، متلماً ظهرت دراسات تاريخية اختصت ببلاد المغرب والأندلس وغيرها من البلدان الإسلامية. وفي محاولة للتعریف بأسلوب التدوين التاريخي وأصوله في المشرق الإسلامي فقد جرى اختيار كتاب اليمني لأبي النصر محمد بن عبد الجبار العتبى للاطلاع على مدى تقدم علم التاريخ ومنهجه في تلك الحقبة من خلال دراسة هذا الكتاب. فقد دون العتبى للأجيال في كتابه هذا تاريخاً إسلامياً مبيناً، من خلال سردِه لمسيرة قائد من خير القادة والفاتحين في الإسلام الذي ركز على دعائم الدولة في مشرق الدولة العربية الإسلامية، بعد أن أوشكت أن تنهار من جراء ما أصابها من فتن وفلاقل، فأخذ على عاتقه صون الدين الإسلامي في ربوع شبه القارة الهندية، فكان له التأثير الواضح في تلك الحقبة الزمنية، هو والده وولده، حتى استحق اللقب الذي أطلق عليه وهو: سلطان السلاطين محمود بن سُبْكُتَكِينَ الغزنوي، وأصله من غزنة من جنوب كابل.

\* مدرسة في قسم التاريخ - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة دمشق.

١- للكتاب عنوان آخر: «اليماني في شرح أخبار السلطان يمین الدولة وأمين الله محمود الغزنوي».

والصراعات التي قامـت في خراسان وبـلـاد ما وراء النـهـر، ولم يـقـف في تـأـريـخـه عند هـذـهـ الحـدـود، وإنـما استطـرـدـ في التـأـريـخـ للأـمـرـاءـ والـسـلاـطـينـ وكـبـارـ رـجـالـ المـشـرقـ الإـسـلامـيـ في زـمـنـهـ، ولا سيـماـ أولـئـكـ الـذـينـ كانـ لـلـسـلـاطـانـ مـحـمـودـ وـوـالـدـهـ عـلـاقـةـ معـهـمـ، فـضـلـاـ عنـ الأـدـبـاءـ وـالـشـعـرـاءـ وـالـمـفـكـرـينـ وـالـكـتـابـ، مـغـنـيـاـ هـذـاـ التـارـيخـ بـوـصـفـ لـلـأـمـاـكـنـ الجـغـرـافـيـةـ التـيـ جاءـ ذـكـرـهـاـ فيـ سـيـاقـ التـارـيخـ، أوـ لـتـكـ الـتـيـ كـانـتـ مـسـرـحـاـ لـلـأـحـدـاثـ. فـضـلـاـ عنـ تـلـكـ الشـذـرـاتـ الأـدـبـيـةـ التـيـ حـفـلتـ بـالـبـدـيـعـ وـالـبـلـاغـةـ، نـاهـيـكـ عـنـ الشـعـرـ وـالـتـرـاجـمـ، مما جـعـلـ الـكـتـابـ مـحـطـ اـنـظـارـ الـعـلـمـاءـ وـالـكـتـابـ، وـمـوـضـعـ اـعـتـنـاءـ الـكـثـيرـينـ مـنـ الـكـتـابـ لـهـ بـالـشـرـوحـ. وـبـحـقـ يـعـدـ هـذـاـ الـكـتـابـ مـنـ أـبـرـزـ ماـ كـتـبـ عـنـ المـشـرقـ الإـسـلامـيـ، وـتـكـمـنـ أـهـمـيـتـهـ فيـ أـنـ الـمـؤـلـفـ كـانـ مـعاـصـرـاـ لـلـأـحـدـاثـ وـمـقـرـبـاـ مـنـ رـجـالـ الـدـوـلـةـ.

يـقـولـ بـرـوـكـلـمانـ فـيـ فـصـلـ السـيـرـ المـفـرـدةـ: «نـشـأـ أـوـلـ كتابـ مـنـ هـذـاـ النـوـعـ عـلـىـ أـرـضـ إـيـرانـ نـفـسـهـاـ، وـهـوـ سـيـرـةـ السـلـطـانـ التـرـكـيـ مـحـمـودـ الغـزـنـوـيـ، صـنـفـهـاـ أـبـوـ النـصـرـ العـتـبـيـ، وـهـوـ مـنـ أـسـرـةـ عـرـبـيـةـ مـجـيـدـةـ، وـكـانـ قدـ عـمـلـ فـيـ الإـدـارـةـ فـيـ عـهـدـ سـبـكـتـكـينـ وـابـنـهـ مـحـمـودـ، ثـمـ صـارـ أـخـيـراـ صـاحـبـ الـبـرـيدـ فـيـ رـسـتـاقـ الغـنـجـ، وـكـانـ وـفـاتـهـ فـيـ سـنـةـ ٤٢٧ـ هـ / ١٠٣٥ـ مـ»<sup>(٢)</sup>.

#### أـوـلـاـ: حـيـاةـ أـبـيـ النـصـرـ العـتـبـيـ:

كـانـ الـحـالـةـ السـيـاسـيـةـ فـيـ عـصـرـ أـبـيـ النـصـرـ العـتـبـيـ قدـ شـهـدـتـ ظـهـورـ عـدـدـ مـنـ الـإـمـارـاتـ الـمـسـتـقـلـةـ، كـماـ شـهـدـتـ الـحـيـاةـ الـفـكـرـيـةـ فـيـ المـشـرقـ الإـسـلامـيـ فـيـ عـهـدـ ظـهـورـ عـدـدـ مـنـ الـمـرـاكـزـ الـقـاـفـيـةـ وـالـفـكـرـيـةـ، وـنـضـجاـ فيـ الـعـلـومـ، وـكـثـرـ الـعـلـمـاءـ فـيـ عـصـرـهـ. لـذـكـ لـاـ بـدـ مـنـ الـحـدـيـثـ عـنـ حـيـاةـ أـبـيـ النـصـرـ العـتـبـيـ وـمـكـانـتـهـ الـعـلـمـيـةـ وـلـاـ سـيـماـ اـسـمـهـ وـكـنـيـتـهـ وـلـقـبـهـ وـنـسـبـهـ وـنـشـائـتـهـ وـأـسـرـتـهـ

<sup>(٢)</sup> بـرـوـكـلـمانـ، تـارـيخـ الـأـبـ الـعـرـبـيـ، جـ٦ـ، صـ١ـ.



ويـعـدـ كـتـابـ الـيـمـينـيـ مـنـ الـمـوـارـدـ الـمـهـمـةـ لـدـرـاسـةـ تـارـيخـ الـمـشـرقـ الإـسـلامـيـ، فـقـدـ كـانـ الـعـتـبـيـ أـحـدـ الـعـامـلـينـ عـنـ السـلـطـانـ مـحـمـودـ الغـزـنـوـيـ وـمـنـ الـمـقـرـبـينـ إـلـيـهـ، كـمـ سـيـرـيـ الـقـارـئـ فـيـ ثـنـيـاـ الـبـحـثـ الـذـيـ يـتـضـمـنـ سـيـرـةـ حـيـاتـهـ، فـقـدـ اـهـتـمـ الـكـتـابـ بـتـارـيخـ الـدـوـلـةـ الـغـزـنـوـيـةـ وـقـدـمـ أـخـبـارـاـ قـيـمةـ وـنـادـرـةـ عـنـ أـبـرـزـ سـلـاطـينـهـاـ، فـكـتبـ عـنـ سـيـرـةـ هـذـاـ السـلـطـانـ وـوـالـدـهـ سـبـكـتـكـينـ بـالـتـفـصـيلـ، مـعـ إـشـارـاتـ لـعـهـدـيـ نـجـلـيـهـ مـحـمـودـ وـمـسـعـودـ، وـقـيـدـ شـطـرـاـ مـنـ وـقـائـعـ الـعـصـرـ السـامـانـيـ. مـاـ أـغـنـيـ الـمـكـتـبـةـ الـعـرـبـيـةـ الـإـسـلامـيـةـ، مـؤـرـخـاـ لـلـكـثـيرـ مـنـ الـحـوـادـثـ وـالـلـغـزوـاتـ وـالـحـرـوبـ وـفـتوـحـاتـ هـذـاـ السـلـطـانـ فـيـ بـلـادـ الـهـنـدـ،

ولم يختلف في اسمه أنه محمد بن عبد الجبار العتبى. لكن الخلاف كان حول كنيته، فجاء في المصادر «أبو النصر»، و«أبو النضر»، و«أبو نصر»، ولكن على ما يبدو أن الأصح أبو النصر، لأن الثعالبى ت ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م وهو المعاصر له ميز كنيته بوضوح حينما قال: «أبو النصر محمد بن عبد الجبار العتبى... وقدم خراسان على خاله أبي نصر العتبى»<sup>(٩)</sup>. كذلك يلحظ ذلك من عنوان كتاب للعتبى نفسه «شذور النصر من كلام أبي النصر»<sup>(١٠)</sup>، إذ يوحى السجع بأنه أبو النصر لا أبو النضر. ولا يخفى على القارئ سهولة تصحيف هذين الحرفين.

وعلى الرغم من ورود ذكره في عدد من المصادر، لم يقدم كل من ذكره من المؤرخين ترجمة وافية لحياته. وما زاد الأمر إرباكاً تشابه كنيته ولقبه مع خاله أبي نصر العتبى. فلأننا نعرف الكثير عن حياته الخاصة إلا مذهب الشافعى<sup>(١١)</sup>، وعلاقته بالشاعر أبي الفتح البستى ت ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩ م أو ٤٠١ هـ / ١٠١٠ م، الذي عمل معه بعضاً من الوقت في ديوان الإنشاء للأمير أبي علي<sup>(١٢)</sup>. كما كانت له علاقة ودية تربطه بأبي الطيب الصعلوکي ت ٤٠٤ هـ / ١٠١٣ م<sup>(١٣)</sup> وهو من كبار

ومذهبة وشيوخه وعلاقته بمعاصريه والوظائف الإدارية التي شغلها العتبى في الدولة وأراء العلماء المعاصرين له والمتاخرين فيه.

هو أمين الملك<sup>(٤)</sup> محمد بن عبد الجبار العتبى، الرازى الأصل، الشافعى، أبو النصر، المؤرخ والمفسر والأديب الناشر البديع والشاعر والعالم الفاضل، عاش زمن الخلافة العباسية<sup>(٥)</sup>، من المؤرخين والأدباء في القرن الرابع والخامس الهجرى / العاشر والحادي عشر الميلادى، وكاتب السلطان الغزنوى محمود بن سُبْكُتَكِينَ (٣٨٩ هـ - ٩٩٨ م / ١٠٣٠ م)، عاصر الغزنوين، وله كتاب تاريخ اليمني ألفه للسلطان محمود الغزنوى.

ولد العتبى في مدينة الري في بلاد فارس في النصف الثاني من القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى، وهو ذو أصول عربية؛ إذ يرجع نسبه وتاريخ أسرته إلى الصحابي عتبة بن غزوان متصدر البصرة «باني البصرة»<sup>(٦)</sup>، وفي الري نشأ العتبى، فقد توطن أحد أجداده في الري حيناً من الزمن<sup>(٧)</sup>، وشغل اثنان من هذه الأسرة منصب الوزارة للسامانيين هما: أبو جعفر العتبى، وأبو الحسين العتبى، وكان قد فارق وطنه الري في مقتبل شبابه إلى خراسان، وأقام عند أحد أقربائه هناك<sup>(٨)</sup>.

٩- الثعالبى، يتيمة الدهر، ج ٤، ص ٤٥٨.

١٠- الجاجرمى، نكت الوزراء، ص ١٦٠.

١١- ابن الصلاح، طبقات الفقهاء الشافعية، ج ١، ص ٢١٠. ابن الملقن، العقد المذهب، ص ٢٧١.

١٢- كتب أبو الفتح البستى لأبي النصر العتبى:

**كلام لأبي النصر موفى واجب النحل**  
فما أدرى جنى النحل أتاني أم جنى النحل  
الثعالبى، يتيمة الدهر، ج ٤، ص ٣٦٦. ابن الصلاح، طبقات الفقهاء الشافعية، ج ١، ص ٢١٠. ابن الملقن، العقد المذهب، ص ٢٧١. الخولي، أبو الفتح البستى، ص ٢٨١.

١٣- الثعالبى، يتيمة الدهر، ج ٤، ص ٤٦٧.

٤- الحموى، معجم الأدباء، ج ٣، ص ١١٠٧.

٥- كحالة، معجم المؤلفين، ج ١٠، ص ١٢٦.

٦- السمعانى، الأنساب، ج ٩، ص ٢٢٠. الصفدى، الواي بالوفيات، ج ٣، ص ١٧٨.

٧- الثعالبى، يتيمة الدهر، ج ٤، ص ٤٥٨.

٨- الثعالبى، يتيمة الدهر، ج ٤، ص ٤٦٥. ورد عند الثعالبى في يتيمة الدهر، ج ٤، ص ٤٥٨ : «قدم أبو النصر محمد بن عبد الجبار العتبى خراسان على خاله أبي نصر العتبى، وهو من وجوه العمال بها وفضلاهم؛ فلم يزل عنده كالولد العزيز عند الوالد الشقيق إلى أن مضى أبو نصر إلى سبيله، ومات».

إلا على استيائه الشديد منه، وامتلاكه ناصية الأدب واللغة بصورة محكمة. وكان معروفاً بالأدب أيام السامانيين؛ إذ نجد رسالة منه إلى الأمير الرضي نوح بن منصور (٣٦٥ هـ / ٩٧٥ م) يعزّيه بوفاة والدته. ولكن يصعب الأخذ بإشارة ابن خلكان ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م حينما قال في ترجمة الحاكم النيسابوري: تقدّم القضاء بنисابور في سنة ٣٥٩ هـ / ٩٦٩ م في أيام الدولة السامانية وزارة أبي النصر محمد بن عبد الجبار العتبى<sup>(١٤)</sup>. إذ لم يرد في المصادر المعاصرة ما يشير إلى تسلمه منصب الوزارة، لا هو، ولا خاله أبو نصر العتبى الذي قال عنه العتبى: «وهو من وجوه العمال بها - أي بخراسان - وفضلاهم»<sup>(١٥)</sup>. وبقي هكذا إلى وفاته كما يصرح العتبى نفسه.

لا ذكر لشيخ العتبى، فلم أُصب شيخاً له عند من ترجم له، ولم يرد شيء عن تعليمه ولا سيما أنه فارق وطنه الري وهو في مقتبل شبابه، وتوجه إلى خراسان. أمضى العتبى السنوات الأخيرة من حياته معتزلاً في الأعمال الديوانية والوظائف، ذلك أننا لا نجد له خبراً في أي نشاط يُشار إليه عقب ما ذكره هو من دسيسة حِيكَت عليه، ويبدو أنه ذهب إلى بخارى وتُوفِّي هناك، إذ يقول معين القراء: إن قبره وقبر الشاعر رضي الدين النيسابوري ت ٥٩٨ هـ / ١٢٠١ م كانا في موضع يُدعى حضيرة الفضلاء في الخن الصغير التابع لمدرسة خان في بخارى. ويبقى تحديد سنة وفاة أبي النصر العتبى الرازى صعب المنال، بسبب تضارب الأقوال: منهم من يحددها سنة ١٣٤٥ هـ / ١٠٢٢ م<sup>(١٦)</sup>

١٩- ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٢٨١.

٢٠- العتبى، يتيمة الدهر، ج ٤، ص ٤٥٨.

٢١- العتبى، يتيمة الدهر، ج ٤، ص ٢٨١، ٢٨٩. ابن المستوفى، تاريخ إربل، ج ٢، ص ١٠٢. الصفدي، الواقي بالوفيات، ج ٣، ص ١٧٨. كلالة، معجم المؤلفين، ج ١٠، ص ١٢٦.

الفقهاء الشافعية<sup>(١٧)</sup>، وبأبي منصور العتبى<sup>(١٨)</sup>، وبأبي سعد محمد بن تمام المؤدب<sup>(١٩)</sup>، الذي كتب له:

**أبا سعد فديتك من صديق  
بكل محسن الدنيا خليق**

**أهم ببسط حجري للتقاط**

**إذا حضرت بالدر النسيق<sup>(٢٠)</sup>**

تقلّبت بأبي النصر العتبى أحوال وأسفار في الكتابة، فلما اشتَدَّ عوده وأصبح كاتباً بارزاً، عمل في الكتابة لصالح الأمير أبي علي المظفر بن محمد بن إبراهيم بن سيمجور ت ٣٨٦ هـ / ٩٩٦ م، وانتهت إليه رئاسة ديوان الإنشاء في خراسان وال العراق، فقد عمل كاتباً لدى أبي منصور نصر بن سُبْكُتَكِينَ (٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م) والد

السلطان محمود الغزنوي بصحبة أبي الفتح البستي الشاعر، ثم للسلطان محمود بن سُبْكُتَكِينَ، ثم توّلَ النيابة عن شمس المعالي قابوس بن وَشَمَكِيرَت ٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م في خراسان، ثم استوطن نيسابور، وعُكِفَ على الكتابة الأدبية والنشرية، وقد أودع كتاباته البدعية في كتب ضائع أغلبها، وفي آخر حياته توّلَ منصب صاحب البريد في رستاق الغنج<sup>(٢١)</sup>. غير أن هذا المنصب لم يدم له طويلاً بسبب سوء علاقته مع عاملها أبي الحسن البغوي، مما جعله ينشئ في هجائه رسالة قاسية اللهجة، شديدة الواقع على سامعها، عرّض فيها بشخص البغوي تعريضاً لا يدل

١٤- السبكي، طبقات الشافعية، ج ٣، ص ٤٣.

١٥- العتبى، شمار القلوب، ص ٣٧٢. يتيمة الدهر، ج ٤، ص ٣٤٦.

١٦- الققطى، المحمدون من الشعراء، ج ١، ص ١٧٣.

١٧- الباخزى، دمية القصر، ج ٢، ص ١٢٨٣.

١٨- العتبى، يتيمة الدهر، ج ٤، ص ٤٥٨. ابن المستوفى، تاريخ إربل، ج ٢، ص ١٠٢. حاجي خليفه، كشف الظنون، ج ٢، ص ٢٠٥٢.

البغدادى، هدى العارفين، ج ٢، ص ٦٨. الزركلى، الأعلام، ج ٦، ص ٢٩٧-١٨٤. عبد الرحمن، معجم الشعراء العباسيين، ص

فروخ، تاريخ الأدب العربي من مطلع القرن الخامس الهجري إلى الحكم العثماني، ص ٩٥-٩٦. كلالة، معجم المؤلفين، ج ١٠، ص ١٢٦.

من بقاع الرّمل، وأحلى من اجتماع الشّمل؛ وفهمه أدقّ من مدارج النّمل تمثيلاً، وأرقّ من طبع صافي الماء تخيلًا؛ كلماتٌ مُحكمةٌ بقوّة الأسباب، مُحكمةٌ كنشوة الرّاح للأباب، فآهًا لهُ من خبر طواهُ أمسُهُ، ومن بحر حواهُ رمْسُهُ، ومن حُرّ أضاءَ ليوم، ما طلعَ حتى غابت شمسُهُ<sup>(٢٦)</sup>. كما أنسدَ أبو الفتح البستي في مدح أبي النصر أبياتاً كثيرة<sup>(٢٧)</sup>.

وقال عنه الجاجري: «كان معدناً لبدائع النثر، ومنبعاً لروائع النّظم»<sup>(٢٨)</sup>.

ويقول ياقوت الحموي ت ١٢٢٦هـ / ١٢٢٨م خلال حديثه عن الطغرائي: «لم يكن في الدولتين السلاجوقية والإمامية من يماثله في الإنشاء سوى أمين الملك أبي نصر العتببي»<sup>(٢٩)</sup>.

### ثانياً: مؤلفات العتببي العلمية وأثاره:

١- **مؤلفات العتببي:** إلى جانب عمله الإداري اشتهر أبو النصر العتببي بأنه أديبٌ ومؤرخٌ ومن أشهر مؤلفاته:

أ- **اليماني:** مطبوع، كتبه أبو النصر العتببي في شرح أخبار السلطان العادل يمين الدولة وأمين الله محمد بن ناصر الدين أبو منصور سُبْكِتَكِين الغزنوي، أنشأه بأسلوب أنيق، وهو الوحيد الذي سَلَمَ من مؤلفاته إلى جانب بعض القطع الأدبية النثرية والأبيات الشعرية. يتناول فيه سيرة يمين الدولة، ويُعنون أيضاً «تاريخ سُبْكِتَكِين الغزنوي»، و«تاريخ آل سُبْكِتَكِين»، و«تاريخ العتببي» نسبة إلى مؤلفه، كما يقال له: «تاريخ اليمني» أو «سيرة اليمني» أو «اليماني» نسبة إلى السلطان

٢٦- مسالك الأبصار، ج ١٢، ص ١١٩-١٢٠.

٢٧- طبقات فقهاء الشافعية، ج ١، ص ٢١٠.

٢٨- نكت الوزراء، ص ١٦٠.

٢٩- معجم الأدباء، ج ٣، ص ١١٧.

ويحددها آخرون بسنة ٤٢٧هـ / ١٠٣٥م<sup>(٢٢)</sup>. ويحددها آخرون سنة ٤٣١هـ / ١٠٣٩م<sup>(٢٣)</sup>. فعدم وجود معطيات دالة لترجيح أحد هذه الآراء، يجعلنا عاجزين عن الجزم بسنة وفاته. على أن من المستغرب أن معاصريه لم يتطرقوا لهذا الأمر، حتى ابن الأثير ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م الذي حرص على تسجيل وفاة أبي نصر بن مُشكَان ٤٣١هـ / ١٠٣٩م كاتب الإنشاء للسلطان محمود وولده السلطان مسعود لم يعر اهتماماً لوفاة أبي النصر العتببي<sup>(٢٤)</sup>.

كان أبو النصر العتببي الرازي صاحب سيرة ذاتية أدبية زاخرة، أثنى عليها المؤرخون والمعاصرون له، وومن جاؤوا من بعده. فقد ذكر الشاعري صديقه العتببي في كتابه «يتيمة الدهر»: «هو لمحاسن الأدب وببدائع النثر ولطائف النظم ودقائق العلم كالبنيوع للماء، والزند للنار، يرجع معها إلى أصل كريم، وخلق عظيم»<sup>(٢٥)</sup>.

وقال عنه شهاب الدين ابن فضل الله العمري ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م: «هو من أصحاب الغوص البعيد، والمعاني البديعة، واللفظ السهل، والخاطر الوقاد، والفكر الجوال، والصوغ اللائق، والورد السائغ؛ لا يُماثل إنسان، ولا يُشاكل في خراسان؛ دون كلمه سحرُ بابل، ونشرُ كابل؛ لو شاء أو هم الغوانمي في عقودها، والأغصان في بُرودها؛ وكان حفظه مع سعة مُخِيلته، وصفاء مُصوّرته ومُمثّلته؛ وحفظه أحوى

٢٢- الطهراني، الذريعة، ج ٣، ص ٢٥٦. بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج ٦، ص ١. تبريزي، ريحانة الأدب في تراجم المعروفين بالكنية أو اللقب، ج ٢، ص ٨٦. حالة، معجم المؤلفين، ج ١، ص ١٢٦. الزركلي، الأعلام، ج ٦، ص ١٨٥.

٢٣- حاجي خليفة، كشف الظنون، ج ٢، ص ٢٠٥٢. البغدادي، هدية العارفين، ج ٦، ص ٦٨.

٢٤- ابن الأثير، الكامل، ج ٧، ص ٧٩٧.

٢٥- الشاعري، يتيمة الدهر، ج ٤، ص ٤٥٨.



- جـ - كتاب «شذور النصر من كلام أبي النصر»<sup>(٣٤)</sup>.
- دـ - كتاب «المبدع»، والأرجح أن يكون المقصود به اليمني عينه<sup>(٣٥)</sup>.

## ٢ - العتبى الشاعر والناثر:

العتبى كاتب متسلل بارع، نظم غير قليل من الشعر وأجاد فيه في أغراض متعددة وكذلك بعض المقطوعات التثرية. على أنَّ فيما بقى من شعره شيئاً من التكُّف، وقد أورد له الشعالبي في «يتيمة الدهر»<sup>٥٠</sup> بيتاً، منها قوله في الغزل:

بنفسِي منْ غدا ضيفاً عزيزاً  
علىَ، وإنْ لقيتُ به عذاباً  
ينال هواه منْ كبدي كباباً  
ويشرب منْ دمي أبداً شراباً

وقوله:

لِهِ وَجْهَ الْهَلَالِ لِنَصْفِ شَهْرِ  
وَأَجْفَانُ مَكْحُلَةِ بَسْرِ  
فِعْنَدِ الْابْتِسَامِ كَلِيلٌ بَدْرٌ ..  
وَعِنْدِ الْاِنْتِقامِ كَيْوَمٌ بَدْرٌ

ومن بديع قوله:

اللهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَسْتُ ذَا بَخَلِ  
وَلَسْتُ مُلْتَمِساً فِي الْبُخْلِ لِي عِلَالٌ  
لَكَنَّ طَاقَةَ مَثْلِي غَيْرُ خَافِيَةٍ  
وَالنَّفْلُ يُعْذَرُ بِالْقَدْرِ الَّذِي حَمَلَ<sup>(٣٦)</sup>

ُعِرِفَ عن العتبى أنه ناشر مجيد أوردت المجاميع الأدبية مختاراتٍ من نثره الفنى، وقد اهتم الناس

- ٣٤ - الجاجرمي، نكت الوزراء، ص ١٦٠.
- ٣٥ - ابن الصلاح، طبقات الفقهاء الشافعية، ج ١، ص ٢١٠. ابن الملقن، العقد المذهب، ص ٢٧١. البغدادي، هُدْيَةُ الْعَارِفِينَ، ج ٦، ص ٦٨.
- ٣٦ - انظر مثلاً: الشعالبي، يتيمة الدهر، ج ٣، ص ٢٣٣ - ٢٣٥، ج ٤، ص ٤٦٨ - ٤٦٤. لباب الآداب، ص ٢١٥ - ٢١٦. الإعجاز والإيجاز، ص ١٨١ - ١٨٠. خاص الخاص، ص ٦٨ - ١٩٩.

محمود بن سُبْكُتَكِينَ يمين الدولة<sup>(٣٧)</sup>. طبع مرات عددة بعنوان «تاریخ الیمنی» باعتماد الأستاذ سبرنغر في دہلي الهند سنة ١٢٦٤ھ / ١٨٤٨م في ٤٩٣ صفحة، وفي المطبعة الأميرية بولاق سنة ١٢٩٠ھ / ١٨٧٣م، وفي لاھور الهند سنة ١٣٠٠ھ / ١٨٨٢م، وفي المطبعة الوھبیة مصر سنة ١٢٨٦ھ / ١٨٦٩م في جزأین. ولا بد من الإشارة إلى وجود كتاب بالعنوان نفسه لأبى الفضل البیهقی ت ٤٧٠ھ / ١٠٧٧م المؤلف المعاصر له الذي عاش في البيئة نفسها التي كان العتبى فيها، والذي كان حتى سنة ٤٥٥ھ / ١٠٦٣م مقیماً بغزنة يدون تأريخه «تاریخ الیمنی» فقد ذكره في عدة مواضع<sup>(٣٨)</sup>. فهل كان البیهقی لا يعرف العتبى وقد عاش كلاهما في بيئه واحدة؟ إذ إن المصادر المتوفرة تقول: إن البیهقی كان على صلة بالشعالبي، الأديب الدائم الصйт في عصره، وكان العتبى على صلة بالشعالبي، وكانت بينهما مراسلات، وكان الشعالبي يروي عن العتبى مشافهة<sup>(٣٩)</sup>.

بـ - كتاب «لطائف الكتاب في الأدب»: وهو مؤلف هذه على ترتيب السُّور<sup>(٤٠)</sup>.

٣٠ - ابن المستوفى، تاريخ اربل، ج ٢، ص ١٠٢. السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٥، ص ٣١٥. حاجي خليفة، كشف الظنون، ج ١، ص ٢٨٢. بارتولد، تركستان، ص ٨٣. فروخ، تاريخ الأدب العربي، ص ٩٦ - ٩٥. عبد الرحمن، معجم الشعراء، ص ٢٩٧. الزركلي، الأعلام، ج ٦، ص ١٨٥. حالة، معجم المؤلفين، ج ١٠، ص ١٢٦.

٣١ - البیهقی، تاريخ البیهقی، ص ١٤٧، ٢٥.

٣٢ - البیهقی، تاريخ البیهقی، ص ٧٣٥. الشعالبي، يتيمة الدهر، ج ٣، ص ٢٢٣. ٢٢٥، ٣٧٨، ج ٤، ص ٥٥، ١٨٢. التوفيق للتلقيق، ص ٥٤. النهاية في الكتابة، ص ٨٩.

٣٣ - الشعالبي، يتيمة الدهر، ج ٤، ص ٤٥٨. الجاجرمي، نكت الوزراء، ص ١٦٠. الأدنه وي، طبقات المفسرين، ص ٢٦٦. حاجي خليفة، كشف الظنون، ج ٢، ص ١٥٥٣. الزركلي، الأعلام، ج ٦، ص ١٨٤ - ١٨٥. حالة، معجم المؤلفين، ج ١٠، ص ١٢٦. ورد عند البغدادي، هُدْيَةُ الْعَارِفِينَ، ج ٢، ص ٦٨. حالة، معجم المؤلفين، ج ١٠، ص ١٢٦: لطائف الكتاب المعروف بتاريخ العتبى صنفه محمود بن سُبْكُتَكِينَ.

إمبراطورية امتدت من نهر أوكسوس إلى وادي السند والمحيط الهندي. لكن مسعوداً الأول (٤٢١-٤٣٢ هـ / ١٠٤١-١٠٣٠ م) ابن محمود خسر مناطق في بلاد فارس وأسيا الوسطى لصالح السلجقة الأتراك، إلا أن الأسرة الغزنوية استمرت في حكم شرق أفغانستان وشمال الهند حتى عام ١١٨٦ هـ / ٥٨٢ م.

لذلك حرص المؤرخون المسلمين من كتابة التراجم والسير المفردة على الاتصال الشخصي بالترجم لهم، والتقارب منهم وتتبع حركاتهم وسكناتهم كي تأتي مادتهم مطابقة للواقع، وهكذا عمل العتبى الذي يعد أول مصنف لهذا النوع من الكتابة التاريخية «السيرة المفردة»<sup>(٤٠)</sup>. يستثنى من ذلك سيرة النبي محمد عليه الصلاة والسلام.

فاليميني تاريخ البدایات للأسرة الغزنوية، ألفه محمد بن عبد الجبار العتبى باللغة العربية في وقت ما بعد ٤١١ هـ / ١٠٢٠ م، فقد كان العتبى حينئذ أمين السر وأحد رجال الحاشية الملكية الذين خدموا الحاكمين الغزنويين الأولين، وقد شهد شخصياً كثيراً من الأحداث التي رواها في الكتاب، ومن ثم فالكتاب هو مذكرات تاريخية للأمير سُبْكُتَكِينَ والسلطان محمود الغزنوي الفاتحين لهندوستان ومؤسس الأسرة الغزنوية.

اختار العتبى عنوان اليميني لهذا الكتاب تيمناً بلقب السلطان، وهو يمين الدولة وأمين الملة، وهو اللقب الذي منحه إيماء الخليفة العباسى القادر بالله ٩٩١-٩٣١ هـ / ٢٨١-٤٢٢ م<sup>(٤١)</sup>. وقد صرخ بذلك في نهاية الكتاب، فقال: «... خدمتى دولة السلطان يمين الدولة وأمين الملة بـ«اليميني» في شرح أخباره، ومدح مقاماته في عده وأنصاره<sup>(٤٢)</sup>.

٤٠- بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج٦، ص١.

٤١- نظام الملك، سياست نامه، ص ١٩٨. محمد خوافي، مجلد فصيحي، ص ١٠٣.

٤٢- ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٥، ص ١٧٥.

بقطعه النثرية، واعتنوا بضبط ألفاظها، والفضل يعود في حفظ بعض قطعه النثرية للشعالي الذي أورد له عدداً من القطع النثرية تتباين قسراً وطولاً، وهي في معظمها مما يصنف في باب الإخوانيات والحكمة، وتميزت بأسلوبه السجعى، منها:

وَهُمْ مَرَابِيعُ الْكَرَمِ، وَيَنَابِيعُ الْحَكَمِ، وَمَصَابِيعُ الْظُّلْمِ، وَمَجَادِيعُ الْأُمَمِ، وَلُؤْلُؤُ الْبَاهَمِ، وَغَيْوُثُ الْقَحْمِ؛ سَادَةُ النَّاسِ، وَقَادَةُ الْمُلُوكِ يَوْمَ النَّدَى وَيَوْمَ الْبَاسِ<sup>(٣٧)</sup>.  
وله نثر جيد، منه رقة في إداء نصل، يقول فيها: «خَيْرٌ مَا تَقْرَبُ بِهِ الْأَصَاغَرُ إِلَى الْأَكَابِرِ مَا وَافَقَ شَكْلَ الْحَالِ، وَقَامَ مَقَامَ الْفَالِ، وَقَدْ بَعْثَتْ بِنَصْلٍ هَنْدِيَّ إِنْ، لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي قِيمِ الْأَشْيَاءِ خَطْرٌ فَلِهِ فِي قِيمِ الْأَعْدَاءِ أَثْرٌ، وَالنَّصْلُ وَالنَّصْرُ أَخْوَانٌ، وَالْإِقْبَالُ وَالْقَبُولُ قَرِيبَانٌ، وَالشَّيْخُ أَجْلٌ مِنْ أَنْ يَرِي إِبْطَالَ الْفَالِ وَرَدَّ الْإِقْبَالِ»<sup>(٣٨)</sup>.  
وله من الفصول القصار شيء كثير، كقوله:

-تعز عن الدنيا تعز.

-الشباب باكورة الحياة.

-لسان التقصير قصير<sup>(٣٩)</sup>.

ثالثاً: وصف كتاب اليميني ومحفوبياته  
الغزنويون أسرة حاكمة من أصول تركية أسسها سُبْكُتَكِينُ (٣٦٦-٣٨٧ هـ / ٩٩٧-٩٧٧ م) الذي كان مملوكاً سابقاً اعترف به السامانيون حاكماً لغزنة عام ٣٦٦ هـ / ٩٧٧ م. وقد عمل سُبْكُتَكِينَ وابنه محمود على توسيع المنطقة الواقعة تحت سيطرتهما لتكوين

٣٧- ينظر باقي القطع النثرية عند: ابن فضل الله العمري، مسائل الأباء، ج ١٢، ص ١٢٣-١٢٢.

٣٨- الشعالي، يتيمة الدهر، ج ٤، ص ٤٥٨-٤٦٣. ثمار القلوب، ص ٣٧٤، ٦٧٩. خاص الخاص، ص ٤٤. التوفيق للتلقيح، ص ٢١٠.

الإعجاز والإيجاز، ص ١٥١-١٥٠.

٣٩- الشعالي، يتيمة الدهر، ج ٤، ص ٤٥٨. الإعجاز والإيجاز، ص ١١٨. التمثيل والمحاضرة، ص ٣٨١. ثمار القلوب، ص ٣٧٢، ص ٣٧٤، ص ٥٣٧، ص ٦٧٩. خاص الخاص، ص ١٢.

والسماء، كان ولا مكان، ولا زمان ولا بُنيان، ولا ملك ولا إنسان... .

وانتهى بخاتمة: وقبح الله من نقص عمره على زيادة الآثام، ومساءة الأنام، وحيازة الملام، ويرحم الله عبداً قال: أمينا.

فقد احتوى الكتاب على عرض مفصل لسيرة السلطان يمين الدولة أبي القاسم محمود الغزنوي وحربه في خراسان وما وراء النهر وعلاقته مع القوى السياسية المحيطة ولا سيما الخلافة العباسية، لكن جل اهتمامه انصب على غزواته في بلاد الهند، كما تطرق لذكر شيء من أعماله العمانيّة كبنائه مسجد غزنة الجامع. وقدم صورة واضحة عن طموح السلطان محمود السياسي، وجهوده الكبيرة في نشر الإسلام، وأعماله الداخلية في تثبيت أركان الدولة الغزنوية الناشئة.

كمال ميسن العتبّي ذكر شيء من سيرة الأمير ناصر الدين سُبْكُتَكِينَ صاحب غزنة ووالد محمود مما جعل الكتاب يعرف في بعض الأحيان بتاريخ سُبْكُتَكِينَ<sup>(٤٣)</sup>.

جاءت العبارات في الكتاب فصيحة بلية، راعى فيها محسّنات النثر والكتابة، وأودع فيها دقائق غريبة، ولطائف أدبية. كما طعم الكتاب بكثير من الشعر، وببعض القطع الأدبية التثريّة. وقد عبر عبد الغافر الفارسي صاحب «السياق من تاريخ نيسابور» عن ذلك بقوله: «قد صنف «يقصد كتاب العتبّي» في أيام محمود وأحواله لحظة لحظة»<sup>(٤٤)</sup>.

أسباب تصنيف الكتاب وأهميته لدى الأقدمين: يبدو أن صلاح سيرة هذا السلطان وفضله الكبير

ترجم الكتاب إلى الفارسية أبو الشرف ناصح بن ظفر جرفانقاني، كما ترجمت الترجمة الفارسية إلى الإنكليزية، والكتاب هو مخطوط له نسخ عديدة منتشرة في مكتبات العالم بأرقام مختلفة وعدد أوراق وأسطر مختلفة في كل نسخة، حقّها كل من إحسان ذنون الثامر ويوسف الهايدي.

فقد حقّ إحسان ذنون الثامر الكتاب الذي حمل عنوان «اليمني في شرح أخبار السلطان يمين الدولة وأمين الملة محمود الغزنوي» لأبي النصر محمد بن عبد الجبار العتبّي، وصدرت عن دار الطليعة في بيروت عام ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م في ٥٣٨ صفحة. واعتمد في تحقيق الكتاب على أربع نسخ خطية: نسخة شستريتي، ونسخة برلين، ونسخة البوهليان، ونسخة باريس. كما حقّ يوسف الهايدي الكتاب الذي حمل عنوان: «اليمني في أخبار دولة الملك يمين الدولة أبي القاسم محمود بن ناصر الدولة أبي منصور سُبْكُتَكِينَ»، وصدرت عن مركز البحث والدراسات للتراث المخطوط في دمشق عام ٢٠٠٨م، واعتمد في تحقيق الكتاب على خمس نسخ: نسختان من مكتبة مجلس الشورى بطهران بأرقام مختلفة، نسخة مكتبة آيا صوفيا في إسطنبول، نسخة مكتبة قويون أوغلي، نسخة مكتبة الأوقاف العامة ببغداد.

بدأ الكتاب: بسم الله الرحمن الرحيم، قال أبو النصر؛ محمد بن عبد الجبار العتبّي، رَحْمَهُ اللَّهُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الظَّاهِرُ بِآيَاتِهِ، الْبَاطِنُ بِذَاتِهِ، الْقَرِيبُ بِرَحْمَتِهِ، الْبَعِيدُ بِعَزَّتِهِ، الْكَرِيمُ بِأَلَائِهِ، الْعَظِيمُ بِكَبْرِيَّهِ، الْقَادِرُ فِلَا يَمْانِعُ، وَالْقَاهِرُ فِلَا يَنْازِعُ، وَالْعَزِيزُ فِلَا يَضْعِمُ، وَالْمَنْعِي فِلَا يُرِامُ، وَالْمَلِيكُ الَّذِي لَهُ الْأَقْضِيَةُ وَالْأَحْكَامُ، الَّذِي تَفَرَّدَ بِالْبَقَاءِ، وَتَوَحَّدَ بِالْعَزَّ وَالثَّنَاءِ، وَاسْتَأْثَرَ بِأَحْسَنِ الْأَسْمَاءِ، وَدَلَّ عَلَى قَدْرَتِهِ بِخَلْقِ الْأَرْضِ

٤٣- الطهراني، الذريعة، ج ٢٥، ص ٢٨٦.

٤٤- الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٧، ص ٤٨٧.

وجمع أبو الفضل البهقي سيرته في ٣٠ مجلداً، أسمها «تاريخ يماني» كما ذكر هو نفسه<sup>(٤٧)</sup>. وصنف القاضي جمال الدين علي بن يوسف بن إبراهيم القبطي ت ٦٤٨ هـ / ١٢٤٨ م كتاب تاريخ محمود بن سُبْكُتَكِينَ وبنته إلى حين انتقال الأمر عنهم<sup>(٤٨)</sup>.

يتسم كتاب اليمني بأسلوبه الأدبي المغرق بالمحسنات البدعية، والسجع المتكلف، والتألق اللغوي، والأساليب البلاغية الأخرى، مما جعل لغته عسيرة على الفهم. لكن ذلك أضاف مزية لغوية إلى مزاياه، ولا سيما في عصر سادت فيه أساليب الإنشاء والبلاغة، وعدت مقياساً لثقافة الكاتب، وعلى الرغم من أسلوب اليمني الأدبي العسير، قدم المؤلف مادةً تاريخيةً شديدة الأهمية، وكثيراً من المؤرخين القدامى والمحاذين يشرون إليه، ويقتبسون منه. ويکاد يكون المادة الأولية لكثير من المؤرخين في حديثهم عن محمود الغزنوي وعصره، فهو يمثل المصدر الرئيس لابن الأثير، ولا سيما حينما صرّح بذلك خلال حديثه عن علاقة السلطان محمود بخلف بن أحمد أمير سجستان، وذلك في أحداث سنة ٣٩٣ هـ / ١٠٠٢ م<sup>(٤٩)</sup>. كما كان من المصادر المهمة للجوزجاني ت بعد ٦٥٨ هـ / ١٢٥٩ م صاحب طبقات ناصري<sup>(٥٠)</sup>. أكسبت هذه الأهمية التاريخية والأدبية واللغوية الكتاب شهرة كبيرة في عصر ابن خلkan وقيمة عظيمة، وكانت نسخة من اليمني بين يدي ابن خلkan، فنقل عنه في أكثر من موضع، صرّح في موضع بقوله: «رأيت في كتاب اليمني للعتبي هذه الأبيات...»<sup>(٥١)</sup>. كذلك نقل

٤٧- البهقي، تاريخ، ص. ٢٥. ابن فندمه، تاريخ بيهق، ص ٣٣.

٤٨- الحموي، معجم الأدباء، ج ٥، ص ٢٠٢٨.

٤٩- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٧، ص ٥٢٧.

٥٠- الجوزجاني، طبقات ناصري، ج ١، ص ٢١٨.

٥١- ابن خلkan، وفيات الأعيان، ج ٥، ص ١١٦.

في نشر الإسلام هي التي دفعت العتبى لوضع كتابه، فقد كان عاقلاً، ديناً، خيراً، عنده علمٌ ومعرفةٌ. وصنف له كثيرٌ من الكتب في فنون العلوم، وقصده العلماء من أقطار البلاد، وكان يُكرّمهم، ويُقبل عليهم، ويُعظّمهم، ويُحسن إليهم، وكان ملازماً للجهاد، وفتواهاته مشهورة مذكورة، وفيه ما يُستدلُّ به على بذل نفسه لله تعالى واهتمامه بالجهاد<sup>(٤٥)</sup>.

لكن أسباباً أخرى بالإضافة إلى تمجيد السلطان كانت من ضمن دوافع العتبى لتصنيف هذا الكتاب، أهمها طلب الأمير محمد بن محمود الغزنوي، والتقارب من الوزير أبي القاسم أحمد بن الحسن الميمنى وزير السلطان محمود الغزنوي والحصول على الجائزة. وحقاً عين مكافأة على تأليفه الكتاب على البريد في رستاق الغنج. ورغبة من العتبى في إظهار عرفانه بالجميل، وحفظه لحق خدمة البيت الغزنوي، ولأنه رأى أن أمجاد هذه الدولة لم تحفظ إلا في أشعار الفرس كالروذكي والخسروي والدققي، ولما رأى أن أشعار هؤلاء، وإن كانت كافية شافية - على حد قوله - غير معروفة، لأنها لم تخرج خارج خراسان، اقتضاه ذلك أن يمتنّ أهل العراق بكتاب في هذا الباب، عربي اللسان، كتابي البيان، يتذذنه سميراً على السهر، وأنيساً في المقام والسفر، ويعرفون به عجائب آيات الله تعالى في تبديل الأبدال، وتقليل الأمور من حال إلى حال.

والحق أنَّ السلطان محموداً كان محظوظاً بكتاب العتبى من مؤرخ، فوضعت في سيرته وغزوته عدة مصنفات لا يستبعد أن تكون قد تأثرت بكتاب العتبى. فقد وضع بعده أبو الريحان البيروني ت ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م كتاب «تاريخ أيام السلطان محمود وأخبار أبيه»<sup>(٤٦)</sup>.

٤٥- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٧، ص ٧٣٤.

٤٦- الحموي، معجم الأدباء، ج ٥، ص ٢٣٣.

ولفضل العتبِي في البلاغة قال أبو الفتح البستي  
من مقطعة له فيه<sup>(٥٩)</sup>:

لله خطُّك إنَّه روض يغاديه السحابُ  
وجمال نظمك إنَّه عقد تطوقه الكعابُ  
وبيانك العذُب الذي من نهره النُّطُف العذابُ  
كل البلاغة عند نظمك يا أبا نصر سرابُ  
كما أثني الشعالي على رجاحة عقله حين طلب إليه  
حلًّا أحجية<sup>(٦٠)</sup>.

إني أحاجي منك فرداً في الحجا  
تُزَهَى به الدُّنْيَا ونيسابور  
وحين أراد ابن إسفنديار ت ٦١٣ هـ / ١٢١٦ م  
 مدح بلاغة قابوس قال: «ومن أراد أن يعرف  
جلالة قدر قابوس بن وشمير، فإن عليه أن يطالع  
جميع خطب أبي منصور الشعالي وكتاب اليميني  
للعتبي، ليعلم غزارَة فضله، وسخاءَ بذله، وكمالَ  
عقله؛ ذلك أن نثره هو فرائد الفوائد، ونظمه هو  
قلائد الولائد»<sup>(٦١)</sup>.

كما كان طلاب الأدب والثقافة يستعينون به في  
تنمية عباراتهم وتقوية ملأ الكتابة لديهم:  
وقال ابن الطقطقى ت ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م: «وعَدَ  
الناس إلى اليميني للعتبي، وهو كتاب صنفه مؤلفه  
ليمين الدولة محمود بن سُبْكَتِكِينَ، يشتمل على  
سِير جماعة من الملوك بالبلاد الشرقية، عبرَ فيه  
بعبارات حظها من الفصاحة وافر، وصاحبها إن  
لم يكن ساحراً فهو كاتب ماهر، والجم مشغوفون  
به مجذون في طلبه، وهو لعمري كتاب يشتمل على

الذهبى ت ١٣٤٨ هـ / ١٣٤٧ م مادة عن العتبى عند حديثه  
عن السلطان محمود الغزنوى، وخلف بن أحمد أمير  
سجستان<sup>(٦٢)</sup>.

وكان كتاب اليميني أحد المصادر المهمة التي مكنت  
محقق ديوان أبي الفتح البستي من إيجاد بعض  
النصوص المفقودة إذ حفظها العتبى<sup>(٦٣)</sup>. بل إن ترجمة  
حياة أبي الفتح البستي لم يحفظها إلا العتبى، وكل من  
جاء بعده لا يدري أن يكون مكرراً لما جاء به العتبى<sup>(٦٤)</sup>.

ووجد جامع ديوان أبي منصور الشعالي عند العتبى  
تسعة نصوص شكلت مساهمة مهمة في جمع وتدوين  
وتوثيق ديوان الشعالي<sup>(٦٥)</sup>. كما كان اليميني أحد  
المصادر التي اعتمد عليها ياقوت الحموي في تصنيفه  
معجم البلدان، إذ استفاد منه في مادة قصدار<sup>(٦٦)</sup>.  
وكال له طاش كبرى زادة المديح كيلاً، فقال  
عنه: «من العجب العجاب في علم الإنشاء». وقال في  
موقع آخر: «وهذا الكتاب علم في الفصاحة والبلاغة  
واللطافة»<sup>(٦٧)</sup>.

وقال عنه السبكي ت ٧٧١ هـ / ١٣٦٩ م: «وأهل  
خوارزم وما والاها يعتنون بهذا الكتاب، ويضبطون  
الأفاظه أشد من اعتناء أهل بلادنا بمقامات  
الحريري»<sup>(٦٨)</sup>.

٥٢ - الذهبى، سير أعلام النبلاء، ج ١٢، ص ١٧٤. ج ١٢، ص ٥٤٦.  
٥٤٧

٥٣ - الخولي، أبو الفتح البستي، ص ٢٣٥. ص ٣٤٤، ص ٣٥٣.  
ص ٣٥٤، ص ٣٥٦. ص ٣٥٨، ص ٣٥٩. ص ٣٦٤، ص ٣٧٠، ص ٣٧١.

٥٤ - الخولي، أبو الفتح البستي، ص ٣٣.  
٥٥ - ديوان الشعالي، ص ٣٣، ص ٤١، ص ٤٦، ص ٦٤، ص ٨١،  
ص ١١٦، ص ١٣٤، ص ١١٦.

٥٦ - الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٥٣.  
٥٧ - طاش كبرى زادة، مفتاح السعادة، ج ١، ص ٢٠٦، ص ٢٠٧.  
الطهراني، التزريع، ج ٢، ص ٢٥٦.  
٥٨ - السبكي، طبقات الشافية، ج ٥، ص ٣١٥.

٥٩ - ديوان أبي الفتح البستي، ص ٨١.  
٦٠ - التوفيق للتفيق، ص ٥٤.  
٦١ - تاريخ طبرستان، ص ١٤٢.

و سجناء بالقلعة، فلم يجد السلطان محمد سوى الخمر لتبديد أحزانه، فأخذ يشرب بغير انقطاع رغم تحذير المقربين من مغبة ذلك<sup>(٦٨)</sup>.

تولى السلطان مسعود الحكم في شوال سنة ٤٢١ هـ / ١٠٣١ م و سمل عيني شقيقه محمد، و عرضوا حاشية مسعود عليه باسترداد أموال البيعة والصلات التي منحها أخيه الأمير محمد، فوافقهم السلطان، و جيء بالقوائم التي صرفت بموجبها تلك الصلات والخلع، و انطلق الموظفون بانتزاعها من أعطيت لهم، واضطهدوا الناس في تحصيل الأموال واستردوا كل ما منحه أخيه محمد للجند والساسة والشعراء وغيرهم<sup>(٦٩)</sup>. ومن غير المعلوم كم أعيد من تلك الأموال إلى الخزانة، إلا أنه في تلك السنة نفسها ازدادت بشكل هائل نفقات السلطان مسعود على الحفلات ومنح الصلات للشعراء والفنانين<sup>(٧٠)</sup>، فقد مكث الأمير محمد سجييناً حتى سنة ٤٢٢ هـ / ١٠٤٠ م حين فرّ من سجنه، وفي سنة ٤٢٢ هـ / ١٠٤٠ م أعيد إلى العرش على الرغم من كونه أعمى<sup>(٧١)</sup>، بعد أن قام نجله أحمد مَعَ جَمْعٍ من الغلمان بقتل عمّه السلطان مسعود، لكن لم يمض عاماً على ذلك حتى هبَّ مودود نجلُّ السلطان مسعود ليقتل عمّه السلطان محمدًا السموّل و جميع أولاده وكل من شارك في قتل أبيه سنة ٤٢٤ هـ / ١٠٤٢ م<sup>(٧٢)</sup>، ولم يكن العتبّي حياً آنذاك؛ إذ توفي سنة ٤٢٧ هـ / ١٠٣٥ م.

٦٨- الكريزي، زين الأخبار، ص ٤٢١-٤٢٤. البيهقي، تاريخ البيهقي، ص ٥، ٧١-٧٣. القاشي، رأس مال النديم، ص ٢٦١.

٦٩- ابن فندمة، تاريخ بيهق، ص ١٧٩. الجوزجاني، طبقات ناصري، ج ١، ص ٢٣١. ابن العربي، تاريخ مختصر الدول، ص ٣٢٠.

النويري، نهاية الأربع، ج ٢٦، ص ٧٣. القاشي، رأس مال النديم،

ص ٢٦٢. البيهقي، تاريخ البيهقي، ص ٢٨١-٢٨٣.

٧٠- البيهقي، تاريخ البيهقي، ص ٤١٢، ١٣٧.

٧١- الجوزجاني، طبقات ناصري، ج ١، ص ٢٢٢.

٧٢- البيهقي، تاريخ البيهقي، ص ٣٥٠. الجوزجاني،

طبقات ناصري، ج ١، ص ٢٣١-٢٣٢. ابن العربي، تاريخ مختصر

الدول، ص ٣١٩. النويري، نهاية الأربع، ج ٢٦، ص ٧٢.

ظرائف حِكم وبدائع سِير، مع ما فيه من فنون البلاغة وأنواع الفصاحة»<sup>(٦٢)</sup>.

يقول حاجي خليفة متحدثاً عن شروحه: «أدرج فيه دقائق عربية ولطائف أدبية، ويعتنون بضبط ألفاظه وشرح مشكلاته»<sup>(٦٣)</sup>.

ويضعه المؤرخ حمد الله المستوفي في المرتبة نفسها التي لكتابي المؤرخ الفذ أبي الفضل البيهقي، فيقول معرّفاً بالسلطان محمود: «ومآثره أظهر من الشمس، ومساعيه لخدمة الدين في غنى عن الشرح والبيان، وإن كتاب اليمني ومقامات أبي نصر بن مشكان ومجلدات «تأريخ» أبي الفضل البيهقي شاهدة على ذلك»<sup>(٦٤)</sup>.

**الأمير محمد الغزنوي و زمن تأليف الكتاب:**  
**ألف العتبّي** كتابه هذا بطلب من الأمير محمد بن محمود الغزنوي المحب للأدب الذي تولى الحكم عقب وفاة أبيه سنة ٤٢١ هـ / ١٠٣٠ م<sup>(٦٥)</sup>، فقد نصب ملكاً، وأحسن خاللها للرعاية ورد المظالم، وفتح الخزائن، فتقاطر التجار من الآفاق على غزنة بعد أن سمعوا باستتاب الأمان والعدل، رغم ذلك طمع الجند ودموا أيديهم إلى أموال الرعايا ونهبواها<sup>(٦٦)</sup>. وبعد خمسين يوماً من تسنمها العرش، وحين سمع كبار رجال بلاطه وقادة الجندي بتحرك مسعود من أصفهان إلى نيسابور، اتفقوا فيما بينهم على مبايعة مسعود<sup>(٦٧)</sup>، ولم يمض سوى ١٧ شهراً حتى ألقى أنصار شقيقه مسعود القبض عليه في شوال سنة ٤٢٢ هـ / ١٠٣١ م

٦٢- الغوري في الآداب السلطانية، ص ١٥-١٦.

٦٣- كشف الظنون، ج ٢، ص ٢٠٥٢.

٦٤- تاريخ كزيمه، ص ٣٩١.

٦٥- البيهقي، تاريخ البيهقي، ص ١٢.

٦٦- النويري، نهاية الأربع، ج ٢٦، ص ٧٤.

٦٧- الكريزي، زين الأخبار، ص ٤١٩-٤٢٤. البيهقي، تاريخ البيهقي، ص ٢. النويري، نهاية الأربع، ج ٢٦، ص ٦٩.

السلطان على مدينة سومنات الهندية وعلى ما فيها من كنوز هائلة سنة ١٧٥٠هـ / ١٠٢٦م مما كان حدث المؤرخين في ذلك العام وما تلاه<sup>(٧٣)</sup>، والأكثر غرابة أن العتبى قد كتب رسالة في فتح سومنات على لسان السلطان محمود<sup>(٧٤)</sup>، كما لم يرد فيه ذكر لهجوم السلطان على بلاد الري وقتله مجد الدولة البوبي في سنة ١٤٢٠هـ / ١٠٢٩م وقضائه على الحكم البوبي في تلك البلاد وتعيين نجله مسعود حاكماً عليها<sup>(٧٥)</sup>. وعلى الرغم من أن العتبى توفي في سنة ١٤٢٧هـ / ١٠٣٥م لم يشر إلى وفاة السلطان محمود التي حدثت قبل ذلك بست سنوات. كل ذلك يؤكد ما ذهبنا إليه من أنه أنهى اليميني نحو سنة ١٦٤٥هـ / ١٠٢٥م، وانهمك بعدها بمقاومة الدسائس التي حاكها عليه بعض رجال البلاط.

إن وجود قبر العتبى في بخارى البعيدة جداً عن غزنة، يدل على أنه غادر المدينة عقب حملات التصريح والمصادرات التي شملت العناصر التابعة للأمير المخلوع المسئول محمد، وهو الذي كانت له علاقة متينة بهذا الأمير، ولبى دعوته بتأليف اليميني. ثم انقطعت أخباره، فلم يعد أحد يذكره في أواسط حاشية البلاط الجديدة التي كانت قد شاركت بإسقاط الأمير محمد من العرش والبيعة للسلطان مسعود. ونرجح أن خروجه من غزنة كان خلال وزارة الميمendi الثانية بين ١٤٢٢هـ / ١٠٣١م و١٤٢٤هـ / ١٠٣٣م، الذي كان قد توافق مع أبي الحسن البغوي للإيقاع به لولا تدخل السلطان مسعود وإنقاذه من مكيدتهم.

<sup>٧٣</sup>- الكرديزي، زين الأخبار، ص ٤٩.

<sup>٧٤</sup>- الرسالة عند ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصر، ج ١٢، ص ١٢٢-١٢٠.

<sup>٧٥</sup>- الكرديزي، زين الأخبار، ص ٤١٧-٤١٨. الجوزجاني، طبقات ناصري، ج، ص ٢٢٩. محمد خوافي، مجلل فصحي، ص ١٤٣.

وَعَدَ العُتْبِيَّ أَنْ يَضْمَنْ كِتَابَهُ مِنْ عَصْرِيَّ مسعود ومحمد نَجْلَيُّ مُحَمَّد: «وَسِيَّاتِي بِيَانُ خَبْرِ الْأَخْوَيْنِ فِي مَوْضِعِهِ مِنْ بَعْدِهِ»، وَلَمْ يَفِ بِوَعْدِهِ بِسَبِّ الْمُرَاجَعِ النَّاشِبِ بَيْنَ الْأَخْوَيْنِ وَمُواجهَتِهِ هُوَ مِنْ سَمَّاهُ الْبَغْوَيِّ، مَا أَسْكَتَ قَلْمَاهُ.

ونرى أن الزمان المفترض لطلب السلطان محمد المحب للآدب والمطالعة إلى مؤلفنا بتأليف كتاب عن حياة جده وأبيه، هو السنوات الأخيرة من حكم السلطان محمود، ذلك أن الفترة الواقعة بين وفاة السلطان محمود وبين إلقاء القبض على السلطان محمد من أنصار أخيه مسعود ومجيء أخيه كانت قصيرة مشحونة بالكوارث حتى مقتل هذا الأمير، مما لا يتيح فرصة للحديث عن التأليف والكتابة. ويؤيد ذلك عدم ذكره عبارة «أنار الله برهانه» أو «أكرم الله مآبه» عقب ذكره السلطان محموداً كما دأب على ذكره عقب ورود اسم سلطان أو ملك متوفى، بينما وجدناه يردف اسم السلطان سُبْكَتِكِينَ بهاتين العبارتين. يقول العتبى: «ما رسمه لي الأمير الأجل أبو أحمد محمد بن يمین الدولة وأمين الملة أن أُمْتَنَعَ أهل العراق بكتاب في هذا الباب عربي اللسان، كتابي البيان؛ يتذذونه سميراً وأنيساً...، مبتدئاً بذكر الأمير الماضي سبكتين». وقد ذكر العتبى أنه عرض كتابه هذا على الوزير أبي القاسم أحمد بن الحسن الميمendi. كما أن الحوادث التي يتعدى تاريخها سنة ١٦٤٦هـ / ١٠٢٥م وهي قليلة زادها فيما بعد، وأخر واقعة ذكرها العتبى في كتابه هي إسناد الوزارة للحسن بن محمد الميكالي وقد تم ذلك سنة ١٦٤٩هـ / ١٠٢٨م.

غير أن الأمر المثير للغرابة هو حدوث وقائع مهمة أنجزها السلطان محمود قبل هذا التاريخ وبعده لم يدونها العتبى في اليميني، فمن ذلك مثلاً استيلاء

أتمه أولاً سنة ١٣٠٩هـ / ١٧٠٩ م ثم أدخل فيه المتن وشرح ألفاظه، وأنجزه سنة ١٣٢١هـ / ١٧٢١ م في تبريز، قال في مقدمته: «ثم إني طالعت له خمسة من الشرح مع ما ظفرت فيها بكثير من الفتوح، احتاج صدري ودار في خلدي أن أكتب له إن شاء الله شرحاً وافياً»<sup>(٧٩)</sup>.

٥- **شرح تاج الدين عيسى بن محفوظ بن الطيب الأصفهاني الطُّرْفِي** ت ٦١٥هـ / ١٢١٨م، النحوي الأديب، من تصانيفه شرح اليميني للعتبي.

٦- **شرح المنجبي**: قال ابن الفوطي: «عز الدين محمد بن داود بن علي المنجبي الفقيه، كان فقيهاً فاضلاً،رأيت بخطه كراس قد كتبها في شرح اليميني للعتبي لم تحضرني في كتابة هذه التراجم».

٧- **الفتح الوهبي على تاريخ أبي نصر العتبي** أو «الفتح الوهبي في شرح تاريخ العتبي»: تأليف شهاب الدين أبي النجاح أحمد بن علي بن عمر العدوى الحنفي الطرابلسي الأصل المنيني الدمشقي ت ١١٧٢هـ / ١٧٥٨م، فرغ منه سنة ١١٤٧هـ / ١٧٣٤م، طبع في مجلدين في المطبعة الوهبية بالقاهرة سنة ١٢٨٦هـ / ١٨٦٩م<sup>(٨٠)</sup>. وذلك بطلب من مفتى الدولة العثمانية آنذاك<sup>(٨١)</sup>، فقد شرحه شرحاً وافياً بما يتعلق باللغة والأدب والبلاغة، وتعرض في بعض الأحيان للأحداث التاريخية، وقد اكتسب المنيني بسبب شرحه لليميني شهرة كبيرة في عاصمة الدولة

٧٩- حاجي خليفة، كشف الظنون، ج ٢، ص ٢٠٥٣؛ البغدادي، هدية العارفين، ج ٦، ص ٤٨٧.

٨٠- ابن المستوفى، تاريخ إربل، ج ٢، ص ١٠٢. حاجي خليفة، كشف الظنون، ص ٢٠٥٢. كحالة، معجم المؤلفين، ج ١، ص ١٢٦. الزركلي، الأعلام، ج ٦، ص ١٨٤-١٨٥.

٨١- المرادي، سلك الدرر، ج ٢، ص ١٣٥، ص ١٤٥.

**الشرح على كتاب اليميني**: اعتنى الأدباء بضبط ألفاظه وحل مشكلاته، وكتبوا له شروحًا كثيرة، منها:  
١- **جوامع الفقر ولوامع الفكر**: من تأليف مجد الدين فضل الله بن عبد الحميد الكرمانى المتوفى في حدود سنة ١٢٢٣هـ / ١٢٢٣م، وهو في مجلد واحد، انتهى منه في محرم سنة ١٢١٤هـ / ١٢١٤م، مخطوطته في مكتبة لاله لي بتركيا برقم ٢٠٦٨<sup>(٧٦)</sup>.

٢- **شرح اليمين**: مجلد واحد لحمد بن أحمد بن سليمان الزهرى الإشبيلي، ولد بمقالة وطاف بالأندلس وطلب العلم، دخل مصر قبل ٥٩٠هـ / ١٩٤م، ودخل الشام والجزيرة وبغداد في السنة نفسها، وسافر إلى أصبهان وبلاد الجبل، وصنف مصنفات منها البيان والتبيين في أنساب المحدثين ستة أجزاء، استشهد على أيدي التتار سنة ٦١٧هـ / ١٢٢٠م<sup>(٧٧)</sup>.

٣- **اليميني في شرح اليميني**: مجلد واحد، تأليف مجد الدين أبي محمد القاسم بن الحسين بن أحمد الطرائفي الخوارزمي صدر الأفضل النحوي الأديب الحنفي ت ٦١٧هـ / ١٢٢٠م، الذي استشهد على أيدي التتار، صاحب التأليف وعالم العربية الجليل الذي التقاه ياقوت وترجمه مطولاً وقال فيه: «صدر الأفضل حقاً وواحد الدهر في علم العربية صدقأً»<sup>(٧٨)</sup>. توجد نسخة من كتابه هذا في مكتبة رئيس الكتاب بتركيا تحت رقم ٨٥٧ في ١١٠ ورقات.

٤- **بساتين الفضلاء ورياحين العلاء**: تأليف حميد الدين أبي عبد الله محمود بن عمر النجاتي النيسابوري توفي بعد ٧٣٨هـ / ١٣٣٧م

٧٦- حاجي خليفة، كشف الظنون، ج ٢، ص ٢٠٥٢. البغدادي، هدية العارفين، ج ٢، ص ٨٢٢. بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج ٦، ص ٣.

٧٧- الصفدي، الواقي بالوفيات، ج ٢، ص ٧٥.

٧٨- الحموي، معجم الأدباء، ج ٥، ص ٢١٩١-٢١٩٨. الصفدي، الواقي بالوفيات، ج ٢٤، ص ٩٠.

الترجمة التركية التي نجدها في المتحف البريطاني  
«المخطوطات التركية رقم ٤٢».

وثمة ترجمة إنجليزية لترجمة جرفاذقاني الفارسية نُشرت في لندن ١٢٧٥هـ / ١٨٥٨م بقلم (جيمس رينولدز ١٢٣٨ J. Reynolds ١٨٠٥ / ١٢٢٠) ١٨٦٦م وهو مستشرق وقسًّي إنجليزي ترجم كثيرةً من الكتب التاريخية من الفارسية والعربية، وعمل أمين سرًّا لصندوق الترجمة الشرقية التابع للجمعية الآسيوية الملكية. يحتوي الكتاب على مقدمة طويلة بقلم رينولدز إضافة إلى تمهيد جرفاذقاني لترجمته الفارسية<sup>(٨٨)</sup>.

وقد نشره مولوي مملوك العلي وشبرنغر بطبعة حجرية في دلهي سنة ١٢٦٣هـ / ١٨٤٧م، وحميد الدين في لاھور سنة ١٣٠٠هـ / ١٨٨٣م. وطبع أيضًا في القاهرة سنة ١٢٨٦هـ / ١٨٦٩م «بهاشم الفتاح الوهبي»، وطبع على هامش الكامل لابن الأثير في بولاق سنة ١٢٩٠هـ / ١٨٧٣م ضمن المجلدات ١٠-١٢<sup>(٨٩)</sup>.

#### ذيل اليمني:

اكتسب هذا الكتاب شهرة أدبية ولغوية واسعة في شتى الأeras والأعصار. جعلته مثار اهتمام كثير من الكتاب، فقبل أن يمر على تأليفه قرن ونصف ذيل عليه ابن فندق المؤرخ الخراساني أبو الحسن علي بن زيد البیهقیٰ ت ٥٦٥هـ / ١١٦٩م ذيلاً قال عنه: «ألفت أنا كتاباً بدأته في من حيث انتهى إليه اليمني إلى يومنا هذا عنوانه «مشارب التجارب وغوارب الغرائب» في أربع مجلدات».

<sup>٨٨</sup> بارتولد، تركستان، ص ٨٤. بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج ٦، ص ٤.

<sup>٨٩</sup> بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج ٦، ص ٢.

العثمانية<sup>(٨٧)</sup>. وكان هذه الشرح مقبولاً عند الخواص والعوام<sup>(٨٣)</sup>.

**٨- شرح علي بن مصلح السمعاني الكرماني،**  
ومنه مختصر بالمتاحف البريطاني، ثان<sup>(٨٤)</sup> ٥٤٩.

**٩- شرح لمجهول تحفظ نسخته في باريس أول ٦١٩٧، ومانشستر<sup>(٨٥)</sup> ٢٨٩.**

**١٠- ذكر ابن المستوفى أن شرح الزهري ورد ذكره في ترجمته ولا سيما في «عقود ابن الشاعر» و«الوافي»<sup>(٨٦)</sup>.**

كما كان اليمني مثار اهتمام الإيرانيين، فله ترجمتان إلى الفارسية: الأولى لأبي الشرفنجي الدين ناصح بن سعد بن ظفر جرفاذقاني الذي كان كاتب الإنشاء لدى طغرل بن أرسلان السلجوقي، ترجم عام ٦٠٣-٦٠٤هـ / ١٢٠٦-١٢٠٧م بعد حذف بعض فصوله. ثم حلّت ترجمة جرفاذقاني محل الأصل العربي تدريجياً في جنوب آسيا وببلاد فارس والأناضول وأسيا الوسطى. «وكان الغاية في علم الأداب وفنونها، حائز فضيلاتي المنظوم والمنتشر بالعربية والفارسية»<sup>(٨٧)</sup>. انتهى منها ٥٨٢هـ / ١١٨٦م، وقد طُبعت هذه الترجمة بطهران.

والترجمة الأخرى إلى الفارسية هي التي يقول بروكلمان عنها «إنها أكثر التزاماً بحرفية النص لحمد كرامة علي، وعلى أساس هذه الترجمة الفارسية كُتِبَت

<sup>٨٢</sup> المرادي، سلك الدرر، ج ٢، ص ١٣٦.

<sup>٨٣</sup> حاجي خليفة، كشف الظنون، ج ٢، ص ٢٠٥٣.

<sup>٨٤</sup> بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج ٦، ص ٣.

<sup>٨٥</sup> بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج ٦، ص ٤.

<sup>٨٦</sup> ابن المستوفى، تاريخ إربل، ج ٢، ص ١٠٢.

<sup>٨٧</sup> حاجي خليفة، كشف الظنون، ج ٢، ص ٢٠٥٣. البغدادي، هدية العارفين، ج ٦، ص ٤٨٧.

**تاريخ فاتح العالم لعطاء ملك الجويني**  
ت ١٢٨٢ هـ / ٦٨١ ت

**الجغرافيا** لعلي بن موسى بن سعيد المغربي  
ت ١٢٨٦ هـ / ٦٨٥ ت<sup>(٩٤)</sup>.

**جامع التواريخ** لرشيد الدين فضل الله الهمذاني  
ت ١٢١٨ هـ / ٧١٨، فلم ينقل منه نسخة العربية،  
بل الترجمة الفارسية المختصرة التي أنجزها  
الجرفانقاني سنة ١١٨٦ هـ / ٥٨٢ م<sup>(٩٥)</sup>.

**تاريخ كزیده** لحمد الله المستوفي  
ت ١٣٤٩ هـ / ٧٥٠ ت<sup>(٩٦)</sup>.

**سير أعلام النبلاء للذهبي** ت ١٣٤٧ هـ / ٧٤٨ سير

**طبقات الشافعية الكبرى للسبكي** ت ١٣٦٩ هـ / ٧٧١ طبقات

العبر لابن خلدون ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥.

سعادت نامه لغياث الدين علي اليزيدي الذي ألفه  
بين ٨٠٠ هـ / ١٣٩٧ و ٨٠١ هـ / ١٣٩٨.

مجمل فصحي لفصيح بن أحمد الخوافي توفي بعد  
١٤٤١ هـ / ٨٤٥، فقد أفرط في النقل من اليمني، لكنه  
لم يذكره في كتابه *البنة*.

**سمط النجوم العوالي** لعبد الملك العصامي  
ت ١١١١ هـ / ١٦٩٩.

**نماذج من نسخ مخطوطوط اليمني**: لكتاب  
مخطوطات كثيرة في شتى مكتبات العالم:

١- مخطوطة مكتبة مجلس الشورى بطهران رقم  
٣٥٥٤ / ٨٦٨٧، كتبت في القرن الخامس الهجري /  
الحادي عشر الميلادي، وهي الأصل وأقدم النسخ من  
مخطوطات الكتاب.

٩٤- الجغرافيا، ص ١٢٥.

٩٥- بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج ٦، ص ٤.

٩٦- تاريخ كزیده، ص ٣٩١.

٩٧- سير أعلام النبلاء، ج ١٧، ص ١١٧، ص ٤٨٧.

٩٨- طبقات الشافعية الكبرى، ج ٥، ص ٣٢٧.

يرى العلامة محمد قزويني أنه «يتضمن الوقائع  
التاريخية في إيران لمدة تمتد طوال ١٥٠ عاماً، إذ  
يتضمن وقائع العهدين الغزنوي والسلجوقي  
بتمامها والنصف الأول من حكم الخوارزمشاهية»،  
وتتأليفه يعود إلى مدة هي أقل بقليل من سنة  
٥٦٠ هـ / ١١٦٤ م<sup>(٩٠)</sup>.

#### كتب نقلت عن اليمني:

**مجمل التواريخ والقصص المدون** سنة  
٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م مؤلف مجهول.

**السياق لتاريخ نيسابور** تأليف عبد الغaffer  
الفارسي ت ٥٢٩ هـ / ١١٣٤.

**تاريخ هراة** لثقة الدين أبي نصر عبد الرحمن بن  
عبد الجبار الفامي ت ٥٤٦ هـ / ١١٥١. فثمة تشابه  
وتطابق في العبارات بين ما ورد في تاريخ هراة وما  
ورد في اليمني<sup>(٩١)</sup>.

**تاريخ بيهق** لفريد خراسان علي بن زيد البهقي  
ت ٥٦٥ هـ / ١١٦٩.

**التدوين** لعبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني  
ت ٦٢٢ هـ / ١٢٢٦ م<sup>(٩٢)</sup>.

**معجم البلدان** لياقوت الحموي  
ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م<sup>(٩٣)</sup>.

**الكامل في التاريخ** لعز الدين علي بن الأثير  
ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢.

**باب الألباب** لمحمد بن محمد العوفي البخاري  
ت ٦٣٥ هـ / ١٢٣٧.

٩٠- ابن فندمه، تاريخ بيهق، ص ٧٠، ١١١. حاجي خليفة، كشف  
الظنون، ج ٢، ص ١٦٨٦.

٩١- السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٥، ص ٣٢٦-٣٢٣.

٩٢- التدوين، ج ٢، ص ٢٩٠.

٩٣- معجم البلدان، ج ٤، ص ١٥٠.



صورة المخطوطة (أ) من مخطوطات مجلس الشورى بطهران، الرقم ١٢٨.

٣- مخطوطة مكتبة آيا صوفيا في إسطانبول برقم ٢٩٤٩ كتبت سنة ٢٩٧٣ هـ / ١١٧٧ م، العنوان على غلاف هذه المخطوطة هو اليميني في أخبار أبي القاسم محمود بن ناصر الدولة أبي منصور سُبْكُكَيْنَ.



صورة المخطوطة (أ) من مخطوطات مكتبة آيا صوفيا في إسطانبول.



صورة المخطوطة (أ) من مخطوطات مجلس الشورى بطهران، الرقم ٨٦٨٧/٣٥٥٤.

٤- مخطوطة أخرى محفوظة بمكتبة مجلس الشورى بطهران رقم ٧٠١٨، بخط محمد بن أبي بكر بن محمد بن سليمان المقرئ الرشيدى، كُتُبَتْ سنة ١٢٦٢ هـ / ١٢٦٤ م سقطت بعض أوراقها. إذ انفردت هذه المخطوطة من سائر النسخ بفصل ورد فيه أن السَّيَارِي استُؤزِرَ عَقْبَ عَزْلِ الْوَزِيرِ الفضل بن أحمد الإسْفَرايِينِي الذي نعلم أنه عُزَلَ وسُجِنَ سنة ٣٩٩ هـ / ١٠٠٨ م وُقُتِلَ عَقِيبَ ذَلِكَ سَنَةٍ ٤٠٤ هـ / ١٠١٣ م<sup>(٩٩)</sup>. ومن المحتمل في أن يكون هناك عداء قد نشأ بسبب ما بين العتبى والسياري أدى إلى حذفه الفصل الخاص به من اليميني، لكنه بقي في إحدى نسخه التي كُتُبَتْ قبل ذلك التاريخ، وهي التي انفردت به.

٩٩- محمد خوافي، مجلل فصحي، ج ٢، ص ١١٣-١١٤.

## المصادر والمراجع

### المصادر:

\*ابن الأثير (علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ت ٦٣٠ هـ / ١٢٢٢ م):

١- الكامل في التاريخ، ته: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط١، بيروت، ١٩٩٧ هـ / ١٤١٧ م.

\*الأدنه وي (أحمد بن محمد تُوفِي في القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي):

٢- طبقات المفسرين، ته: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، ط١، السعودية، ١٩٩٧ هـ / ١٤١٧ م.

\*البخاري (علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب، أبو الحسن ت ٦٧٤ هـ / ١٠٧٤ م):

٣- دمية القصر وعصرة أهل العصر، دار الجيل، ط١، بيروت، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م.

\*البستي (أبو الفتح ت ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩ م):

٤- ديوان أبي الفتح البستي، ته: شاكر العاشر.

\*البيهقي (أبو الفضل ت ٤٧٠ هـ / ١٠٧٧ م):

٥- تاريخ البيهقي، تر: يحيى الخشاب، صادق نشأت، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٦ م.

\*الثعالبي (أبو منصور عبد الله بن محمد بن إسماعيل ت ٤٢٩ هـ / ١٠٣٨ م):

٦- يتيمة الدهر في محسن أهل العصر، ته: مفید محمد قميحة [؟]، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.

٧- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

٨- التوفيق للتلقيق، ته: إبراهيم صالح، دار

٤- مخطوطة مكتبة قويون أوغلي المرقمة ٢٠٣٩ كتبت سنة ٦٦٤ هـ / ١٢٦٥ م، نسخة جليلة قرأها الخليفة النيسابوري على جهْدِ نحْرِيرِ هو النجاتي النيسابوري ودون في حواشيه ما استقاده منه.



صورة لورقة (١) من مخطوطة مكتبة قويون أوغلي رقم ٢٠٣٩

٥- مخطوطة مكتبة الأوقاف العامة ببغداد تحمل الرقم ٦٦٥٠ وهي غير مؤرخة.



صورة لورقة (١) من المخطوطة سكرية وزار الأوقاف في بغداد

- الأديب»، تج: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط ١، بيروت، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.
- \*ابن خلكان (شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م) :
- ١٩- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تج: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.
- \*الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٨م) :
- ٢٠- سير أعلام النبلاء، تج: شعيب الأرناؤوط وصحابه، مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- \*السبكي (تاج الدين عبد الوهاب بن تقى الدين ت ٧٧١هـ / ١٣٦٩م) :
- ٢١- طبقات الشافعية الكبرى، تج: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر، ط ٢، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.
- \*ابن سعيد المغربي (أبو الحسن علي بن موسى) :
- ٢٢- الجغرافيا، تج: إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة، ط ١، بيروت، ١٩٧٠م.
- \*ابن اسفندیار (بهاء الدين محمد بن حسن ت ٦١٣هـ / ١٢١٦م) :
- ٢٣- تاريخ طبرستان، تر: أحمد محمد نادى، المجلس الأعلى للثقافة، ط ١، القاهرة، ٢٠٠٢م.
- \*السمعاني (عبد الكري姆 بن محمد بن منصور التميمي المروزي ت ٥٦٢هـ / ١١٦٦م) :
- ٢٤- الأنساب، تج: عبد الرحمن بن يحيى المعلمى وغيره، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط ١، حيدر آباد، ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م.
- \*الصفدي (صلاح الدين خليل بن أبيك بن عبد الله الصفدي ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م) :
- ٢٥- الوفي بالوفيات، تج: أحمد الأرناؤوط، الفکر، ط ٢، بيروت، دمشق، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.
- النهاية في الكنایة المعروفة بالكنایة والتعریض، تج: فرج الحوار، دار المعارف للطباعة، تونس، د.ت.
- ١٠- لباب الآداب، تج: أحمد حسن لبج، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
- ١١- الإعجاز والإيجان، مكتبة القرآن، القاهرة، د.ت.
- ١٢- خاص الخاص، تج: حسن الأمين، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.
- ١٣- التمثيل والمحاضرة، تج: عبد الفتاح محمد الحلو، الدار العربية للكتاب، ط ٢، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
- ١٤- ديوان الثعالبي، تج: محمود عبد الله الجادر، عالم الكتب، مكتبة النهضة، ط ١، بيروت، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- \*الجاجري (أبو المعالي المؤيد بن محمد) :
- ١٥- نكت الوزراء «جمع أقوال مئة من الوزراء في الإسلام وروائعهم ونوارهم»، تج: نبيلة عبد المنعم داود، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط ١، بيروت، ٢٠٠٠م.
- \*الجوزجاني (منهج الدين عثمان المعروف بالقاضي منهاج السراج) :
- ١٦- طبقات ناصري، تر: عفاف السيد زيدان، المركز القومي للترجمة، ط ١، القاهرة، ٢٠١٣م.
- \*حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني ت ٦٧١هـ / ١٦٥٦م) :
- ١٧- كشف الظنون عن أساسي الكتب والفنون، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٤١م.
- \*الحموي (شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) :
- ١٨- معجم الأدباء «إرشاد الأريب إلى معرفة

- \*٣٢-المحمدون من الشعراء وأشعارهم، تح: حسن معمرى، مر: حمد الجاسر، دار اليمامة، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.
- \*ابن الصلاح (عثمان بن عبد الرحمن أبو عمرو تقي الدين ت ٦٤٣هـ / ١٢٤٥م):
- \*٣٣-طبقات الفقهاء الشافعية، تح: محيي الدين نجيب، دار البشائر الإسلامية، ط١، بيروت، ١٩٩٢م.
- \*ابن العبرى (غريغوريوس أبو الفرج بن أهرون الطبيب الملطي ت ٦٨١هـ / ١٢٦٨م):
- \*٣٤-تاريخ مختصر الدول، تح: الأب أنطون صالحاني اليسوعي، دار الرائد اللبناني، ط٢، بيروت، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.
- \*ابن فضل الله العمري (أحمد بن يحيى القرشي العدوى ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م):
- \*٣٥-مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجمع الثقافي، ط١، أبو ظبى، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.
- \*ابن فندمه (أبو الحسن ظهير الدين علي بن زيد بن محمد بن الحسين البهوي ت ٥٦٥هـ / ١١٦٩م):
- \*٣٦-تاريخ بيهقى، دار اقرأ، ط١، دمشق، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.
- \*القاشى (أبو العباس أحمد بن علي بن بابه ت ٥١٦هـ / ١١١٦م):
- \*٣٧-رأس مال النديم في تواریخ أعيان الإسلام، تح: محمد عبد القادر خریسات، مركز زايد للتراث، الإمارات، ٢٠٠١م.
- \*القزويني (عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم أبو القاسم الرافعي ت ٦٢٣هـ / ١٢٢٦م):
- \*٣٨-التدوین في أخبار قزوین، تح: عزيز الله العطاردي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م.
- \*القطفي (جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف ت ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م):
- \*ابن الملقن (سراج الدین أبي حفص عمر بن علي بن أحمد الأندلسی التکروري الشافعی ت ٤٠٤هـ / ١٤٠١م):
- \*ابن الخطّاط (محمد بن علي ت ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م):
- \*ابن الفخرى في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، د.ت.
- \*ابن الصادق (محمد خوافى) (فصیح أحمد بن جلال الدين):
- \*ابن فضیل (محسن ناجي نصر آبادی)، انتشارات أساطیر، تهران، ١٣٨٦هـ / ٢٠٠٧م.
- \*المرادي (محمد خليل بن علي بن محمد بن محمد مراد الحسيني)، أبو الفضل ت ١٢٠٦هـ / ١٧٩١م):
- \*ابن الصادق (سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر)، دار البشائر الإسلامية، دار ابن حزم، ط٣، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- \*ابن المستوفى (المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللخمي الإربلي ت ٦٣٧هـ / ١٢٣٩م):
- \*ابن الصادق (تاریخ إربل)، تح: سامي بن سید خماس الصقار، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشید للنشر، العراق، ١٩٨٠م.
- \*ابن الملقن (سراج الدین أبي حفص عمر بن علي بن أحمد الأندلسی التکروري الشافعی ت ٤٠٤هـ / ١٤٠١م):
- \*ابن الصادق (تركي مصطفى)، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.

- مطبعتها البهية إسطانبول، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٥١ م.
- ٤- تبريزي (محمد علي): ريحانة الأدب في تراجم المعروفين بالكنية أو اللقب، شركة سهامي، طهران، ١٣٦٩ هـ / ١٩٤٩ م.
- ٥- الخولي (محمد مرسي): أبو الفتح البستي حياته وشعره، دار الأندلس، ط١، ١٩٨٠ م.
- ٦- الزركلي (خير الدين): الأعلام «قاموس تراجم أشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين»، دار العلم للملايين، ط١٥، بيروت، ٢٠٠٢ م.
- ٧- عبد الرحمن (عفيف): معجم الشعراء العباسيين، دار صادر، ط١، بيروت، ٢٠٠٠ م.
- ٨- الطهراني (آغا بزرك): الذريعة إلى تصانيف الشيعة، دار الأضواء، بيروت، د.ت.
- ٩- فروخ (عمر): تاريخ الأدب العربي من مطلع القرن الخامس الهجري إلى الحكم العثماني، دار العلم للملايين، ط٤، بيروت، ١٩٨١ م.
- ١٠- كحالة (عمر بن رضا بن محمد بن عبد الغني): معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

٣٩- العقد المذهب في طبقات حملة المذهب، تح: أيمن نصر الأزهري، سيد مهنى، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م.

\*نظام الملك (الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي، أبو علي ت ١٠٩٢ هـ / ١٤٨٥ م):

٤٠- سياست نامه أو سير الملوك، تح: يوسف حسين بكار، دار الثقافة، ط٢، قطر، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م.

٤١- النويري (أحمد بن عبد الوهاب ت ٧٣٣ هـ / ١٣٣٢ م): نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٤ م.

#### المراجع:

١- بارتولد (فاسيلي فلاديمiroفتش): تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، تر: صلاح الدين عثمان هاشم، المجلس الوطني للثقافة، ١٩٦٣ م.

٢- بروكلمان (كارل): تاريخ الأدب العربي، تر: السيد يعقوب بكر، مر: رمضان عبد التواب، دار المعارف، ط٢، مصر، ١٩٨٣ م.

٣- البغدادي (إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني): هدية العارفين أسماء المؤلفين وأثار المصنفين، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في



# الدر المنشوب في تكملة تاريخ حلب لابن خطيب الناصرية

## ترجمة مؤلفه ونظرة في موضوعه

د. أحمد حميد\*

امتاز العصر المملوكي بكثره إنتاجه الفكري والمعرفي، ربما يعود ذلك لما شهد هذا العصر من ذي قيامه حتى نهاية دولة المماليك الكثير من الغزاة الذين دمروا وأحرقوا وخرّبوا ذلك النتاج العلمي المخطوط بأيدي أقلام العلماء، وتلامذتهم، والنساخ، والكتاب، ولعل من أبرز العلوم الإنسانية التي كثر فيها التأليف والشرح والإطالة والاختصار والتعليق والتعليق والتذليل والإكمال هو علم التاريخ الذي اتسم به العصر المملوكي الممتد زمنياً منذ سنة ٦٤٨هـ - ١٢٥٠م / ٩٢٣هـ - ١٥١٧م) والذي امتد على مساحة جغرافية شملت بلاد مصر والشام والجaz وأطرافاً من آسيا الصغرى واليمن.

وقد عمدت إلى تحقيق قطعة منه لنيل درجة الماجستير من الجامعة اللبنانية عام ٢٠٠٠م، من باب الخاء المعجمة (خ) إلى باب السين المهملة، وهذا المخطوط فيه من الفوائد العلمية والتاريخية غير قليلٍ.

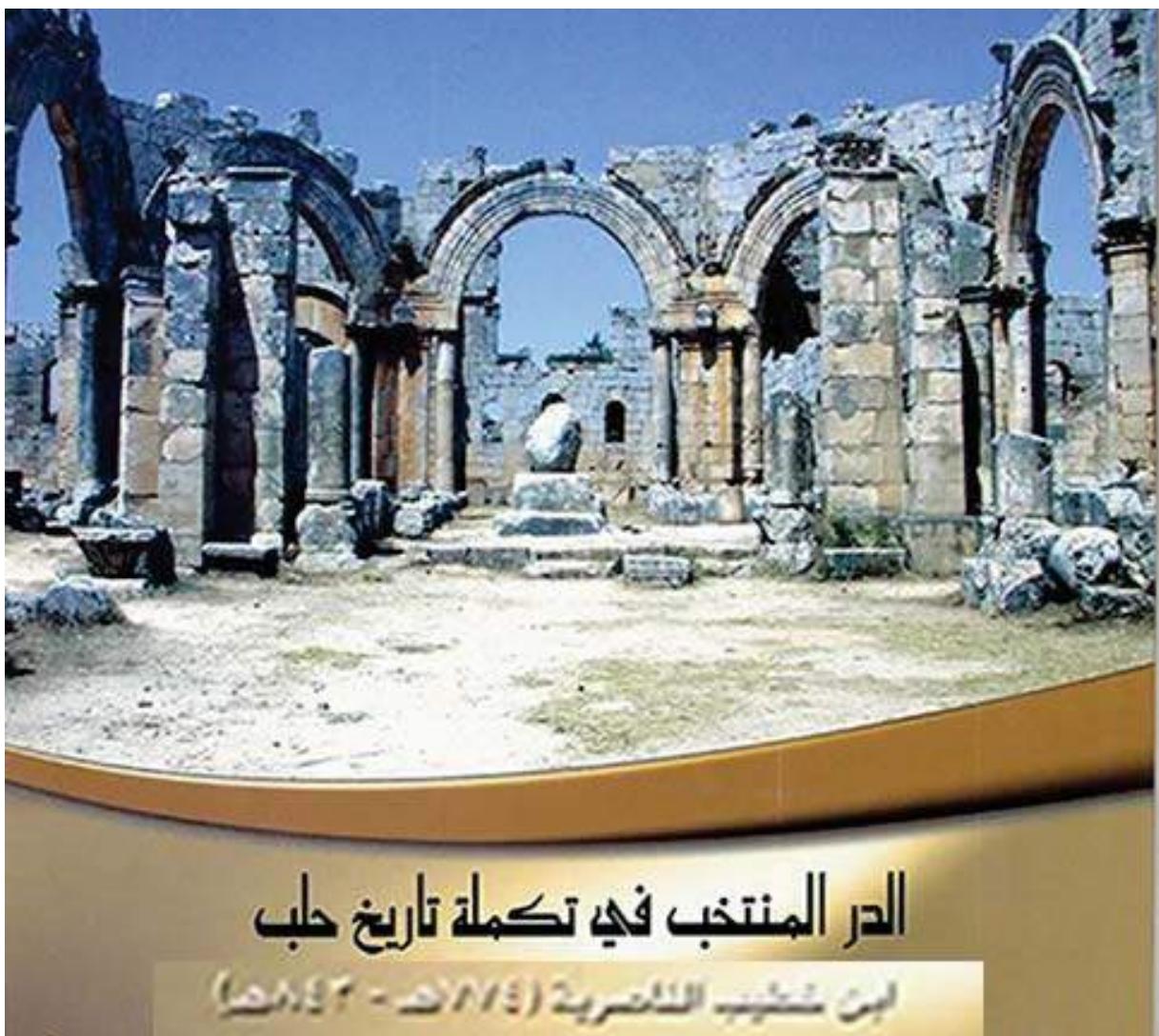
### حياة المؤلف

#### ١- مصادر ترجمته:

عرفت حلب بكثرة نتاجها الفكري، وغناها بعلماء صنفوا، ودرسوها، وشغلوا مناصب القضاء، وأفتوا، ومن هؤلاء الأعلام والمؤرخين «ابن خطيب الناصرية». وقد حظي «ابن خطيب الناصرية» باهتمام المؤرخين، وترجموا له في مصنفاته، ولكن الطابع العام لتلك الترجمة في هذه المصنفات مختصرة، على أنَّ أوضح ترجمة وأشملها هي ترجمة «السخاوي»

ومن أبرز مؤرخي هذا العصر هو «ابن خطيب الناصرية» المؤرخ والقاضي الحلبي الذي ذيل لنا على تاريخ (ابن العديم) المتوفى سنة ٦٦٠هـ - ١٢٦٢م، وسمّاه «الدر المنشوب في تكملة تاريخ حلب» سيحاول البحث تسليط الضوء على حياة هذا المؤرخ بإيجاز، والإشارة إلى كتابه المخطوط (الدر المنشوب في تكملة تاريخ حلب) الذي تفرّقت نسخه على مكتبات العالم مثل: مكتبة المتحف البريطاني في لندن، ومكتبة جامعة الموصل في العراق، ومكتبة غوتا في ألمانيا، ومكتبة المدرسة الأحمدية بحلب، وقد أودعت هذه النسخة الأخيرة في مكتبة الأسد الوطنية بدمشق، وهي بحاجة إلى التحقيق والنشر.

\* باحث في مصادر التاريخ الإسلامي.



الثالث ص ١١٩٧ وقد أثني عليه، وأخذ عنه، وقد ترجم له السخاوي أيضاً في الذيل التام على دول الإسلام ص ٦٢٠، وفي (وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام) ج / ص ٥٦٧، وهي ترجمة مختصرة عن (الضوء الالمعم) فيها ثناء عليه، وقد وصفه بالعلامة. أما «ابن تغري بردي» فقد أفرد له ترجمة في (النجوم الزاهرة) ج ١٥ / ص ٢١٧-٢١٨، وقد أثني عليه، ولكنه رماه بأشياء لم أجده لها ذكرأ إلا عنده مع إجماع المصادر الأخرى على حسن سيرته والإشادة به، وكذلك ترجم له في (الدليل الشافي)

الذى أتى فيها على تفاصيل من حياة «ابن خطيب الناصرية»؛ مما جعلها مصدراً لكل من جاء بعده؛ إذ أفرد له في كتابه (الضوء اللامع) خمس صفحات، فكانت ترجمة وافية شاملة جامعه عن حياة مؤرخنا هذا، ويُعد السخاوي أفضل من ترجم له في الجزء الخامس (ص ٣٠٣-٣٠٦). وقد ترجم له وعاصره «ابن حجر العسقلاني» في كتابه (إنباء الغمر) ج ٩ / ص ١١٥-١١٦، وجاءت هذه الترجمة مختصرة، وترجم له المقريزي في كتابه (السلوك لمعرفة دول الملوك) وفيات سنة ٨٤٣ في الجزء الرابع القسم

الناصرية»، قال السخاوي: ولد في سنة أربع وسبعين وسبعينه بحلب، ونشأ بها، وحفظ القرآن، وكتباً منها: المنهج الفرعى، والأربعين المستخرجة من مسند الشافعى الملقبة بسلامل الذهب من روایة الشافعى عن مالك عن نافع عن عمر، وألفية الحديث للعرaci، وألفية النحو لابن معطى، وانتفع في حفظها بوالده<sup>(١)</sup>. إنَّ هذه النشأة التي ربي عليها «ابن الخطيب الناصرية» كان لها الأثر الواضح في مجريات حياته، ويمكن الاستدلال على ذلك من خلال آراء علماء عصره فيه، وسأتي لاحقاً على الإشارة إلى تلك التي تبين مدى عدالة هذا الرجل، وإخلاصه، والتزامه الطريق العلمي الصحيح.

#### ٤- شيوخه ورحلاته:

لقد أخذ «ابن خطيب الناصرية» عن شيوخ عدّة في مختلف فنون العلم والمعرفة، وكانت له مجالس علم مع شيوخ العربية، والفقه، والتاريخ، فاستفاد، وأفاد، وبرز في المشاركة والمداخلات، ولم تقتصر معرفته على شيخ بلده، بل ارتحل من حاضرة إلى أخرى طلباً للمعرفة والاستزادة من العلم، فزار حواضر الشام ابتداءً من حماة، ودمشق، وطرابلس، وبعلبك، والقدس، ثم انتقل إلى القاهرة، فأخذ عن شيوخها وعلمائها، وفيما يلي ذكر لشيوخه الذين أخذ عنهم في مختلف ميادين المعرفة:

#### أ- شيوخه في العربية:

قرأ في الفقه وغيره، والعربية على «الجمال يوسف بن خطيب المنصورية» بحلب وحمادة وطرابلس، وحضر دروسه في التفسير، وهو أول من أذن له في الإفتاء، وكتب له خطه بذلك، وهو ممَّن أخذ العربية عن «السرىي المالكي»، وقرأ طرفاً من النحو أيضاً على «الشمس أبي عبد الله محمد بن أحمد بن علي

ج / ص ٤٨٠ ترجمة مختصرة، أما صاحب (طبقات المفسرين) فقد أورده ترجمة مختصرة نقلها عن (الضوء اللامع)<sup>(٢)</sup>. أما صاحب (الشذرات) فقد جاءت ترجمة مختصرة أيضاً في الجزء ٩ / ص ٣٥٩، وأفرد له صاحب (كشف الظنون) في الجزء الأول ص ٢٤٩ ترجمة مقتضبة جداً أشار فيها إلى أنه ذيل على تاريخ «ابن العديم». وفي القرن الثالث عشر ترجم له «الشوكانى» في (البدر الطالع) ج ١ / ص ٤٧٦ - ٤٧٧، وقال عنه: (كان إماماً في الفقه والحديث) وقد ترجم له عمر رضا كحالته في (معجم المؤلفين) ج ٢ / ص ٥٠٥ - ٥٠٦ كتابه (إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء) فقد أفرد له ترجمة واسعة اعتمد فيها على السخاوي، إضافة إلى أنه أشار إلى مؤلفاته، وجاءت ترجمته في الجزء الأول من الكتاب المذكور ص ٤١ - ٤٢، وله ترجمة في (ديوان الإسلام) للغزى ج ٢ / ص ٢٤٧ - ٢٤٨، وفي الأعلام ج ٥ / ص ٨.

#### ٢- اسمه ونسبه:

هو علي بن محمد بن سعد بن محمد بن علي بن عثمان<sup>(٣)</sup> بن إبراهيم بن يوسف بن يعقوب بن علي بن هبة الله بن ناجية العلاء أبو الحسن بن خطيب الناصرية الشمس الطائي الجبريني<sup>(٤)</sup> نسبةً لبيت جبر بن الفستق ظاهر حلب من شرقيتها ثم الحلبي الشافعى سبط العالم المدرس «الزين علي بن العلامة قاضي قضاة حلب الفخر أبو عمر وعثمان بن علي بن عثمان الطائي الخطيب، بل الزين هذا ابن عم جده لأبيه، ويعرف العلاء بابن خطيب الناصرية<sup>(٥)</sup>.

#### ٣- مولده ونشأته وعلمه:

في تلك الحقبة التي شهدتها حلب في ظل الحكم المملوكي رأت حلب سنة ٧٧٤ هـ مؤرخها «ابن خطيب

الحلبي، فإنهقرأ عليه وهو صغير جداً بعض القرآن، ثم أكمله على غيره، وعرض على جماعة منهم «الجمال عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن محمد التحريري المالكي»، والمنهاج وجده فيها أيضاً على «الشمس أبي عبد الله محمد بن نجم بن محمد ابن النجار»، الحلبي، الحنفي، وأجاز له، بل استجاز له أبوه من شيوخ القاهرة فيما دخلها في سنة ثلاثة وثمانين «الزين العراقي»، وكتب خطأً بذلك، واصطحب معه ولده قبل ذلك سنة خمس وثمانين إلى بيت المقدس، فزار الشيخ عبد الله بن خليل البسطامي»، ودعا لهما، وجده العلاء القرآن على «أحمد الحموي المقرى»، وبعده على «محمد اليميني المقرى» نزيل حلب، «وأحمد بن محمد بن أحمد بن الشوش الشيرازي الحلبي» أحد من برع في القراءات في حل الشاطبية، ومن شيوخه في العلم التاج «تاج بن محمود الأصفهاني العممي» قرأ عليه في الفقه والنحو، وكثير اجتماعه به، وقرأ فيهما أيضاً على الشمس «محمد بن سليمان بن عبد الله الحموي بن الخراط»، وكذلك «ابن خطيب المنصورية» بحلب وحمة وطرابلس، وحضر دروسه في التفسير، وهو أول من أذن له بالإفتاء، وكتب له خطه بذلك، وفي سنة ست وتسعين حين قدم حلب، وقرأ غالباً منهاجاً بحثاً على «الزين أبي حفص عمرو بن محمود بن محمد الكركي»، وأخذ في الفقه مدة عند «الشمس أبي عبد الله محمد بن علي بن يعقوب النابلسي» نزيل حلب، ويسيراً عن الشريف الرادي، وكان يخالفه في أشياء يكون الظفر فيها مع صاحب الترجمة، وسمع الحديث من رفيقه في قضاء حلب «أبي البقاء محمد بن خليل الحاضري الحنفي» وطرفًا من الفرائض على «الشمس محمد بن إسماعيل بن الحسن بن خميس البابي» «والسراج عبد اللطيف بن أحمد الفوزي»

بن سليمان المعربي الحلبي الشافعي المعروف بابن الركن، وطرفًا من الفرائض على «الشمس محمد بن إسماعيل بن الحسن ابن خميس البابي»، و«السراج عبد اللطيف بن أحمد القوي» بحلب، بل قرأ عليه تخمسة للبردة، وكتب عنه من نظمه أشياء، وقطعة من مختصر ابن الحاجب الأصلي، وطرفًا من المعاني والبيان على «المحب أبي الوليد ابن الشحنة»، وحضر عنده كثيراً، وكتب عنه من نظمه ونشره، وقرأ عليه بحلب من مبهماته، وكذلك اجتمع في القاهرة بالشمس الديري»، وكتب عنه في آخرين منهم الأديب «شمس أبو الفضل محمد بن علي بن أبي بكر المصري»، كتب عنه في ربيع الأول سنة تسع شيئاً من نظمه، وكذلك سمع دروس «البيجوري»، «والولي العراقي»، وسافر من القاهرة في هذا الشهر، وكتب فيه بقاقيون<sup>(٧)</sup> «ناصر الدين بن البارزي» القاضي شيئاً من نظمه، أيضاً وببعلك عن «التاج بن بردس» وغيره، وبطرابلس من «الشرف مسعود بن شعبان الطائي الحلبي الشافعي»، كتب عنه شيئاً من شعر غيره وكذلك كتب فيها في رجب سنة أربع وثمانين عن البدر محمد بن موسى بن محمد بن الشهاب محمود شيئاً من نظمه<sup>(٨)</sup>.

### ب- شيوخه في علم القرآن والفقه:

وأما في هذه العلوم الشريفة فقد أخذ عن شيخ عدّة، فحصل منهم علماً غزيراً انتفع به، إذ حفظ القرآن، وكتباً منها: منهاج الفرعى، والأربعين المستخرجة من مسند الشافعى الملاقبة بسلسل الذهب من روایة الشافعی عن مالک عن نافع عن ابن عمر، وألفية الحديث للعراقي، وألفية النحو لابن مُعْطى، وانتفع في حفظها بوالده، وفي القراءة بالفقیه «الشمس محمد بن علي بن أحمد بن أبي البركات» الغزى ثم

ذر أحمد بن الحافظ المتقن برهان الدين إبراهيم بن محمد بن خليل الحلبي الشافعى سبط ابن العجمي المتوفى سنة ٨٨٤هـ<sup>(١٧)</sup>.

أما تلميذه الثاني فهو صهره «أبو الفضل محمد بن الشحنة» المتوفى سنة ٨٩٠هـ.

تال محقق الدر المنتحب: (وصاشر العلاء ابن الناصرية، فانتفع به، وكتب عنه أشياء)<sup>(١٨)</sup>.

وأما تلميذه الثالث فهو: محمد بن عبد الله الحموي الأصل الدمشقى الشافعى المعروف بابن أحمد ناصر الدين، ولد في العشر الأول من المحرم سنة ٧٦٦هـ بدمشق، فحفظ عدة مختصرات، وأخذ عن شيوخ بلده والقادمين إليها بقراءاته وقراءة غيره، وارتحل إلى بعلبك وحلب ومكة وغيرها، توفي سنة ٨٤٢هـ.

ومن شيوخه: «ابن خطيب الناصرية»<sup>(١٩)</sup>. ومن الذين انتفعوا من تصانيفه وعلمه «المقرىزى» وهو التقى أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر بن عمر المقرىزى القاهرة، ومن الذين انتفعوا بعلم «ابن الشحنة» سابق الذكر، إذ أدرج في كتابه المنسوب إليه (الدر المنتحب في تاريخ مملكة حلب) شواهد كثيرة في

مواضع عدّة من هذا الكتاب منها في الصفحات (١٤٤-١٤٥).

وفي مواضع أخرى متعددة، وقد استقاد «ابن حجر العسقلانى» من هذا التاريخ، وأضاف إليه، جاء في إعلام النبلاء: «... ولما وصل إلى حلب حافظ العصر ابن حجر العسقلانى المصرى القاهرة الشافعى سنة ست وثلاثين وثمانمائة، كما تعرّض لهدا في بياجة تاريخه المشهور بأبنية الغمر بأبناء العمر، وأثنى على صاحبه، وأفاد أن كلّ منها سمع من صاحبه»<sup>(٢٠)</sup> وقال السخاوي: «وكذا طالعته من هذه النسخة أيضاً غير مرّة، ونبهت أيضاً على مواضع مهمة، وهو نظيف اللسان والقلم في التراجم»<sup>(٢١)</sup>.

بحلب، وجانياً من الفقه على «العلا» أبي الحسن علي بن محمد بن يحيى» التميمي، الصرخي نزيل حلب، وانتفع به كثيراً، وكذلك «بالشمس البابى الكبير».

ومن شيوخه أيضاً القاضي «الشرف أبو البركات موسى الأنصارى الحلبي، قاضى الشافعى، وأخذ الحديث عن الولي العراقي، وحدىشأ عن شيخنا، وأحضر في الخامسة على «البدر بن حبيب»، وسمع على «الحسيني» «وأبي الحسن علي بن إبراهيم بن يعقوب ابن جعفر الشهاب أبي جعفر أحمد، وأم الحسن فاطمة ابنة الشهاب الحسيني الإسحاقي، وجماعة عن أهلها، والقادمين عليها، فكان من القائمين «محمد بن محمد عبد الله العاقولى»، بل سمع من لفظه حديث الأعمال بالذىيات، والكلام على فوائده وأحكامه<sup>(٢٢)</sup>.

ومن شيوخه أيضاً «الشرف بن الكويك» و«الجلال البلقينى»، إذ سمع عليه البعض من سن التسادى الصفرى، بلقرأ عليه بحلب البعض من ميهما، ونرأى في دمشق ثمان وثمانين المسلسل على «الجمال بن الشاراثي»، وسمع منه.

#### ج- في التاريخ:

قرأ على «الجمال يوسف بن موسى المطلي» السيرة النبوية<sup>(٢٣)</sup> والدر المنظوم في كلام المصطفى المعصوم، كلاهما لم يقلطا بقراءاته لهما على مؤلفهما<sup>(٢٤)</sup>.

#### ٥- تلامذته:<sup>(٢٥)</sup>

إن ما حظي به «ابن خطيب الناصرية» من معرفة وعلم، وما أحiz له من شيوخه، إضافة إلى إتقانه وضبطه في العلم، وحسن سيرته، وثناء العلماء عليه جعل طلاب العلم ينشدونه، ويأخذون عن، ولعل من أشهر تلامذته صاحب كتاب (كنوز الذهب) والتصانيف الأخرى الإمام المحدث «موفق الدين أبو

## ٧- ثقافته وأثاره:

إنَّ من سمات الحقبة التي عاش فيها «ابن خطيب الناصرية» كثرة العلماء، وسعة معرفتهم، وتعدد التصانيف في أكثر من فنٍ للعالم الواحد، وقد شهدت هذه الحقبة علماء عرفوا بغزاره علومهم وكثرة نتاجهم مثل: «ابن الشحنة الأَبُ» المتوفى سنة ٨١٥هـ، وهو أحد شيوخ «ابن خطيب الناصرية»، وكذلك «ابن حجر العسقلاني» شيخ العلماء، ومؤرخ ذلك العصر المتوفى سنة ٨٥٢هـ، والقربيزي صاحب التصانيف المفيدة المتوفى سنة ٨٤٥هـ، والقلقشندى المؤرخ الإداري المتوفى سنة ٨٢١هـ، إضافة إلى علماء حلب الذين عرف عنهم حبهم للعلم، والسعى في طلبه، والارتحال في سبيله، هذه السمات جعلت من مؤرخنا ألا يقلَّ شأنًا عن علماء عصره، ولهذا كما مرَّ معنا فإنه طلب العلم على علماء بلده، ورحل إلى دمشق، وبعلبك، والقدس، وطرابلس، والقاهرة، فقد شَكَّلت المعرفة التي أخذها عن علماء عصره قاعدة ثقافية أعادته في حياته العملية، وقد أشاد علماء عصره به، وأنثروا عليه من توليه القضاء، وهو دليل واضح على أنَّ هذا العالم كان يتمتع بمعرفة واضحة وعلم نافع، فقد برع في علوم الفقه، والقرآن، والعربيَّة، وإن حصيلة علمه هذه جعلته إنساناً عارفاً مثقفاً في فنونٍ مختلفة، وقد ترك لنا مصنفات عدَّة.

قال السحاوي: «... وقد كثر اعتماؤه بأخبار بلده وترجمَّأعيانها، بحيث جمع لها تاريخاً ذيل له على تاريخ الكمال «ابن العديم»، وأكثر فيه الاستمداد من شيخنا، وقد طالعه شيخنا من المسودة في حلب، ثم من نسخة كُتِّبت للكمال ابن البارزى، وبين هو امشها عدَّة استدراكات، وكذا طالعته من هذه النسخة أيضاً غير مرتين، ونبَّهَت على مواضع أيضاً مهمَّة، وهو نظيف

## ٦- الوظائف التي شغلها:

حظي العلماء في ظلِّ السلطة المملوكية باحترام وتقدير من سلاطين المماليك وأمرائهم، ولهذا سعى هؤلاء السلاطين والأمراء إلى عرض الوظائف الشرعية والإدارية على العلماء، وقد حظي «ابن خطيب الناصرية» بهذا الاحترام والتقدير، وسعى إليه أصحاب الشأن والأمر في سلطة المماليك لتوليه القضاء، وإنما عرف عن «ابن خطيب الناصرية» من تبحر في العلوم الشرعية منها وعلوم العربية وحسن سيرته وأدبه وذيع صيته، كلَّ هذا كان سبباً في توليه القضاء في حلب، يقول السحاوي: «... وقد عرض عليه قضاء الشام في الدولة الأشرفية والأيام الظاهرية، فلم يقبل إلا على بلده والإقامة بها». وقال في موضع آخر: «... وفي سنة ست عشرة وثمان مئة ولي قضاء حلب، ثم بعدها سنة أربع وعشرين وثمان مئة ولي قضاء طرابلس»<sup>(١٧)</sup>. وقال الشوكاني أيضاً: «... ولي القضاء ببلده غير مرة، ثم ولي قضاء طرابلس، وحمدت سيرته في جميع مبادراته، وولي الخطابة ببلده، ودرس وأفتى واستمرَّ على ذلك حتى مات بحلب»<sup>(١٨)</sup>.

وكان إماماً، عالماً، مفتياً، شديد الحب للقضاء، حتى بلغ به من غيرته عليه أنَّ أوصى بأن يسعى به لابن ابنته «أشير الدين ابن الشحنة» في قضاء الشافعية بحلب مع أنه حنفي المذهب<sup>(١٩)</sup>.

لقد أجمع كل من ترجم له إلَّا ابن تغري بردي على أنه كان حسن السمعة والسميرة، والتواضع، ملخصاً في عمله، حريصاً عليه، وقد ولي التدريس في جامع تغري بردي في حلب<sup>(٢٠)</sup>.

وحدثت أنا وهو بجزء حديثي، وفي قرية جبرين ظاهر حلب، وله عنایة كبيرةً بأخبار بلده وترجم علمائها، كثير المذاكرة والاستحضار للسيرة النبوية، وللثير من الخلافيات، انفرد برياسة الملكة الحلبية غير مدافع»<sup>(٢٥)</sup>.

وقال السخاوي: «.. وكان إماماً علامة، محققاً بارعاً في الفقه كثير الاستحضار، له إمامية في الحديث، مشاركاً في الأصول مشاركة جيدة، وكذلك في العربية وغيرها، مستحضرأ للتاريخ ولا سيما السيرة النبوية، فيكاد يحفظ مؤلف ابن سيد الناس فيها، كل ذلك مع الإتقان، والثقة، وحسن المحاضرة، وجودة المذاكرة، والرئاسة، والخشمة، والوجاهة، والثروة، مع صمم يسير بعد ذكره، وذاع صيته، وصار مرجع الشافعية في قطره، وقد كثر اعتناؤه بأخبار بلده وترجم أعيانها، وهو نظيف اللسان والقلم في التراجم»<sup>(٢٦)</sup>.

إنَّ هذه الشهادات التي أجمعـت على أنَّ ابن الخطيب الناصريـة كان إنساناً عالماً، مفتياً، قاضياً، مفسراً، مؤرخاً، إماماً لهـيـ كافية في الدلالة على المنزلة الرفيعة التي تبـوأـها الرـجـلـ.

#### أهمية المخطوط ومحـتوـاهـ:

- كتاب الدر المختار في تكملة تاريخ حلب «ابن خطيب الناصرية» لم ينشر ولم يحقق بعد.

- إنَّ نسخـهـ هذا المخطوط المترقبـةـ في مكتباتـ العالمـ هي نسخـ مصورةـ عنـ أصلـ واحدـ.

- المنزلة العلمية التي شغلـهاـ صاحـبـ الكتابـ بينـ أقرـانـهـ، إذـ إنهـ كانـ قاضـياـ ومؤـرـخـاـ ورحـالـةـ.

- أكـملـ المؤـلـفـ ما انتـهـىـ إـلـيـهـ ابنـ العـديـمـ فيـ كتابـهـ «بغـيةـ الـطـلـبـ فيـ تـارـيـخـ حـلـبـ»، وـهـذاـ الكـتابـ أـيـ: «ـبـغـيةـ الـطـلـبـ» أـرـخـ لـحـلـبـ منـ حـيـثـ الـحـيـاةـ الـعـمـرـانـيـةـ، ثـمـ تـناـولـ كـلـ مـنـ زـارـ حـلـبـ، أوـ مـرـبـهاـ، أوـ قـصـدـهاـ لـطـلـبـ

اللسانـ والـقـلـمـ فيـ التـرـاجـمـ، وـلـكـ فـاتـهـ مـنـ هـوـ عـلـىـ شـرـطـهـ خـلـقـ، وـلـهـ غـيرـهـ مـنـ التـصـانـيـفـ طـيـبـةـ الرـائـحةـ فيـ تـفـسـيرـ الـفـاتـحةـ، اـنـتـزـعـهـ مـنـ تـفـسـيرـ الـبـغـويـ بـزـيـادـاتـ، وـسـيـرـةـ الـمـؤـيدـ، وـشـرـحـ حـدـيـثـ أـمـ زـرـعـةـ، وـهـوـ حـافـلـ، وـكـذـلـكـ كـتـبـ عـلـىـ الـأـنـوـارـ الـأـرـدـبـيـلـيـ كـتـابـةـ مـتـقـنـةـ جـامـعـةـ يـحاـكـيـ فـيـهـ شـرـحـ الـمـهـذـبـ لـلـبـغـويـ وـأـشـيـاءـ غـيرـهـ»<sup>(٢٧)</sup>.

#### ـ وـفـاتـهـ:

عاش «ابن خطيب الناصرية» ٦٩ سنة، كانت حياته حافلة بالعلم والمعرفة، والاشتغال بالقضاء، والتدريس، والإفتاء، والتصنيف، هذه هي حياة العالم المكافح القاضي المؤرخ المفتى المعلم، وكانت وفاته كما ذكر ابن حجر في الحادي عشر من شوال سنة ٨٤٣ هـ<sup>(٢٨)</sup>، وقد أورد السخاوي وفاته في يوم الخميس منتصف ذي القعدة سنة ثلاثة وأربعين وثمانمائة<sup>(٢٩)</sup>.

#### ـ أـقوـالـ الـعـلـمـاءـ فـيـهـ:

أجمع المؤرخون المعاصرـونـ «ابن خطيب الناصرـيـةـ»، والـذـينـ تـرـجـمـواـهـ عـلـىـ أـنـ إـمامـ مـفـسـرـ، مـؤـرـخـ، قـاضـ، مـفـتـ، عـالـمـ بـأـصـوـلـ الـفـقـهـ وـالـلـغـةـ، مـحـبـ لـعـلـمـهـ، شـغـوفـ بـهـ، لـكـنـيـ وـجـدـتـ مـنـ كـانـ لـهـ فـيـهـ رـأـيـ مـغـايـرـ لـأـجـمـعـتـ عـلـيـهـ الـآـرـاءـ الـأـخـرـىـ، وـهـوـ قـوـلـ اـبـنـ تـغـرـيـ بـرـدـيـ فـيـهـ، وـهـوـ قـوـلـ غـرـبـ مـوـحـشـ لـخـالـفـتـهـ قـوـلـ الـجـهـورـ فـيـهـ، فـلـاـ يـلـقـأـتـ إـلـيـهـ.

قال المقرizi: «... كان بارعاً في الفقه والأصول والعربية، مشاركاً في التاريخ والحديث وغير ذلك مع الرياسة، وشهرة الذكر، وكثرة المال، قدم القاهرة غير مرة، وبلونـاـ منهـ علمـاـ جـمـاـ واستحضرـاـ كـثـيرـاـ معـ الإـتقـانـ، وـهـنـاكـ وـهـنـاكـ مـنـ الـأـنـوـارـ الـأـرـدـبـيـلـيـ كـثـيرـاـ مـثـلـهـ»<sup>(٣٠)</sup>.

وقال ابن حجر: «... سمعـتـ فـوـائـدـهـ، وـعـلـقـ عـنـيـ كـثـيرـاـ مـنـ كـتـابـيـ تـعلـيقـ الـتـعـلـيقـ فيـ سـنـةـ ثـمـانـ وـثـيـمانـيـةـ،



شذرات الذهب في أخبار من ذهب ج ١١، عبد القادر أرناؤوط، دمشق: دار ابن كثير، ط ١، ١٩٩٣، ج ٥ / ص ٣٥٩.

٣- الحموي ياقوت، معجم البلدان، يجعلها من قرى حلب من ناحية عزاز، وتعرف أيضاً جبرين الشمالي ج ٢ / ص ١١٨. تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، بيروت: دار الكتب العلمية.

٤- السحاوي محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢) الضوء اللامع ج ١١، بيروت، مكتبة الحياة، ج ٥ / ص ٣٠٣.

٥- الضوء اللامع ج ٥ / ص ٣٠٣.

٦- انظر معجم البلدان ج ٤ / ص ٣٣٩.

٧- السحاوي. الضوء اللامع ج ٥ / ص ٣٣٩.

٨- الضوء اللامع ج ٥ / ص ٣٠٤.

٩- الضوء اللامع ج ٥ / ص ٣٠٤.

١٠- الضوء اللامع ج ٥ / ص ٣٠٥.

١١- الطباخ محمد راغب (ت ١٩٥٠)، إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، ج ٦ تحقيق: محمد كمال، حلب: دار القلم العربي، ط ١٩٨٨، ج ١ / ٤٣.

١٢- ابن شحنة، أبو الفضل محمد (ت ٨٩٠) الدر الم منتخب في تاريخ مملكة حلب، تحقيق: عبد الله محمد درويش، دمشق: دار الكتاب العربي، ١٩٨٤، مقدمة تحقيق الدر الم منتخب في تاريخ مملكة حلب، ص ١٨. . ٢٤

١٣- الشوكاني: محمد بن علي، البدر الطالع في محاسن من بعد القرن السابع، تحقيق: حسن بن عبد الله العمري، بيروت: دار الفكر، ط ١، ١٩٩٨، ص ٧١٥، ٧١٦.

١٤- السحاوي، عبد الرحمن بن محمد: الذيل التام على دول الإسلام، تحقيق: حسن إسماعيل

العلم، أو اجتاز حدودها أو مات فيها، أو عمل بها أو سكناها، ورتبها على حروف المعجم، وقد نشر الكتاب بتحقيق «سهيل زكار» في اثنى عشر جزءاً، وقد أكمله ابن خطيب الناصرية من سنة ٦٥٨ هجرية إلى سنة وفاته ٨٤٣ هجرية - ١٤٤٠ م.

- ولدى اطلاعنا على الكتاب، وجدت فيه من غنى المادة وتنوع المصادر التي اعتمد عليها المؤلف وسعة المعرفة التي ضمّها هذا الكتاب وعظم قدره ما دفعني للاهتمام به أكثر.

- إنَّ الفائدة التي ستجني من هذا المخطوط بعد تحقيقه ونشره، اعتماده مصدرًا مهمًا من مصادر تاريخ حلب لحقبة زمنية امتدت من سنة ٦٥٨ هجرية ١٢٦٠ ميلادية حتى سنة ٨٤٣ هجرية ١٤٤٠ ميلادية.

- إنَّ هذا الكتاب لا يقل أهمية عن المصادر المعاصرة له والمصادر التي أتت بعده، إذ نقل لنا نصوصاً من المصنفات التي فقدت لأسباب مختلفة، وهذه الأخبار المنقولة من تلك المصنفات ألت الضوء على أحداث متعددة، جاءت في بعض المصادر الأخرى مقتضبة. ولعل من أهم هذه المصنفات «تاريخ حلب» لابن عشائر، و«تاريخ مصر» لقطب الدين الحلبي، إضافة إلى ما نقله عن بعض المعاجم الأخرى لمعاجم شيوخ الذهبي ومحدثيه، ومعجم البرزالي وتاريخه، الذي أصابه كثير من التشويه من جراء الإهمال.

- إنَّ هذا الكتاب هو درة في عقد من اللآلئ، أرْخت حلب في حقب مختلفة من الحضارة العربية.

### الهوامش

١- الداودي، أحمد بن محمد، طبقات المفسرين، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ط، ١٩٩٧ م، ص ٣٢٥.

٢- ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد،

- ٢- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، المتوفى ١٩٩٢م، إنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق: محمد أحمد دهمان، ط دمشق: ١٣٩٩هـ.
- ٣- ابن الشحنة، أبو الفضل محمد، المتوفى ١٩٨٩هـ، الدر الم منتخب في تاريخ مملكة حلب، تحقيق: عبد الله محمد درويش، دمشق: دار الكتاب العربي، ١٩٨٤م، مقدمة تحقيق الدر الم منتخب في تاريخ مملكة حلب.
- ٤- ابن العماد الحنفي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دمشق: دار ابن كثير، ط ١، ١٩٩٣م.
- ٥- الداودي، أحمد بن محمد، طبقات المفسرين، تحقيق: سليمان ابن صالح الخزي، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ط ١، ١٩٩٧م.
- ٦- الحموي، ياقوت، معجم البلدان، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، بيروت: دار الكتب العلمية.
- ٧- السخاوي، عبد الرحمن بن محمد، الذيل التام على دول الإسلام، تحقيق: حسن إسماعيل مروءة، الكويت: مكتبة دار العروبة، ط ١، ١٩٩٢م.
- ٨- السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، الضوء الالمعراج، بيروت: مكتبة الحياة.
- ٩- الشوكاني، محمد بن علي، البدر الطالع في محسن من بعد القرن السابع، تحقيق: حسن بن عبد الله العمري، بيروت: دار الفكر، ط ١، ١٩٩٨م.
- ١٠- الطباخ، محمد راغب المتوفى ١٩٥٠م، إعلام النساء بتاريخ حلب الشهباء، تحقيق: محمد كمال، حلباً: دار القلم العربي، ط ٢، ١٩٨٨م.
- ١١- المقرizi، أحمد بن علي، المتوفى ١٩٤٥هـ، السلوك بمعرفة دول الملوك، القاهرة، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٧١م.
- مَرْوَة، الكويت: مكتبة دار العروبة، ط ١، ١٩٩٢م، ص ٦٣٣.
- ١٥- إعلام النساء ج ١ / ص ٤٠.
- ١٦- الضوء اللامع ج ٥ / ص ٣٠٦.
- ١٧- الضوء اللامع ج ٥ / ص ٣٠٦.
- ١٨- الشوكاني: البدر الطالع ج ١ / ص ٤٧٧.
- ١٩- ابن عماد الحنفي، الشذرات ج ٩ / ص ٣٦٠.
- ٢٠- ابن تغري بردي، جمال الدين، أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج ٦، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٩٢م ج ١٥ / ص ٢٠٧.
- ٢١- الضوء اللامع ج ٥ / ص ٣٠٦.
- ٢٢- ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي (ت ٥٨٢) إنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق: محمد أحمد دهمان، طبعة دمشق ١٣٩٩هـ: إنباء الغمر ج ٩ / ص ١١٦.
- ٢٣- الضوء اللامع ج ٥ / ص ٣٠٦. وقد أرّخ وفاته «ابن تغري بردي» في ليلة الثلاثاء تاسع ذي القعدة سنة ٨٤٣.
- ٢٤- المقرizi أحمد بن علي (ت ٨٤٥) السلوك لمعرفة دول الملوك ج ٤، القاهرة، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٧١ - ج ٤ / ق ٣ / ص ١١٩٧.
- ٢٥- الضوء اللامع ج ٥ / ص ٣٠٧.
- ٢٦- الضوء اللامع ج ٥ / ص ٣٠٦.
- المصادر والمراجع**
- ١- ابن تغري بردي، جمال الدين، أبو المحاسن يوسف، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٩٢م.

# علم التّارِيخ عند ابن خلدون

\* د. عباس مرهج فرج

يُعدُّ علم التّارِيخ أحد أهم فروع المعرفة، إذ يتبوأ مركز الصدارة في العلوم الإنسانية، ويتقدم على سواه من العلوم تدويناً وكتاباً في كل مكان تزدهر الحضارة الإنسانية فيه. تعود بداياته إلى بداية وجود الإنسان على هذه الأرض ورغبته بحفظ آثاره ونشاطاته عن طريق الرسم على جدران الكهوف والحجارة والعظام وأوراق البردي. أما عند العرب فقد مثل التّارِيخ في عصورهم المُتَتِّلة ديوان أيامهم وسجل أحداثهم وأخبارهم، وقد أسهم في توطيد أركان هذا العلم ثلاثة من العلماء الذين وضعوا أصوله وقوانينه ومنهجه، فكان ذلك دافعاً لأن تقف في هذا المقام كي نعرّف بأحد هؤلاء المؤرّخين العرب، ألا وهو ابن خلدون الذي اهتم بعلم التّارِيخ وفلسفته وقوانينه، واعتنى بتحديد تعريف دقيق له يتميّز به من غيره ممّن سبقوه أو عاصروه. من هنا عدّه بعض الباحثين واضح علم فلسفة التّارِيخ ومستنبطه ومبتكر نظرية، كما وصفوا مقدمة بأنها أدق ما قيل في هذا العلم عند العرب. لم يكن ابن خلدون مؤرّخاً وعالم عمران فحسب، وإنما رجلٌ موسوعيٌّ المعرفة، إذ اغتنى مؤلفاته بموضوعات شتّى في مجالات معرفية متنوعة مثل: علوم السياسة والاقتصاد والنفس والإنسان واللغة، بدليل ما تطالعنا به عناوين كتبه، ومتون فصولها، ونصوص أبواب المقدمة الشهيرة، هذا كله جعل تراث ابن خلدون وإبداعه الفكري - بالرغم من مضي ما يزيد على ستة قرون ونصف على مولده - يحظى بموقع الصدارة والتّميّز ضمن الإنتاج الفكري والثقافي للحضارة الإسلامية، بل يتبوأ مقاماً رفيعاً في التّراث الفكري والحضاري العالمي.

أحد أجداده القدماء المعروف بـ «خلدون»، الذي كان قائداً عسكرياً شارك في فتح الأندلس تحت قيادة طارق بن زياد سنة ٩٢هـ / ٧١١م، ومنذ ذلك التاريخ استقرّت الأسرة في إشبيلية، وأصبحت من أكثر الأسر العربية نفوذاً ومكانة اجتماعية هناك<sup>(١)</sup>.

١- طه حسين، فلسفة ابن خلدون الاجتماعية: تحليل ونقد، ترجمة محمد عبد الله عنان، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٦، ص: ١٧-١٨.

## مولده ونشأته:

هو أبو زيد ولـي الدين عبد الرحمن بن خلدون من أسرة عربية يعود نسبها إلى وائل بن حجر الحضرمي اليماني، هاجر أسرته إلى الأندلس في القرن الثالث الهجري، أما تلقيبه بـ «ابن خلدون» فجاء نسبةً إلى

\* مدّرس في قسم التّارِيخ - كلية الآداب الثانية بالسويداء - جامعة دمشق.

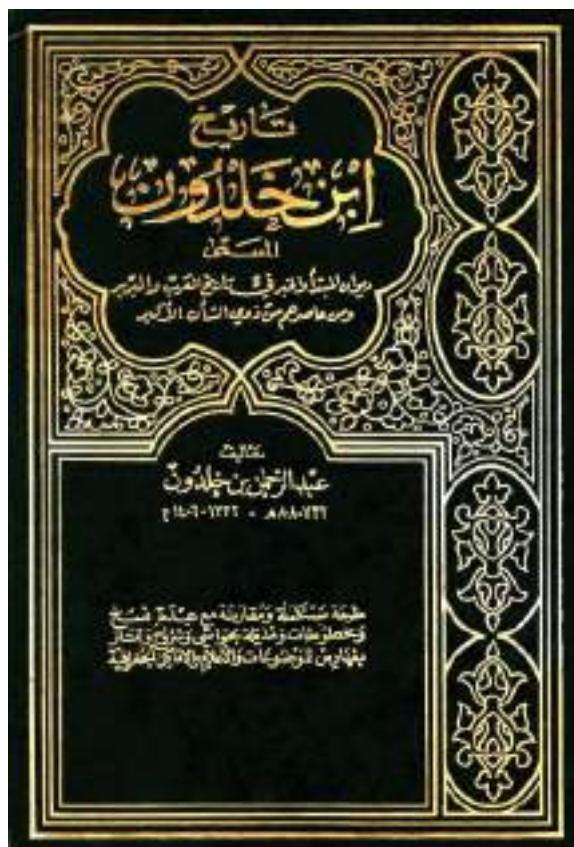
تحصيل العلم حريصاً على اقتناء الفضائل  
متناقلًا بين دروس العلم وحلقاته»<sup>(٢)</sup>.

ابتدأ ابن خلدون حياته العملية باكراً، فقد عمل في تونس وهو في سن العشرين من عمره مع حاكمها محمد بن تافراكتين عام ٧٥٢ هـ بوصفه كاتباً للعلامة، ومسؤولاً عن توقيع السلطان وأختامه على المراسيم التي يصدرها، كما عمل في خدمة السلطان المريني أبي عنان فارس في مدينة فاس، حيث تولى شؤون الكتابة بالنيابة عنه، واستمرت مهمته هذه حتى أواخر عام ٧٥٦ هـ، إذ ضمه السلطان المريني إلى هيئة علمائه التي تبحث في المسائل الدينية وال نحوية، ثم عينه أميناً لشؤونه.



لكن ما ثبت الأسرة أن هاجرت إلى المغرب، وسكنت في مدينة سبطة مدة قصيرة من الزمن، لتنقل بعد ذلك إلى تونس التي كانت تحكمها دولة الحفصيين، وكان من أوائل هؤلاء المهاجرين محمد جدُّ ابن خلدون المبادر الذي ولَّ سلطان تونس بعض المناصب المهمة في الدولة، ولا سيما مناصب عسكرية وإدارية قبل أن يتفرغ للتدرис والعبادة.

ولد عبد الرحمن بن خلدون في رمضان عام ١٣٢٢ هـ / ١٩٠٤ م، وقد نمى فيه أبوه حب العلم منذ صباه، وحفزه لحضور مجالس علماء تونس الذين كان أكثرهم من مهاجري الأندلس، فما كان منه إلا أن تعلم في تلك المجالس، وحفظ القرآن، ودرس العربية، وقرأ الحديث، وأخذ الفقه عن علماء عصره، كما تعلم على أيديهم العلوم العقلية مثل: المنطق وسائر الفنون الحكيمية والتعليمية، من هنا كان حب العلم والسعى في طلبه منقبة من مناقبه، ودينه طوال حياته، وسر شهرته وتميزه بين رجالات عصره، فها هو قد اعترف بلسانه وقال عن نفسه: «لم أزل منذ نشأت وناهضت مكبًا على



- التعريف بابن خلدون ورحله شرقاً وغرباً، تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ٢٠٠٥، ص ٦٤.

١٤٠٦هـ / ودُفِنَ في مقبرة الصوفية خارج باب النصر في القاهرة<sup>(٣)</sup>.

#### مؤلفاته وإنجازه العلمي:

تبعد شهرة ابن خلدون ومكانته الرفيعة من كثرة مؤلفاته وغزاره نتاجه العلمي، وتنوع المجالات المعرفية التي خاض فيها وتناولها بحثاً وتاليفاً، لذا نجد لزاماً علينا أن نعرف بأهم تلك المؤلفات التي وضعها ابن خلدون:

١- **الباب المُحَصَّل في أصول الدين**: الذي يمثل اختصاراً وإجمالاً لضمون كتاب: «مُحَصَّلُ أَفْكَارِ الْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُتَأْخِرِينَ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْحُكَمَاءِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ» لفخر الدين محمد بن عمار الرازى المعروف بـ: «ابن الخطيب» المتوفى سنة ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م، يُعدُّ هذا الكتاب من أهم كتب علم أصول الدين، إذ لاحظ ابن خلدون أن كتاب «المُحَصَّل» لفخر الدين الرازى يشوبه الإطناب والإسهاب الذى لا تتحمله همم أهل عصره، فما كان منه إلا أن عمل على اختصاره وتهذيبه<sup>(٤)</sup>.

٢- **شفاء السائل لتهذيب المسائل**<sup>(٥)</sup>: وهو كتاب يتناول أهل الصوفية في المغرب، وأبرز أعمالهم وزهادهم من أهل مدينة فاس، وقد حاول أن يكشف فيه الغطاء عن مذهب الصوفية الذي يقوم على التوحيد الذوقي والمعرفة الوجدانية، ورفع الحجاب عن العالم الروحاني، ولا يتحقق ذلك إلا من خلال الاطلاع على الكتب الموضوعة، والاقتداء بأقوال العلماء الشارحة.

٣- للمزيد من التفاصيل عن حياة ابن خلدون يمكن الرجوع إلى عبد الرحمن بدوى: مؤلفات ابن خلدون، منشورات المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، دار المعارف بمصر، ١٩٦٢، ص: ١٣-٢٥.

.٢٧

٤- المرجع نفسه، ص: ٧-١.

٥- عبد الرحمن بدوى، المرجع السابق، ص: ١١-٢٥.

وهكذا استغلَّ ابن خلدون وجوده في فاس كي يأخذ من كبار شيوخ المغرب والأندلس (الوافدين إلى فاس بغرض السفارة أو الزيارة) ويتعلمَ من علمائهم العلوم المختلفة، ويكون بذلك قد جمع بين طلب العلم والاشغال بالسياسة.

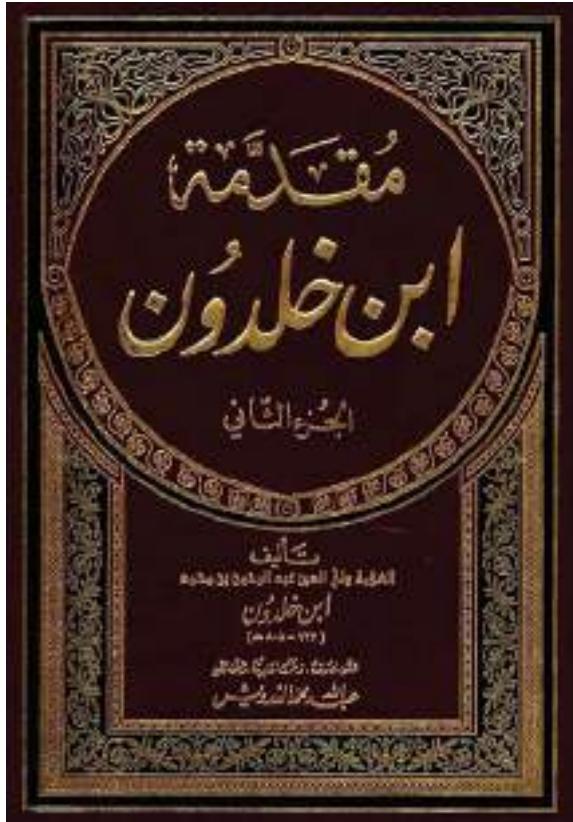
دفعت الخلافات السياسية والأحداث المؤلمة التي شهدتها المغرب في تلك الحقبة الزمنية ابن خلدون إلى اعتزال السياسة والأعمال الإدارية العامة، فأثر العزلة والتفرُّغ للعلم والتأليف، إذ توجَّهَ إلى قلعة ابن سلامة في بلادبني توجين (على بُعد خمسة كيلومترات من مدينة فرندة الحالية في ولاية وهران غرب الجزائر)، ثم لحقَ به أهله بعد ذلك، ولبث فيها أربع سنوات استطاع أن ينجز خلالها كتابه الشهير: «المقدمة».

في سنة ٧٨٠هـ عاد ابن خلدون إلى تونس، واجتمع حوله طلبة العلم، وعمل على استكمال كتابه الشهير: «العبر»، إذ أكمل ذكر أخبار البربر وزناته، وكتب عن «أخبار الدولتين قبل الإسلام وما وصل إليه منها، ليسافر بعدها إلى مصر، فوصل إلى الإسكندرية بعد رحلة استغرقت أربعين ليلة، فأشاد بقصورها ومساجدها ومجالس العلم فيها، ولما دخل القاهرة تحلَّقت حوله طلبة العلم التماساً للعلم والإفادة، فدرَّس في الجامع الأزهر، ثم كلفه سلطان مصر التدريس في المدرسة القمحيَّة، إذ أتيحت الفرصة له كي يتفرَّغ للعلم والقراءة والتدريس.

ثم ما لبثَ أن انتقل إلى بلاد الشام، وشهدَ في دمشق حصار القائد المغولي تيمورلنك لها في العام ٨٠٣هـ / ١٤٠٠م، لكنه تمكَّن من مغادرتها عائداً إلى القاهرة ليشغلَ هناك منصب قاضي المالكية الذي كان قد شغله سابقاً، واستمرت الحال كذلك إلى أن وافاه اليقينُ عام

وزع ابن خلدون كتابه «العبر» على مقدمة وثلاثة كتب جاءت على النحو الآتي<sup>(٦)</sup>:

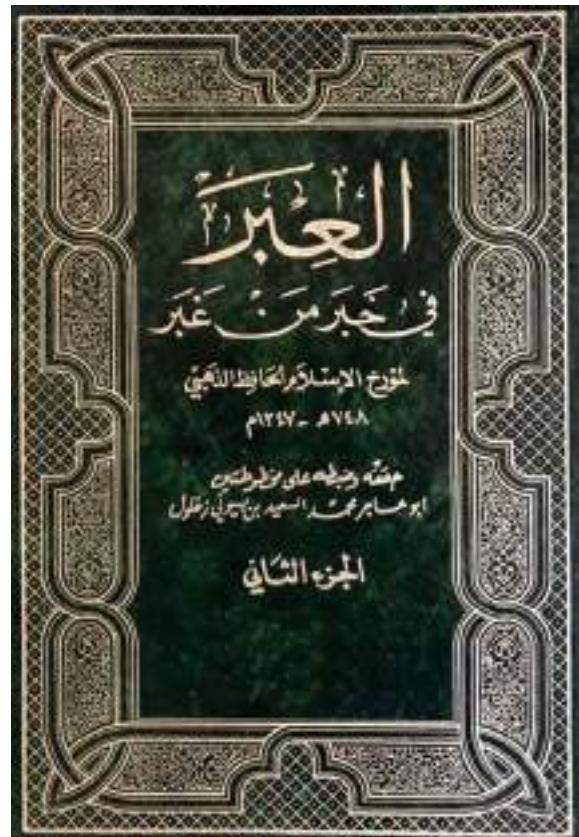
**المقدمة:** في فضل علم التّاريخ وتحقيق مذاهبه والإلماع بمقابل المؤرخين.



**الكتاب الأول:** في العمran وذكر ما يعرض فيه من العوارض الذاتية من الملك والسلطان والكسب والعاش والصناعات والعلوم، وما إلى ذلك من العلل والأسباب.

**الكتاب الثاني:** في أخبار العرب وأجيالهم وأولئم منذ بدء الخليقة إلى هذا العهد، وفيه الإلمام ببعض من عاصرهم من الأمم المشاهير ودولهم مثل النبط والسريانيين والفرس والقبط واليونان والروم والترك.

٦- عبد الرحمن محمد بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق المستشرق الفرنسي كاتر مير عن طبعة ١٨٥٨، المجلد الأول، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٢، ص: ٦.



- أما الكتاب الأشهر الذي ارتقى ابن خلدون بواسطته عرش التّاريخ والخلود، فهو كتاب: «العبر» في ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرُوهم من ذوي السلطان الأكبر». ضمّ هذا الكتاب خلاصة تجارب ابن خلدون بوصفه المؤرخ الذي فهم التّاريخ بمعنى الحقيقي الشامل، والذي فحواه أن الحدث التاريخي أكبر من أن يكون حدثاً سياسياً فقط، بل هو نتيجة لتفاعل مجموعة العوامل السياسية والجغرافية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية، وهذا ما دعا ابن خلدون إلى الكلام على مفهوم التاريخ من جهة قربه وشبهه من مفهوم الحضارة، بمعنى أنه عدّ تاریخاً للأمم والشعوب عامة، بدلًا من مجرد رواية سير الملوك والأمراء وطبقات الأعيان وتوثيقها.

وأوصاره، لكن يبدو أنه لم يكتب سوى نسخة واحدة سلمها إلى تيمورلنك.

**علم التاریخ ومعاييره عند ابن خلدون:**  
إن أول ما يجب على المؤلف فعله حين يؤلف في علم من العلوم هو أن يتعرّض لتعريف موضوع بحثه، من هنا عرّف ابن خلدون علم التاریخ في مقدّمته بأنه فنٌ غزير المذاهب، جمٌ الفوائد، شريف الغایة، إذ هو يُوقّفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم وسياستهم، حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومته في أحوال الدين والدنيا، فهو محتاج إلى مأخذ متعدد، و المعارف متعددة، وحسن نظر وتثبت يُفضيán ب أصحابها إلى الحق، وينکبان به عن المزالّات والمغالط<sup>(١٠)</sup>.

ذلك يرى ابن خلدون<sup>(١١)</sup> أن علم التاریخ يحمل تصوراً مزدوجاً: الأول ظاهري، وهو المتداول عند العامة، يتمثل في سرد الأخبار، ونقل الروايات من أخبار الأمم الغابرة، وأحوال الدول، ويمتاز بكثرة الأقوال والروايات.

والثاني: باطني، لا يصل إلى كنهه إلا الثقات والمختصون من العلماء المدققين، لأنّه نظر وتحقيق وتعليق للأحداث والواقع، ومعرفة بمبادئها وكيفياتها وأسبابها.

نستطيع أن نستخلص مما قدّمه ابن خلدون أنه يجب على المؤرّخ كشف العوامل المؤثرة في صناعة التاريخ، والوقوف على طبيعته ببعديه الماضي والمستقبلـي، وظرفـيه المكاني والزمنـي، والوصول إلى فهم أدق للتاريخ مما يضمن الوصول إلى الأسباب الحقيقة المسـبـبة للحدث، والتحقـق منه عن طريق

**الكتاب الثالث: أخبار البربر ومواليهم من زناته، وذكر أولـيـهم وأجيـالـهم وما كان لهم بـديـارـ المـغـربـ خاصة من الملـوكـ والـدولـ.**

بداية لا بد من التوضيح أن الكتاب الذي يُعرف هذه الأيام باسم «مقدمة ابن خلدون» هو في حقيقة الأمر المقدّمة من الكتاب الأول من الكتاب الكامل «العبر»، الذي يقع في سبعة مجلـدات<sup>(٧)</sup>، يضمُّ الأول منها المقدّمة أو الكتاب الأول، في حين يتوزع الكتاب الثاني على مدار أربعة المجلـدات، أي: الثاني والثالث والرابع والخامس، وفيه يتحدّث ابن خلدون عن تاريخ الإسلام وتاريخ العرب وتاريخ المشرق عامـة، أما الكتاب الثالث فيقع في المجلـدين السادس والسابع، ويدرك أخبار البربر وتاريخ المـغـربـ، وينتهي المـجلـدـ السابع بالتعريف بـابـنـ خـلـدونـ مؤـلـفـ هذاـ الكـتابـ.

٤- كتب مفقودة مثل تلخيصاته لكتب ابن رشد التي أشار إليها «ابن الخطيب» في كتابه «الإحاطة في أخبار غرناطة»، وكتاب آخر في المنطق، وأخر في الحساب، وشرح البردة، وشرح رجز في أصول الفقه لـ(السان الدين بن الخطيب)<sup>(٨)</sup>.

٥- **موجز في وصف بلاد المغرب**<sup>(٩)</sup>: وضعه ابن خلدون عام ٨٠٣ هـ تلبية لطلب القائد المغولي تيمورلنك بعد أن دار بينهما حوار سأله فيه تيمورلنك - من بين مسائل كثيرة سأله عنها - عن المغرب وببلاده، فوصف له ابن خلدون المغرب وصفاً موجزاً، فما كان من القائد المغولي إلا أن التمس منه أن يؤلف كتاباً عن بلاد المغرب، أقصاصـيهـ وأـدـانـيهـ، وجـبالـهـ وأنـهـارـهـ، وـقـرـاهـ

٧- ساطع الحصري، دراسات عن مقدمة ابن خلدون، دار المعارف بمصر، ١٩٥٢، ص: ٩٧.

٨- للمزيد من التفاصيل راجع: عبد الرحمن بدوي، المرجع السابق، ص: ٦٧-٧٩.

٩- المرجع نفسه: ص: ٢٣٩-٢٤٠.

١٠- مقدمة ابن خلدون، المرجع السابق، ص: ٨.

١١- المرجع نفسه، ص: ٢.

ولم يميّزوا بين الصحيح والزائف من الأخبار. من هنا كان ابن خلدون أول الدعاة إلى نقد الأخبار وتنقيحها، والابتعاد عن التقليد، وأوجَب على المؤرّخ ألا يقبل كل ما يُعرض على مسامعه من أخبار، فها هو يقول: «وكثيراً ما وقع للمؤرّخين والمفسّرين وأئمّة النقل المغالط في حكايات الواقع، لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثاً أو سميناً، لم يعرضوها على أصولها، ولا قاسوها بأشباهها، ولا سبروها بمعايير الحكمة، والوقوف على طبائع الكائنات، وتحكيم النظر وال بصيرة في الأخبار، فضلوا عن الحق، وتاهوا في بيداء الوهم والغلط»<sup>(١٣)</sup>.

إضافة إلى ما سبق حدَّ ابن خلدون مجموعة أسس يمكن الاعتماد عليها في النقد التاريخي هي كالتالي:

- يجب على المؤرّخ انتقاد الأخبار والروايات، والتحقق منها، وتمحيصها، وتنقيتها من البداع والأباطيل، وإخضاع الأحداث والواقع للعقل والحكمة والمنطق، فبعض الأخبار لا يمكن تصديقها، ولا يمكن البناء عليها. يقدم مثالاً على ذلك ما نقله المسعودي وكثير من المؤرّخين من أن عددبني إسرائيل في التيه كان ستمائة ألف، فيتعجب ابن خلدون من هذا العدد الكبير، ولا سيما أن المكان لا يتسع لهذه الكثرة الكثيرة، فيبدأ بالاستدلال على زيف هذا الخبر مستشهاداً بذكر وقائع كثيرة وقعت بعده، ولم تشهد عدداً بهذا الحجم<sup>(١٤)</sup>.

- ضرورة اهتمام المؤرّخ بالبحث عن الأسباب والعلل في التحليل فيما يأتي به من أحداث وروايات خاصة حول نشوء الدول وانهيارها، وبداية العمران وظواهره وتطوره.

١٣- المرجع نفسه: ص .٩

١٤- مقدمة ابن خلدون، ص ٩-١٠.

إخضاعه للعقل والنقد، وتدقيقه وتمحيصه بما يسهم في بناء المعرفة التاريخية والوعي بها.

يمكننا أن نستشفَّ من خلال دراسة مقدمة ابن خلدون بصفته الخاصة ورؤيته في تحديد جملة من المعايير التي يجب على المؤرّخ أو الباحث الأخذ بها حين كتابة التاريخ وتحليل الواقع، نجملُها فيما يأتي:

- ١- **النقد التاريخي:** يرى ابن خلدون أن معظم المؤرّخين الذين سبقوه قد اعتمدوا في منهجهم على مجرد المشاهدة والنقل عن الرواية نقلًا أميناً، دون أن يُخضعوا ما ينقلون للمنطق، ويشكّلوا في صحة تلك الأخبار والروايات، لذا هاجم ابن خلدون هذا الضرب من النقل والتاريخ، وانتقد أسلوب المؤرّخين المتقدمين الذين تبنّوه من أمثل: الطبرى والواقدي والمسعودى وغيرهم، فنجدُه يقول: «لَا طالعت كتب القوم، وسبرت غور الأمس واليوم، نبهت عين القريبة من سِنَةِ الغفلة، وسمت التصنيف... فأنشأت في التاريخ كتاباً، ورفعت فيه عن أحوال الناشئة حجاباً، وأبديت فيه لأولية الدول وال عمران علاً وأسباباً، وسلكت في تبويبه وترتيبه مسلكاً غريباً، واحتقرته من بين المناجي مذهبًا عجيباً، فجاء هذا الكتاب فذاً بما ضمنته من العلوم الغريبة والحكم المحوبة»<sup>(١٥)</sup>.

لم يكن اعتراض ابن خلدون من باب انتقاد السلف ومخالفتهم، بقدر ما كان نابعاً من رغبته في تقصي الحقائق، وإعمال المنطق والفكير في إثبات الخبر وتوثيقه، والابتعاد عن التقليد الأعمى ومجرد النقل دون تمحيص. إذ أخذ على أسلافه المؤرّخين نظرتهم السطحية للتاريخ بوصفه مجرد سرد للواقع والأحداث، فلم يفرقوا بين الغثّ والسمين،

١٢- مقدمة ابن خلدون المرجع السابق، ص ٦-٥.

التي يعدها بعض المؤرخين ناتجة عن قصة حبٌ بين العباسة أخت الرشيد مع جعفر البرمكي، بالرغم من أن السبب الحقيقي لنكبة البرامكة هو استبدادهم بالدولة، وتقلدهم المناصب العليا، والاستيلاء على أموال الجباية ونشر الفساد.

٣- **البحث في الأسباب والعلل:** يستند منهجه ابن خلدون في الكتابة التاريخية إلى مبدأ العلية، أي ربط الحدث بالسبب، لإيمانه بوجود ارتباط ضروري بين الظواهر الاجتماعية لا يمكن فهم صيغة المجتمع وتطوره بدونه، ويرى أنه بقدر فهم تلك الأسباب وإدراكها يزداد فهمنا للتاريخ، ويقصد بالأسباب هنا الأسباب الموضوعية التي تستند إلى العقل والمنطق، وتعطي تفسيراً صحيحاً لواقع الحادثة.

٤- **التشابه والتباين:** يقصد ابن خلدون بمفهوم التشابه أن المجتمعات البشرية كلها تتتشابه في بعض الوجوه الاجتماعية، بسبب الوحدة العاقلة للجنس البشري، ووحدة الأصل الإنساني. أما مقصداته بمفهوم التباين فإن المجتمعات ليست متماثلة بصفة مطلقة، بل هناك فروق بينها لا بد أن يلاحظها المؤرخ ويسجلها، وهذه الفروق ترجع إلى أسباب سياسية واقتصادية وجغرافية، فمجتمع البدو مثلاً غير مجتمع الحضر، ومجتمع يمتهن الزراعة ويحيا حياة مستقرة من البديهي أن يختلف عن المجتمع الرعوي كثير الترحال، ذلك أن هناك عوامل كثيرة، ومؤشرات متنوعة تؤثر في طبيعة كل مجتمع، وتميّزه من غيره من المجتمعات الإنسانية الأخرى<sup>(٢٠)</sup>.

٢٠- مقدمة ابن خلدون، المرجع السابق ص: ٥٠-٥٢.

- مجانية الكذب، وتحري الصدق، ودحض الأساطير، والابتعاد عن الخيال في وصف تاريخ الأمم الغابرة دون بيئة عقلية أو نقلية من الكتاب والسنة. يقدم أمثلة على ذلك منها: أخبار التتابعة ملوك اليمن وجزيرة العرب بأنهم كانوا يغزوون إفريقيا، وغزوات البربر في بلاد المغرب إلى التبت (إقليم يقع جنوب غرب الصين)، وببلاد الترك في المشرق، فيقول ابن خلدون راداً هذه الأخبار: «وهذه الأخبار كلها بعيدة عن الصحة عريقة في الوهم والغلط، وأشبه بأحاديث القصص الموضوعة»<sup>(١٥)</sup>.

- ضرورة تحلي المؤرخ بالحسد التاريخي، والذكاء والفتنة، والإدراك العميق، والقدرة على التمييز والنقد، إذ يقول: «والناقد القدير قسطاس<sup>(١٦)</sup> نفسه في تزييفهم فيما ينقلون»<sup>(١٧)</sup>.

اهتم ابن خلدون، إذن، بتحقيق ما نقله من أخبار وواقع تاريخية، ورفض إيراد الروايات التاريخية دون نقد عقلي فاحص، وهذا ما ميزه ممّن سبقه من مؤرخين، وأسبغ على منهجه التاريخي سمة المثانة والرصانة.

٢- **الابتعاد عن التشيع للأراء والمذاهب، وعدم تصديق المؤرخ لما يرويه الناقلون، وعدم القبول بكل ما يُروى دون فحص، والإلمام بطبائع المجتمع والقوانين التي تحكم حركته**<sup>(١٨)</sup>: يعطي ابن خلدون مثلاً على ذلك قصة<sup>(١٩)</sup> نكبة البرامكة

١٥- المرجع نفسه، ص ١٣-١٤.

١٦- **القسطاس** : الميزان، انظر ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، الجزء الخامس، اتحاد الكتاب العربي، ص ٨٦.

١٧- مقدمة ابن خلدون المرجع السابق، ص ٣.

١٨- طه حسين، المرجع السابق، ص ٤٤-٤٥.

١٩- مقدمة ابن خلدون، المرجع نفسه، ص ١٩-٢١.

خلفياتها وأسبابها العميقة، وغيرها من المبادئ التي مكنته من قراءة الأحداث قراءة واقعية، تسر ألغوار ماضيها، وتعيش حاضرها، وتستشرف أبعادها المستقبلية، ولا نبخس ابن خلدون حقه فننسى الإشارة إلى جهوده الفكرية العميقة التي طالت مجالات معرفية مختلفة، ولا سيما علم الاجتماع وال عمران، ليكون بذلك شخصية عربية عظيمة حرفت اسمها على صفة الحضارة العربية والإنسانية بإنجازاتها الغزيرة، ومؤلفاتها ذات الأثر العميق، ومساهمتها في تقدم الفكر الإنساني.

#### مراجع البحث:

- ١- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، الجزء الخامس، اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٢.
- ٢- التعريف بابن خلدون ورحله شرقاً وغرباً، تحقيق: محمد بن تاویت الطنجي، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ٢٠٠٥.
- ٣- ساطع الحصري، دراسات عن مقدمة ابن خلدون، دار المعارف بمصر، ١٩٥٣.
- ٤- طه حسين، فلسفة ابن خلدون الاجتماعية: تحليل ونقد، ترجمة محمد عبدالله عنان، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٦.
- ٥- عبد الرحمن بدوي: مؤلفات ابن خلدون، منشورات المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، دار المعارف بمصر، ١٩٦٢.
- ٦- عبد الرحمن محمد بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق المستشرق الفرنسي كاتر مير عن طبعة ١٨٥٨، المجلد الأول، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٢.

٥- الاعتماد على المنهج التحليلي، والتأليف أكثر من التجميع: أي التحليل العلمي لقوانين التاريخ والوصف الموضوعي للأحداث، ولا ننسى أن ابن خلدون من أوائل الذين دعوا التحليل الحديث التاريخي، بغية كشف أسبابه وقوانينه والوقوف على حقيقته، فمنهجه عقلي حسي معاً، يحاول من خلاله معرفة قوانين التاريخ اعتماداً على بداهة العقل ورؤيه الواقع التاريخية، دون الاعتماد على الشواهد النقلية من السابقين والاكتفاء بها.

٦- ارتباط التاريخ بالعلوم الأخرى: دعا ابن خلدون إلى ربط التاريخ بعلوم أخرى مثل: الجغرافيا والسياسة والاقتصاد، انطلاقاً من أن المؤرخ يجب أن يفهم المجتمع الذي يكتب عنه، كما يجب عليه الإلمام ببعض العلوم الأخرى التي تساعده في فهم موضوع بحثه، بدليل ما جاء في مقدمته من تأكيد: «أنه يحتاج صاحب هذا الفن إلى العلم بقواعد السياسة، وطبقائ الموجودات، واختلاف الأمم والبقاء والعصور في السير والأخلاق والعادات والنحل والمذاهب وسائر الأحوال والإحاطة بالحاضر من ذلك ومماهله بينه وبين الغائب»<sup>(٢١)</sup>.

لا يسعنا في ختام هذا البحث إلا أن نعتذر بجهود ابن خلدون وفضله في استثنان منهجه عقلي صارم القوانين ودقيق الخطوات في الكتابة التاريخية وتوثيق الأحداث والأخبار، مخالفًا بذلك من سبقه من المؤرخين، فاستحق أن يُعد مؤسس علم التاريخ العربي، وراسم الخطوط العامة لأول فلسفة تاريخية عرّفها الفكر الإنساني، ذلك لأنّه استثنَّ قوانين ومبادئ محددة يجب على المؤرخ أن يتقيّد بها ويتبنّاها، مثل: مبدأ التعليل والسببية، ونقد الأحداث ودراسة

-٢١- المرجع نفسه.

# العالم الطيب ابن النفيس وكتابه الموسوعي

## «الشامل في الصناعة الطبية»

نبيل تلو وسوزان أبو حمزة\*

يُعدُّ العالم والطبيب العربي: «علي بن أبي الحزم، علاء الدين، أبو الحسن، القرشي، الدمشقي، المصري، الشافعي»، المعروف بـ «ابن النفيس»، والملقب بـ «ابن سينا الثاني» لحبّه له ولولعه بكتبه، ووصفوه بأنه: «عقبري الطب العربي»، وأنه أعظم أطباء عصره، صفحةً مشرقةً في تاريخ التراث العلمي العربي في القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي، بما تركه من كتب عديدة منوعة في اللغة والفلسفة والفقه والحديث والطب. في هذه المقالة سوف نتعرّف سريعاً هذا العالم الطبيب العربي ومؤلفاته، ولا سيما كتابه الأشهر: «الشامل في الصناعة الطبية»، الذي يُعدُّ أكبر موسوعة طبية في التاريخ المعرفي الإنساني كتبها شخصٌ واحد، راجين أن يتذكّر كرام القارئات والقراء ما نسوه، وأن يتعرّفوا ما لا يعرفونه، آملين أن تكون قد قدمنا لهم المعلومة المهمة والمفيدة.

من حياته في مصر، وتوفي في القاهرة في الحادي عشر من شهر ذي القعدة عام ٦٨٧ هـ، السابع عشر من شهر كانون الأول ١٢٨٨ م، وهو في نحو الثمانين من عمره، وخلف مالاً كثيراً، ووقف أملاكه وكتبه على «البيمارستان المنصوري» أكبر مشافي القاهرة آنذاك، الذي كان قد أنشأه السلطان قلاون، وكان ابن النفيس مشرفاً عليه إضافةً إلى منصبه «رئيس أطباء مصر»، وهو المنصب الذي شغله حتى وفاته، ولم يكن هذا المنصب فخرياً، بل كانت له السلطة لمحاسبة الأطباء ومراجعةهم على هفوائهم، كما كان طبيباً خاصاً لحاكم مصر الظاهر بيبرس.

ابن النفيس، دون أن يُعرف على وجه اليقين سبب تسميته بهذا الاسم، وربما أطلقه عليه بعضهم لنفيس علمه وغزارته وبراعته في الطب، ولد بدمشق عام ٦٠٧ هـ ١٢١١ م في قرية صغيرة جنوبية دمشق خارج سورها تُدعى «قرش»، وهي اليوم أحد أحياط حي الميدان الوسطاني، ولعلّ نسبته «القرشي» إليها، أو إلى قرش موضع في بلاد ما وراء النهر، ومن الثابت أن لا علاقة له بقبيلة قريش في الجزيرة العربية . أما لقبه «المصري» فقد اكتسبه لأنَّه عاش شطراً كبيراً

\* نبيل تلو: باحث في شؤون المخطوطات والموسوعات. سوزان أبو حمزة: مديرة خدمات المستفيدين في مكتبة الأسد الوطنية بدمشق.

الدورة الدموية الصغرى الطريق للطبيب البريطاني «وليم هارفي» (١٥٧٨ - ١٦٥٧ م) لاكتشاف الدورة الدموية الكبرى في الجسم البشري.

كما عارض ابن النفيس ابن سينا في غذاء القلب، ويقول في هذا: «وجعله للدم الذي في البطن الأيمن منه يتغذى القلب لا يصلح البة، فإنَّ غذاء القلب إنَّما هو من الدم المنبعث منه من العروق المنبثة في جرمه». وبذلك يكون ابن النفيس قد سبق بنظريته هذه بثلاثة قرون الطبيب الإيطالي «ريالدو كولومبو» (١٥١٦ - ١٥٥٩ م) الذي ادعى اكتشاف هذه النظرية لنفسه. كما أنَّ ابن النفيس أول من أشار إلى الحويصلات الرئوية والشرائين التاجية، وكان يتابع نهج «الحارث بن كلدة الثقفي» في تجنب الدواء قدر المستطاع، وعدم تناوله إلا عند الحاجة الفعلية. وأشار ابن النفيس إلى ضرورة الاعتدال في تناول الملح، وقدم أدق الأوصاف عن خطاره وتأثيره في ارتفاع ضغط الدم. وكان يحضر مجلسه للإفادة من علمه رئيس الأطباء «المهذب بن أبي حليفة» وأكابر الأطباء، وكثيرٌ من الناس.

أما طريقته في التأليف فقد كان ي مليها من حفظه دون العودة إلى مرجع، ولا يحتاج إلى مراجعة لتبحره في العلم، وعندما تأتيه فكرة يسارع لتدوينها، فتتداعى أفكاره كالسيل من ذاكرته ومشاهداته واستنتاجاته، أفال عنه العلامة الشيخ «برهان الدين الرشيدى» خطيب جامع «أمير حسن» بالقاهرة: «كان العلاء ابن النفيس إذا أراد التصنيف توضع له الأقلام مبرية، ويدير وجهه إلى الحائط، ويأخذ في التصنيف إملاءً من خاطره، ويكتب مثل السيل إذا انحدر، فإذا كلَّ القلم رمى به، وتناول غيره لئلا يضيع عليه الزمان في بري القلم». ويروى أنَّه كان في الحمَّام، وفي أثناء تغسله، خرج مسرعاً وطلب دواةً وقلماً وورقاً، وأخذ

كان ابن النفيس كريماً للنفس، ذا مروءة، حسنُ الخُلق، صريح الرأي، انتهت إليه معرفة الطب مع الذكاء المفرط والذهن الخارق، وكان بارعاً في علوم النحو والمنطق والعلوم العقلية والفقه والأصول، وكان لا يحجب نفسه على الإفادة في كلِّ الأوقات، ووصفه أحد معاصريه بأنَّه: «إمام وقته في فنه شرقاً وغرباً بلا مدافعة، أujeوبة دهره، صنَّف في الفقه وأصوله وفي العربية والجدل والبيان»، تعلَّم الطب على يد رئيس أطباء مصر والشام: «مهذب الدين الدخوار» (المتوفى عام ٦٢٨ هـ، ١٢٣٠ م) في البيمارستان (أي المشفى) النوري بدمشق، الذي أسَّسه السلطان نور الدين محمود بن زنكي في القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي، وقد أنشأ الدخوار أول مدرسة طبية في بلاد الشام سُمِّيت «المدرسة الدخوارية» عام ٦٢١ هـ، ١٢٢٥ م، واستمرت قرناً من الزمان، وكان لها دورٌ كبيرٌ في منهجه وطريقته العلمية، وعندما كان في السادسة والعشرين من عمره، استدعاءه السلطان الكامل محمد إلى القاهرة، ليبدأ عمله في المشفى الناصري بالقاهرة.

درس ابن النفيس كتب الشيخ الرئيس ابن سينا، ومن أهم كتبه: «القانون في الطب»، وقد اختصره ابن النفيس في كتابه: «الموجز»، وقيل عنه إنه في العلاج أعظم من ابن سينا، وقيل أيضاً: «لم يكن على وجه الأرض مثله في زمانه». كما درس كتب «جالينوس»، وكانت دراسته لكتبه دراسة نقديَّة واعية، إذ كان يحكِّم عقله ومنطقه، ويشكِّل في صحة ما يدرسه، حتى إنَّه صَحَّ خطأه بشأن الدورة الدموية، وأثبت أنَّ الدم يخرج من القلب إلى الرئتين حيث يُنقَى بالأوكسجين، ثم يعود للقلب ليُضخَّ إلى كلِّ أنحاء الجسم، وقد مَهَّدَ - بعد خمسة قرون - باكتشافه

الأعلى. ويتحدث الكتاب كذلك عن أهم الحوادث التي مرت بالعالم الإسلامي في زمن ابن النفيس، ويدرك كثيراً من عادات حكام مصر والشام وأخلاقهم. حققه «عبد المنعم محمد عمر»، ونشرته وزارة الأوقاف المصرية عام ١٩٨٧.

٢- **المختصر في علم أصول الحديث: تحقيق الدكتور يوسف زيدان**، الناشر: الدار المصرية اللبنانية بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩١، وفيه يتحدث ابن النفيس في خمسة أبواب عن تفصيل الكلام في الخبر المقطوع بصدقه، وفي تفصيل الكلام في الخبر المظنون صدقه كخبر الواحد، وفي كيفية تحمل الحديث وروايته، وفي أحوال الرواية، وفي توابع علم الحديث.



ثانياً: **كتب في الطب**: وكانت تتويجاً لمرحلة زاهرة من تاريخ الطب العربي في حقبة مهمة من تاريخه الطويل:

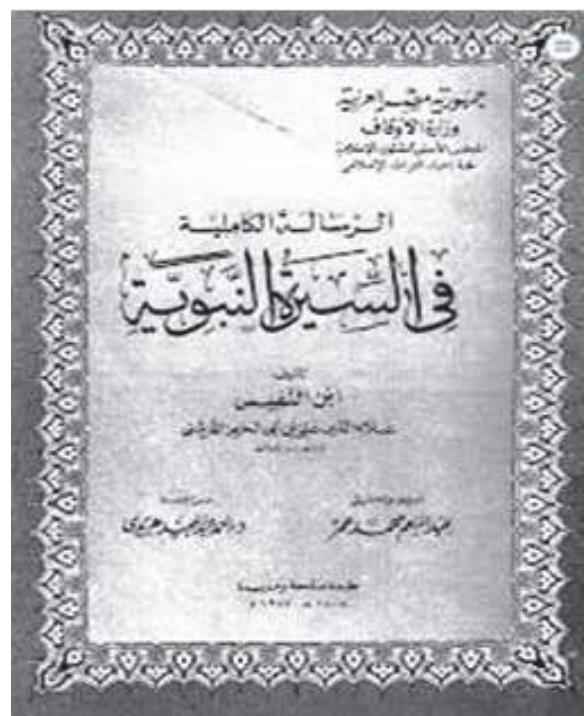
في تصنيف مقالة في النبض إلى أن أنهاها، ثم عاد إلى الحمام وأكمل استحمامه.

مؤلفاته: برع ابن النفيس في الكتابة غير الطبية والطبية، ومنها:

**أولاً: كتبه غير الطبية:**

١- **الرسالة الكاملية في السيرة النبوية**: يُعد هذا الكتاب نمطاً خاصاً في كتابة السيرة النبوية ممزوجةً بمنهج المتكلمين، فقد نجح فيه نهجاً حاكى فيه رسالة «حي بن يقطان»، إذ تصور قصة يرويها من سمّاه «فاضل بن ناطق» عن الرجل المسمى بـ«كامل»، فيما يتعلق بالسيرة النبوية والسنن الشرعية على طريق الإجمال.

ويقصُّ علينا ابن النفيس في أربعة فصول كيفية تكوُّن هذا الإنسان المسمى بـ«كامل»، ووصوله بالفطرة إلى تعرُّف العلوم والنبوات والسيرة النبوية والسنن الشرعية، ثم كيفية وصوله إلى معرفة الحوادث التي حدثت بعد انتقال خاتم الأنبياء محمد (ص) إلى الرفيق



١٩٨٨، ويتضمن تعليقات وشروحات لكتبه الحكيم اليوناني أبقراط عن تدبير المرضى.

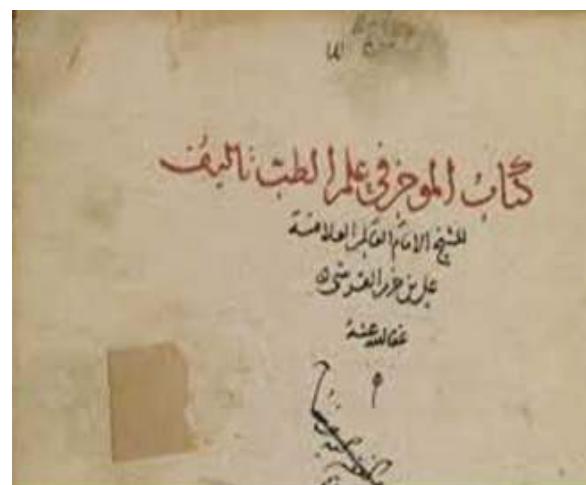
**٣- المهدب في الكحل المجرب:** تحقيق الدكتور محمد ظافر الوفائي، والدكتور محمد رواس قلعة جي، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) ١٩٨٨، وفيه يتحدث ابن النفيس عن جوانب مختلفة من طب العيون نظرياً وعملياً، إضافة إلى أدوية العين مفردتها ومركبها.

**٤- شرح تشريح القانون:** وهو واحد من أشهر كتب ابن النفيس، تحقيق: الدكتور سلمان قطاطية، والدكتور بول غليونجي، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨، وفيه ينقد أفكار الطبيب اليوناني جالينوس، والأفكار التي وردت في (قانون ابن سينا) عن العظام والعضل والعصب والشرايين والأوردة وتشريح الأعضاء، ويتحدث عن فوائد علم التشريح وأهميته لكل من يعمل في مجال الطب، وبين



صفحة من مخطوط شرح تشريح القانون

**١- الموجز في الطب:** حققه: عبد الكريم العزباوي، ونشرته وزارة الأوقاف المصرية عام ١٩٨٦، وهو مختصر كتاب «القانون في الطب» لابن سينا، وكتب تعليقات جوهيرية عليه، وراجع فيه مفاهيم وظائف وأعضاء الإنسان وتشريحه، وقام بتعديلاته فيها، معتمداً على دراسة الطب والفيزياء وعلوم الدين، لتكوين فهم كامل لطبيعة الجسم الحي، معتمداً أيضاً على علم التشريح من خلال معاينة تشريح الحيوان.



**٢- كتاب شرح فصول أبقراط:** تحقيق: الدكتور ماهر القادر محمد علي، والدكتور يوسف زيدان، الناشر: دار العلوم العربية بيروت، الطبعة الأولى



تناول عدد من الأطباء المعاصرين له هذه الرسائل بالشرح والتعليق، ومنهم ابن النفيس الذي شرح فيه المسائل شرحاً مختصراً ومفصلاً.

٤- **شرح تقدمة المعرفة:** المقصود بتقدمة المعرفة قدرة الطبيب على التتبُّع بخط سير المرض في المستقبل، أو ما يُعرف بالإإنذار المرضي، وقد صاغ الطبيب اليوناني أبقراط كتاب: «تقدمة المعرفة» على نسق كتابه «الفصول»، ونال هذا الكتاب شروحاً لا حصر لها، ومنها شرح ابن النفيس الذي وضع له شرحاً كبيراً وأخر مختصراً.

٥- **شرح كتاب أبيذيميا:** يُعرف هذا الكتاب أيضاً باسمي: «كتاب الأوئلة» و«كتاب المرض الوارد»، ويُعد من روائع المؤلفات الطبية اليونانية، وهو مجموعة من الأنظمة الصحية واللاحظات الطبية. وقد عرف المسلمون هذا الكتاب من خلال ترجمة حنين بن إسحق له، وقام ابن النفيس بوضع شروح له.

٦- **المختار من الأغذية:** وهو رسالة صغيرة تعكس اهتمام ابن النفيس بالأغذية كأفضل طرائق التداوي، واشتهر عنه بأنه لم يكن يصف دواء ما أمكنه العلاج بالغذاء، مطبقاً قول ابن سينا: «اعدل عن الدواء إلى الغذاء»، وهو ما يعرف الآن بـ«الغذاء لا الدواء». أما أشهر كتبه على الإطلاق فهو:

٧- **الشامل في الصناعة الطبية:** ويتألف في الأساس من ٣٠٠ جزء مخطوط، وهو موسوعة طبية شاملة ضممت كلَّ العلوم الطبية حتى عصره، ويُعد واحداً من أكبر الموسوعات في التاريخ الإنساني التي كتبها - على مدى سنين طويلة - شخصٌ واحدٌ إن لم تكن أكبرها، وما كان له المقدرة على كتابته لولا أنه قد درس مؤلفات من سبقة من الأطباء، بدءاً من «جالينوس»، مروراً بـ«حنين بن إسحق» والرازي

أنَّ هذا العلم ضروري ولا سيما لمن أراد أن يعمل في مجال الجراحة، وأكَّد مدى التصاق علم التشريح بعلم وظائف الأعضاء (الفيزيولوجيا)، ووضح كثيراً عن تشريح الأعضاء الداخلية في جسم الإنسان ومنها القلب، مشيراً إلى أنَّ القلب له بطينان فقط، أحدهما مملوء بالدم وهو الأيمن، والآخر مملوء من الروح وهو الأيسر.

وكان ابن النفيس في هذا الكتاب أول من عرَّف الدورة الدموية الصغرى (الرئوية)، وسجَّل أيضاً ما يشهد ببراعته في تشريح الأسنان والغضاريف وتجاويف القلب، وأشار إلى نظرية النشوء والارتقاء، وانتهى إلى أنَّها باطلة.

وهناك كتبٌ طبَّيةٌ وهي إما محققةٌ وإما ما زالت مخطوطة، ومنها:

١- **رسالة الأعضاء:** وفيها أفصحت ابن النفيس في مقدمتها عن موضوعها بقوله: «هذه الرسالة مشتملة على معارف حقيقة ومعانٍ حكمية في منافع الأعضاء الإنسانية ومواضعها، وأوضاع بعضها من بعض، وما يختص به الإنسان دون ذات باقي الأنفس منها، وفي الاستدلال من هيئاتها على أخلاقه وأحواله»، وتضم خمسة عشر فصلاً، تعرَّض ابن النفيس خلالها لكل الأعضاء في الجسم، وجمع في كلامه بين التشريح والفراسة وعلم النفس.

٢- **شرح كليات القانون:** وهو أيضاً إحدى حلقات اهتمام ابن النفيس بـ«قانون ابن سينا»، كما ورد في كتابيه «الموجز في الطب» و«شرح تشريح القانون».

٣- **شرح مسائل حنين بن إسحق:** وضع «حنين بن إسحق العبادي» المتوفى عام ٢٦٠ هـ مجموعة من المسائل الطبية على طريقة السؤال والجواب، وقد

نحو ١٥ ألف صفحة، مرتبة ترتيباً ألفبائياً مع فهرس في نهاية كل جزء، ولا يزال العمل مستمراً كلما تم العثور على أجزاء جديدة.

بين أيدينا الأجزاء المحققة من الحادي والعشرين إلى الثلاثين، التي نورد فيما يأتي مختصراً بعض موضوعاتها:

**الجزء الحادي والعشرون:** ويشمل كتاب الغين، والمقالات العشر الأولى من كتاب الفاء، وهي بحسب تقسيم ابن النفيس: الكتابان التاسع عشر والعشرون، من الجزء الثاني ، من الفن الثالث، من هذا الكتاب، وممّا جاء فيه: في ماهية الغافت، وهو نبات، وفي أحكام الغار، وهو شجر طيب الرائحة، وفي ماهية الغاريقون، وهو نبات يستخدم دواءً، وفي أحكام الغراء، وهو نبات يستخدم لاصاقاً ودواءً، وفي أحكام الغزال، وهو الحيوان البري المعروف الذي لا يألف الإنسان، وفي أحكام الفاوئيا، وهو نبات، وفي أحكام الفأر، وهو الحيوان القارض المعروف، وفي أحكام الفاشرا، وهو نبات متطاول، وفي أحكام الفُجْل، وهو النبات المعروف، وفي ماهية الفَرَّبيون، وهو صمغ حاد الرائحة والطعم، وفي أحكام الفَرَّاسِيُون، وهو نبات تبول عليه الكلاب كثيراً، وفي أحكام الفَرَنجمشّك، وهو نبات طيب الرائحة، وفي أحكام الفستق، وهو من المكسرات، وفي أحكام الفَسَافِس، وهو حيوان صغير منتن الرائحة، وفي أحكام الفِصَّة، وهي نبات تتغذى عليه الحيوانات.

**الجزء الثاني والعشرون:** ويضم كتب الفاء وأول كتاب القاف، وحسب تقسيم ابن النفيس الجزء الثاني من الفن الثالث، وموضوعاته هي: في أحكام الفِصَّة، وفي أحكام الفطر، وهو النبات المعروف، وفي



صفحة من مخطوط الشامل في الصناعة الطبية

والجوسي وابن سينا، وبعض ابن النفيس منها ثمانين جزءاً فقط، وهو القائل عن مؤلفه: «لو لم أعلم أنّ تصانيفي ستبقى بعدي عشرة آلاف سنة لما وضعتها».

غير أنّ ما هو معروف من مخطوطات هذا الكتاب ضئيل، فمع مرور الزمن وتعاقب الظروف، تفرقت أجزاء كتاب الشامل وضاع أغلبها، وهي مبعثرة في العديد من المكتبات خارج المنطقة العربية، وقد حقق ما تبقى منه وأعاده الحياة، بعد أن قام بجمعها من مكتبات عديدة حول العالم، الباحث في التراث العربي الدكتور يوسف زيدان، بموجب عقد مع «المجمع الثقافي» في العاصمة الإماراتية أبو ظبي، وتم الإعلان عنه في شهر آذار ١٩٩٩ في مؤتمر صحفي، وتم نشر الكتاب بين عامي ٢٠٠٠ - ٢٠١٠ في ثلاثين جزءاً،

الكَبِيج، وهو نباتٌ حادٌ محرقٌ شديد الحرافة جداً، وفي أحكام الكَبَابَة، وهي ثمرة نباتٍ هنديٍ، وفي أحكام الكَبِيرَة، وهو الحجر المعروف بسرعة اشتعاله، وفي أحكام الكبد، وهو أحد أعضاء الإنسان والحيوان الأكثر أهمية، وفي أحكام الكَتَان، وهو نباتٌ معروف، وفي أحكام الْكُثِيرَاء، وهو نباتٌ صمغيٌ شائك، وفي أحكام الْكَرَفُس، وهو نباتٌ رائحته عطرة، وفي أحكام الْكَرْمَة، وهي نباتٌ يعطي العنبر، وفي أحكام الْكُرْنَب، وهو نباتٌ خضريٌ، وفي أحكام الْكُرَاث، وهو نباتٌ تؤكل رؤوسه وأعناقه وأوراقه، وفي أحكام الْكَرْسِنَة، وهي شجرة صغيرة دقيقة الورق.

- **الجزء الخامس والعشرون: ويشمل بقية كتاب الكاف، ومن مقالاته:** في أحكام الكَرَاوِيَا، وهو نباتٌ له أوراق تشبه أوراق الكزبرة، وفي أحكام الْكُرُوشِن، والكرش هو معدة الخروف، وفي أحكام الْكُرَكِي، وهو طيرٌ، وفي أحكام الْكُزْبَرَة، وفي أحكام الْكَشُوْث، وهي نباتاتٌ كالخيوط تتلف حول الشجر، وفي أحكام الْكَلَى، وفي أحكام الْكَلِب، وفي أحكام الْكَمَثُرَى، وفي أحكام الْكَمَأَة، وفي أحكام الْكَمُون، وفي أحكام الْكَمَافِيْطُوس، وهو نباتٌ يبسط على الأرض، وفي أحكام الْكَمَارِيُوس، وهو نباتٌ ينمو بين الصخور، وفي أحكام الْكَنْدُر، وهو صمغٌ تفرزه شجرة، وفي أحكام الْكَنْدِس، وهو نباتٌ، وفي أحكام الْكَهْرِبَا، وهو صمغٌ.

- **الجزء السادس والعشرون: ويضم أول حرف اللام، وحسب ترتيب ابن النفيس:** الكتاب الثالث والعشرون، من الجزء الثاني، من الفن الثالث، ويضم الموضوعات الآتية: في أحكام الْلَّاذِن، وهو نباتٌ، وفي أحكام الْلَّبِن، وهو الحليب الخاثر ومصدره الحيوانات الولودة، وفي أحكام اللحم، وهو المادة التي تأتي من

أحكام الفَقْع، وهو نباتٌ يشبه الْكَمَأَة، وفي أحكام الْفَلْفَل، وفي أحكام الْفُوْوَة، وهو نباتٌ، وفي أحكام الْفُوْذِنْج، وهو نباتٌ، وفي أحكام الْفَيْرُوْزَج، وهو حجرٌ كريم، وفي أحكام الْقَاقَلَة، وهو نباتٌ، وفي أحكام الْفَقْلِي، وهو نباتٌ، وفي أحكام الْقَوَانِص، وهي عضوٌ لحميٌ من الطيور، وفي أحكام الْقِثَاء، وهي نباتٌ كالخيار، وفي أحكام قِثَاء الْحَمَار، وهو نباتٌ، وفي أحكام الْقَرْع، وهو نباتٌ، وفي أحكام الْقَرْدَمَانَا، وهو نباتٌ، وفي أحكام الْقَرْنَفَل، وهو قضبان نباتٌ، وفي أحكام الْقَرَاسِيَا، وهي نباتٌ، وفي أحكام قُرَّةِ العِين، وهي نباتٌ.

- **الجزء الثالث والعشرون: ويضم بقية القاف، ومما جاء فيه:** في أحكام الْقَرَاطِ، وهو ثمرة شجربة، وفي أحكام الْقُرْطَم، وهو نباتٌ يشبه الفصَّة، وفي أحكام الْقُرْطُم، ويسمى العُصْفَر أيضاً، وفي أحكام الْقُسْطَ، وهو نباتٌ له أصنافٌ كثيرة، وفي أحكام قَصَبِ السُّكَر، وفي أحكام قَسْبِ الْذَرِيرَة، وهو نوعٌ من قصب السكر، وفي أحكام الْقُطْن، وفي أحكام الْقَطْفِ، وهو نوعٌ من البقوليات، وفي أحكام قَفْرِ الْيَهُود، وهو نباتٌ يكثر بالبلاد التي كانت لهم، وفي أحكام الْقَلْقَاسِ، وهو نباتٌ ذو أصل غليظ، وفي أحكام الْقَلَيمِيَا، وهو معدن متعدد الألوان، وفي أحكام الْقَنْطَرِيُون، وهو نباتٌ، وفي أحكام الْقَنَبِ، وفي أحكام الْقِنَةِ، وهي نباتٌ، وفي أحكام الْقِيْصُوم، وهو نباتٌ بريٌ كثير الأعشاب.

- **الجزء الرابع والعشرون: ويشمل كتاب الكاف، وهي بحسب تقسيم ابن النفيس الكتاب الثاني والعشرون من الجزء الثاني، من الفن الثالث، من هذا الكتاب، ومن مقالاته:** في أحكام الْكَافُور، وهو صمغٌ يُنْزَع من خشب شجر عظيم جداً، وفي أحكام الْكَاشِم، وهو بذر نباتٌ، وفي أحكام الْكَادِي، وهو نباتٌ يشبه النخل، وفي أحكام الْكَبَرِ، وهو شجرٌ شائكٌ، وفي أحكام

نوعٌ من الحجارة الرطبة أو ما شابه، وفي أحكام المليسن وهو شجرٌ ينمو طبيعياً، وفي أحكام الميّعة، وهي نوعٌ من الدواء.

#### - الجزء التاسع والعشرون: حرف النون،

وبحسب تقسيم ابن النفيس: الجزء الثاني من الفن الثالث، ويضمُ في أحكام النانخواه، وهو نبات يستخدم بزره دواءً، وفي أحكام التأرجيل، وهو جوزٌ هندي كبير، وفي أحكام التارنج، وهو من الحمضيات، وفي أحكام الترجمس، وهو نباتٌ معروف، وفي أحكام النسر، وهو من الطيور الجوارح، وفي أحكام النشا، وهو المادة المستمدَّة من القمح بعد نقعه بالماء، وفي أحكام النَّعْنَع، وهو نباتٌ أخضر اللون يستخدم غذاءً ودواءً، وفي أحكام النَّفَّافَم، وهو نباتٌ بري، وفي أحكام النَّمَر، وهو من الحيوانات الكاسرة، وفي أحكام النُّوشادِر، وفي أحكام النَّيلُوفَر، وهو نباتٌ ينبت في الماء.

#### - الجزء الثلاثون: حروف الهاء والواو والياء،

وهو الكتاب السادس والعشرون، من الجزء الثاني، من الفن الثالث حسب تقسيم ابن النفيس، ويضمُ الموضوعات الآتية: في أحكام الْهَلِيُّون، وهم نباتٌ معروف، وفي أحكام الْهَلِيلِيَّج، وهو نباتٌ بدون حب، وفي أحكام الْهِنْدِبَاء، وهو من النباتات البقولية، وفي أحكام الْوَرَج، وهو نباتٌ يُستعمل منه أصوله فقط، وفي أحكام الْوَخْشِيزَك، وهو نباتٌ شيعي، وفي أحكام الْوَدَع، وهو حيوانٌ صدي، وفي أحكام الورد، وفي أحكام الْوَسَنَخ (المخلفات)، وفي أحكام الياسمين، وفي أحكام الياقوت.

وينهي المحقق يوسف زيدان هذا الجزء بقوله: «وبالانتهاء من نشر الأجزاء الثلاثين، وعلى طريق إتمام هذه الموسوعة، تكون قد قمنا للقارئ العربي، وللمتخصصين في الصيدلة وتاريخ العلوم، أكبر

ذبح الحيوانات، وفي أحكام لسان الحَمَل، وهو نباتٌ يكثر في الأراضي الكثيرة الماء، وفي أحكام لسان الثور، وهو نباتٌ ورقه شبيهٌ بألسنة البقر، وفي أحكام لسان العصافير، وهو ثمرة شجرة الدردار وتستخدم دواءً، وفي أحكام اللوز، وهو من المكسرات المعروفة.

#### - الجزء السابع والعشرون: بقية كتاب اللام، والمقالات العشر الأولى من كتاب الميم، وهي بحسب تقسيم ابن النفيس الكتاب الرابع والعشرون، من الجزء الثاني، من الفن الثالث، من كتاب الشامل في الصناعة الطبية، ومن موضوعات هذا الجزء: في أحكام اللوبِياء، وهي من الخضراوات المعروفة، وفي أحكام اللؤلُق، وهو من درر البحر، وفي ماهية اللوف، وهي من أعشاب البحر، وفي أحكام الليمون، وهو ثمرة حامضة الطعم، وفي أحكام الماشِ، وهو نوعٌ من الحبوب، وفي أحكام الماهودانة، وتعني هذه الكلمة الفارسية الأصل «القائم بنفسه»، والمقصود هو نباتٌ يستعمل دواءً للإسهال، وفي أحكام «ماهي زهرة»، وهي نباتٌ، وفي أحكام الماعز، وفي أحكام محلب، وهو نباتٌ يستخدم للتنكية، وفي أحكام المخ، وهو العضو المحصور ضمن الججمة، وفي ماهية المرزنجوش، وهو نباتٌ، وفي ماهية المُر، وهو صمغ شجرة، وفي ماهية المرتك، وهو معدنٌ، وهناك فصلٌ خاص لأحكام الماء الشبيهة بالدوائية.

#### - الجزء الثامن والعشرون: ويضمُ بقية الميم،

ويشتمل على الموضوعات الآتية: في أحكام المرارة، وفي أحكام المسْك، وهي أحد مفرزات الظباء، وفي أحكام المشمش، وفي أحكام المصطكَ، وهو صمغ شجرة، وفي أحكام المُقل، وهو ثمرة شجرة، وفي أحكام الملح، وفي أحكام الملوخِيَا، وفي أحكام المَن، وهو أحد أشكال بخار الماء، وفي أحكام المَوْزِ، وفي أحكام المؤمِيَا، وهي



الموريات عن ابن النفيس، ولكن لا توجد منها نسخة خطية.

- **بُغيَّة الفطن من علم البدن:** قد يكون هذا العنوان بديلاً لعنوان الكتاب «موجز القانون في الطب».

- **كتاب النبات من الأدوية المفردة:** قد يكون هذا الكتاب الذي ورد ذكره ضمن مؤلفات ابن النفيس أحد أجزاء كتاب: «الشامل في الصناعة الطبية».

- **شرح مفردات القانون:** في كتاب «القانون في الطب» عقد ابن سينا مجموعة فصول للأدوية المفردة رتبها ترتيباً هجائياً، وقد يكون ابن النفيس قد كتب كتاباً كهذا، لاهتمامه الشديد بكتاب القانون من جهة، ولا اهتمامه بالمفردات من جهة أخرى.

- **شرح تشريح جالينوس:** وهذا الكتاب أيضاً قد يكون ابن النفيس قد وضعه نقداً لأفكار الطبيب اليوناني كلوبيوس جالينوس (١٢٩ - ٢١٠ م)، وقد ثبت بمرور الوقت أنَّ بعض نظرياته الرئيسية خاطئة. خاتماً نذكر بعض الملاحظات التي توصلنا لها من خلال كتابتنا لهذه المقالة:

- أطلقت الدولة السورية اسم ابن النفيس على أحد أكبر المشافي الحكومية بدمشق، وهو تكريماً يستحقه بجدارة.

- لم يتزوج ابن النفيس، وقد وهب كلَّ أملاكه للمشفى الذي كان يعمل به.

- تحفظ مكتبة الأسد الوطنية بدمشق ببعض من مخطوطات ابن النفيس، وكلها محفقة.

- تُعدُّ كلُّ الكتب المذكورة في هذه المقالة مرجعاً في كتابتها، وهي من محفوظات مكتبة الأسد الوطنية بدمشق، وبالإمكان الاطلاع عليها للحصول على مزيدٍ من المعلومات.

- صور المخطوطات والكتب مأخوذة من الشابكة.

موسوعة صيدلانية في تاريخ العلم العربي، بل الإنساني بعامة، فليس هناك عمل آخر يقارب هذه الأجزاء من حيث وفرة المادة العلمية والقدرة العالية في تحليل خواص المفردات».

**ثالثاً: كتبه الطبية وغير الطبية غير المؤكدة:** ولابن النفيس أيضاً مؤلفات ذكرها المؤرخون القدامى، ولا توجد لها نسخ مخطوطة، فهي معروفة بأسمائها، مفقودة بأعيانها، وبالإمكان وصفها بأنَّها «المؤلفات المجهولة» التي أشير إليها في مؤلفات أخرى، وثمة ما يفيد أنها أُلفت، ولكن لا توجد معلومات محددة عنها، ومنها:

- **جامع الدقائق في الطب** ، الذي ورد ذكره في كتاب: «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» لابن أبي أصيبيعة.

- **رسالة في أوجاع الأطفال:** ورد ذكرها في الترجمة السابقة.

- **شرح التنبيه:** ورد ذكر هذا الكتاب في العديد من المصادر التاريخية، ويعتقد أنَّ ابن النفيس قد كتبه في أثناء تدريسه الفقه الشافعى بالمدرسة المسرورية بالقاهرة.

- **شرح الهدایة:** وهو شرح على كتاب ابن سينا «الهدایة» في المنطق، ومع أنَّ الكتابين مذكوران في المصادر التاريخية، مفقودان.

- **طريق الفصاحة، كتاب في اللغة:** أورد المفهرون والمؤرخون هذا الكتاب ضمن مؤلفات ابن النفيس، ولكن لا توجد منه نسخ مخطوطة.

- **مواليد الثلاثة:** وهي رسالة في المواليد التوائم الثلاثة الذين يولدون معاً، وقد وردت ضمن مؤلفاته، ولكن لا توجد نسخة خطية منه.

- **مقالة في النبض:** ورد ذكرها ضمن إحدى

# الأستاذة سكينة الشهابي

## ورحلتها مع تاريخ دمشق لابن عساكر (ت ٥٧١ هـ)

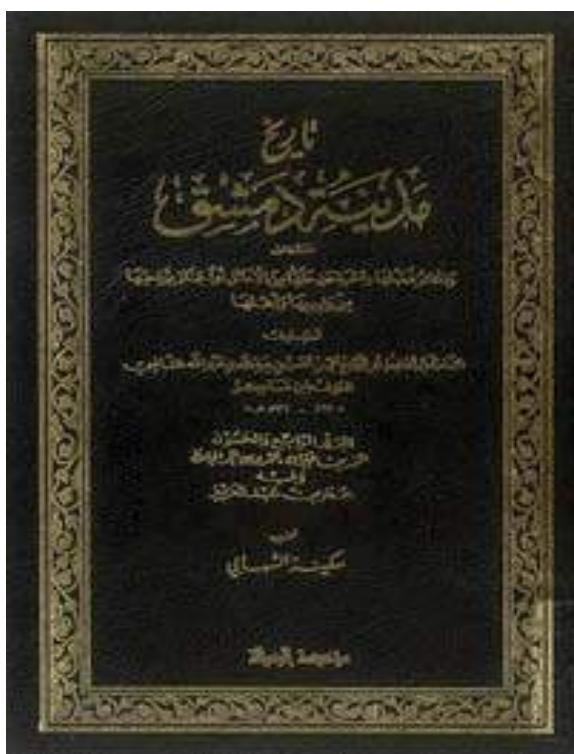
د. محمود الحسن\*

### المقدمة:

في هذه الصفحات أعرض سيرة الأستاذة سكينة الشهابي، رحمها الله، وجهودها في نشر العلم وتحقيق التراث، ولا سيما تحقيق تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (ت ٥٧١ هـ)، وهو أوسع تاريخ تحظى به مدينة على وجه الأرض، وسيظهر أن من عجائب هذا التاريخ أن ابن عساكر وقف حياته في تأليفه وجمع مادته، على حين هيأ القدر في القرن العشرين أستاذة فاضلة، وَقفت حياتها أيضاً في تحقيقه ونشره، إنها الأستاذة العالمية المُحَقِّقة سكينة الشهابي.

### حياتها وسيرتها العلمية:

ولدت الأستاذة سكينة علي الشهابي في مدينة الباب بمحافظة حلب عام ١٩٣٣ م، ولم تكدد تنعم بأحلام الطفولة الأولى حتى خيم على حياتها شبح اليتُم والحرمان، إذ توفي والدها وعمرها خمس سنوات، فأخذت أمواج الواقع المرّ تلطم حياة عائلتها، وتفرض على إخوتها المسير في طريق الرزق وتأمين المعيشة، تلك الطريق الوعرة الموحشة، التي دخلوها فجأة دون استعداد، وهم ينظرون حولهم إلى إخوتهم الصغار، كيف تحولت وجوهُهم الباسمة إلى وجوه عابسة، وكيف أصبحت عيونهم الحاملة تعلوها عبرة الحرمان، وحيرة الضياع.



\* عضو الهيئة الفنية في مجمع اللغة العربية بدمشق.



لقد استولى عليها الشغف بالقراءة والكتابة، وملأ كيانها ذاتها، فاندفعت بفكيرها ووجودها وقلبها نحو إخواتها، والتصقت بهم أشدَّ الالتصاق، تلتقط كلَّ كلمة، وتسأل عن كلَّ حرف، وكان هذا دأبها حتى أتقنت القراءة والكتابة على يد إخواتها، وحفظت شيئاً من القرآن الكريم، وأخذت تقرأ كلَّ ما يقع عليه نظرها من صحف وأوراق وكتب مدرسية.

كانت الأيام تمرُّ، والطفلة اليتيمة ترقى مع مرورها في المعرف، وأحسَّ إخواتها أنها أصبحت أفضل من أترابها اللواتي في المدرسة، فأرْشدوها إلى التقدُّم لامتحان الشهادة الابتدائية، فتقدَّمت مع أختها الصغرى، وكانت المفاجأة أن نجحتا واجتازتا هذه المرحلة، ثم تقدَّمتا معاً لامتحان الإعدادية، فالثانوية، فاجتازتا الامتحانات بكفاءة وجدارة، وكل ذلك دون أن تدخلان مدرسة.

في هذا الجوِّ المُوحش الكئيب كانت الطفلة سكينة الشهابي، بنت الخمس سنوات، تُطلق نظرها الحائر في أرجاء الأفق، تتأمل زرقة السماء في الصباح، واحمرارها عند الغيب، ثم يرجع إليها البصر، في كلِّ يوم، خالياً من ومضات الأمل، مُفعماً بالحسرة والألم.

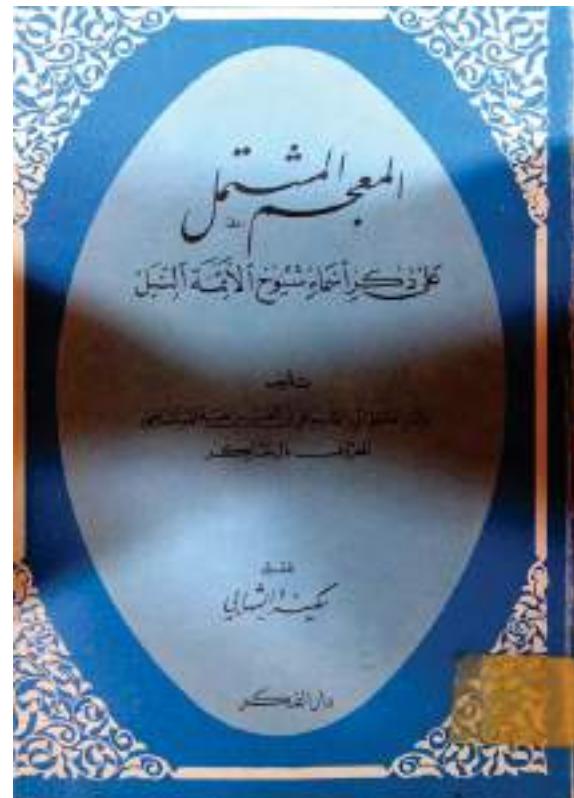
أيقنت الطفلة اليتيمة أنَّ الأمل لا يرتبط بالفضاء الفسيح، ولا بالسهول الواسعة الممتدة، إنه كالبنيوع العذب الذي غالباً ما ينفجر ويتدفق من أحشاء الصخور القاسية. عندها أرخت لسمعها العنان بين جدران البيت الريفي المتواضع، وأخذت تستمع لإخواتها وهم يرثّلون شيئاً من القرآن الكريم، أو يتذاكرون بينهم بموضوعات تتعلق بالقراءة والكتابة.

تحقيق مجلدين من تاريخ ابن عساكر، وبعد أن امتلكت الخبرة العلمية، وأتقنت التعامل مع المخطوطات ومصادر التراث، استقلت بنفسها في العمل، فحققت نحو أربعين مجلداً من تاريخ ابن عساكر، إضافة إلى كتب تراثية أخرى، واستمرّ عطاؤها دون توقف حتى وفاتها عام ٢٠٠٦ م.

عرفت الأستاذة سكينة الشهابي في مجمع اللغة العربية، وعاصرتها فيه نحو سنة ونصف، كنتُ أتردد على قاعة التحقيق، وأجلس مع زملائها الأستاذ أديب الجادر، والأستاذ مأمون الصاغري، فكنتُ أجدها منهنكة في العمل، طوال الوقت، وكانت تُشاركنا في الحديث أحياناً، وهي على طاولتها، غارقة بين أوراقها.

كانت تشتعل في قاعة التحقيق، وفي بيتهما، وحياتها كلها عمل، ليس فيها لحظة ضياع، وإنما كان يفوق طاقة المجمع في الطباعة، فاضطررت إلى طباعة بعض أجزاء التاريخ في مؤسسة الرسالة ودار الفكر، ولما تُوفيت في عام ٢٠٠٦ م وجدوا في بيتهما ستة أجزاء من تاريخ ابن عساكر جاهزة للطباعة، فأخذها المجمع وأصدرها تباعاً، وما زال مجلدان منها في قيد الطبع، ولتعيم الفائدة نشرهما المجمع في موقعه على الشبكة (الإنترنت)، على أن يصدر الاحقاً ضمن مطبوعاته الورقية.

كانت رحمها الله على درجة عالية من الخلق، وأوقفت عمرها في خدمة العلم والتحقيق، ولا سيما تحقيق تاريخ دمشق لابن عساكر، ولم تتزوج، وعاشت حياتها ممتعةً بحواسها ونشاطها وصحّتها، وتُوفيت رحمها الله في عام ٢٠٠٦ م، دون أن يشعر أحد بمقدّمات الوفاة وما يسبقها عادة من أسباب.



وشاءت الأقدار أن تنتقل العائلة إلى دمشق، فالتحقت الأستاذة سكينة الشهابي بالجامعة، وحصلت على الإجازة في اللغة العربية عام ١٩٦٢ م. وبعد أن نالت الإجازة تقدمت إلى مسابقة انتقاء المدرسين، فنجحت فيها، وعيّنت مدرسةً في وزارة التربية.

وفي عام ١٩٧٣ م انتدبت للعمل في مجمع اللغة العربية في مجال التحقيق، مع مجموعة من الباحثين الشبان، وهم: الدكتور رياض عبد الحميد مراد، والأستاذة روحية النحاس، والأستاذ محمد سعيد الدباس، والأستاذ محمد مطیع الحافظ، فعملوا جميعاً في تحقيق تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، تحت إشراف الدكتور شكري فيصل، الذي كان حينئذ أميناً عاماً للمجمع.

شاركت الأستاذة سكينة الشهابي الفريق المذكور في

أمانة المجمع في عام ١٩٧١م، فحقق جزءاً منه، ثم انتدب في عام ١٩٧٣م فريقاً من الباحثين، منه الأستاذة سكينة الشهابي.

وقد حقق هذا الفريق بإشرافه المجلدين (٢٢ و ٣٣)، اللذين طبعا في المجمع في عامي (١٩٨١م و ١٩٨٢م).

ومنذ ذلك التاريخ استقلت الأستاذة سكينة الشهابي بتحقيق تاريخ ابن عساكر، وكان أول أعمالها تحقيق المجلد السادس والأربعين، الذي طبعه المجمع في عام ١٩٨٤م.

ومع مرور الوقت ازداد التصاقها بتاريخ ابن عساcker، وألفتها لقراءة المخطوطات، وخبرتها في استعمال المصادر، وشغفها بالتحقيق، فأوقفت حياتها في خدمة تاريخ دمشق، واستمررت في تحقيق أجزائه حتى وفاتها في عام ٢٠٠٦، وما تزال بعض الأجزاء التي حققتها في طريقها إلى الطباعة.

وفي رحلتها الطويلة مع تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر حققت الأستاذة سكينة الشهابي (٣٩ مجلداً)، وشاركت في تحقيق (٤ مجلدات)، كما يظهر في هذا التقسيم:

١- المجلدات التي حققتها، وطبعت في مجمع اللغة العربية بين عامي ١٩٨٤-٢٠١٨، هي: ٣٥، ٣٦، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩.

٢- المجلدات التي حققتها، ولم تطبع بعد في مجمع اللغة العربية، ثلاثة، هي: ٢٧، ٧٠، ٧١، وهي في طريقها إلى الطباعة.

٣- المجلدات التي حققتها، وطبعت في مؤسسة الرسالة سبعة، هي: ٣٧، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨.

## رحلتها في تحقيق تاريخ دمشق لابن عساكر (ت ٥٧١هـ):

ذكرت في العدد السابق، من مجلة المخطوط العربي، أن مجمع اللغة العربية بدمشق شرع في تحقيق كتاب «تاريخ مدينة دمشق» لابن عساكر (ت ٥٧١هـ)، في عام ١٩٤٩م، وأن الدكتور صلاح الدين المنجد حقق المجلد الأول منه عام ١٩٥١م، وحقق المجلد الثاني عام ١٩٥٤م.

وذكرت أيضاً أن تاريخ مدينة دمشق، لابن عساكر، هو أوسع تاريخ حظيت به مدينة من مدن الأرض، تحدث فيه المؤلف عن مكانة التاريخ عند الأمم وفضائل الشام وخططها، في المجلدين الأول والثاني، ثم جمع في الأجزاء التالية سير العلماء وذوي الفضل، الذين عاشوا في الشام أو مرروا بها، مع ترجمتهم وأخبارهم. وفيه أخبار الأنبياء والخلفاء والولاة والقضاة والعلماء والفقهاء والشعراء وغيرهم ممن ولدوا في دمشق أو عاشوا فيها أو مرروا بها<sup>(١)</sup>.

وتاريخ ابن عساكر صنفه المؤلف في خمسة وسبعين جزءاً، أي إنه كان أولاً في سبعة وخمسين مجلداً، ثم زاد فيه المؤلف فجعله في سبعين جزءاً، وكل جزء في عشرين ورقة، ثم زاد فيه أيضاً فبلغ ثمانين جزءاً، أي أصبح في ثمانين مجلداً<sup>(٢)</sup>.

والعمل في تحقيق تاريخ ابن عساكر ما زال مستمراً حتى وقتنا الحاضر، وكان يُصيّبه الفتور وأحياناً التوقف، لامتداد الزمان، وصعوبة التعاقد مع محققين، واختلاف الإدارات، وغير ذلك من الأسباب الكثيرة، إلى أن توّلّ الدكتور شكري فيصل

١- يُنظر: تاريخ مدينة دمشق، المجلد الأول، مقدمة ابن عساكر ص ٤.

٢- يُنظر: تاريخ مدينة دمشق، المجلد الأول، مقدمة المحقق الدكتور صلاح الدين المنجد، ص ٣٢.

ويمكن القول إنَّ من حسنات القدر وعجائبه أنْ يُهْبِيَ لهذا الكتاب العظيم، تاريخ مدينة دمشق، الباحثة المحققة الأستاذة سكينة الشهابي، التي وقفت حياتها في خدمته، ولو لاها لبقي الكتاب مدفوناً في خزان المخطوطات. وربما يعود بنا الزمن أحياً إلى الوراء لنرى تلك الطفلة التي ولدت في ثلاثينيات القرن الماضي بمدينة الباب، فتسأله ياهفة، ونحن نرقب نظراتها الحائرة: هل هذه الطفلة البتيمة، المحرومة من التعليم، سيكون لها هذا الإنجاز الضخم في خدمة العلم والتراث؟

#### أعمالها الأخرى في التحقيق:

لم تقتصر جهود الأستاذة سكينة الشهابي في التحقيق وخدمة التراث على تاريخ ابن عساكر، بل تجاوزت ذلك إلى تحقيق عدد من كتب التراث، التي لها صلة بهذا التاريخ الكبير، والتي اعتمد عليها ابن عساكر في تأليفه. ومن أهم الكتب التي حققتها، سوى تاريخ مدينة دمشق:

#### ١- أخبار الوفدين من الرجال على معاوية،

للعباس بن يكار (ت ٢٢٢هـ):

كتاب صغير الحجم، يقع في (٦٠) صفحة) مع مقدمة التحقيق، ويحوي تراجم عشرة رجال من أعيان الكوفة والبصرة، كانوا من أصحاب الإمام عليٍّ، ثم لما آلت الخلافة إلى معاوية وفدوا عليه، وهم على موقفهم من نصرة عليٍّ، وعدم مهانة معاوية، والعنوان الكامل للكتاب: أخبار الوفدين من الرجال من أهل الكوفة والبصرة على معاوية بن أبي سفيان، وهو من المصادر التي اعتمد عليها ابن عساكر في تاريخ دمشق، وطبع في مؤسسة الرسالة عام ١٩٨٣م.

#### ٢- أخبار الوفدان من النساء على معاوية،

للعباس بن يكار (ت ٢٢٢هـ):

## الجacket

### الوفدان من النساء

على إسماعيل بن أبي شفيان

العباس بن يكار الصباني  
١٩٩٣-١٩٩٤

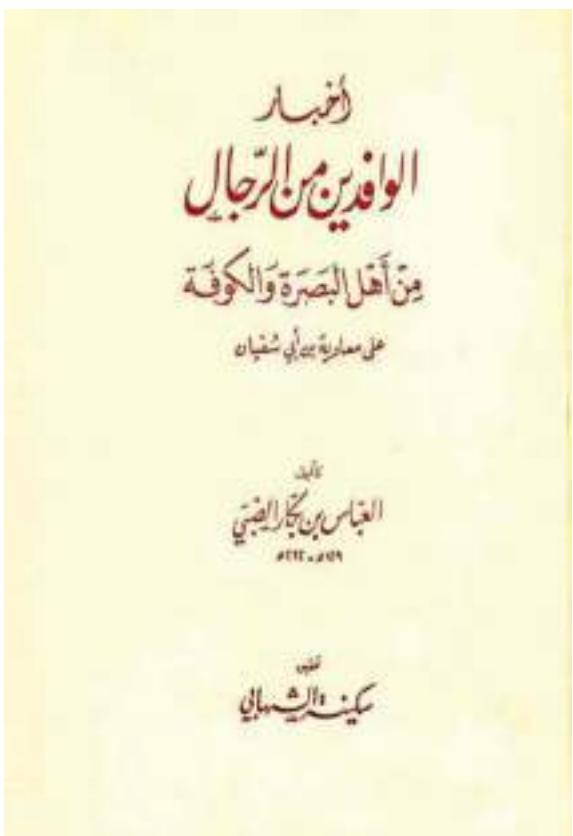
سكينة الشهابي

٤- حققت المجلد الخاص بترجم النساء وهو المجلد (٨٠)، وطبع في دار الفكر عام ١٩٨٢.

٥- شاركت في تحقيق المجلدين (٢٢، ٣٢)، بالاشتراك مع رياض عبد الحميد مراد، وروحية النحاس، ومحمد سعيد الدباس، ومحمد مطبيع الحافظ، وبإشراف الدكتور شكري فيصل.

٦- شاركت في تحقيق المجلدين (٢٨-٢٩)، وطبعاً بمجمع اللغة العربية في كتاب واحد، بالاشتراك مع محمد مجير الخطيب.

وقد أشارت الأستاذة سكينة الشهابي، في مقدمات المجلدات التي حققتها، إلى المخطوطات التي اعتمدت عليها في التحقيق، وأهمها: نسخة البرزالي، ونسخة سليمان باشا العظم، ونسخة أحمد الثالث، ونسخة الفزانة المغربية، ونسخة جامعة بيل.



وقد ذكرت الأستاذة الشهابي في مقدمتها بعض المآخذ على منهج المؤلف، وأهمها أنه ذكر كثيراً من الأسماء على أنها مفردة، وهي ليست كذلك، وألمحت إلى وجود خلل في الترتيب داخل الطبقات، وذكرت في التعليقات المثبتة في الحواشي كثيراً من المآخذ والتصحيحات والاستدراكات على المؤلف.

طبع الكتاب في دار طлас بدمشق عام ١٩٨٧ م، وهو مذيل بفهرس فنية مُتقنة.

٥- المعجم المشتمل على ذكر أسماء شيوخ الأئمة النُّبُل، لابن عساكر (ت ٥٧١ هـ):

وهو من مؤلفات عالم الشام ومحدثها ومؤرخها العلامة ابن عساكر، صاحب تاريخ دمشق، ويضم تراجم مختصرة للشيوخ الذين روى عنهم أئمة الحديث الستة: البخاري (ت ٢٥٦ هـ)، ومسلم (ت

٨٨) وهو أيضاً كتاب صغير الحجم، يقع في صفحة) مع الفهارس، وطبع في مؤسسة الرسالة بيروت عام ١٩٨٣ م.

يحتوي الكتاب أخباراً لست عشرة امرأة، وفنَّى على معاوية بعد أن آلت إليه الخلافة، وعنوان الكتاب يُوحِي بأن تلك النسوة من أهل البصرة والковفة، والصحيح أن منهنَّ من لا تعرف البصرة أو الكوفة، وإنما يجمع بينهنَّ حُبُّ عليٍّ رضي الله عنه والولاء له. والأخبار التي رواها المؤلف تدلُّ على سعة حلم معاوية، وقدرته على امتلاك قلوب الناس.

٣- تلخيص المتشابه في الرسم وحماية ما أشكل منه عن بوادر التصحيف والوهم للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ):

يقع النص المحقق في مجلدين، طبعاً في دار طлас بدمشق، عام ١٩٨٥، وهو يتضمن تراجم العلماء الذين تتشابه أسماؤهم وألقابهم، وغرض الخطيب البغدادي من تأليف الكتاب التمييز بين الأسماء المتشابهة، لكيلاً يقع اللبس والتحريف والتصحيف فيها، فيُعزى الاسم إلى غير صاحبه.

وقد قدَّمت الأستاذة الشهابي للكتاب بمقدمة طويلة، تحدَّث فيها عن أهمية الكتاب ومضمونه، وسيرة مؤلفه، والنسخ الخطية التي اعتمدت في التحقيق، كما أحقت الكتاب بفهرس فنية مُتقنة ومُفصَّلة.

٤- طبقات الأسماء المفردة من الصحابة والتابعين ورجال الحديث، لأبي بكر البرديجي (ت ٣٠١ هـ):  
يقع الكتاب في (١٣٢ صفحة)، ويضم (٤٢٥) اسمًا، بدأ بالصحابَ ثمَّ التابعين ثمَّ الذين أتوا بعدهم... ويقصد المؤلف بالأسماء المفردة: التي لم يتسمَّ بها شخص آخر، مثل: عكاشه والمقداد وسَحْبَرَة وسفينة وغير ذلك.

كتاب صغير الحجم، يقع في (٧٢) صفحة، وطبع في مؤسسة الرسالة ببيروت، عام ١٩٨٣ م. وهو يحوي مختارات من أخبار أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وفضائلهن، اختارها الزبير بن بكار (ت ٢٥٦ هـ) من كتاب أزواج النبي صلى الله عليه وسلم لـ محمد بن الحسن بن زبالة (ت ١٩٩ هـ).

وتتجدر الإشارة إلى أن الأستاذ أكرم ضياء العمري سبق الأستاذة الشهابي في تحقيق الكتاب، ونشره في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٩٨١ م.

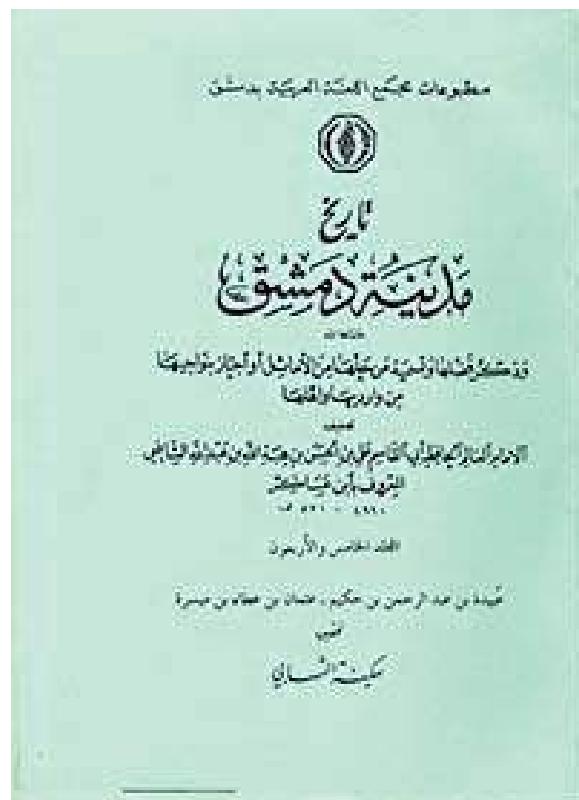
يظهر مما تقدم أن جهود الأستاذة سكينة الشهابي في التحقيق لم تقتصر على تاريخ مدينة دمشق، الذي أنجزت أكثر من نصفه، بل امتدت لتشمل كتاباً تراثياً آخر، لابن عساكر نفسه، أو لعلماء سابقين، كانت مؤلفاته من المصادر التي اعتمد عليها ابن عساكر في تاريه وفي غيره من مؤلفاته.

#### مقالاتها في مجلة المجمع:

نشرت الأستاذة سكينة الشهابي عدداً من المقالات في مجلة مجمع اللغة العربية. وإن اتجاهها المنشور في المجلة محصور في مجال تخصصها وعملها في التحقيق، فهو يتعلق بالتعريف ببعض المخطوطات والكتب التراثية، وإبداء الملاحظات على بعض الأعمال المحققة، وتحقيق بعض المخطوطات الصغيرة، وأهم مقالاتها المنشورة في المجلة:

١- ملاحظات على الجزء الأول من كتاب «شرح أبيات سيبويه» لأبي سعيد السيرافي (ت ٣٦٨ هـ)، بتألیف الدكتور محمد علي سلطانی.

تحدّث في هذا المقال عن صنيع الدكتور محمد علي سلطانی، وجهه العلمي في تحقيق الكتاب، فأثبتت على العمل، وذكرت محسنه، وألمحت إلى الثقافة الواسعة



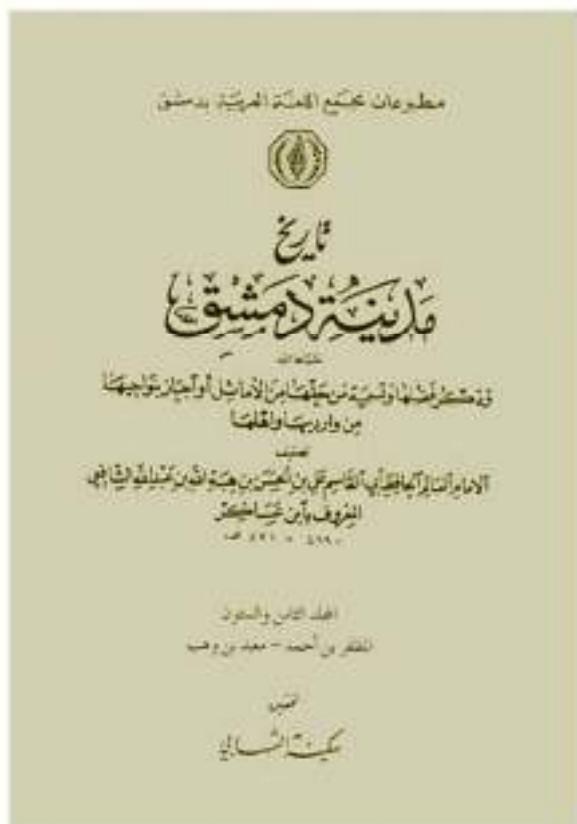
(٢٦١ هـ)، وأبو داود (ت ٢٧٥ هـ)، والترمذى (ت ٢٠٩ هـ)، والنسائى (ت ٣٠٣ هـ)، وابن ماجه (ت ٢٠٩ هـ).<sup>(٣)</sup>

وقد مهدّت الأستاذة سكينة الشهابي للكتاب بمقدمة وافية، تحدّث فيه عن ابن عساكر ومؤلفاته، وأهمية معجمه هذا، وعن منهجها في التحقيق، والنسخ الخطية الأربع التي اعتمدت عليها، وألحقت الكتاب بفهراس فنية متقدّنة.

يقع الكتاب في ٣٣٦ صفحة، وطبع في دار الفكر بدمشق، عام ١٩٨١ م.

٦- المنتخب من كتاب أزواج النبي ﷺ للزبير بن بكار (ت ٢٥٦ هـ):

- هكذا عرض ابن عساكر في معجمه ترتيب الأئمة الستة، وهو الترتيب المعتمد عند علماء الحديث، الذي يُعولون فيه على درجة الصحة، وليس على الترتيب الزماناني للوفيات.



فالأستاذة سكينة الشهابي حققت التاريخ الصغير لهارون بن حاتم، ونشرته في المجلة في (٤٠ صفحه)، مع مقدمة وافية عن مضمونه وأهميته، ووصف المخطوط المعتمد في التحقيق<sup>(٤)</sup>.

٢- رجال عروة بن الزبير وجماعة من التابعين وغيرهم:

هو مخطوط حققه الأستاذة سكينة الشهابي، ونشرت النص المحقق في مجلة مجمع اللغة العربية، ومؤلفه هو مسلم بن الحاج النسابروري (ت ٤٢٦هـ)، صاحب صحيح مسلم المشهور.

عروة بن الزبير هو: التابعي الجليل عروة بن الزبير بن العوام، ولد سنة ٢٩٥هـ، وروى الحديث الشريف عن طائفة من الصحابة، وروى عنه أبناؤه

<sup>(٤)</sup>- يُنظر النص المحقق لتاريخ هارون بن حاتم في: مجلة مجمع اللغة العربية، الجزء ١ من المجلد ٥٣ لعام ١٩٧٨م، ص ١٠٧.

التي يمتلكها الحق، والتي وظفها في خدمة الكتاب، والاهداء إلى النص الصحيح، وتصويب بعض أغلاط النسخ المخطوطة، والترجمة بين الوجوه النحوية التي تحتملها بعض التعبيرات، مع الاعتناء بالشرح والتفسير اللغوي لبعض المفردات.

وفي المقابل نذكر بعض المأخذ على التحقيق، التي في رأيها لا تنقص من قيمة الكتاب، والجهد العظيم الذي بذله الحق.

وبشارة إلى أن كتاب شرح أبيات سيبويه المذكور نشره مجمع اللغة العربية بدمشق عام ١٩٧٦م، وهو من المصادر الأساسية المهمة في علم النحو<sup>(٥)</sup>.

٢- تاريخ أبي بشر هارون بن حاتم (ت ٤٢٩هـ)

وهو عبارة عن مخطوط صغير يقع في سبع صفحات، وناشره هو الحافظ ابن عساكر (ت ٥٧١هـ)، صاحب تاريخ دمشق، تحدث الأستاذة سكينة الشهابي أولاً عن هارون بن حاتم، وترجمت له، ثم تكلمت على المخطوط ومضمونه وأهميته، فذكرت أنه من المصادر التي اعتمد عليها الخطيب البغدادي (ت ٤٢٦هـ) في كتابه «تاريخ بغداد»، وابن عساكر في «تاريخ دمشق».

ومو تاريخ موجز جداً، مرتب على السنين، يبدأ بخلافة علي رضي الله عنه سنة (٤٢٥هـ)، وينتهي مع نهاية الخلافة الأموية سنة (٤١٢هـ)، ويهتم باسم الخليفة ومدة خلافته، وأمير الحج في كل سنة، ثم ينتقل إلى الحديث عن نسب النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته، ثم الحديث عن وفيات الصحابة ومن تلامهم من التابعين وأعمارهم، ثم يذكر في نهاية تاريخه بعض الأسماء والكتني.

<sup>(٥)</sup>- يُنظر مقال الأستاذة سكينة الشهابي في: مجلة مجمع اللغة العربية الجزء ٢ من المجلد ٥٢ لعام ١٩٧٧م، ص ٦٤٥.

ويقع النص المحقق مع مقدمة التحقيق في (٣٩)  
صفحة) من صفحات المجلة<sup>(٧)</sup>.

٤- قطعة من تاريخ أصفهان:  
هو مقال مؤلف من (٥ صفحات)، تحدث فيه  
الأستاذة سكينة الشهابي عن كتاب مفقود بعنوان  
«تاريخ أصفهان»، فجمعت أقوال العلماء فيه، وحققت  
في نسبته إلى مؤلفه، وهو أبو زكريا بن منده (ت  
٤٥١هـ)، وذكرت أنها عثرت على ثمانية ورقات من  
هذا التاريخ ضمن مجموع في المكتبة الظاهرية، يحمل  
الرقم ٢٢٢.

ويظهر في مقالها عن تاريخ أصفهان منهجهما العام  
في دراسة المخطوطات، فهو منهج تغلب عليه الدقة  
والتحري واستقصاء الأخبار في مصادرها المعتمدة،  
والسعى الدائم لإحياء التراث وخدمته، والكشف عن  
كنوزه المخبأة<sup>(٨)</sup>.

٥- استدراكات على المعلم في كتاب الإكمال:  
هو مقال مؤلف من (٥ صفحات)، تحدث فيه  
الأستاذة سكينة الشهابي عن بعض الملاحظات التي  
عثرت عليها في كتاب «الإكمال» في رفع الارتباط عن  
المؤتلف والمختلف في الأسماء والكتنى والأنساب» لعلي  
بن هبة الله بن جعفر بن ماكولا (ت ٤٧٥هـ)، حفيد أبي  
بلف، القائد الجوال الشاعر (ت ٢٢٦هـ)<sup>(٩)</sup>.

وكتاب الإكمال حقه العالم الجليل عبد الرحمن  
بن يحيى المعلمي اليماني (ت ١٩٦٦م)، وقد أثبتت على  
التحقيق والتحقق، ثم في غاية اللطف والأدب عرضت

٧- يُنظر النص المحقق في مجلة مجمع اللغة العربية، الجزء ١ من  
الجلد ٥١ لعام ١٩٧٩، ص ١٠٧.

٨- يُنظر مقالها عن تاريخ أصفهان في: مجلة مجمع اللغة العربية،  
الجزء ٤ من المجلد ٥٤ لعام ١٩٧٩، ص ٩٩٦.

٩- تُنظر ترجمة ابن ماكولا في: سير أعلام النبلاء، للذهبي (ت  
٧٤٨هـ)، طبعة دار الصيدلي بالقاهرة ٢٠٠٦، ص ١٤٢.

## كتاب

### لِخَصْرِ الْمُتَشَابِهِ فِي الْبَسْرَهِ وَحَمَاهِ إِذَا أَشَكَّ نَهَارَ التَّعْبِيفَ وَالوَرَمَ

تأليف

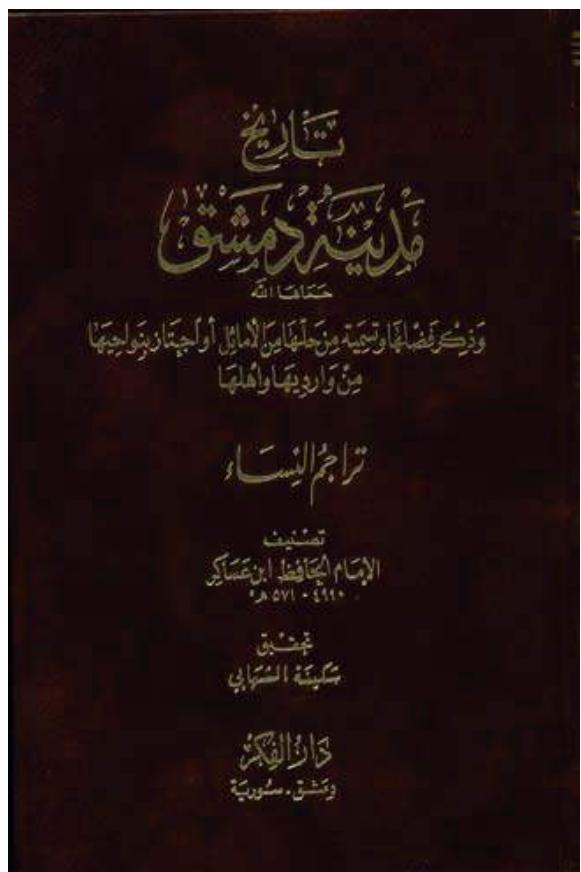
أمارة خير الدين ابن أبي ذئب البصري  
٤٦٣ - ٣٩٦

تحقيق  
شكينة الشهابي

وأحفاده وعدد من التابعين وغيرهم، وكان فقيهاً عالماً  
بassiratun nabiyyah، وهو أول من صنف في المغاربي، توفي  
سنة ٩٢هـ<sup>(١)</sup>.

المخطوط يتناول الرجال الذين رووا عنهم  
عروة بن الزبير، والذين رواوا عنه، مع ذكر  
أسمائهم والبلدان التي ينتهيون إليها، أو استقروا  
فيها، وترى الأستاذة الشهابي أن للمخطوط أهمية  
كبيرة من حيث الموضوع والمادة ومكانة المؤلف،  
يُضاف إلى ذلك قدم النسخة وصحة سمعها  
وجودة خطها، وأنها بخط الخطيب البغدادي (ت  
٦٣هـ)، صاحب تاريخ بغداد.

٦- يُنظر في ترجمة عروة بن الزبير: تاريخ الإسلام، للذهبي (ت  
٧٦٨هـ)، تحقيق: بشار عواد، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت ٢٠٠٢،  
١١٢٩، ٢.



الغرناتي (٨٢٩ هـ)، والمستظر للأ بشيهي (ت ٨٥٢ هـ) وغيرها<sup>(١٢)</sup>.

وأضيف أيضاً أن الكتاب حققه أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، على ثمانية نسخ خطية، منها نسخ تامة، ونشر في دار ابن حزم عام ١٩٩٨ م.

٧- الحدائق الغناء في أخبار النساء للماقي (ت ٦٠٥ هـ):

هو مقال مؤلف من (١٨ صفحة)، عرّفت فيه الأستاذة سكينة الشهابي بكتاب الماقي، الذي يتألف من أحد عشر جزءاً، اختارت منها الدكتورة عائدة الطيبى سبعة أجزاء، وحققتها، ونشرتها تحت عنوان: الحدائق الغناء في أخبار النساء.

١٢- يُنظر بحثي: أدب السمر مصنفاته وموضوعاته وخصائصه، مجلة دواة، العدد ١٤، ص ٨٣.

بعض التصحيفات والتحريفات، التي لم يتتبّع إليها الحقّ الفاضل<sup>(١٣)</sup>.

٦- مقال يتناول المخطوطات المتاحة لكتاب «المجالسة وجواهر العلم»:

يقع المقال في (٢١ صفحة)، تحدّث فيه الأستاذة سكينة الشهابي عن كتاب المجالسة وجواهر العلم، مؤلفه القاضي أبي بكر أحمد بن مروان الدينوري (ت ٢٣٣ هـ)، فذكرت النسخ المخطوطة لكتاب، وركّزت على مضمونه، باعتباره من المراجع الأدبية المهمة، التي اعتمد عليها ابن عساكر في تاريخ دمشق. وملخص حديثها عن الكتاب أنه يُشبه البيان والتبيين للجاحظ (ت ٢٥٥ هـ)، وعيون الأخبار لابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ)، وتتوزّع مادته بين الحديث الشريف والقصص والأشعار والأمثال، وذكرت أن الكتاب مُبَعَّر، ولا توجد منه مخطوطة كاملة، وتمّت أن يهتدي المحققون إلى نسخ كاملة، ويعملون على تحقيق الكتاب<sup>(١٤)</sup>.

وأضيف إلى ما أوردته الأستاذة الشهابي أن كتاب المجالسة وجواهر العلم يندرج ضمن ما يُسمى أدب السمر، وهو باب واسع يضم كثيراً من المؤلفات، التي تحوي مادة أدبية تصلح للسمر والمذاكرة في المجالس والنوادي، مثل رباع الأبرار للزمخشري (ت ٥٣٨ هـ)، والتذكرة الحمدونية لابن حمدون (ت ٥٦٢ هـ)، والمقطف من أزاهر الطرف لابن سعيد المغربي (ت ٦٨٥ هـ)، والتذكرة الفخرية لبهاء الدين الإربلي (ت ٦٩٢ هـ)، وحدائق الأزاهير لابن عاصم

١٠- يُنظر مقالها في: مجلة مجمع اللغة العربية، الجزء ٢ من المجلد ٥٥ لعام ١٩٨٠، ص ٣٧٠.

١١- يُنظر مقالها في: مجلة مجمع اللغة العربية، الجزء ٢ من المجلد ٥٦ لعام ١٩٨١، ص ٢٩٨.

٩- وُرِيقَاتٌ مِنْ تَرْجِمَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

هي جزءٌ مِنْ تَارِيخِ دَمْشَقَ لَابْنِ عَسَاكِرِ، بِخَطِّ عَلَمِ الدِّينِ الْبَرْزَالِيِّ (ت ٦٣٩ هـ)، ذَكَرَتِ الأَسْتَاذَةُ الشَّهَابِيَّ أَنَّ بِهَا يَتَمَّ الْمَجْلِدُ الرَّابِعُ وَالثَّالِثُونُ مِنْ تَارِيخِ دَمْشَقَ، الَّذِي حَقَّقَهُ الأَسْتَاذُ مَطَاعُ الطَّرَابِيشِيُّ، وَنَسْرَهُ مَجْمَعُ الْغُلَامِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ عَامَ ١٩٨٤ م.

يضم المخطوط الصغير سيرة الصحابي الجليل عبد الله بن عباس رضي الله عنه، ومناقبه، وأخباره. وقد حَقَّقَهُ الأَسْتَاذَةُ الشَّهَابِيُّ، وَنَسْرَتْهُ فِي (١٠ صفحات) مِنْ مَجْلِسِ الْمَعْجمِ، مَعْتَمِدًا عَلَى ثَلَاثَ نَسْخٍ خَطِيَّةٍ هِيَ: نَسْخَةُ الْبَرْزَالِيِّ، وَنَسْخَةُ أَحْمَدِ الثَّالِثِ، وَنَسْخَةُ سَلِيمَانِ بَاشَا الْعَظَمِ، وَهِيَ مِنَ النَّسْخِ الْخَطِيَّةِ الْأَسَاسِيَّةِ الَّتِي اعْتَمَدَتْ عَلَيْهَا الأَسْتَاذَةُ الشَّهَابِيُّ، وَغَيْرُهَا مِنَ الْمَحْقُوقِينِ، فِي تَحْقِيقِ تَارِيخِ مدِينَةِ دَمْشَقِ (١٥). تلك كانت أَعْمَالُ الأَسْتَاذَةِ سَكِينَةِ الشَّهَابِيِّ، المنشورة في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ولا يخفى ما فيها من جهود طيبة، في التحقيق وخدمة العلم والتراث، وهي في مجموعها تُعبّر عن التزام الأستاذ الشهابي رحمها الله التحقيق وخدمة التراث، حتى غدا تخصيصاً لها، لا تحدّ عنه، ولا تجد ذاتها في غيره.

**الخاتمة:** مما تقدّم يتضح أن الأستاذة سكينة الشهابي قد وقف حياتها في خدمة العلم ونشر التراث، ولا سيما تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، ويُستفاد من سيرتها العلمية ومطالعه إنجازاتها أن الْيُتَمُّمُ وَالْحَرْمَانُ يُمْكِنُ أَنْ يَتَحْوِلَا إِلَى قُوَّةٍ وَعَطَاءٍ، مَعَ الإِرَادَةِ وَالتَّصْمِيمِ وَالْإِخْلَاصِ.

١٥- يُنْظَرُ النَّصُّ الْمَحْقُوقُ فِي: مَجْلِسِ مَعْجمِ الْغُلَامِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ، الْجَزْءُ ٢ُ مِنَ الْمَجْلِدِ ٧٣ لِعَامِ ١٩٩٨، ص ٢٤٧.

وقد أثبتت الأستاذة الشهابي أن المالقي أخذ مادة كتابه من تاريخ دمشق لابن عساكر، واقتصر في اختياره على الروايات الطويلة ذات العرض الشائق، على حين أهمل ما يتعلق بضبط الأسماء والكنى، وبنى مادة كتابه على أساس روایة واحدة شاملة، صاغها من الروايات والأخبار المتعددة.

ثم عرضت الأستاذة الشهابي ملاحظات كثيرة، سَهَّتْ عَنْهَا الْمَحْقُوقَةُ، وَبَيَّنَتْ الوجهُ الصَّحِيحُ فِيهَا. فَالْمَقَالُ يَنْدَرُجُ ضَمِّنَ بَابِ التَّعْرِيفِ وَالنَّقْدِ، وَهُوَ مِنْ قَبْلِ الْإِسْتِدْرَاكِ عَلَى الْأَعْمَالِ الْمَحْقُوقَةِ (١٦).

٨- المجلس الثمانون بعد المئتين من مجالس ابن عساكر:

ذَكَرَتِ الأَسْتَاذَةُ الشَّهَابِيُّ أَنَّ ابْنَ عَسَاكِرَ (ت ٥٧١ هـ)، صَاحِبَ تَارِيخِ دَمْشَقَ، كَانَتْ لَهُ مَجَالِسٌ كَثِيرَةٌ فِي الْوَعْظِ وَالْإِرْشَادِ، أَلْفُ مِنْهَا وَمِنْ مَصَادِرِ أُخْرَى، فَيَمَّا بَعْدُ، تَارِيَّخُهُ الْمَشْهُورُ.

وَفِي هَذَا الْمَجَالِسِ تَحْدَثُ ابْنُ عَسَاكِرَ عَنِ الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ (ت ٣٢ هـ)، فَذَكَرَ مَنَاقِبَهُ وَفَضَائِلَهُ، وَخَتَمَهُ بِأَبْيَاتٍ فِي مَدِيْحَهِ.

وَمَا جَاءَ فِي هَذَا الْمَجَالِسِ مُبْثُوثٌ فِي تَارِيخِ دَمْشَقَ، فِي عَدَةِ مَوَاضِعٍ، وَفَقَدْ مَنَهَاجُ التَّارِيخِ، الَّذِي التَّزَمَهُ ابْنُ عَسَاكِرَ.

وَالْمَجَالِسُ مُخْطُوطَ حَقَّقَهُ الأَسْتَاذَةُ الشَّهَابِيُّ، وَمَهَّدَتْ لَهُ بِمَقْدِمَةٍ وَافِيَّةٍ عَنِ الْأَهْمَى مَجَالِسِ ابْنِ عَسَاكِرَ، وَعَلَاقَتْهَا بِالْمَلَادَةِ الَّتِي يَحْويُهَا تَارِيَخُهُ، وَيَقِعُ فِي (١٩ صَفَحةً) مِنْ صَفَحَاتِ مَجْلِسِ الْمَعْجمِ (١٧).

١٣- يُنْظَرُ الْمَقَالُ فِي: مَجْلِسِ مَعْجمِ الْغُلَامِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ، الْجَزْءُ ٢ُ مِنَ الْمَجْلِدِ ٥٨ لِعَامِ ١٩٨٣، ص ٣٩٥.

١٤- يُنْظَرُ الْمَجَالِسُ الثَّمَانُونُ فِي: مَجْلِسِ مَعْجمِ الْغُلَامِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ، الْجَزْءُ ٤ مِنَ الْمَجَالِسِ ٥٨ لِعَامِ ١٩٨٣، ص ٧٥٣.

# التحرير وغتال النصوص

محمد قاسم



من قصائد الشريف الرضي أبي الحسن محمد بن الحسين المتنوفى سنة ٤٠٦ هـ التي أفصح بها عن بُعد شأوه في الشعر، وعلّو طبقة فيه = مرثيته الذاعنة الصيت التي أَبْنَ فيها أبا إسحق الصابي إبراهيم بن هلال المتنوفى سنة ٣٨٤ هـ، وهي إحدى المراثي التي جمعها ابن جنّي (ت ٣٩٢ هـ) في كتاب مفرد على حياله، وسمّاه «تفسير القصائد العلويات الأربع» - ومن أسف أن عَدَت عليه العوادي، وطواه الدهر فيما طوى من ذخائر - واستهلالها:

أَرَأَيْتَ كِيفَ خَبَا ضِيَاءُ النَّادِي؟!  
مِنْ وَقْعِهِ مُتَتَابِعُ الْإِزْبَادِ  
أَنَّ الثَّرَى يَعْلُو عَلَى الْأَطْوَادِ

أَعْلَمْتَ مَنْ حَمَلُوا عَلَى الْأَغْوَادِ  
جَبَلُ هَوَى لَوْ خَرَّ فِي الْبَحْرِ اغْتَدِي  
مَا كُنْتُ أَعْلَمُ قَبْلَ حَطَّكَ فِي الثَّرَى

وعدة أبياتها ٨٢ بيتاً، وهي في ديوانه ١ / ٣٨١ - ٣٨٦ (منشورات مطبعة وزارة الإرشاد الإسلامي، طهران، ١٤٠٦ هـ)، وقد غال التحرير مواضع منها:

• الديوان ١ / ٣٨٢ :

هَذَا أَبُو إِسْحَاقِ يُغْلِقُ رَهْنَهُ

- ضَبْطُ يُغْلِقُ خَطَأً، صوابه: يغلق. وغلق الرهن يغلق غلوقاً: أَنْ يَقْنِى عند المرهونين عنده بما عليه لا يُفْكِرُ.  
- هل ذا يَدٌ. كذا، صوابه: هل ذَائِدٌ.

• الديوان ١ / ٣٨٢ :

يَتَحَدَّبُونَ عَلَى الْقَنَا الْمَيَادِ

سَلُوا الدُّرُوعَ مِنِ الْعُبَابِ، وَأَقْبَلُوا

- العباب: تحرير، صوابه: العياب.

الدروع هُنَا: الأكفان. العيبة: وعاء من آدم، يكون فيها المتأع، والجمع العياب. والعرب تُنكِنُ عن الصدور والقلوب التي تحتوي على الضماير المخفاة: بالعياب؛ وذلك أنَّ الرَّجُلَ يضُعُّ في عيبيته حُرَّ مَتَاعَهُ، وصُونَ ثيابَه، ويكتُمُ في صدرِه أَخْصَّ أسراره التي لا يُحبُّ شُيُوعَها، فسُمِّيَتِ الصُّدُورُ وَالْقُلُوبُ عَيَابًا، تشبيهًا بعياب الثياب.

• الديوان ١ / ٣٨٢ :

مِنْ جَانِبِيْكَ مَقَاؤُ الدُّعَوَادِ

أَغْرِزْ عَلَيَّ بِأَنْ أَرَاكَ وَقَدْ خَلَتْ

- مقاود: كذا، صوابه: مَقَاعِدُ، وَيُصَدِّقُهُ روَايَةُ أُخْرَى: مَجَالِسُ الْعُوَادِ، وروایات الشِّعْرِ يُفْسِرُ بَعْضُهَا بَعْضًا.

• الْدِّيَوَانُ / ٣٨٣ :

### ثَكِلْتَكَ أَرْضَنَ لَمْ تَلِدْكَ ثَانِيَاً أَنَّى، وَمِثْلُكَ مُغْوَذُ الْمِيلَادِ؟

- مُعَوذُ: كذا، تحريف. وفي هامش الْدِّيَوَانِ: مُعَوذُ الْمِيلَادُ، مِنْ أَعْوَذَهُ دَعَاهُ بِالْحَفْظِ وَقَالَ لَهُ: أَعِينُكَ بِاللهِ. والمعنى غامض.

- قُلْتُ: الصَّوَابُ مُعَوْزٌ. أَعَوْزَنِي هَذَا الْأَمْرُ: إِذَا اشْتَدَّ عَلَيْكَ وَعَسْرٌ. وأَعَوْزَنِي الشَّيْءُ يُعَوِّزُنِي أَيْ قَلَّ عَنِي مَعْ حاجتي إِلَيْهِ. أَيْ مِثْلُكَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ قَلِيلٌ الْوُقُوعُ، أَيْ لَا تَلِدُ الْأَيَّامُ مِثْلَكَ. وَهُوَ مَعْنَى مُسْتَقِيسٌ فِي الْفَخْرِ وَالرِّثَاءِ.

• الْدِّيَوَانُ / ٣٨٣ :

### مَنْ لِلْمُلُوكِ يَجْزُ فِي أَعْدَائِهَا بُطْبَا مِنَ الْقَوْلِ الْبَلِيجِ حَدَادِ؟

- يَجْزُ: كذا، ولعلَّ الصَّوَابَ: يَحْزُنُ، بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ.

• الْدِّيَوَانُ / ٣٨٣ :

### وَتَكُونُ صَوْتاً لِلْحَرُونِ، إِذَا وَنَى وِعِنَانَ عُنْقِ الْجَامِعِ الْمُتَمَمَادِي

- صَوْتاً: كذا، تحريف، صوابه: سَوْطًا. الْحَرُونُ: الدَّابَّةُ تَأْبِي أَنْ تَنْقَادَ.

• الْدِّيَوَانُ / ٣٨٦ :

### وَسَقَاكَ فَضْلُكَ إِنَّهُ أَرَوَى حَيَا مِنْ رَأِيْحِ مُتَعَرِّسٍ أَوْ غَادِ

- مُتَعَرِّسٌ: كذا، تحريف، صوابه: مُتَعَرِّضٌ. والعَرَضُ: السَّحَابُ الْمُطْلُ يَعْتَرِضُ فِي الْأَفْقِ.

• الْدِّيَوَانُ / ٣٨٢ :

### وَالَّدَّهَرُ تَدْخُلُ نَافِذَاتُ سِهَامِهِ مَأْوَى الصَّلَالِ وَمَرْبِضَ الْآسَادِ

### أَلْقَى الْجِرَانَ عَلَى عَنَطَنْطِ حَمِيرٍ فَمَضَى، وَمَدَّ يَدًا لِأَحْمَرِ عَادِ

وَالَّدَّهَرُ تَدْخُلُ نَافِذَاتُ سِهَامِهِ

أَلْقَى الْجِرَانَ عَلَى عَنَطَنْطِ حَمِيرٍ

- في الهامش: الْجِرَانُ: عنق البعير. العَنَطَنْطَ: الطَّوِيلُ.

- قُلْتُ: تفسير العَنَطَنْطَ بِالطَّوِيلِ هُرُوبٌ أَوْ عَجْزٌ عَنْ مَرَادِ الشَّرِيفِ الرَّضِيِّ بِعَنَطَنْطِ حَمِيرٍ هَذَا، وَهُوَ بِلَارِيبٍ يَعْنِي رَجُلًا بَعِينَهُ، كَمَا أَرَادَ بِأَحْمَرِ عَادَ رَجُلًا بَعِينَهُ.

وَلَعَلَّهُ عَنِي بِعَنَطَنْطِ حَمِيرِ الْقُمَانِ بْنَ عَادَ، وَكَانَ رَجُلًا طُوَالًا لَا يُقَارِبُهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ زَمَانِهِ، وَدَعَا أَنْ يُعْطَى عُمْرًا فَوْقَ كُلِّ عُمْرٍ، فَأُجِيبَ، وَلَكِنَّ لَا سَبِيلَ إِلَى الْخُلُدِ، فَخَيْرٌ فِي أَشْيَاءِ، فَاخْتَارَ سَبْعَةَ أَنْسُرٍ كُلُّمَا هَلَكَ نَسْرٌ أَعْقَبَ مِنْ بَعْدِهِ نَسْرٌ، فَيُذَكَّرُ أَنَّهُ عَاشَ أَلْفَيْ سَنَةً وَأَرْبِعَمِائَةَ سَنَةً، دَانَتْ لَهُ الْأَرْضُ، وَعَزَّ مُلْكُهُ. نَشْوَةُ الْطَّرَبِ ١٠٦ - ١٠٧.

أَحْمَرُ عَادٌ: قُدَارُ بْنُ سَالِفٍ عَاقِرُ نَاقَةٍ صَالِحٍ، وَإِنَّمَا هُوَ أَحْمَرُ شَمُودٍ. جَمِيرَةُ الْأَمْثَالِ ١ / ٥٥٨، وَأَمَالِيُّ بْنُ الشَّجَرِيِّ ٢ / ٤٥٨ - ٤٥٧، وَالْتَّذَكْرَةُ الْحَمَدُونِيَّةُ ٧ / ٢٤.

يريد: اغتالت يَدُ الدَّهَرِ الصَّالِحَ (الْقُمَان) عَلَى تَطاوِلِ أَجْلِهِ وَاتِّسَاعِ مُلْكِهِ، وَالشَّقِيقِيُّ (أَحْمَرُ عَادٌ) عَلَى عُتُوهِ وَعَيْثِهِ وَإِفْسَادِهِ فِي الْأَرْضِ. فَيَدُ الْمَنِيَّةِ تَبَطَّشُ وَلَا تَذَرُ أَحَدًا مِنْ صَالِحِي النَّاسِ وَأَشْقَائِهِمْ.